

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الموصل

الأدب العربي

في العصر العباسي

تأليف
الدكتور ناظم رشيد
الطبعة الأولى - جامعة الموصل

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

الأدب العربي

في العصر العباسي

shiabooks.net

رابطہ پیدل < muktba.net

تأليف
الدكتورناظم رشيد
كلية الآداب - جامعة الموصل

سقوط الطبع (ج) محفوظة (١٩٦٠ هـ - ١٩٨٩ م)
لمديرية دار الكتب للطباعة والنشر
جامعة الموصل

لا يجوز تصوير أو نقل أو إعادة طبع الكتاب
وبأي شكل من الأشكال إلا بعد موافقة الناشر

نشر وطبع وتوزيع
مديرية دار الكتب للطباعة والنشر
شارع ابن الأثير - الموصل
الجمهورية العراقية
١٩٩٢
١٩٩٣
٨٠٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اللهم منك استلهم الهداية والرشاد . والتوفيق والسداد . واستمد منك العصمة من الزلل . والصون من الخطل . إنك على ما تشاء قدير . وبالإجابة جدير . وبعد .

فإن الحقبة التي حكم فيها بنو العباس من أبهى العصور والأيام في تاريخ امتنا العجيدة . زهت فيها المدنية . وارتقت الحضارة . وعشت الحضارة . وسمت العلوم . ونعت الآداب . وبلغ العطاء الفكري منزلة مبيعة . ووصل الانفتاح العقلي مكانة رفيعة . وكانت الثمرة جيئة طيبة غزيرة . وحسبنا دليلاً ما وصل إلينا من أسماء العلماء والآداب الأبرار . والفخيرة الكبيرة من الكتب والأسفار .

إن الأدب العباسي واسع وكبير . ولا يمكن للمرء أن يستغني في دروس قليلة . وساعات محدودة . ولكن ما لا يترك جلّه لا يترك كله . لذلك تناول هذا الكتاب المتواضع خلاصة هذا الأدب وربطته من خلال النصوص الأدبية وسير أعلام أشعراء والكتاب الذين ارتأت المناهج الجامعية إقرارها وتدريبها لأننا الطلبة

يقوم الكتاب على قسمين كبيرين . الأول يتناول الأدب - شعراً ونثراً - من قيام الدولة العباسية سنة ثنتين وثلاثين ومئة للهجرة الى سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة للهجرة . وهي السنة التي جاء فيها البويهيون الى بغداد وقضوا على حية الديلمية وحردوه من سلطته المنيوية . والقسم الثاني ينتهي بانتهاء الدولة العباسية سنة ست وحسين وست مئة للهجرة . وهي السنة التي احتل فيها الغزاة من جيش هولاكو بغداد .

لقد حاولنا جهدنا أن نُقدم المادة بأسلوب مكثف ومنمق . مستعينين باختبارات أدبية رفيعة تجمع حولها القلوب . ونطمئن لها القلوب . وسعدين كل ما هو منير . ومكثف للخواطر

وإني لأجد في نفسي من واجب الوفاء أن أقدم أجمل الشكر وأحرزه الى عمادة كلية الآداب . وإلى قدم اللغة العربية - رئاسة وأمانة - لما أبدوه من تشجيع وحفاوة في تأليف هذا الكتاب

وَقَدْ أَفْلَحَ الطَّيِّبِينَ ، وَعَزَّزَ مَكَانَةَ الْمُخْلِصِينَ ، وَبَشَّرَ خُدَّاءَهُمْ لَمَّا هَبَّ بِهِ خَيْرُ الْبِلَادِ .
أَنَّهُ نَعِمَ الْمَوْتَى وَنَعِمَ النَّصِيرُ

الدكتور

ناظم رشيد

كلية الآداب - جامعة الموصل ..

ضعفت الدولة الأموية في أعوامها الأخيرة . وأصبحت لا تقوى على التوفيق أمام القوم المناوئة لها . وكان لمريق من العرب الحائقين على بني أمية . ومن الكارهين لحكمهم من غير العرب . الدور الكبير في نهيارها . وروال سلطتها . وانقضاء عهدها . الى جانب الاضطراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي في عهد آخر خلفائها مروان بن محمد .

كان أبو العباس . وهم فرع من بني هاشم . يرون أن الخلافة حقهم المصوب . وراثتهم المنهوب . وأحدوا يطالبون بها . واستطاعوا بذكائهم وفطنة رجالهم أن يستغلوا الكراهية على بني أمية للوصول إلى هدفهم المنشود وتمكنوا بدهائهم وكيلتهم أن يستبسلوا العلويين الذين كانوا يطالبون بالخلافة أيضاً ويرون أنفسهم أحق من غيرهم بالحكم . وقرروا أن يقتنوا كبار رجالهم بأر دعوتهم تهدف إلى احقاق الحق وتسليم الأمر إلى الرضا من آل بيت محمد . . وكلمة الرضا ليست محددة .

وكان في خراسان اثنا عشر داعياً يعملون على عدم كيان بني أمية . واقامة سلطان هاشمي . وهم على اتصال بالمركز في الكوفة . وكان العوجة تندوة في باديء الأمر أبو هاشم عبد الله بن محمد بن العنيفة الذي اضطر أن يلجأ إلى بني عبه من آل العباس الذين يقسمون في « الخيمة » من أرض فلسطين جنوب البحر الميت . وكان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس اكبر رجال آل العباس لذلك . فالتقوا . واتفقا على العمل سوية لازالة حكم الأمويين ونسلم السلفه منهم . واقامة دولة جديدة . ولما احسن أبو هاشم يدؤ أجله ولم يكن له عقب أوصى لمحمد بن علي بن عبد الله بالامامة من بعده . وأعلم خاشته بهذا الأمر . وكان هذا في سنة ٨٧ أو ٩٨ للهجرة . وهكذا أصبح محمد بن علي الشخصية الأولى من بني العباس تتولى زعامة الحركة المضادة لبني أمية وتشرف على ادارة الفتنة المعارضة للحكم في دمشق . وأثر أن تبقى الدعوة سرية . واختار سبعين رجلاً ياتمرون بأمر الدعوة الاثنى عشر (١) . يعملون في الخفاء على نشر الدعوة العباسية . وكانوا

(١) لهم المختاروا هذا العدد ليضيفوا الفرعية على دعوتهم . فقد جاء في قوله تعالى (واختار موسى ثمره سبعين رجلاً لميقاتنا) ثم قال في آية أخرى (وبمشتا منهم اثني سطر للهيبا) . وان رسول الله صلى الله عليه وسلم واقاه ليلة القدر سبعون رجلاً من الأوس والعنزة لياهموه . فجعل منهم اثني سطر للهيبا (أخبار الدولة العباسية ص ٩٦) .

يجوبون البلاد متظاهرين بالانجار . أو طفت العلم . أو التطيب . أو السباحة .
وهم يشنون أنكارهم بين الناس . ويكثرون مازريه وموائدهم في الثورة على سي
أمية وأزاحتهم عن الحكم وأعداهم عن السلطة .

اتخذ محمد بن علي (وهو ولد ابراهيم الإمام . وأبي العباس السفاح . وأبي
جعفر المنصور) مكانين لنشر الدعوة . أحدهما في الكوفة . والثاني في خراسان
وزاد الإقبال على هذه الدعوة ولا سيما في خراسان التي أصبحت آنذاك مركزاً بارزاً
تقيازة المعارضة والتمرد على سلطة بني أمية

ولما توفي محمد بن علي سنة ١٢٥ للهجرة تولى الأمر من بعده ابنه ابراهيم
وصار هو الإمام . ودار على حرب أبيه في العمل السري تحضيراً للأجهزة على الدولة
الأموية . واعتمد على رجل ذكي هو أبو سلمة الحلال . وجعله كبيراً للدعاة في
الكوفة . أما خراسان فجعل عليها أبا مسلم الخراساني الذي أصبح فيما بعد القائد
للمجوش الواحقة على معاقلي الأمويين . وكان أبو مسلم . شديد الاخلاص
للمبائسين . مرفقاً في خدمتهم . كثير الدماء . واسع الحيلة . حبيباً بما يقتضي عمله
من الحرمان والقسوة . فلا تعرف الرحمة قلبه . ولا يتناول الأمور الا بالحزم والبأس
الشديد (١٢)

ولما اشتد أثر العباسيين . وأصبحت دعوتهم ذات قاعدة قوية قادرة على تحمل
أعباء الثورة . طلب ابراهيم الامام من داعية أبي مسلم الخراساني أن يعلن الدعوة
صرخة وجهراً بين الخلائق . فاستجاب له . وكان ذلك سنة ١٢٨ للهجرة . ونس
السواد الذي اتخذ العباسيون شعاراً لهم ثعبان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
دخل مكة فاتحاً تحت راية سوداء .

وقد أحس نصر بن سيار عامل الأمويين في خراسان بالخطر . وانصرخ
الخليفة . وصور في أبيات من نظمته الحالة المتساوية التي تنتظر الأمويين إذا لم
يهتئوا لإخماد جذوة الفتنة التي سخرتهم وتحلبهم إلى هباء مستور (١٣)

(١٢) عصر المأمون ١١٠١ - ٨٥٠ .

(١٣) ديوان نصر بن سيار الكناشي ص ٩٠ . عيون الاخبار ١٠١ - ١٢٨ . مروج الذهب ٢ - ٢٤٠ .
الذهري ص ١٤٤ .

أرى خلل الزمان وميض جمر ويونك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعددين تذكى وإن الحرب أولها الاستسلام
فإن له يسطفها عفلاتقوم ويكون وقودها حبس شمس وعالم
فقلت من اتعجب، ليت شعري أيقظ أمية أم نيام ١٠

له تنفع هذه الصرخة، فإن نار الحرب انقعدت وامتد أوارها إلى أماكن كثيرة
وواسعة حيث استولى أبو مسلم على فتن خراسان وقتل نصر بن سيار وهو شيخ
كبير من خمسين وثمانين سنة ١٣٠ للمهجر ١١٥

ولما شعر الخليفة مروان بن محمد بالخطر الذي ينتظره بعث جندا ليقيموا
على إبراهيم الإمام، حيث أذكوه وهو بالخيمية واستقدموه إلى الخليفة، ولما علم
أن محبته إلى الهلاك كتب إلى أبي مسلم الخراساني رسالة قال فيها: أما بعد،
فإن رأيتموني قتيلاً أو ميتاً فلا تشيئكم ذلك عن القيام بالحق، والذلي من به
المؤمنين، وكفر به الكاهنون ليسن الله أمركم، وليعلن دعوتكم، وليظهروا حقاكم،
وليقتلن جارية بني أمية بأسيافكم، وليقوم رجل من إخوتي خليفة مطاعاً وإماماً
مشوعاً ١٠١

حبس إبراهيم الإمام، وتوفي في السجن، وقيل إن الخليفة مروان بن محمد دس
إليه السم في ذلك السجن، وكانت وفاته سنة ١٣٠ للمهجر وروى الشاعر إبراهيم بن هزاعة
قصائد ١٠١، وقد كتب قبل وفاته إلى أخيه أبي العباس عبد الله السفاح أن يتولى
قيادة الحركة، وأن يتوجه إلى الكوفة.

سار أبو العباس وأخوته وأهله إلى الكوفة، وكان أبو سلمة الخلال الذي لقبوه
بوزير آل محمد، يدير الأمور في هذه المدينة ويتولى تسخير شؤون الثورة.
ورود أمر من أبي العباس السفاح إلى أبي مسلم الخراساني بالتحرك نحو
العراق، وحينما سمع الخليفة مروان بهذا المبدأ طلب من عامله على العراق امر
هبة ملاقات الجيش الزاحف، ولكن هذا الطلب جاء بعد فوات الأوان، فإن جيش
العباسيين اتجه إلى الكوفة ودخلها، وفيها أعلن عن خلع مروان

(١) تاريخ الطبري ٤، ١٠٤.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص ٢٩٢.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص ١٠٥ - ١٠٦.

وأتجهت الجيوش العباسية لمتابعة حرب الخليفة مروان بن محمد بقيادة عبد الله بن علي عم السفاح . فالتقت به على نهر الزاب شمالي العراق . وهُزمته وجيشه هزيمة ساحقة . وفر مروان إلى مصر . ولقي حتفه في بوصير من مدن الصعيد على يد الجنود التي بقيت تلاحقه أواخر سنة ١٢٢ للهجرة .

ولم يطمش أبو العباس السفاح إلى مقامه في الكوفة . دار العلويين من قديم . فتحول عنها إلى معسكر العراسنيين . ثم غارقه إلى الحيرة . وأخذ في بناء الهاشمية لتكون مقر سلطانه . وأغرى أباه مسلم بأبي سلمة الثعلبي . فدس إليه من قتله . لأن أبا سلمة كانت نيته معقودة على استبعاد العباسيين . حتى إنه أخفى أمر أبي العباس السفاح وأهله حين قدموا إلى الكوفة . بل عزلهم عزلاً تاماً عن جند خراسان (١) .

ظفر العباسيون وأتباعهم بالحكم بعد فتكهم بالبيت الأموي . وقد شارك فريق من اشراف في حرب بني أمية ونائب الناس عليهم واستصلح شأنتهم . منهم سديف بن ميمون . قال ابن الطقطقا عن الخليفة أبي العباس السفاح : « كان في بعض أيامه جالساً في مجلس الخلافة وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك . وقد أكرمه السفاح . فدخل عليه سديف الشاعر . فأنشده :

لا يفرنك ما نرى من رجال
إن سحت الحص لموج داء دويلاً
ففسح التيف وأرفع الشوط حتى
لا تسرى فوق ظهرها أمويلاً
فانتد سليمان وقال . قتلني يا شيخ ! ودخل السفاح . وأخذ سليمان فقتل (٢) .
وبالغ بنو العباس في تعقب الأمويين وقتلهم واستصفاء أموالهم . سخطاً عليهم . وانتقاماً منهم . وكان هذا العمل الصارم دافعاً لعبد الرحمن الداخل حفيد هشام بن عبد الملك إلى الهرب واللجوء إلى الأندلس وإقامة دولة أموية جديدة هناك .

ولابد من الإشارة هنا إلى مسألة هوية الدولة العباسية . أهى عربية أم أعجمية ؟ قال الجاحظ . « إن دولة بني العباس أعجمية خراسانية . ودولة بني مروان أموية عربية » (٣) . وقال المجهدي في معرض حديثه عن قيام الدولة العباسية وروال

(١) ينظر تاريخ الطبري ١٢٩ : ٥٧ .

(٢) الفهرست ص ١٥٢ .

(٣) البيان والتبيين ٢ : ٣٦٦ .

الدولة الأسوية : سقطت قيادات العرب . ورأيت رياستها . وذهبت مراتبها (١٠) .
 إن هذين القولين وأمثالهما فيهما شيء من التهويل . وترك الجواب عليهما للدكتور
 عبد العزيز الدوري في حديثه عن نشأة الدولة العباسية بعد عرضه لأقوال السابقين .
 ولعل هذه الأقوال صحيحة في أساسها . لكنها متطرفة على ما أرى . فمن المبانة أن
 تقول بأن سلطان العرب ينتهي بسقوط الأمويين . فالخلفاء العباسيون كانوا عرباً
 هاشميين . وكانوا معتادين بنسبهم . ويعتبرونه أكبر مناهجهم . ومع أنهم قزوين
 العرس . إلا أنهم سيطروا عليهم فنگلوا بهم حين شعروا متعاطف نموذهم . كما فعل
 أبو العباس السفاح بأبي سلعة الخلال . والمنصور بأبي مسلم الخراساني . والرشيد
 بالبرامكة . والهاشميون بالفضل بن سهل . وقد أعطيت بعض المناصب الهامة
 كالوزارة إلى الفرس . ولكن عدداً كبيراً من الولاة والقواد كانوا عرباً في العصر
 العباسي الأول . وأن كثيراً من أصحاب المناصب في الدولة الجديدة كانوا عرباً (١١)

نظام الإدارة :

لم يتخل العباسيون كثيراً عن الأنظمة الإدارية المعمول بها في دولة بني أمية
 بل أخذوها وطوّروها وزادوا عليها بعد احتلالهم بألمة أخرى . وتمارجهم مع أجناس
 كثيرة عبر عربية فمن الأمور البارزة التي أوجدوها وجعلوها ركيزة قوية في إدارة
 الدولة هو نظام الوزارة . وأعطوا الوزير صلاحيات واسعة في الاشراف على الشؤون
 العامة في الجهاز الإداري . وكان أول وزير لهم حفص بن سليمان الذي عرف بأبي
 سلعة الخلال

وهناك وظائف أخرى غنوا بها . منها وظيفة الحاجب التي تتولى أمر المدحول
 على الخليفة . ووظيفة الكاتب الذي يتولى أمور الكتابة عن الخليفة . وكانت لهذه
 الوظيفة تقاليد وأدب يتقنها العاملون فيها أما القضاة فكانوا غدولاً . يستأرون
 بالأمانة والنزاهة والصدق . يظفرون في أمور الناس ومشكلاتهم الدينية والمدنيوية
 وكانت كلمتهم مسموعة عند الخلفاء ولؤي الشأن في السوطة . وأعطى الخلفاء الأوائل

(١٠) مروج الذهب (طبعة باريس) ١ : ٢٩٩

(١١) العصر العباسي الأول ص ٤٢

عناية فائقة بالجيش . وعينوا له قواداً ماهرين في التدريب والتعبئة والقتال . فهو الوسيلة الوحيدة لحماية الدولة وحفظ كيائها ومعارضة المتطرفين أو الخارجيين عليها . وقد أطلب الطبري في وصف جيش أبي جعفر المنصور وحسن تنظيمه وأختيار قواده

ونظم العباسيون سجلات النواوين . ورَبُّوها رُتَباً دقيفاً ووزَّعوها حسب الاختصاصات . ووَكَّلوا عليها موظفين ماهرين . عرَّضوا بأصحاب النواوين . مثل الخراج والحاجات والنفقات والصدقات والبريد والجند والافتاع والمصاردة والشكاوى والضرائب وأشركوا غير العرب في هذه الوظائف واستفادوا من خبراتهم وإمكاناتهم في الأعمال الإدارية والعنفية .

ورَتَّب العباسيون أيضاً الأمور العالية كي يجابها متطلبات الدولة الجديدة . فأحدثوا صرائب جديدة تُضاف إلى الصرائب السابقة التي كان الأمويون يتقاضونها مثل ضريبة المصائد والسفن . وضريبة أخماس المعادن . وضرائب الموارث والتركات .

بناء بغداد :

تركَزت قواعد الدولة العباسية . وثَبَّتت أركانها . بعد تولي أبي جعفر المنصور الخلافة سنة ١٣٦ للهجرة . وهو يُعد المؤسس الحقيقي لهذه الدولة التي أصبحت بعد فترة قصيرة ذات شأنٍ خطير ودور كبير في إدارة رقعة شاسعة من العالم الإسلامي تَرَفُّف عليها راية القوة والعظمة . وتَظَلَّلها معالم الحضارة والمدنية . وفي عهد هذا الخليفة أُنشئت بغداد بعد اختيار دقيق . واستشارة موفقة بالمهندسين والعلماء بالامكان الجيدة والمواقع الرصينة الصالحة للاتصال بأطراف الدولة المترامية الأطراف من كل الجهات .

وضع الخليفة المنصور أولى لبنية للمدينة الجديدة بيده سنة ١٤٠ للهجرة قائلاً . بسم الله . والحمد لله . الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . وطلَّ البناء قائماً بها حتى سنة ١٤٩ للهجرة . وجعلها مبنية . وبني

قصره في وسطها . وأخذت تنمو يوماً بعد آخر حتى . أصبحت أهم مدينة في العالم العربي . إذ بنيت بها مئات المساحد وعشرات القصور الفخمة . وتكاثر بها التجار والصناع . وكان لكل طبائفة منهم شارع خاص أو سوق خاصة . فهذا سوق العطازين . وذلك سوق البزازين . وهذا سوق الصيارفة مستعربي النقود . وذلك سوق الوراقين . وهذا سوق بائعي الخيلي والطرف العدنية . وذلك سوق الرقيق المكتظ بالجوارح من كل جنس . وأنها المغنون والمغنيات . وتزينها الأدياء والعلماء من كل صنف وعلى كل نوع . فزخرت بالحرف . تزينها المساتين الملحقة بالدور والقصور والمتنزهات ومباني اللعب والفولجان وغيره . كما تزينها القوارب التي كانت تنلأ على سمحت دجلة يتسكاتها المتنوعة (١٢) .

وكانت بغداد في سادس أسرها تضيء الجانب الغربي الذي يعرف بالكرخ . ولما ضاقت بسكانها تطلعت المنصور إلى الجانب الشرقي لنهر دجلة . وبس فيها قصراً لابنه المهدي . وتكدت للعيش تتخللها الأشجار والبساتين . وأخذت تنمو وتتسع حتى أصبحت لأقل جمالاً ونسباً من الجانب الآخر وسيت بانرصاصه . ووصل المنصور بين الشطرين بعدد حور (١٣) . بذكرنا بواحد منها علي بن الجهم في قوله (١٤) .

بيوتها بين الرصاص والحجر حلت الهوى من حيث أنري ولا أنري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن سلوت ولكن زدن جمرأ على جمر
وقد أشاد الكثيرون بجمال بغداد . وبهاء مناظرها . وروعة مبانيها . قال الجاحظ . لم أر مدينة قط أرفع مكاناً . ولا أجود إدارة . ولا أوسع أبواباً . ولا أبهى عقوداً . ولا أحكم سوراً وحصيلاً من مدينة المنصور ... وانضم .

بالبحرى أوطس بغداد	بالحسن بغداد حسن بلدة
أطس بغداد إبداراً وبزاداً	ل نرغني من مدامها بلدة
لم أنزود لنوى زاداً (١٥)	ل نرغني الله إلى أفلامها

(١٢) تاريخ الأدب العربي . المص المباسي الاول ص ١٧

(١٣) بغداد مدينة السلام ص ٥٥ . تاريخ بغداد . ١١٤٠ .

(١٤) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٢ .

(١٥) بغداد مدينة السلام ص ٦٤ .

ونأت بغداد ثناء عطرأ من المؤرخين ، والرحالة ، والبلدانيين ، وكتاب التراجم وأجمعوا على القول : . إنها أم الدنيا ، وجنة البلاد ، وجنة الأرض ، ومجمع المعاسن والطيبات ومعدن الطرائف واللطائف ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة ، وكثرة مياه ، وصحة هواء ، ولأنه سكنها من أصناف الناس وأهل الأمصار والكور وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وأثرها جمع أهل الأقاليم على أوطانهم فليس من أهل بلد إلا ولهم فيها محلة ومناجر . فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا . ثم يجري في حافتها النهران الأعظمان ، دجلة والفرات . عتقها البحار والعمير برأ وبحراً بأيسر السعي حتى تكامل بها كل منجر يحمل من المشرق والمغرب . حتى كأنها سبقت إليها خبرات الأرض . وجمعت فيها ذخائر الدنيا . وتكاملت بها بركات العالم (١٣٠) .

وقد أجاد أحد الشعراء في ذكر فضائلها من قصيدة (١٣١) :

أشرف بعت القطار زاهرها	فالمقوم مسنها في روضة أنف
لوان دنيا يدوي غابرها	من غرة العيش في بلهنية
فبها وفرث بهم منابرها	دار منوك فرث لبرئها
لمحب إذا علت مفاخرها	أعمل القبرى والسدى وأندية

ومن طريف ما يروى أن الرشيد كان بالرقبة . وكان يستحبها ويستطيعها . عقيم بها . وطال العقام بها مرة . فقالت زبيدة للشعراء : من وصف مدينة السلام وطبعتها في أبيات يشوق أمير المؤمنين إليها أغنيته . فقال في ذلك جماعة . منهم منصور النعماني قال أبياتاً أولها :

ماذا يبعداد من طيب الأفتان ومن مناره للندى والندى
تحس الرياح بها الرصى اذا نسمت وجوشت بين أنفاس الرياحين (١٣٢)

(١٣٠) سرور مطرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ص ٤ .

(١٣١) بغداد مدينة السلام ص ٩٠ .

(١٣٢) جوهرة ، صارت .

فوقعت أبيات النمري من بين جميع ما قالوا في قلب الرشيد بحيث أسرع في الانحدار إلى بغداد، فوهبت زبيدة للنمري جوهرة، ثم دشت إليه من اشتراها بثلاث مئة ألف درهم^{١٢}.

إن بغداد، حاضرة الخلفاء العباسيين، بقيت أغنية في فم الشعراء. وقد أحسن أبو سعد محمد بن علي بن محمد بن خلف النيرماني في قوله^{١٣}:

فقد طفت في شرق البلاد وعربها وسيرت رجلي بينها وركابها
فلم أر فيها مثل بغداد عزلاً ولم أر فيها مثل دجلة وادها
ولاً مثل أغنيها أرق شاعلاً وأعذب ألساناً وأعلى مداه^{١٤}.

ثقافة العصر

إن تقارب الأمم واختلاطها وامتزاجها تؤدي دائماً إلى تبادل الآراء والأفكار والخبرات. وتساعد على تطوير الحياة الفكرية ورفقها وتقدمها. وقد فتحت الدولة العباسية منذ أيامها الأولى الأبواب لجميع الأقاليم والأجناس بالاشتراك في عملية تطوير الفكر وتنشيطه. متخذة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتراث العربي القديم، أساساً في التعبير والتسوين ونقل المعرفة. ولابد من الإشارة هنا إلى أهم الروافد التي اتحدت وانصهرت في كيان عربي إسلامي موحد بلغ القمة في العصر العباسي الأول الذي عُرف عند الدارسين بالعصر الذهبي.

استقى العباسيون الثقافة من عدة أوعية. وطلبوها من مصادر كثيرة. أضافوها إلى الثقافة الإسلامية. فزائم أخذوا من الثقافة اليونانية شيئاً كثيراً. وكان ذلك عن طريق المدن التي كثر فيها عنصر الروم، أمثال جنديسابور القريبة من البصرة، وحران والزها ونصيبين وأنطاكية والإسكندرية. ويعد الخليفة المنصور المرائد الأول في طلب العلوم والمعارف. وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الأخرى. ومن لمع اسمه في عهده بترجمة كتب الطب اليوناني أبو يعلى الطبرقي (ت ١٠٠ هـ) إذ غنى بنقل طائفة من كتب أبقراط وحالينوس (٣٢٠). واقتنى أنزاسي

(٢٠) ينظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٦٤٦، وتاريخ بغداد ص ١٠٠.

(٢١) تاريخ بغداد ص ٢١١، فوائد الرغبات ص ٧١٠٣.

(٢٢) عيون الأنباء ص ١٦٦، ١٧٦.

جعفر المنصور الخليفة المشهور هارون الرشيد الذي أنشأ دار الحكمة وجعل فيها طائفة من المترجمين. ومن أشهرهم يوحنا بن عسويه، وجبريل بن بختيشوع (٢٣).

وبلغت حلقة المأمون القمة في البحث عن المعرفة واجتذاب المترجمين وابوائهم والانفاق عليهم قال عنه صاعد بن أحمد الأندلسي (٢٤)، لما أنضمت الخلافة إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور نظم بدأ به جزء المنصور. فأقبل على طلب العلم في مواضعه، واستخرجه من معدنه. يفصل هفتة الشريفة. وقوة نفسه الفاضلة فدخل ملوك الروم. وأنحهم بالهدايا الخطيرة. وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضره من كتب أفلاطون، وأرسطو، طالس، وأبقراط، وجالينوس، وأفيليس، وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة واشتهر مهرة الترجمة. وكلّفهم إحكام ترجمتها. فبحث له على غاية ما أمكن. ثم حضّر الناس على قراءتها. ورغّبهم في تعليمها. فنفقت سوق العلم في زمانه. وقامت دولة الحكمة في عصره. وتنافس أولو الساهة في العلوم لما كانوا يرون من أخصائه لمتعلّميها واخصاصه لمعلّميها. فكان يخلو بهم. ورأس بمناظرتهم. ويلتذّد بذكارتهم. وينتاز عنده المنزلة الرفيعة والمراتب السنية. وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والعقلاء والمحدثين والمنكلمين وأهل اللغة والآخر والمعرفة بالشعر والنسب. فانتقن جماعة من ذوي الفنون والعلوم في أيامه كثيراً من أجزاء الفلسفة. وسوّا لس بعدهم منهاج الطب ومهملوا أصول الأدب حتى كادت الدولة العباسية تُصاهي الدولة الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع تملها. وهكذا كان المأمون حاداً في معرفة ما عند اليونان من علوم. وقد أفلح في مسعاه حين أرسل رجلاً للبحث عن الدرر القيمة وقد جاؤوه بطرائف الكتب وعرائب المصنوعات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرتميا طينتي والطب (٢٥).

إن الخدم العباسيين توجّهوا إلى الناحية العلمية وكرسوا جهودهم لها. لأنها تغذي العقل. أما الناحية الأدبية التي تغذي العاطفة فهي مرتبطة بالبيئة التي تنبت فيها. فالأدب ظل المجتمع. وكلّ بيئة تقاليدها وأفكارها. ولذلك لانعد كتاباً في الأدب يغفل إلى العربية من اليونانية على وفرة ما كان للميونانيين من ذلك (٢٦).

(٢٣) حيون الآتياء ٩، ٤٢، ١٦٦.

(٢٤) طبقات الأمم ص ٩٤.

(٢٥) الفهرست ص ٢٦، الأوقاطيني، الحساب.

(٢٦) معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ٢٩.

وشاركت الأمم غير العربية التي دخلت الاسلام وتعلّمت اللغة العربية . في الحركة الثقافية . وقام فريق من أصولهم غير عربية بترجمة الكتب . ذكر ابن النديم مجموعة منهم أمثال عبد الله بن المقفع . والحسن بن سهل . وأحمد بن يحيى البلاذري . وجلة بن سالم . وإسحاق بن يزيد . وموسى بن عيسى^{١٠٠} . وأقبل فريق آخر على التأليف والتصنيف ونظم الشعر . واكتسب بعضهم شهرة كبيرة في العلم والأدب والفناء أمثال حماد الراوية . وإسحاق بن برز . وأبى نواس . وسبيويه . والكاسي . ونفخره . وابن درستويه . وإبراهيم الموصلي . وابنه إسحاق^{١٠١} .

وانصل العرب بالثقافة الهندية ونقلوا منها ولاسيما في الرياضيات والفلك والطب . وقد ذكر ابن النديم اثنين من الذين نقلوا العلوم مباشرة من الهندية الى العربية . وهما منكة الهندي وابن دهن الهندي^{١٠٢} . ومن الكتب التي تُرجمت على يديهما كتاب علاجات الخالي . وكتاب أسماء عقاقير الهند . وكتاب أجناس الحشرات وسمومها . وكتاب التولم في الامراض والعسل^{١٠٣} . وعرف الهنود علم العروض . ووضعوا للشعر بحوراً وأوزاناً . وكانت لهم في البلاغة نظرات صائبة . كما كانت لهم جهود مشرفة في مجال المنسقة . عكف البيروني على دراستها في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة . مقبولة في العقل أو مردولة) . وتذوق العرب قصص الهنود . فقاموا بترجمة روائع . مثل كليلة ودمنة الذي ترجمه ابن الفقع عن الفارسية . وهو هدي الأصل ألّفه الفيلسوف زيندا للملك دبشليم . وترجموا ألف ليلة وليلة وأصله هندي^{١٠٤} . وان كان للعرب فيه زيادات كثيرة عن أصله . وكذلك قصة السندباد الكبير والصغير . وقصة هبوط آدم . ومنك الهند القتال . ونقلوا أيضاً بعض الحكم والأمثال وتقبلوها بقبول حسن وحرصوا على الاستفادة منها .

(٢٧) الطهرستاني ص ٢٤١ .

(٢٨) ينظر شرح الاسلام ص ١٠٩ .

(٢٩) الطهرستاني ص ٢٤٢ .

(٣٠) الطهرستاني ص ٢٤١ .

(٣١) يرى السخاوي أن للكاتب أكثر من اصل فيقول : ومن الكتب المنقولة اليها والتي ترجمت عن الفارسية والهندية والرومية كتاب هزار المسألة ... والناس يحسبون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة (مروج الذهب ص ٢٠٦) . وينظر كتاب الملاحع السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة ص ٢٠ .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخ ابن خلدون جعل جلّ العلماء من الأعاجم . وقال : « لم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم » (١٣١) . وذهب الدكتور شوقي ضيف إلى القول إن جمهور العلماء والكتاب والشعراء منهم (١٣١) . . . ونحو لا ننكر جهود الأعاجم في الترجمة والتأليف ولكن هذا لا يعني أنهم الوحيدون الذين قاموا بحفظ العلم وتدوينه وإن جمهور المفكرين منهم . ولذا كان هذا الأمر سديداً فإين نضع الخليل بن أحمد الفراهيدي . وأبا عمرو بن العلاء . والأصمعي . والمنفصل النسي . وهشام بن محمد الكلبي . والإمام مالك بن أنس . وأبا العباس المبرد . وأبا تمام . واليحيى بن أبي نديمة السعدي . والعباس بن الأحنف . وابن المعتز . والمعتبي . وأبا قراس الحمداني وأبا العلاء المعري لقد عاش الجميع عرباً وغير عرب تحت مظلة الإسلام وحركته القوية وسيادة الروح العربية الإسلامية . فتفجرت طاقاتهم العلمية والأدبية بها .

عوامل ازدهار الشعر :

الشعر فن جميل من فنون الأدب . ترتأخ له النفوس وتستعج وقد لقيت صناعة عنابة فائقة ورعاية بالغة منذ عصر ما قبل الإسلام . وبقيت تنمو وتزدهر إلى أن وصلت إلى صورة مثلى متألفة تجذب الناظر وتبهه في العصر العباسي . وقد ساعدت عوامل كثيرة في هذا النمو والازدهار . ولعل من أهمها حب الخلفاء للشعر . وتقديرهم للشعراء . وتشجيعهم للنظم والإنشاء . وإغناء الأموال بسدء على القاصدين عليهم . والتصليين بهم والتتسبين إليهم . والمنشدين بين أيديهم . ويجب أن لا ننسى أن أغلب الخلفاء العباسيين كانوا متقنين ثقافة عالية . وبعضهم مشاركة ملية في نظم الشعر وتدييح الشر . وكثير منهم أراء سديدة . ومناقشات ذكية . ومناقشات دقيقة . ومحاولات طريفة . ومناظرات لطيفة روتها كثر التراجم والسهر والأدب .

إن عيون الشعر العربي وغرره أنشئت في محاليس الخلفاء والوزراء والنولاء والقواد . وكانت العطايا تهطل على الشعراء المجيدين . والنواهد على ذلك كثيرة . فهذا إبراهيم بن علي بن هزيمة يدخل على المنصور ويستعده قصيدة مدحية ينال بها منه عشرة آلاف درهم (٢١١) . وقال المؤمل بن أميل . قدمت علي المهدي . وهو إذ ذاك

(٢٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥١١

(٢٣) تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي الأول ص ٩١ .

(٢٤) صبح الجواهر ص ١٠٩ .

وَبِئْسَ عَهْدُ أَبِيهِ عَامِدَتْحَتُهُ فَأَمَرَ ابْنِي عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (٢٢) وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْهَادِيَّ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُنْشِئَهُ شِعْرًا بِطَرِبٍ لَهُ . فَأَنْشَأَهُ

وَأَبَى لِسَعْرُونِي تَذَكُّرَكَ نَفْخَةُ كَمَا انْتَفَضَّ الْعَصْفُورُ بِأَلَمِ الْفَقْرِ
فِيَا حَبِيبَا رَدْنِي جَوْيَ كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا لَوَلَاةَ الْإِيمَانِ مَوْعِدَكَ الْبَحْرِ
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى وَرَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِهِ صَبْرٌ

وَأَسْتَطَابَهُ جَدًّا وَأَعْطَاهُ سَبْعَ بَرَدٍ (٢٣) وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَثُرَ عِنْدَ الرَّشِيدِ . فَدَخَلَ
عَلَيْهِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ . فَقَالَ : أَتَشَدَّنِي مِنْ شِعْرِكَ . فَأَنْشَأَهُ :

وَأَمْرُهُ بِالْبَحْلِ قَلَّتْ لَهَا أَهْضَرِي فَهَيْسَ ابْنِي مَا تَأْمُرُنِي سَبِيلُ
رَأَى النَّاسَ خِلَالَ الْجَوَادِ وَلَا أُرَى بِحَدِيدٍ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ حَلِيلُ
وَمِنْ حَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى نَوَّ عِلْمَتُهُ إِذَا نَزَلَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ مَبِيلُ
بِعَالِي فِعَالِ الْمَكْتَرِبِينَ تَحْدِثُهَا وَمَالِي كَمَا تَدْعِي الْمُسِينَ قَتِيلُ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرِمُ الْبَسِي وَرَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمِيمُ

فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا فَضْلُ : أَعْطَاهُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ آيَاتُ شَيْئَانَا بَهَا
بِإِسْحَاقَ مَا اتَّقِنَ أَصُولَهَا . وَأَبِينَ فُضُولَهَا . وَأَقْلَ فُضُولَهَا : فَقَالَ : وَاللَّهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا قَبِلْتُ
مِنْهَا دِرْهَمًا وَاحِدًا قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّ كَلَامَكَ . وَاللَّهِ : خَيْرٌ مِنْ شِعْرِي . فَقَالَ :
يَا فَضْلُ : ادْفَعْ إِلَيْهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَصِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ الْمَلُوكِ
مِنْهُ (٢٤) .

لَقَدْ أَصْبَحَتْ مَجَالِسُ الْخُلَفَاءِ مُنْتَدَى الْأَدْبَاءِ . وَتَلَقَّتْ الْخُرُوفُ . يَأْتُونَهَا مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ طَلِبًا لِلْمَالِ وَالْجَاهِ . أَوْ اتَّعَمَّعَ بِمِلْذَاتِ الْحَيَاةِ أَوْ الْمَشَاهِدَةِ وَرُؤْيَا مَعَالِمِ الْعِظَامَةِ
فِي طُلُوعِ الدَّوْلَةِ الْجَدِيدَةِ .

(٢٥) (جمع الجواهر ص ١٠٤)

(٢٦) مختصر التاريخ ص ١٢١ . وَالْأَبْيَاتُ الْعَمْرِيَّةُ لَأَمِي حَكِيمِ الْهَلَالِيِّ (الْإِسْلَامِيُّ ٢٤ ، ١٢٢) .
الْبَدْر : جَمْعُ بَدْرَةٍ ، وَهِيَ كَيْسٌ فِيهِ أَلْفٌ أَوْ مِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ .

(٢٧) زُجَرُ الْإِسْلَامِ ٢ ، ١١٤ .

إن الحضارة دخلت كل جانب من جوانب الحياة آنذاك . في التنظيم والتقليد .
 وفي مجالس الطرب والفناء . وفي بناء المنور والتصوير وفي استخدام وسائل جديدة
 في الأطعمة والألصق والغرض والأثاث وأدوات الزينة والترفيه . كل هذه الأمور قادت
 الشعراء إلى التنظيم في موضوعات جديدة لم تكن مألوفاً أو معروفة من قبل . إضافة إلى
 مظاهر الطبيعة الخلابة من أنهار وأشجار وأزهار وأثمار وأطياف ... فإنها فسحت
 للشعراء . ولا سيما شعراء الوصف . المجال الترحب لتقديم قصائد ومقطوعات رائعة .
 مصاغة بأسلوب جذاب . متدفق من حيال حصب وقريحة معطاة

ومن عوامل ازدهار الأدب الحرية الواسعة التي وجدها الشعراء في ساحة التنظيم .
 فإنها أطلقوا عنان حيالهم في كل شيء دون خوف أو وجل أو استحياء . معبرين
 عن عواطفهم ومشاعرهم بما يعلمون عليها الجوانب التي كانوا يعيشون فيه .

وهذه الحرية - وإن دفعت الشعراء إلى الاكتثار من التنظيم - أدت إلى ظهور
 تيارات شعرية بعيدة عن الخلق العربي الأصيل والتربية الإسلامية النقية . ومن
 يرجع إلى المصادر الأدبية يجد شعراً جماً في الفجون والدعوة إلى التحلل والانسياق
 وراء التلذذ والمتعة والتصف في مجتسج الجواني والعلعان . إضافة إلى تيار الشمونية
 التي كاد يبعث بالمجتمع العباسي لولا وقوف الخلفاء وشرفاء القوم بوجهها جيباً
 ومحاربتها وإبطال دعواتها .

إن العصر العباسي زاخر بمعطاه الفكرية . وسوف نحاول أن نظهر جوانب
 المشرق التي تعد مغفرة للأجيال السابقة واللاحقة .

كليلة أشعث حبيب

خطاً سحر

العصر العباسي الأول

١٢٢ - ٢٢٦ هـ

شهدت الحياة الأدبية في العصر العباسي تقدماً ملحوظاً. ولا سيما بعد انشوع الحضاري وانتشار الثقافة الإسلامية في أوساط واسعة من المجتمع. وانفتاح الخلق على عوالم جديدة من المعرفة.

وكان الشعر - وهو ديوان العرب - العصب النابض في قلب المجتمع العباسي. والمرأة الصادقة التي انمكست عليها صور الحياة وأحداثها. وانتفضت الأيمن التي قُبِدت فيه أفكار الناس وأحبتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم.

وفد كثير نظم الشعر في هذا العصر وازداد عدد الشعراء زيادةً لانجد لها نظيراً في أي عصر آخر (٢٠). أما الفنون الشعرية فتكاد تكون نفسها. وإن دخلها التطوير بحكم الحياة الجديدة. فنلقى المديح والفخر والهجاء والثناء. كما نلقى الغزل والحمريات والوصف والطرود والشكوى والعتاب والاستعطاف. وقد استجدت جوانب جديدة لها صلة بالموضوعات السابقة. أو أنها تولدت لها وتجديد

١. لجنيد - حجة المصطفى - في المديح

الموضوعات الشعرية :

المديح :

يعد المديح من أبرز الفنون الشعرية منذ عصر ما قبل الإسلام. وهو يشكل القسم الأوفى في نتاج الشعراء. وقد نشأ في بادئ الأمر إعجاباً بالفضائل العربية مثل السماحة. والكرم. والعلم. والمروءة. والعفة. والاباء. والشمس. والعتاب. والقوة. والشجاعة. وما إلى ذلك من الصفات الحميدة. ثم أضيف إليها صفات أخرى مستمدة من القيم والمثل الإسلامية. مثل التقوى. والورع. والتواضع. والوقار. وخفض الجناح.. وظلّت هذه الفضائل والمحامد تزد في شعر المديح في عصر بني أمية. وأن تحول فريق من الشعراء في مديحهم لخدمة أغراضهم الخاصة وفريق آخر لخدمة أحزابهم السياسية وترويج مآخذ هذه الأحزاب من مبادئ وأفكار.

٢٠. يظهر في الأدب العباسي لعدد كبير على الزيد في ص ٢٢ - ٢٢.

ولما جاء العباسيون فتحوا الأبواب على مصارعها للشعراء المتأحين ليدخلوها .
مدافعين عنهم . وراذين الخصوم . فجاءوا مريعين زواقات ووجدنا . يتفننون بمضتهم
وقوة سلطانهم . ويصفون عليهم تلك الفضائل التي توارثوها عن التلف . وقد طرب
الغلاء لهم . واستأسوا بهم وخلعوا عليهم . وحضروهم بالأموال . من ذلك ما يروى
أن . الربيع حاجب المنصور قال : قلت يوماً للمنصور أن الشعراء بك وبك وهم
كثيرون طالت أيامهم . وتعدت نفستهم . قال : اخرج إليهم فاقرا عليهم السلام .
وقل لهم : من مدحتي منكم فلا يصغي بالأكد . فانما هو كلب من الكلاب . ولا
بالحية . فانما هي ثوبية تأكل التراب . ولا بالجيل فانما هو حجر أصم . ولا
بالبحر فانما هو غطاط ١٣١ . لجب . ومن ليس في شعره هذا فليدخل ومن كان في
شعره فليصرف . فانصرفوا كلهم إلا ابراهيم بن هرمة . فأنه قال له . أذا (٢٦)

ياربيع . فأدخلني فأدخله . فلما مثل بين يديه . قال المنصور ياربيع . قد علمت أنه
لا يجيبك أحد غيره . هات ياربع هرمة . فأنشد قصيدته التي يقول فيها .

له لحظات عن حفافتي سريه	إذا كثرها فليها عذاب وزائل
لهم طينة بيضاء من آل هاشم	إذا اسود من كرم التراب القائل
إذا ما أبي شيئا فضي كالذي أبي	وإن قال إني فاعل فهو فاعل

فقال . حسبك . هاهنا بلغت . هذا عين الشعر . قد أمرت لك بخمسة آلاف
درهم . (٢٧) . ومما يروى أيضاً أن حماد عجرد دخل على أبي جعفر المنصور بعد
موت . أبي العباس أخيه فأشده .

أنوك بعد أبي العباس إذ بانا بأكرم السلسل أعرافا وعيدانا
لو مچ غود على قوم عمارته لمج عودك فينا الشهد والبان

فأمر له بخمسة آلاف درهم (٢٨) . ويكيل الشاعر الحسين بن مطير الأسدي الفضائل
والمحامد للحليفة المهدي ويجعله عظيماً ما جئنا أديباً قائداً بطلاً . فيقول (٢٩)

(٢٦) غطاط : عظيم الامواج

(٢٧) القند المرید ١٠٦ . ويظهر دهران ابراهيم بن هرمة ص ١٢٦

(٢٨) القند المرید ١٠٦ .

(٢٩) شعر الحسين بن مطير الاسدي ص ٣٢ .

فمن هو من غير التخلق ماجد
علا خلقه خلق الرجال وخلقهم
إذا شاهد القواد سار أمامهم
وإن غلب عنهم شاهدتهم مواجة
ومن غير تأديب الرجال أدب
إذا ضاق أخلاق الرجال رحيب
جرى على ما يستقون وثوب
بها يقرع الأعداء حين يغيب

بعض ويستحي إذا كان خالياً كما عب واستحيا بحيث رقيت
وهكذا تقبل الخلفاء هذه النعمت، واستحسنوها، وعلموها حراً من مائرهم التي
ورثوها عن آباؤهم، وحببوا أن تشيع بين الناس، وأن تدون في بطون الكتب، وإذا
رجعنا إلى القصائد المدحية في هذا العصر، ودققنا النظر في شكلها نجد بعضاً منها
لأزال يهتدى بالموروث القديم في الوقوف على الأطلال، وذكر عهود الهوى، ووصف
معاناة الرحلة، ومثال على ذلك قصيدة علي بن الجهم في مدح الخليفة المعتصم، منها
قوله (١٢٧)

فمنوا خبيثوا الذيار فإن خلقاً علينا أن نحيا بالسلام
حراناً أن نخطأها السطابا ولم نعرف من الدمع النجم

ويعد وصف متاع السفر، ومكابدة الناقة لمشفة الطريق، يتغلص إلى المدح،
مبينا شجاعة الخليفة وشهامته وقدرته على توفير الأمن وتثبيت عرى الإسلام،

وأنت خليفة الله المبعلي على الخلفاء بالنعم العظام
ليهنك بأبا اسحاق ملك يجز عن المعابر وأيامي
لسيفك ذات الدنيا وثقت عرى الإسلام من بعد انقسام

ومما يلاحظ أن هذا النظام في بناء القصيدة ولاسيما المقدمة الطليقة قد أصابه
شيء من التجديد، سواء من الناحية الموضوعية أم من الناحية الفنية، فهي من
الناحية الموضوعية لم تعد أوعية تسكب فيها الدموع حسرة على المنازل الذائرة وعهود
الحب الضائعة ضحى، بل تحولت أيضاً عند بعضهم إلى مناير يعلنون من فوقها

(١٢٧) ديوان علي بن الجهم ص ٩.

(١٢٨) ديوان علي بن الجهم ص ٩.

أراهم في الحياة . سائرين في نفس الطريق التي مئذها بعض الشعراء الأمويين قبلهم من أمثال ذي الرمة والقطامي والغجاج . فما نصيبها من الاقدار والتعير يصيب الكائنات كلها . فلا داعي للحنن . ولا مجال للأسف : لأن كل شيء مصيره الى بلى وفناء . غير أنها لم تتحول على كل حال الى قالب فلسفي . إنها هي نضرات جزئية توصلوا إليها وشوها فيها . ونحترق بهذه الأبيات التي استهل بها بشار أرحورته البائسة في مدح عقبة بن سلم . فإنه ضمنها فنونا من هذه المعاني التي أخرجنا إليها . يقول (١٥٥)

يأدار بين الفرع والجواري عفا عليها غلب الأحقاب
قد ذهبتم وأسميتم للذهاب لما عرفناها على الخراب
ناديت هل أسمع من جواب وعابدار العبي من كراب (١٥٦)
إلا مطايا البحر جل الصخاب وملعب الأحياء والأحباب (١٥٧)
فانفسيت والدهر ذو انقلاب ما قرب العامر من الخراب

فهو لا يكتفي بتجديد موقع المنزل . ولا بتعداد بعض بقاياها . ولا يزال له واستعجابه عليه . بل يذهب أيضاً الى أن ما أفناه هو ثعالب الأيام والليالي عليه . كما يخرج الحديث عن دثوره وتغير آثاره بالحديث عن الدهر والحياة . فإذا كان قد بلى فإن الحياة نفسها مصيرها الى العناء والزوال . وإذا كان قد تغير فالأيام لا تدوم على حال بل تتبدل من حال الى حال (١٥٨)

وهناك شعراء أعمالوا وصف الاطلال والرقعة والرحلة . واستعاضوا عنها بالفرزل كما مرى في مديح مروان بن أبي حفصة لمن بن زائدة . والخليفة المهدي الذي يقول فيه القصيدة التي مطلعها (١٥٩)

طرقك زائرة وحسن خيالها بيضاء تحلط بالحبيد دلالها
قادت فؤادك فاستفاد وبنائها غاد القلوب الى الصبا فأنبتها

(١٥٥) ديوان بشار بن برد ١١ - ١٥

(١٥٦) من كراب . من أحد .

(١٥٧) الصخاب . كقهر الخيلان .

(١٥٨) مقدمة القصيدة المروية في العصر العباسي الأول من ٢٢ .

(١٥٩) ديوان مروان بن أبي حفصة ص ٩٦ .

ومنه من لم يلتفت إلى الطلول ولا إلى جمال الحبيبة والتغزل بها . بل جعل
 الخمرة فاتحةً لقصيدته المدحية . وهذا اللون من الافتتاحية نجده عند شعراء
 كثيرين أمثال علي بن جبلة الملقب بالعمكوك (١٠٠) . وأشجع السلمي (١٠١) . وعبد الله
 بن عبد الحميد اللاهني (١٠٢) . ومحمد بن وهيب الحميري (١٠٣) . ومسلم بن الوليد
 اندي يقول في إحدى قصائده في مدح الخليفة هارون الرشيد (١٠٤) :

هات القني طاك به الحسن من قهوة بائنها ونحن
 زقبيّة الدار رصقيّة أغلى بها الشمار والفسر
 كأنها في السكر يا قوّة وهبي إذا ما مرّ حسبت زرين
 في مجلس لتقصّ ريحانة بعين السماء والبنفّر الكفن

ومنه من تحدث عن حاله أو عن وضعه النفسي . أو عن شيء يقلقه ويزعجه .
 من ذلك مثلاً قول منصور النمرى في مطلع قصيدة يعنح بها الخليفة هارون
 الرشيد (١٠٥) :

يا زائرنا من الخيام له تطرقائي وبى خراك
 حسبي أنما الله بالسلام إلى حلال ولا حرام
 عيها نهر والتحابي ولسلفواي وللمدام
 أقصر جهلي وثاب حلمي ونهته الشيب من غرامي
 لله حسبي وثرب حسبي ليلة أعياهما مرامي

(١٠٠) شعر علي بن جبلة الملقب بالعمكوك ص ١١٢ .

(١٠١) أخبار الشعراء المحدثين ص ١١٢ . ونظر أشجع السلمي . حياته وشعره ص ٢٤٤ .

(١٠٢) أخبار الشعراء المحدثين ص ٢٦ .

(١٠٣) الألفاني ١٩ ، ٧٤ - ٩٩ .

(١٠٤) شرح ديوان صريع الفواهي ص ٢٧٩ .

(١٠٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٧ .

إِنَّ التَّأَلُّمَ والشَّكَايَةَ مِنَ الضَّعْفِ والهَزَالِ . وَهَجُومِ الكُمَرِ . وَاشْتِعَالِ الرَّأْسِ بِالشَّيْبِ .
وَالْجُزَعِ مِنَ الْحَيَاةِ . وَلَوْحِ الدَّهْرِ يَرُدُّ بِكَثْرَةٍ فِي مَقْدِمَاتِ الْقَصَائِدِ كَمَا نَلَاخِظُ مِثْلًا
عِنْدَ مِرْوَانَ أَبِي حَفْصَةَ . وَابِي الشَّيْخِ . وَالْحَسَنِ بْنِ مَطِيرٍ . وَابْنِ مَنَازِرٍ .
وَالْعَمَكُوكَ . وَمِنْصُورَ النَّمِرِيِّ (١٠١) . وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي هَذَا اللَّوْنِ قَوْلُ أَشْجَعِ
السَّلسِيِّ . وَهُوَ يَصِفُ أُمَامَةَ الَّتِي أَصْحَبَتْ تَرَاثُفَهُ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ مَا شَبَّاهُ . وَخَارَتْ قُوَاهُ
وَأَعْلَى الشَّيْبِ مَفْرَقَهُ . فِي مَطْلَعِ فَصِيدَةِ بِمَدْحِهَا الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ (١٠٢)

غَنَبَ الرَّقَادُ عَلَى بَيْتُونَ الضَّمَدِ وَغَرَّقَتْ فِي نَهْرٍ وَلَيْلٍ نَزْمِهِ
قَدْ جَدَّ بِي سَهْرٌ قَلَمٌ أَرَقَدَ لِي وَالنَّوْمُ يَلْعَبُ فِي حُجُورِ الرَّقْدِ
وَلَطَالَمَا سَهَرْتُ بِحُبِّي أَعْيَنَ أَهْدِي السُّبْهَاءَ لَهَا وَلَمَّا أَهْدِ
أَيَّامَ أَرَعَى فِي رِيَاضٍ يَطَالُهَا وَرَدَ الصَّبَا مِنْهَا الَّذِي لَمْ يُوْرَدْ
لَهُوَ يَسَاعِدُهُ الثُّبَابُ وَلَمْ أَجِدْ بَعْدَ الْإِثْيَابِ فِي الْهَوَى مِنْ مُسْتَبَدِّ
مَا الدَّهْرُ إِلَّا اثْنَانِ اثْنَانِ تَوَالِيَا يَوْمٌ يَبْرُوحُ لَنَا وَيَوْمٌ يَفْتَنِي
فَالْأَمْسَى لَيْسَ بِرَاجِعٍ لَكَ عَهْدُهُ وَالْيَوْمُ لَيْسَ بِمَدْرِكٍ مَاتِي أَتَقْدِ

وَمِنْ الْمَقْدِمَاتِ الَّتِي اسْتَهْوَتْ عِدَدًا مِنْ أَشْعَاءِ الْعَبَاسِيِّينَ . وَصَفِ الطَّبِيعَةِ وَمَا
فِيهَا مِنْ مَبَاهِجٍ سِوَا كَانَتْ صَامِتَةً أَمْ مَتَحَرِّكَةً . وَيَكُلُّهُ أَهْوَى تَعَامُ الْطَائِيَّ يَكُونُ مِنَ
الْمُبَرِّزِينَ الْأَوَّلِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ فِي مَقْدِمَةِ فَصِيدَةِ بِمَدْحِهَا
الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَصِمِ (١٠٣)

بِأَصْحَابِي تَقْصِيًا بِضَرْبِكَمَا تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَنْضُورُ
تَرِيَا نَهَارًا مِثْلًا قَدْ شَانَهُ زَهْرُ الرَّؤْيَى فَكَأَنَّمَا هُوَ مَقْمَرُ
دُنْيَا مَعَانٍ لِلدُّرَى حَتَّى إِذَا جَلَّى الرَّبِيعُ فَانَمَا هِيَ مِنْظَرُ
أُصْحَبَتْ تَصَوُّغٌ بِطَوْنِهَا لظَهْوَرِهَا نَوْرًا تَكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تَنْوُرُ

بِهَذَا الْأَسْلُوبِ الرَّائِعِ الْمُتَعَبِّ بِسُتْرَلِ الشَّاعِرِ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ . وَيُقَدِّمُ نَوْحَةَ جَمِيلَةٍ
لِلطَّبِيعَةِ الزَّاهِيَةِ الْمَضَاحِكَةِ الَّتِي تَمَلُّ الْقُلُوبَ بِهَجَّةٍ وَمِسْرَةٍ . وَيَزَاجُ بَيْنَ هَذَا الْبَهَاءِ
وَالصَّفَاءِ وَالْمَعْنَى لِلطَّبِيعَةِ وَبَيْنَ كَرَمِ الْخَلِيفَةِ وَجُودِهِ .

(١٠١) طَبَقَاتُ الْأَعْمَادِ لِأَبِي الْمَعْتِزِ . الْمَصْلُوحَاتُ ٤٩ . ٧٥ . ٧٨ . ١١٩ . ١٢١ . ١٧٦ . ١٨٥ .

(١٠٢) أَهْيَاءُ الْأَعْمَادِ الْمُصْلُوحِينَ ص ٩٥ .

(١٠٣) دِيْوَانُ أَبِي الْوَلَدِ ص ١٩٦ .

نستشف من الشواهد السابقة أن الأسلوب في القصيدة المدحية أصبح يتراوح بين الجزالة والسهولة . والقوة والذئبة . يضاف إلى ذلك أن الأوزان أصبحت طويلة وقصيرةا - قوالب لهذا الفن - مع أن قصائد المديح بالثلاث كان أساسها في العصر الجاهلي والإسلامي أيضاً الجزالة والفخامة وقوة أسر الألفاظ وطول البحر الشعري . ليتلاءم مع جزالة الألفاظ وفخامة التعبير . حتى إننا لو نظرنا في قصائد المديح قبل القرن الثاني لوجدنا غالبيتها في بحري الطويل والبسيط لانهما يحققان الغاية المستفادة من شعر المديح (١١٠) .

ومما يلاحظ في موضوع المديح في العصر العباسي المبالغة المفرطة التي تصل أحياناً إلى حد استهجن . مثل قول الحسين بن مطير الأندلسي . فقد رفع المهدي فيه عن البشر . وكان ينزله بمنزلة الخالق . فهو أظهر الناس . وأولاهم بالتقدس وأوسعهم كرمًا . بل من نوره تتغير الألوان . ومن ثلثه وجهه يتألق وجه الأرض ومن يده تدب الحياة في الأعداء اليابسة (١١١) .

لو يعبد الناس بامهدي أفضلهم ما كان في الناس إلا أنت معبود
أضحت بعينك من جود مصورة لابل بعينك منها صوّر الحود
لو أن من نوره مثقال خردلة في السود طرا إذن لا يسطت السود
من حسن وجهك تضحى الأرض مشرقة ومن بنايك يجري الماء في القود (١١٢)

ومن المبالغة أيضاً قول أبي نواس في هارون الرشيد (١١٣) .

وأخذت أهل الشرك حتى إنه لتحافك الخطوب التي لم تخلق
وقوله (١١٤) .

كيف لا ينسبك من أمل من رسول الله من نفرة

(١٠٩) نقحاشات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٣٣ .

(١١٠) شعر الحسين بن مطير الأندلسي ص ٤٨ ويظهر القراء من مختصر من الدولتين الاموية والعباسية ص ٩٩٧ .

(١١١) في البيت الواحد .

(١١٢) ديوان أبي نواس ص ٤٠١ .

(١١٣) ديوان أبي نواس ص ٤٢٠ .

وقد علق الميرز على هذا البيت بقوله: « وهو لعمري كلام مستهجن موضوع في غير موضعه. لأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ولا يضاف إلى غيره ١٦١٠ وثمة ألوان جديدة في المديح. استحسنت الشعراء النظم فيها. منها مدح المدن. وبين محاسنها. وتمداد فضائلها وآثرها. وما فيها من ساحات وأبنية وجوامع وذي وأنهار وبساتين. وقد حظيت الكوفة وبغداد والبصرة بكثير من هذا الشعر. ولا سيما بغداد: لأنها أم الدنيا. وموطن الملك. ومحط الأنظار ومأوى الشعراء والأدباء. ولا عجب إذا قال عمار بن عقيل في مدحها (١٦١) »

أعابت في طول من الأرض والغرض كبغداد داراً إنها جنة الأرض صفا العيش في بغداد واخضر عوداً وعيش سواها غير صاب ولا عص وشاع بين العباد والزهاد والمتصوفة مديح الله سبحانه وتعالى. مستغنين به عن مدح العباد (١٦١). فإنهم وجدوه خير ناصر لهم ومعين على حوادث الدهر وصروفه وأنه يفنيهم من الوقوف على أبواب الخلفاء. ورافقه ماء الوجه على موائل الأغنياء. مثل قول عبدالحق بن عبد الواحد الأنصاري (١٦٢) »

امتدحت الفتي عن مدح النبا من يصفق المديح والإحكام
بسلام أشاد إعظام النبا من وقالوا: قل يا صدوق الكلام
مرجوت النجاة من كجوة النبا من وفوزاً بالدار تارة المستقيم
رب إني ظلمت نفسي فأفرط ت وأنت العفو لمستظلام
فاحش عني يا مالئ المعو وانغفر لي ركوب قول الذنوب العظام
كذب العاذلون بالله ما لم به نذ ومائة من مسم

أما المديح النبوي في هذا العصر فكان نادراً جداً. وقد وقفت على قصيدة طويلة للامام أبي حنيفة الثعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ) مطلعها (١٦٣) »

(١٦١) الكامل ١٧ : ٢٤ .

(١٦٢) تاريخ بغداد ٦٨ : ١٠٤ . بغداد مدينة السلام ص ٤٠ .

(١٦٣) بشرى الفهد الاسلامي في عصر العصر العباسي الأول ص ٤٨٩ - ٤٩٢ .

(١٦٤) الفهرست ص ٩٠ .

(١٦٥) السمو الروحي في الأدب النبوي ص ٢٢٩ .

باسيد الشيادات جئتُك قاصداً أرحو رضاك واحتمسي بحمائي
 ذكر فيها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصغاته ومعجراته . ويبدو واضحاً ان
 الشاخرين قد تأثروا بها . خاصة الإمام البوصيري الذي اشتهر بنظم المادح النبوية
 في القرن السابع للهجرة .

وتجدر الإشارة إلى ان شعر المديح حوى حكماً وأمثالاً كثيرة . أطلقها الشعراء
 ترميحاً لأقوائهم وتوطيداً لتعاليلاتهم . وقد اشتهر بها أبو تمام . وبلغت القمة عند
 أبي الطيب المتنبى من بعد ذلك قول أبي تمام من قصيدة مدح بها أحمد بن
 أبي دؤاد (١٨٦) .

وإذا أراد الله نشر مضميلة طويث أراج لها لاني حسود
 نولا اشتعال النار فيها جاورت ما كان يعرف طيب غريب العود
 وقال في قصيدة مدح بها خالد بن يزيد بن مزينة الشيباني .

وليس يجلي الكرب رجع مُنشدُ إنا هو لم يؤنس برأي مُنشد

الهجاء

الهجاء من أدبي قديم رافق المديح منذ عصر ما قبل الإسلام . وكان أول أمره
 يدور على التعبير بوصاعة السب والبخل . والفقر . والقعود عن الغزو . والتقصير في
 حماية الجار . والمجز عن أخذ الثار . والانهزام في الحرب . والاستسلام للأعداء .
 واستغاثة الظلم (١٠) . ولا أطل الإسلام وأشرق نوره على الناس فتح الهجاء . وعنده
 إثم . فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : « من قال في الإسلام هجاء
 مقذعاً فليأته خنزير » (١١) . ولذلك فتر هذا الفن في عصر صدر الإسلام . ولكنه نما
 وزاد شرره في العصر الأموي . وأخذ يتناول المثائب والمآيب . واحترفه شعراء

(٩٩) ديوان أبي تمام ٢٩٧ ص ١٠٦ .

(١٠) الهجاء والهجائون في الصحافة من ٨٩ .

(١١) الصفحة ١٧٠٦ لم أجد الحديث في الكتب الستة ولا في غيرها من الكتب . ينظر المصنف
 المظهر من لافاظ المديح النبوية لولسلك

النقائص احتراماً . وأصبحت القبائل . تعشُد في المَزند وفي الكُتابة حول الشعراء
 يسمعون منهم إلى ما يشيرونه في الهجاء . وكانهم وجدوا في ذلك لهواً لهم
 وتسلية . ١٣١ . وقُلَّ الإقبال عليها . أي النقائص . في العصر العباسي الأول .
 وأصبحت مبتسرة على شعراء قلائل مثل ابن مباداة . والحكم الخصري . وعبد الرحمن
 بن جهم الأسدي . ١٣١ .

إن حجم الهجاء في العصر العباسي الأول كبير . وقد تنوعت موضوعاته .
 واختلقت اتجاهاته . والكثير منه كان شخصياً يدفعه الحقد والنفس والحسد
 والانتقام من ذلك مثلاً أن بشار بن برد هجا العباس بن محمد بن العباس . وإلى
 الجريرة لأخيه النصور . لأنه بخل عليه ولم يسعفه بالمال . ١٣١ .

ظَلَّ البار على العباس معموداً وقلبه أبداً بالبخيل معفوداً
 إن الكرم ليخفي عنك عسرة حتى تراه غنياً وهو مجهود
 وللبخيل على أمواله عِلَلٌ زرق العيون عليها أوجه سود
 إذا تكرهت أن تعطى الفليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
 بث المال ولا تمنعك قلته فكل ما سُدَّ قفراً فهو معمود

فهو لم يكتب بتعريفه على الشخ وحجب المال عن المقبلين عليه . بل ينصحه
 بإعانة الفقراء والمحتاجين وإن كانت الإعانة قليلة . فهي تكسبه حمداً وشكراً .

ويلاحظ أحياناً في الهجاء الشخصي روح الاستخفاف والتهوين والتحقير .
 فالتقاريه لشعر حماد بن جندب في بشار بن برد يلمس ذلك . يقول مثلاً : ١٣١ .

وأعسمي بسشبة البقر	إذا ما عسمي البقر
دنيء	إلى مسجد ولم يمسد
ولم يحضر مع الخضا	في غير ولم يمسد
ولم يمش له دم	ولم يمش له دم
هو الكليل إذا ما ما	ث لم يوجد له فقد

(١٣١) التطوير والتجديد في الشعر الأموي ص ١٣٨ .

(١٣٢) الأغانى ٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(١٣٣) ديوانه ٣ ، ١٢٢ .

(١٣٤) الأغانى ١٥ ، ٣٢٨ .

قلما سمع يشار هذا الشعر بكى . فقال له قائل ، أبكي من هجاء حماد ؟ فقال . والله ما أبكي من هجائه . ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه . فيصفتي ولا أصفه .

إن روح السخرية المريرة الناتجة من الكراهية القبيحة . والعسد . وهو ناء قاتل كما يقال تؤدي كثيراً . وتؤدي إلى عواقب وخيمة . ولعل أصدق مثال على ذلك قصيدة أمان اللاحمي في هجاء جبار له اسمه محمد بن خالد بن عمار الثقفي تزوج من فتاة اسمها عثارة بنت عبدالرحمن الثقفي طمعاً . وكانت كثيرة المال . قال «

لأرأيتَ البِرَّ والشارَّةَ والفَرْشَ قد ضاقت به الحارة
واللُّوزَ والسكرَ يُرمى به من فوق ذي الدارِ وذي البازَّةِ
وأحضروا المنهين لم يتركوا طيبلاً ولا صاحب زُمارة
قلتُ : لماذا؟ قبلُ : أعجوبة حمة زُوج عثارة
لا عثر الله بها بينة ولا رآته مُسركاً شارة

ونعمة أبيات يعرض فيها على المتخلى عنه والنجاة منه بالهرب . وقد أفلح . كما يبدو . بهذه الفطنة . يقول الصولي ، قلما سمعت عثارة هذه بشعره هربت « (١٦) وشبيه بهذا . وإن اختلفت صورة المرأة . ما جرى لحمام عجرد . فإن مطيع بن إياس هجاء بهذه الأبيات مستغفراً خليلته ، طيبة الوادي « على تركه .

ألا ياظلمة الوادي وذات المسحوب الراد
وزين الصخر والدار وزين الحبي والنايدي
وذات المسحوب السعد ذوات المسحوب البيادي
أما بالله تسحوبين من حُلَّة عُماد
فحمنة فتى ليس فذي عر فتي فادي
فستوبسي واستغسي الله وبغسي خبلي جواد

قبل أخذها حكم الوادي ففنى بها . فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا مكار
إلا غنى فيها ... وحينما علم حماد بالخبر قال له : تفتني تلك الله . (٢٠١)

وبأخذ الهجاء أحياناً طابع المزاج والظروف . من ذلك بيتان فائهما الحين بن
المضحاك في ممنية كان قد عث بها مرة . فصاحت عليه واستحقت به . ورأى أن
يفضلك أبا الحسن عليها . ويحملها موضع سخرتهم فقال (٢٠٢)

لها في وجسها عكس وثلثا وجهها ذن
ولئن كرى البسط بين أصولها نحن

وبكت الجارية لذلك بكاء مرأ . وشاع البيتان . فكسبت من أهلها . وكانت
إذا حضرت في موضع أنشدوا البيت فتن . ثم هربت من سر من رأى فما عرف لها
بعد ذلك خبر . والواقع أن في هذين البيتين هجاء قاسياً . ولا سيما أنها جارية ممنية
جل عملها في مجالس الطرب واللهو .

ومن العجيب أن بعض الشعراء سلطوا هجاءهم على أنفسهم . وعلى الناس من
حولهم . أقارب كانوا . أو زوجات . أو بنات . أو آباء . أو أصدقاء . أو غصاة . أو
علماء . أو وزراء . أو خلفاء . أو متدينين . أو مفتين . إما تعاضداً وتطرفاً جرياً وراء
النادرة المسلية . والكنكة البارعة . أو انتقاماً لأنفسهم . وإيلاً لثأفهم (٢٠٣) فهذا أبو
ذلامة يهجو نفسه بضحك الهدي بقوله (٢٠٤)

ألا أبغ إبك أبا ذلامة فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس المعاماة كان برداً وخسريراً إذا نزع البمامة
جمعت دمامة وجمعت لؤماً كذلك اللؤم تنسفم الذمامة

(٢٠٣) الأغانى ١٢ ، ٢٨٢ .

(٢٠٤) الأغانى ١٧ ، ٢٩٩ . المصنف بن المضحاك . حياته وشعره ص ١٩٧ .

(٢٠٥) ينظر الشعراء من عصرهم المذمومين الأموية والعباسية ص ٣٣٨ - ٣٤٢ .

(٢٠٦) طبقات الشعراء ص ٤٧ . الأغانى ١٠١ ، ٢٥٨ . جميع البواهر ص ١١٢ .

ونلاحظ ابن أبي الزوائد يهجو زوجته لأنه ملها وأبغضها (١٣١) ونرى مطيع بن
إبراهيم هاجياً أباه، متعلماً به، ومحترماً له (١٣٢)، ونجد بشاراً بن برد يهجو يعقوب
بن داود وزير المهدي متعلماً بإياه بالخروج والكبر (١٣٣) ويجتريه على الخليفة نفسه.

ولا يتوزع عن هجائه بأقذع الألفاظ وأشنع التوبيخ متعلماً له بالفجور والعدوة (١٣٤).
وكان أبو نعيمة محمد بن الدقيقي غيبث الناس، استغرض شعره في الهجاء، وله
قصيدة مزوجة باسم، التسمية، ذكر فيها جميع رؤساء الدولة في أيام التوكل من
أهل سمرقند رأى وبغداد ورامهم بالقبائح (١٣٥) وقد أخفى عدد من الشعراء الذين
هجوا الخلفاء أسماءهم خشية العقاب والبطش. ومثال على ذلك الأبيات الآتية التي
تظلمها أحد الشعراء المجهولين في هجاء الأمين، لأنه بايع لابنه الصغير موسى (١٣٦)

أضاع الخلافة غشش الوزير	وفسق الإمام وجهل الشير
ففضل وزير، وبكر مشير	يريدان ما فيه حلف الأمير
وما ذاك إلا طريق غرور	وشرب المسك طرقت السخور
وأعجب من ذا وذا أنينا	نبايع للبطل فيينا الحنفي

إن سهولة الألفاظ وبساطة التعبير والميل إلى الشعبية يغلب على فن الهجاء في هذا
العصر، إضافة إلى أنه انماز بمقطوعات أو قصائد ليست طويلة منظومة في بحور
قصيرة أو مجزوءة

وكان النشاط الشعبي في العصر العباسي الأول دور كبير في بروز نوع من
الهجاء عند عدد من الشعراء، تعاضوا على العرب، وتطاولوا عليهم، وتغنوا بمحدهم
السائي. وكان على رأسهم الشاعر الأعشى بشار بن برد بن يربوع الذي تنكز
لنعمة العرب وعرض من شأنهم وحط من قدرهم باللوب ساخر حتى نكز أخضر شاعر

(١٣١) الألفاظ، ١٤، ١٣٨.

(١٣٢) الألفاظ، ١٣، ٢٢٢.

(١٣٣) ديوانه، ٢، ٩٤.

(١٣٤) الألفاظ، ٢، ٢٤٢.

(١٣٥) محرم الشعراء، ص ٢٩٥.

(١٣٦) تاريخ الطبري، ١٠، ١٤٩.

أوقد نار الشعوبية . وهناك شعراء آخرون شاركوا في هذا الهجاء الخبيث . منهم أبو نواس . وأبان اللاحقي . وأبو عبدالرحمن الهيثم بن عدي . وعلى بن خليل . وإبراهيم بن معشان . وسنحدث عن شعرهم في فقرة لاحقة .

الثرثاء :

الثرثاء من أدب يُغَيَّر عن الأصل والتوجع والتأسف . وهو باسـطـلـاح أهل اللغة بكاء الميت . وتعداؤه حسناته . وتمجيده صفاته وسابقه بالشعر والنثر . وقد عُرف الثرثاء منذ عصر ما قبل الإسلام ، إذ كان النساء والرجال جميعاً يندبون الموتى . كما كانوا يقعون على قبورهم مؤثنين لهم مُثْنِينَ على خصالهم . وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مسألة الحياة وبيان عجز الإنسان وضعفه أمام الموت . وإن ذلك مـصـير محتوم . (٢٢) .

والثرثاء من الموضوعات القريبة إلى النفس . وهو يشكّل ديواناً كبيراً في أدبنا العربي . وكان للشعراء العباسيين نصيب وفير فيه ، إذ نجدهم قد رثوا خلفاءهم وولائهم ووزرائهم وقوادهم . ورثوا مدبهم التي نزلت بها الكوارث . ورثوا حيواناتهم المستأنسة . وطيورهم الصالحة . حتى رثى بعضهم شبابه ونفسه وعضواً ذهب من جسده . إنهم جادوا بدموع غريزة على كل شيء ، عزير عندهم وأثير لديهم بمقطوعات وقصائد مستقلة قائمة بذاتها .

لقد حظي الخلفاء بقسط من شعر الثرثاء . وأول خليفة بكاه الشعراء هو أبو العباس السفاح . وكان أبو ذلامة ددبمه المحبوب : لذلك كثر نحيبه عليه . وأثنته بقصائد كثيرة . أثني فيها على سياسته وأخلاقه وصفاته . وذكر خسارة الأمة برحيله . من ذلك قوله (٢٣) .

(٢٢) الرثاء لـدكتور فتحي ضيف ص ٧ .

(٢٣) صبح البهراء ص ٦٨ .

وبلي عليك وويل أهلي كلهم وثلاً وهولاً في التحية طويلاً
 فلتبكين لك النساء بغيره ولتبكين لك الرجال حويلاً
 مات السدي إذ مات يابن محمد فجعلته لك في التراب عدلاً
 إن أجملوا في الصبر عنك هل يكن صبري ولا جلدي عليك جبلاً
 يجمعون منك خلائفاً وأنا امرؤ نو عشت دهرى ما وجدت بديلاً
 وهذا منكم الخاسر يذرف الدموع الساخنة على الحليفة المهدي ويشد بماعيه
 الحميدة إبان حكمه ١٨١.

وباكسية على المهدي عبرى كأن بها وما خُنت حنوناً
 لئن بلي العليقة بعد عشر لقد أبقي مساعني ما طيناً
 سلام الله غثوة كسبيل يوم على المهدي حين نوى رهبا
 وكان أبو نواس وفياً للخليفة محمد الأمين ، لأنه تنغم في أيامه . وحظي بلطفه
 وإحسانه . وحينما قصى تحبه رثاء بشعر صادقٍ منبعثٍ من قلب حزين مرزوء .
 مثل قوله ١٨١.

طوى الموت ما بيني وبين محمد وليس لما تطوي النية ناسراً
 وكنت عليه أحقر الموت وحده فلم يبق نبي تني عليه أحاذراً
 لئن عثرت دوراً بمن لا أوله فقد عثرت من أحب المقابر
 طواه الموت وأبعده عنه . وكان حنواً عليه . وقد احتفلت به المقابر لأنه عظيم
 وكريم ومن أسرة نبيلة . وهذه صورة لطيفة صاغتها مخيلة هذا الشاعر الذي كان
 صاحباً وسعيراً للخليفة الأمين .

ومن الشعر الجيد في رثاء القواد قصيدة الحسين بن مطير الأسدي في من بن
 رائدة التي اشتهر بجوده وشجاعته . منها قوله ١٨٢.

(٨٩) الرقاء للدكتور شوقي طيف ص ٥٩ .

(٩٠) بعد عشر ، يشير إلى الله وإلى الخلافة مدة عشر سنوات .

(٩١) وهو الله ص ٥٨١ .

(٩٢) شعر الحسين بن مطير الأسدي ص ٦٠ .

فيا قبر نغز، أنت أول خفرة من الأرض حُطَّت للمكاريح مضجعا
ويا قبر نغز، كيف واريث جوده؟ وقد كان منه البر والبحر نزعاً
بلى قد وسعت الجود والجود ميث ولو كان حياً ضُفَّت حتى نقصاً

قال أبو حلال العسكري معلقاً على هذه القصيدة: «إنها أرش ما قيل في الجاهلية
والإسلام» (١٣١). وقال ابن الأثير إنها «أجبت ما سمعت في هذا الباب» (١٣٢). ووصفها
ابن خلكان بأنها «من المراثي النادرة» (١٣٣). ومن يعين النظر فيها لا يجد شيئاً
جديداً، يخرج عن سنن الشعراء العرب في الرثاء من الدعاء للميت وقبره بالقبأ
والمعجب للعفرة التي ضُفَّت الميت وقد كان كالبحر جوداً والجبل حلاً وان الكرم
مات بموته وانقطع الخير عن الناس بعد ذهابه (١٣٤). وشارف مروان بن أبي
حفصة في رثاء معن بن زائدة. وتعد قصيدته اللامية من القصائد الجيدة في باب
الرثاء. إذ صور فيها حزنه عليه، ووجد أهل العراق والشام وجد به، فقد خسروا
بموته البطولة والشجاعة والبأس والجود والتقوى والإخلاص للعرب والمسلمين.
مطلعها: (١٣٥).

مضى لسبيله نغز وأبغى مكاريح لن تبيد ولن تُسالا
ومنها،

وأظلمت السموات وأورثتها مصيبتُه المجللة اختلالا
وظل السَّامُ برجسف جانباً لركن العز حين وغي فصلا
وكادت من بهامة كل أرض ومن سجد نزول غداة زالا
فما عهد الوقائع منك أمضى وأكرم محسباً وأشد بالاً
سيدكرك الخليفة غيز قال إذا هو في الأمور بلا الرجلا

ولا ينسب وغائبك الطواني على أعدائه جملت وبالا
ومعتركا شهدت به حفاظاً وقد كرهت فوارسة الجزالا

(١٣١) ديوان الخليل، ٢، ١٧٦.

(١٣٢) الجامع الكبير، ص ٩٥.

(١٣٣) وفيات الأعيان، ٢، ٢٥٩.

(١٣٤) شعر الحسين بن مطير الاسدي، ص ١٤.

(١٣٥) شعر مروان بن أبي حفصة، ص ٧٤.

ومن القواد الذين رثاهم الشعراء بقصائده عامرة . محمد بن حميد الطائي الذي قاتل بابل الخرمي في خلافة المأمون . واستشهد في إحدى المعارك بعد أن أنحن الجراح في الاعداء ونال منهم كثيراً بسيفه البتار . وكانت قصائده أبي تمام الطائي في رثائه من أجود القصائد وأوفقها في بيان فروسية هذا القائد وشهامته وجلده على مصالوة الخصوم . ونضاله وصموده في محاربة الخارجين على دولة بني العباس . من ذلك قصيدته التي يقول في مطلعها ^{١٤١} :

كذا فليجلَّ الخطيبُ وليفدح الأمرُ
فليس لعينٍ لم يفضْ مأوها عذراً
ومنها ،
فتى مات بين الضرب والطعن ميتةً
تقوم مقام النصر إذ قاتله الضمر

وما مات حتى مات مضرباً ميتةً
من الضرب وانعلت عليه القنا الشعر
ونفسُ ثعالب العاز حتى ركَّنةً
هو الكفر يوم الزرع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجلةً
وقال لها من تحت أخمصك الحشر^١
غدا عدوةً والحمد نسج ردائه
فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
تردي ثياب الموت حمراً فما أنى
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

هذا البطل المغوار والمقاتل الجدير لم تفر عزيمته ولم يفر من الحرب . بل بقي يضارب ويجاهد بكفاءة عالية ومقبرة فائقة إلى أن وقع شهيداً وأمسى من أهل الجنة الذين " يلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق " ^{١٤٢} .

وللشعراء العباسيين شعر شجي مؤثر في أبنائهم وأخواتهم وزوجاتهم وأقربائهم . فمن الذين يذكروا أبناءهم بشار بن برد . إذ فجع بموت ابنه الصغير محمد الذي كان كالقصن الثانع يتأمل فيه الغير والعون في حياته ^{١٤٣} .

(١٤١) دهرية ٩ ، ٧٩ .

(١٤٢) الأخصى ، باطن القدم .

(١٤٣) سورة التكوير ، ٩٤ ، ٩٦ .

(١٤٤) دهرية ٩ ، ٢٤٤ .

أجازنا لاتحرزعي وأنسبي
 إنني على رمعي وخطي رزقة
 وكان كريحان الضموني نخالة
 دعته النابا فاستجاب لصوتها
 وقد كنت أرجو أن يكون محمداً
 لأنني من الثوب المثل نصبي
 وبئذ أحجاراً وجال قليب (١٠٠)
 ذوى بعد إشراق بسر وطيب
 فله من داع دعا ومجيب !
 لنا كافياً من فازرر وخطب

ومن جيد الشعر في رثاء الزوجات . وأشجاء . وأشد نائراً وإثارة . قول محمد
 بن عبد الملك الرقيات في زوجته التي ماتت وتركته ولداً صغيراً لا يبصر على
 فراخها (١٠١) :

ألا من رأى الضلع الفارق أمة
 رأي كل أم واسها غير أنه
 وبئذ وحيداً في الفراش تجتة
 فلا تلجأني إن بكيت فأنما
 نعيه الكرى عيناً تبثران
 يبيتان تحت الليل ينجين
 بلا بل قلب دائم الخفقان
 أدوي بهذا الدعاء... مع مكرهان

ومن الشعراء الذين اشتهروا بهذا اللون من الرثاء الحزين . ذلك أجن الذي قتل
 زوجته إثر وشاية كاذبة . وبقي يكي عليها بشعر حلاق يعبر فيه عن مأساة فيها
 وندمه على الضحية التي ذهبت غداً وظلماً . قل فيها بعد الندم (١٠٢) :

أشفقت أن ينلني الزمان بعده
 قمر أنا استخرجت من دجته
 فقتلته وبه علي كرامة
 عهدي به فينا كأحسن دائم
 لو كان يدري الميت ماذا بعده
 نخصن نكاذ تغيظ منها نفته
 أو أتلى بعد الوصال بهجره
 ليليتي وحلوته من خدره
 ملء الحشا وله الفؤاد بأسره
 والعز بفتح بهرني في نحره
 بالحي حل مكانة في قبره
 وثكاذ تخرج قلبه من صدره

وكذلك . اشتهر أبو حبة السيري في بكاء زوجته والنواح عليها حتى استفرج جرمه
 كبيراً من شعره في رثائها . قال ابن المعتز : « وكان أبو حبة تزوج ابنة عم له
 فتوفيت عنه . وكان يخرج عليها من الدنيا . وأشعاره أجيداً كلها فيها وفي وصفها في

(١٠١) أجاله . أجالب . القليب في الأصل . البشر . والمراد هنا القبر .

(١٠٢) ديوانه ص ٦٧ .

(١٠٣) ديوانه ص ٩٢ .

حياتها . ومراثيها بعد . مماثها . وما رأيت ذكياً ولا عاقلاً ولا كاتباً طريفاً إلا وهو
 يتسل من شعر التميمي بشي ١٠٠١ ولأصدقائه نصيب طيب من الرثاء . يفيض
 بالوفاء . ومن يدع ماقبل في هذا اللون قصيدة لابي العتاهية في رثاء صديق له
 يدعى علياً ١٠١٠

أخ . طالعاً سرّاً سسسي ذكره فقد صرنا أشجي لدى فكره
 وقد كسبنا أغدو الى قسصره فقد صرنا أغدو الى قسصره
 وبئنا باليسيط فزنا الشرى وريخ تزي الأرض بن عطره
 أخو سمر مائة أوبة غريب . وإن كان في مصره

ومن الضروب الجديدة في فن الرثاء في العصر العباسي بكاء المدن التي أصابها
 اندمار والخراب . وذهب سكانها الأبرياء ضحايا . ومن أجود ما قيل في هذا اللون
 قصائد ومقطوعات عمرو بن عبد الملك الوراق الغزي ١٠٣١ وقصيدة أبي يعقوب
 اسحاق بن حبان الخريمي في رثاء بغداد بعد الفتنة بين الأمين والمأمون . وقصيدة
 ابن الرومي في رثاء البصرة بعد ثورة الزنج . ان قصيدة الخريمي التي تصور كارثة
 بغداد بلغت ١٣٤ بيتاً . وهي سجل حافل لحادثة دامية مروعة . منها قوله (١٠٣٤) .

فإنها أصبحت خلايا من ال إنسان قد أدميت محاجرها
 قفراً خلاة تموي الكلاب بها ينكر منها الرسوم رائرها
 وأصبح السجون ما يغارقها إلغاً لساها والشرور هاجرها
 أما ابن الرومي فإنه صوّر مأساة البصرة في قصيدة تجاوزت ثمانين بيتاً (١٠٣٤) .
 وهي أيضاً سجل لفاجعة كبيرة حلت بهذه المدينة العريقة وسذكرها في ترجمته

ومن الألوان الجديدة التي ظهرت في العصر العباسي مراثي الطيور الصالحة
 والحيوانات الأليفة التي اقتناها الناس آنذاك واعتنوا بتربيتها في بيوتهم أو في

(١٠٤) طبقات الشعراء ص ١٤٦ .

(١٠٥) ديوانه ص ٩٩ .

(١٠٦) ينظر تاريخ الطبري : ٨ ، ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(١٠٨) ديوانه ص ٩٧ .

(١٠٩) انظر دراسات في الشعر العفري . العصر العباسي ص ١٥٩ - ١٦٩ .

محلات خاصة بها^(١٠١) فأبو يونس - مثلاً - رثى كلب صيد لسعته حين قُمت في أرجورة يُبن فيها حزنه وأساء لفقيد سيد الكلاب الذي أعناه عن وسائل الصيد .
مظلمها^(١٠٢) :

يا يونس كلبى سيد الكلاب قد كان أعتاني عن العقاب
وبرز الغمام بن يونس بهذا النمط من الرثاء . يقول أبو الفرج الأصبهاني

أيه شعر منيح الشعر قد جعل وكذب في مدح التيمم ومراثيمه واستعمر أكنز شعري في ذلك^(١٠٣) . وأورد له الصولي قصائد كثيرة في هذا الغرض . منها قصيدة طويلة في رثاء قمرى^(١٠٤) :

عسل لاسريه من أمان ميسر ريسر هذا الرمان
ومنها .

فألق قلب فيه كلوب من لاعج الأعراب
وفي السحاح لادعات كمشملي النيران
والفقلان سجون دماغها تكلفان
كان النطوق أنما للأعبل والجحيران

ولابن العلاف قصيدة مشهورة متداولة في رثاء هُرّ تناقلتها كتب الأدب والتاريخ^(١٠٥) . وهي من روائع الشعر في هذا الغرض . مظلمها^(١٠٦) :

يا هرّ فارقتنا ولم تغد وكنت مناجمزل الولد
وكيف ننعك عن هواك وقد كسنت لنا غنة من العفد

(١٠١) - ينظر : ملاحم من رثاء النجوان في الشعر الصباسي = بحث للدكتور طه حسين في مجلة أدب الزمان ، العدد السابع ١٩٣٦ .

(١٠٢) - ديوانه ص ١٤٣ .

(١٠٣) - الأطلال ص ١١٨ ، ١١٩ .

(١٠٤) - أخبار الشعراء المحدثين ص ١٦٩ .

(١٠٥) - وصل البيت منها ص ٥٧ بيتا . وهي في الأصل ٩٥ بيتا كما ذكر ابن قنبري بردي (النجوم الزاهرة ٢ : ٢٩٠) .

(١٠٦) - شعر ابن العلاف ص ٣٢ .

هذا الأسلوب السهل المتوسل يستعمل في رثائه لهذا الحيوان الذي ألهمه وأحبه وقد اختلف المراسلون فيها . فممن من قال ، أنها في هزة حقيقة . وقيل . أنه أراد بها رثاء عبد الله بن المعتز . وقد كُتِبَ عنه بالهر خوفاً من الخليفة المقتدر الذي قتل أبى المعتز . كما قيل . أنه كُتِبَ بالهر عن الحسن بن أبي الحسن بن العزات الورير أيام محبته لأنه لم يستطع أن يرثيه علانية خشية من الخليفة المقتدر . الى غير ذلك من الأقوال ... وقد عُلِيَ " ندى على هذه القصيدة بعد أن أُورِدَ جزءاً كبيراً منها بقوله . وأما شديد التعجب فعن يرويه أن هذه القصيدة رثي بها غير عمر (١٣١١)

وهناك مراتب نبذوا لنا غريبة . وهي من مستجدات العصر العباسي . فضلاً نجد لـ محمد بن يسير مراثية في بستانٍ عاشت فيه شاةٌ أفلكت لأحد جيرانه (١٣١٢) . ولأحمد بن أبي كريمة قصيدة في رثاء قميصٍ أعار عليه فأمر فقرصه (١٣١٣) . ولإسحاق الموصلي مراثية في خنّارة (١٣١٤) ولـ عبد الصمد بن المغزل قصيدة في رثاء طيفلي مات على المائدة بعد أن بلغ لقمة حارة جداً (١٣١٥) . ولـ محمود بن الحسين المعروف بكشاجم قصيدة في رثاء قدح أنكرته (١٣١٦) .

إن شعراء العصر العباسي لم يتخرجوا من رثاء أي شيء . مهما كان فترة أو منزلته . مادام هو وثيق الصلة بنفوسهم . وكانوا صريحين في تصوير أحاسيسهم ومشاعرهم . وصادقين في تعبيرهم . فلما تشوَّها الصفة أو التكلّف

الغزل :

الغزل من الغنن الشعرية الجميلة المحبة الى النضر . يصور أشواق المحبين ونواحيهم . وهو شبيه بالسبب والتشبيب من غير كثير تمييز أو عظيم اختلاف . ومن يتصفح ديوان الغزل اندرجى بجمعه كبيراً ووالعاً . تغنى الشعراء من خلاله المرأة منذ عصر ما قبل الاسلام . وقد جعله فريقٌ منهم استهلاً للأنحاح وأنعاجهم وحامياتهم . وحضنهم لفريقٍ آخر قصائد ومقطوعات

(١١٩) نكت الهيدان ص ١٩٩ - ١٩٤ .

(١١٧) الأغانى ١٩٤ ، ٩٠ .

(١١٨) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٤٤٢ .

(١١٩) ديوانه ص ٩٠ .

(١٢٠) شعره ص ١٩٥ .

(١٢١) ديوانه ص ١٢٠ .

وارتقى الغزل في عصر بني أمية وزاد الانقبال عليه . ولحق الشعراء المرأة . ووصفوا معارفهم في حبها . وقد احتش بعضهم بوحدة عاشق لها وقضى بهم يحبها فسوا بالغزلين العذريين . أو شعراء مدرسة « الغزل المعيف » وعلى رأسهم جميل بن منفر . وعاش بعضهم الآخر يتصد الجمال في كل مكان . ويتبع الحسن أينما حل وارتحل للبحث واللذة . قسموا بالغزلين المأجنين . أو شعراء مدرسة « الغزل الحسي » وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة . وبقي التياران يسيران في العصر العباسي جنباً إلى جنب مع اختلاف في الكمية والنوعية .

وبمثل التيار الأول . أي التعيف . مجسوة من الشعر . من أشهرهم ابن ميادة^(١٧١) . وأبو حبة النميري^(١٧٢) . والحسين بن مطير الأدي^(١٧٣) . وابن ربيعة^(١٧٤) . وهؤلاء الأربعة من محترمي الدولتين الأموية والعباسية . ومما يستحسن لابن ميادة قوله^(١٧٥) :

سلي الله صبراً واعترف بفراق عسى بعد بين أن يكون تلاق
ألا لينني قبل الفراق وبعدة قلني بكأمر المنية ساق

ويعد العباس بن الأحنف أبرز شعراء الغزل المعيف والعشيق الشريف في العصر العباسي . وقد قصر جل شعره على صاحبه « فوز » . ولاحظ أبو الفرج الأصبهاني هذه الظاهرة فقال : « كان العباس شاعراً غزلاً ظريفاً مطبوعاً . من شعراء الدولة العباسية . وله مذهب حسن . وتديباجة شعره رونق . ولغايه عذوبة ولطف . ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء . ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني »^(١٧٦) . إن شعر العباس بن الأحنف يمتاز بالعفة والود والصفاء والنفاء . وهو رقيق مؤثر يتجاوب مع النفس الإنسانية في كل زمان وإن قال فيه الدكتور طه حسين : « لم يبلغ إقبال الغزلين من شعراء بني أمية . ولم يبلغ إجاده العاشقين من

(١٧١) طبقات الشعراء ص ١٠٩ . الأثافي ٢ : ٣٦١ .

(١٧٢) طبقات الشعراء ص ١٥٢ . الأثافي ١٩ : ٢٠٢ .

(١٧٣) طبقات الشعراء ص ١١٤ . الأثافي ١٩ : ١٢٠ .

(١٧٤) الأثافي ٤ : ٤٠٥ .

(١٧٥) طبقات الشعراء ص ٤٩ .

(١٧٦) الأثافي ٨ : ٢٥٢ .

شعراء بني العباس، وإنما جاء فائزاً قلماً يترك في النفس أثراً قوياً. لأن الفن الذي أراد أن يختص به كان قد انقضى عصره. وانتهت الأسباب التي أوجدته ومكنت الناس من إتقانه والاجادة فيه (١٣٨). وتابعه في هذا الرأي الدكتور عز الدين اسماعيل فقال: «ومهما يكن من أمر، فإن هذا الشاعر العباسي قد انقطع للفنول شأنه شأن العدريين وشأن عمر بن أبي ربيعة. وأن نفسة الشعري كان أقرب إليهم وأن كلاً - فيما طالعتنا به من شعر - لا نجد فيه حرارة العدريين وصفه». ولا خفة طول عمر بن أبي ربيعة بنفسه المدرجة (١٣٩).

كان العباس بن الأحنف مخلعاً في رسم صورته اتجسدت لنجب العفيف، وحبيك ر ذيله المذكور هناك الخرجي. «ولست أكانتلك الحقيقة من أبي مؤمنة كل الإيمان بأن الشاعر يملئ قلباً من حريد حقيقة عاشها، ولعل أروع لوحة عرض لنا العباس فيها حكاية هوان المذهب تلك التي يحلو له أن يعرضها علينا بين الحين والحين ليراه فيها الشاعر تقرب من السبع فخرهم من المؤرد (١٤٠) ومن جيل شعره مناجاته للقطا التي وجدت صداعاً في كل أدن ووقعها في كل قلب (١٤١).

بكيت إلى سرب القطا حين مرّ بي فقلت ومثلني بالبكاء جدير
أسرب القطا حل من فغير جناحه نعلي أو من قد هويت أطير

إن روحه معلقة بغور، لاحيئ عنها، فهي الوحيدة التي ملكت فؤاده دون الفتيات (١٤٢).

ما سمع الناس في عيني وأقبهم إذا نظرت فلم أبتزك في الناس
حتى متى كدي حري منطشة ولا يلين لشيء قلبك القاسي

ويلاحظ أنه بالغ في البيت الأول. وقد مر طابع المحبين وأساليبهم حين يصغون جمال المحبوبة ومفاتنها. وهاهو ذا يقول (١٤٣).

(١٣٨) حديث الأربعة ١: ٢٩٨.

(١٣٩) في الأدب العباسي، التولية والتفنن - ص ٢٩٦.

(١٤٠) العباس بن الأحنف ص ٥٢.

(١٤١) الدهوان ص ١٦٨.

(١٤٢) الدهوان ص ١٨١.

(١٤٣) الدهوان ص ٩٥٧.

نُفِثَ رَتَمُ الْحَسَنِ فِي وَجْهِهَا فَكُلُّ خَشْنٍ مَا خَلَاها فَحَالُ
لِلنَّاسِ فِي الشَّهْرِ هَلَالٌ وَلِي فِي وَجْهِهَا كُلُّ صَبَاحٍ هَلَالٌ

ومن الشعراء الذين عرّفوا بالمرسل المصنف عثاشة بن عبد الصمد البصري الذي أحدث فتاة تدعى « نعيم » . وهي جارية لبعض الهاشميين . وشاءت القصد أن شخصاً اشتراها من مولاتها وزحل بها إلى بدماء . فمظم أسفه وحرته عليها . واستهيم بها طول عمره . فاستحالت صورته وطبيعته وخلقه إلى أن فرق الدهر بينهما . فكان أكثر وكند وشغله أن يقول فيها الشعر وينوح به عليها ويبكي (١٣١) . وقد وصل به الحال إلى التمني في الموت ليسريح من الهموم والأحزان التي راجعت وهذه (١٣٢) .

نَعِيمُ هَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَيْتَ وَهَلْ بَغَيْدِي وَفَيْتَ كَمَا وَفَيْتَ ؟
أَلَا يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ بَغَيْدِي أَمَدُ طِبَارِكُ إِذْ نَأَيْتَ وَإِذْ نَأَيْتَ ،
فَكَمْ مِنْ غَبْرَةٍ ذُرِفَتْ فَلَمَّا خَشِيتُ عَيْنَ أَهْلِي وَاسْتَحِيتُ
نَهَضَتْ بِهَا مَكَاثِمُهُ فَلَمَّا خَلَوْتُ ذُرِفَتْ حَتَّى اسْتَفِيتُ
وَقُلْتُ لَصَحْبِي لِمَا رَمَانِي هَوَاكُ بِدَائِهِ حَتَّى انْطَوَيْتُ
أَرَانِي مِنْ هَمُوجِ النَّفْسِ نَيْتًا وَلَمْ أَرْ فِي نَعِيمٍ مَا نَوَيْتُ
وَلَيْتَ الْمَوْتَ عَجَلَ قَبْضَ رَوْحِي جَهَارًا فَاسْتَرَحْتُ وَأَيْنَ لَيْتَ ؟ !

ومن شعراء الكوفة القلائل في نظم الشعر المصنف علي بن أديم الجعفي . فقد تفرّق بفتاة اسمها « منة » . وهام بها . وشاع امرؤها بين الناس . حتى وضع أحدهم كتاباً فيها بعنوان « علي بن أديم ومنة » (١٣٣) . وقد أشار أبو الفرج الأصبهاني إلى خبرهما فقال : « كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد يُقال له علي بن أديم . فهو جارية لبعض نساء بني عس . هانتها لرجلٍ من بني هاشم . فعرج بها عن الكوفة . فمات علي بن أديم جزءاً عليها بعد ثلاثة أيام من خروجها . وبلغها خبره فماتت بعده . فعمل أهل الكوفة لهما أخيراً هي مشهورة عندهم . وقتلوا آخر من مات من المثلث علي بن أديم الجعفي (١٣٤) . ومن شعره قوله (١٣٥) :

[١٣٤] الألباني ١ : ٣٧٠ .

[١٣٥] الألباني ١ : ٣٦٩ .

[١٣٦] الفهرست ص ٤٧٩ .

[١٣٧] الألباني ١ : ٣٦٧ .

[١٣٨] الألباني ١ : ٣٦٧ . مجموع الشعراء ص ١٢٥ .

لي فليس لي قد تسباني بمسماها كان انابا
 ورماة المصحح منه بسماها فاصابا
 قد دهاه شاذن يسل بس في الجيد بخابا ١٠٠
 وهو بدر في نصاب فاذا القى النصابا
 قلت شمس يوم ذخير مسرت عنها النصابا

وشعة شعراء اخرون نظموا مثل هذا الشعر. منهم اسماعيل بن عمار
 الاسدي ١٠١. والمؤمل بن اميل الحاربي ١٠٢. وشاذ بن مرداس ١٠٣. وعمر
 الخزرجي ١٠٤. والفضل بن عبد الحميد الرقاشي ١٠٥. وابن الخطاط ١٠٦...

ولم يقف بعض الشعراء في غزلم عند المرأة بل تجاوزوها الى الغلمان
 والغلاميات وهن فتيات في رضى غلمان، وكلامها بدعة خطيرة، وانحراف مقرف،
 وخلق شاذ. ان الغزل بالمذكر تسرب الى المجتمع العباسي من الغرس كما يرى
 يوسف حبيب بكار في قوله: «ان العامل الاناس في ظهور الميل الى الغلمان هم
 الغرس اندير تقنوها الى العرب. وساعد عليها عوامل اخرى اذت في مجموعتها الى ظهور
 الغزل بالمذكر كآتي فمن من فنون الشعر الاخرى ١٠٧». ويخالفه في الرأي محمد
 المويهي. ويرى الخطأ والظلم معا في ان يعرى هذا الانحلال الخليق الى امة واحدة هي
 الغرس وانما يعزوه الى كل الامم التي جمعتها الحضارة الاسلامية. لأن الانحطاط
 انما نشأ عن اختلاط هذه الاعداس بادبائها المختلفة وانداسها ومقاييسها ونظمها
 احتيانية. (١٠٨)

(١٠٥) السحاب ، القلافة من قرقفل .

(١٠٦) الاغانى ١١ ، ٣٦٤ .

(١٠٧) نهاية العرب ٩ ، ٢٢٦ .

(١٠٨) الاغانى ٣ ، ١٢٥ .

(١٠٩) الورقة من ٥٩ .

(١١٠) تعليقات الشعراء من ٢٢٩ .

(١١١) الاغانى ١٠٢٠ - ١٩ .

(١١٢) المعاجات الغزل في القرن الثاني الهجري من ١٢٩ .

(١١٣) النفسية أبي نواس من ٨٨ .

إن هذا البناء العقيد ، أو العرض الاجتماعي ، الذي انتقل إلى المجتمع العباسي سواء أكان من الفرس أم من غيرهم ، سرى في فئة كبيرة من الشعراء آنذاك ، ومن أبرزهم أبو نواس (١٠١) ، والحسين بن الصالح (١٠٢) ، ووالبة بن الحباب (١٠٣) الذي يقول فيه الدكتور شوئي حنيف : « إنه هو الذي يتحفل وزر نساء أبي نواس ، بل هو في رأينا الذي يتحفل وزر العصر كله وما شاع فيه من هذا المنزل المقيت الذي يخلق كرامة الشباب والرجال جنفاً (١٠٤) وهي رأينا قبر شعر هؤلاء الخلفاء خير من نشره وإشاعته ، ولذلك أعرضنا عن إيراد أمثلة من شعرهم ، واكتفينا بالإشارة إلى مواضع تراجعهم في كتاب الأغاني الذي يعد أكبر مصدر لأخبارهم وأشعارهم

الوصف :

الشعراء فنانون مدعون يرسمون بالكلمات ما يرون ، ويصورون ما يشاهدون ، ويصفون ما يحبون به ، ومن هنا كثر نقاشهم الشعري في غرض الوصف ، حتى قال ابن رشي : « اشعر إلا أمله راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه (١٠٥) ، وقد خضعه الدارسون القدماء والمحدثون بعنايتهم ورعايتهم ، وأفردوا له أبواباً في مؤلفاتهم واختياراتهم .

إن الشعر العربي زاخرٌ بأوصاف كثيرة منتزعة من البيئة ابتداءً من عصر ما قبل الإسلام ، وقد أعطتنا دولة بني العباس ألواناً مختلفة من هذه الأوصاف ، منها قديمة اعتدت إليها في الحضارة بالتهذيب والتطوير ، ومنها مبتكرة أوجدتها أدبية الجديدة التي تضاهرت أمة كثيرة وأجناس مختلفة على خلقها ، فإذا وصف - مثلاً - الشاعر الجاهلي رحلة في مصارب الصغراء ، فإن بشار بن برد وصف في قصيدة رحلة الخليفة الهادي من البصرة إلى بغداد في شهر القرات (١٠٦) ، وتناول أبو نواس نزعة للخليفة الأمين في سفينة جميلة الصنع تمرّ غراب الماء في بحر دجلة (١٠٧) .

(١٠٦) الأغاني ٩١ ، ٩٠ ، وقال من ابن منظور وأبي طاهر كتاب طرود في أمهارة .

(١٠٧) الأغاني ٩٠ ، ٩١ ، وراجع كتاب (الحسين بن الصالح) للدكتور شعولي راعى .

(١٠٨) الأغاني ١٨ ، ١٩ .

(١٠٩) العصر العباسي الأول ص ٧٢ .

(١١٠) المصدر ١٩ ، ٢٠ .

(١١١) ديوانه ٢ ، ٣ .

(١١٢) ديوانه ص ٦١٤ .

سَخَّرَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ مَطَايَا لَمْ تُخَرِّ لِحَابِلِ الْمَحْرَابِ ١٣١
 قَادًا مَارِكًا بِسَفَرِهِ بَرًّا مَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِبًا لَيْثَ غَابِ
 أَمَّا بِاسْطَا ذُرَاعِيهِ . يَمْعُو أَهَزَّتْ الشَّدَقِ . كَالْحِجَابِ الْأَنْيَابِ ١٣٢
 لَا يَمْنَعُنِيهِ بِاللِّجَامِ . وَلَا اتُّو بَطِ . وَلَا غَمَزَ رِجْلُهُ فِي الرُّكَابِ
 عَجِبَ الْمَلِكُ إِذْ رَأَاهُ عَلَى صَو رَةِ تَسِيحَتِ بِعَرْمِزِ السُّحَابِ
 وَلَمْ تَكُنِ السُّفَى وَالْقَوَارِبُ فَقَطْ تَتَّبِعُ إِعْجَابَ الشُّعْرَاءِ . بَلِ الْجُورُ انْقَامَةٌ عَلَى
 دَجَلَةٍ أَيْضًا . يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الرَّجَعِ (١٣٣)

أَيَا حَيْدَا جَرَّ عَلَى مَتْنِ دَحَلَةٍ بِإِنْقَابِ تَأْسِيرِ وَخَشْنِ وِزُونِ
 جَمَالٍ وَفَخْرٍ لِلْعِرَاقِ وَنَزْهَةٍ وَسُلُوءٍ مِنْ أَضَاءِ غُرُطِ التَّشْوِقِ
 وَأَقْبَلَ الشُّعْرَاءُ الْعَبَّاسِيُّونَ عَلَى الْغَنِيمَةِ الْحِيلَةَ (إِدَالًا كَبِيرًا) . فَلَمْ يَتْرَكُوا شَيْئًا
 فِيهَا إِلَّا وَصَفُوهُ . سِوَاهُ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمْ فِي السَّمَاءِ . مِنْ رِيَاضٍ وَمَرْجٍ وَبَسَاتِينِ .
 وَأَزْهَارٍ وَأَنْجَارٍ وَأَعْمَارٍ وَدُورٍ وَقُصُورٍ وَقِبَابِ . وَمَأْكَلٍ وَمَشَارِبِ . وَسَحْبٍ وَأَمْطَارِ .
 وَنُجُومٍ وَأَمْثَلِكِ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَةَ يَصِفُ حَذِيقَةً وَهِيَ تَهْلِيهِدِي
 وَيَذْكُرُ نَخْلَهَا وَشَجَرَهَا (١٣٤)

نَوَاضِرٌ غُلًّا قَدْ تَدَانَتْ رُؤُوسُهَا مِنْ الثَّيْبِ حَتَّى مَا يَطِيرُ عَرَانِيهَا ١٣٥
 تَرَى الْبَاسِقَاتِ الْمُغَمَّ فِيهَا كَأَنَّهَا طَعَامَتُنَّ مَضْرُوبَةٌ عَلَيْهَا قَبَائِيهَا ١٣٦
 نَرَى بِأَنِّهَا سَهْلًا لِكُلِّ مُنْدَقِمٍ إِذَا أَيْحَتْ نَخْلٌ فَأَعْلَقَ بِأَنِّهَا ١٣٧
 يَكُونُ لَنَا مَا نَجْتَنِي مِنْ تَعَارُفِهَا رَيْبًا إِذَا الْآفَاقُ قُلَّ سَحَابُهَا
 وَوَصَفُوا الْقُصُورَ وَمَا فِيهَا مِنْ فُرُشٍ وَأَنْثَاقٍ . وَمَا يَحِيطُ بِهَا مِنْ حَذَائِقِ غَنَاءٍ .
 تَعْرَفُ فِيهَا الطُّيُورُ . وَتَجْرِي فِيهَا الطُّيَافُ وَالْمَغْزَلَانِ شَتَّى قَوْلِ أَبِي عَمِيْنَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ
 أَبِي نُجَيْشَةَ . فِي وَصْفِ قَصْرِ بِالْبَصْرَةِ (١٣٨) .

(١٣١) الخَطَايَا : أَرَادَ بِهَا السُّفَى الَّتِي يَطْلُقُ عَلَيْهَا الْعَرَاكُ سَاحِبَ الْمَحْرَابِ . سَلَمَةُ بْنُ دَاوُدَ .

(١٣٢) أَهَزَّتْ الشَّدَقُ : وَابَتْ .

(١٣٣) تَارِيخُ بُلْدَادٍ ١ : ١١٦ .

(١٣٤) الْقُرْمَرِيُّ : هُوَ أَبِي حَضَمَةَ ص ٧٥ .

(١٣٥) النَّوَاضِرُ : الْخُصُوفُ الْقَدِيمَةُ الْمَعْرُوفَةُ . الطُّبُ : الْمَطْبِيَّةُ الْمَلْفُفَةُ .

(١٣٦) الْغَمَّ : جَمْعُ غَمِيَّةٍ . وَهِيَ الشَّخْلَةُ الطَّرِيقَةُ .

(١٣٧) الْمَدْفَعُ : الْقَلْبِيرُ .

(١٣٨) دِيوَانُهُ ص ٣٦ . يَنْظُرُ الْإِسْطَاقِيُّ ٦٠ : ٩٠ .

ورب من الغرلاب برمن : حولة كذا انسل منظوم من الذر من سلك
 وورقاء تحكي الموصلي اذا شدت بتعريدها احبت بها وبمن تحكي !
 فيا طيب ذلك القصر قصرا ونزهة بأفح سحر غير وعز ولا صلك
 وكان للشاعر الموجودة في الحدائق والسائق نصيب من شعر الوصف . ومن
 لطيف مانجا في وصف التفاح قول بشار بن برد (١٣١)

وتداحة من خالص الشبر نصفها ومن جلتار نصفها وشذوق
 كأن الهوى قد رذا بعد تفرق لها خذ معشوق الى خط عاشق
 ومن بديع وصف العنب الرازقي قول ابن الرومي (١٣٢)

كأن الرازقي قد نناهي وهاهنا بالمناهي الكروم
 قوارير بسجاد الوردة على نشيف ولؤلؤ فيها بدوم
 وتسحابة من تشهد المحسني اذا اغتسلت عليك الطعموم
 فكل مضمع منه ثريا وكل مفرق منه نجوم
 وكانت قصور الخلفاء والأسر النعية حافلة الى جانب الطعموم اللذينة والفواكه
 الشهية . بوسائل اللهو والنعب التي كانوا يقضون بها أوقات فراغهم . من ذلك لعبة
 الشطرنج . وقد أحسن المأمون في وضعها وتنسيبها بمعرفة حريية حايه بين
 عسكرين (١٣٣)

أرض مربعة حـ . مراد من آدم حابين العين معروفين بالكره
 يذكروا الحرب وحالا لها حولا من غير أن يأتيا فيها بفت دم
 جدا يعيز على هذا وذلك على هذا يعيز . وعين الحرم له تمه
 فانظر الى فطر جلتا بمعرفة في عسكرين بلا طبل ولا غل

ومن وسائل اللهو التي أخذت حائبا كبيرا من شعر الوصف خارج الدور
 والقصور الصيد والطرود . وكان الخليفة المهدي من أشهر الخلفاء شابة بالصقور
 واليزاء وكلاب الصيد . ومن لطيف ما يروى عنه أنه خرج مع ابن عم أبيه علي بن

١ ١٦٦ (فرقة الأقاليم في معاصر الشام ص ٩٠) . وهذا البيتان ليسا في الموجود من الديوان
 ٢ ١٧٠ (فرقة الأقاليم في معاصر الشام ص ٣٩٨) . ولم ترد هذه الأبيات في الديوان المطبوع
 ٣ ١٧١ (المستطرق ٢ : ٢٤٩) . تاريخ الخلفاء تليطوي ص ٢٦٨ . وتنسب الأبيات الى علي بن
 اتجهم ينظر ديوانه ص ١٧٨ .

سليمان إلى الصيد مسح لهذا قطع من طياء . فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل
فرمى المهدي طياء بهم فصرعه . ورمى بني سليمان فأصاب بعض الكلاب
فقتله . فقال أبو ذلامه .

قد رمى المهدي طياء
وعلي بن سليمان
فهنعنهما تسهما كعد
ن رمى كلساً فصاد
ن اسريء بأكل زادة

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه . وقال ، صدق والله أبو ذلامه .
وأمر له بجائزة نية (٢٥) .

ونظر الشعراء إلى الآراء الجوية . ووضعوها بقصائد ومقطوعات . فهذا أبو غبادة
البحري يُعبد بلغة رقيقة عذبة وصف الحباب والبرق . ويرسمها رسماً دقيقاً يدل
على حيل خصب يتعد في دقائق الأشياء مبرزها ويظهرها بأحسن حيلة وأجمل
منظر (٢٦) .

ذات ارتحاز كـ حصن الزعد
مسوخة الذميع نغير وحيد
ورثة مستل ومغير الأسد
ولمع برق كسيوف السهم
جاءت بها ريح الغضا من نجد
فانثرت مثل انتثر السهم
فراحب الأرض سمعشر رعد
من وشي ألوار الزهب في نرد

ونلاحظ إبراهيم بن هرمة يصف في قصيدة رائعة النجوم والكواكب وكأنه عالم
جليل من علماء الفلك . يتناول فيها هيئاتها الخلابة . وألوانها الجذابة . وحركاتها
الدقيقة المنتظمة (٢٧) .

وشارك الشعراء مشاركة كبيرة في وصف الخمرة وألوانها ومقائدها ومجالها
وما يتردد في هذه المجالس من أصوات للمغنيين والمغنيات إلى جانب الآلات
الموسيقية . وسنوضح هذا الوصف لاحقاً في حديثنا عن الخمريات .

(١٢٦) الأغلاني ١١ : ٢٥٨ .

(١٢٧) ديوانه ١١ : ٥٦٧ .

(١٢٨) المنتزه ديوان إبراهيم بن هرمة ص ٦٤ .

أما المعارك والحروب فقد تناولها عدد من الشعراء بالوصف . فمثلاً نجد بشار بن برد يصور معركة ثار فيها الغبار وامتث فيها السيوف حتى خيل إليه أنها نجوم تتساقط في الليل (١٣٨) .

كَأَنَّ شَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُقُونَا وَأَيُّهَا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
واشتهر مسلم بن الوليد بوصف الحرب وتصوير شجاعة الفرسان وقوتهم وأقدامهم وقد تأثر به المتنبي فيما بعد . مثل قوله (١٣٩) .

بَقِيَ الْوَعْيُ . وَشَهَابُ الْحَرْبِ فِي يَدِهِ يَزْمِي الْفَوَارِسَ وَالْأَبْطَالَ بِالشُّخْلِ
يفتر عند افتتار الحرب فبتمعاً إذا تغير وجه الفارس البطل

وبرز أبو تمام في وصف حروب الروم والمسلمين ونظم قصائد جيدة رسم فيها صوراً باهرة للجيش العباسي المظفر وإلى جانبه القتل والجرح والأسرى للأعداء . انظر إلى هذه الأبيات التي وصف فيها شجاعة المقاتلين ومهارتهم وهم يتحصنون سيوفهم ودروعهم ومنفضون على الخصوم كالأسود (١٤٠) .

بَخَذُوا الْحَدِيدَ مِنَ الْحَدِيدِ مَعْقِلًا كَذَابُهَا الْأَرَاخُ وَالْأَجْنَمُ (١٤١)
مترسل إلى الختوف كأنما بين الختوف وبينهم أرخاء
إذا موت سُخْرَاتُ مَالِهَا إِلَّا السَّوَارِمُ وَالسُّفْعَا أَجَا

إن فن الوصف الذي ذكرنا طرفاً منه متعدد الجوانب إلى حد بعيد ويمكن تقاربه . إذا أراد التوسع . أن يرى صوراً كثيرة في الدولاب التحرية والكتب الأدبية مثل كتاب التشبيهات لابن أبي عمير الكاتب . وغالب التشبيهات لعلي بن طاهر الأزدي . والمحب والمحبوب والمشموم والمشراب للسري الترقاء . والتحف والهدايا للخالدين . ودبيان المعاني لأبي حلال العسكري ..

(١٣٨) ديوانه ١ : ٩٩ .

(١٣٩) ديوانه ص ٩ .

(١٤٠) ديوانه ٢ : ١٤٩ .

(١٤١) أي جعلوا سيوفهم معالق من سيفهم غيرهم .

زهد في الشيء وعنه . رغب عنه وتركه . ومنه زهد في الدنيا . أي تحليها عما للعبادة . فهو زاهد . وقد أوجز أبو سليمان الداراني (ت ٢٦٥ هـ) عاقيل في معنى الزهد . اختلفوا عليها في الزهد بالعراق . فمنهم من قال : الزهد في ترك لقاء الناس ومنهم من قال في ترك الشهوات . ومنهم من قال في ترك الشَّع . وكلامهم قريب بعضه من بعض . وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله . (١٩١)

إن ظاهرة الزهد ليست جديدة أو طارئة على العصر العباسي . فإن الصحابة والتابعين كانوا زهاداً . وكان كثير من القضاة والوعاظ ينشدون في العصر الأموي أشعاراً فيها نواذر للزهد وقطع الأسباب المتصلة بالقنوب عن متاع الدنيا الفاني . مثل مالك بن دينار والعس البصري (١٣١) . وحينما جاء عهد بني العباس أخذ الزهد مساراً مستقلاً . وأصبح الشعر الذي ينظم فيه فماً قائماً بقاته . يواجه تيار الزندقة والإباحية والفساد وأثعبت والمجون . ويسعى لإصلاح النفوس المريضة وملئها بنور الهدى واليقين

وإذا كان الزهد اتجاهًا سلوكيًا مضمون التشيُّف والإعراض عن الدنيا بالانزاع والعبادات وأدائها كاملة لبلوغ الجنة والنجاة من النار . فإن التصوف نوعاً تتخذ المجاهدة والمريضة الروحية . وتتجاوز الظاهر الشرعي بالتعمق في الباطن والوصول إلى الكشف (١٣١) . ولا نحوص في هذا المكان - كما فعل كثير من الدارسين - في حقيقة التصوف ونشأته . فهو إسلامي خالص أم متأثر بالهيدنة كما يرى جولدمزيهر (١٣٢) . أو المسيحية كما يرى فون كريبير (١٣٣) . وغيره من المشرقين أمثال بروكلمان (١٣٤) . وبينكلسون (١٣٥) . ولكن حسب ما قاله ألفرد جيوم .

(١٩٩) حلية الأولياء ١٩ : ٢٥٨ .

(١٤٠) يرى نيكلسون أن الحسن البصري مؤسس مدرسة الزهد والتصوف في البصرة . وأنه يعد في نظر الصوفية واحداً منهم . لأنه ينزع إلى حياة روحية خالصة في عبادته غير قانع بسيرة الصور الشكلية في أعمالها (ينظر كتابه : في التصوف الإسلامي وقاريهه ص ٢) .

(١٤١) القيار الإسلامي في العصر العباسي الأول ص ١٦٩ .

(١٤٢) العقيدة والفرقة ص ١٤١ .

(١٤٣) الحضارة الإسلامية ص ١٢٠ .

(١٤٤) تاريخ الأدب العربي ١٩ : ٢٥٠ .

(١٤٥) في التصوف الإسلامي وقاريهه ص ٣ .

، وتناولنا إلى أي حد كان التصوف متأثرين بعوامل ودوافع خارجية عن الإسلام أمر لا أهمية له . فالؤكد أن الإسلام نفسه بعقيدته وصومه وذكره كان أساس حياتهم ١٣٦٠

إن شعراء الزهد والتصوف كثيرون ومن يرجع إلى الكتب التي اهتمت بأخبارهم يعد عشرات الأسماء . وسكتفي بذكر البارزين منهم . مثل عبدالله بن المبارك الذي نصح العباد بالتزام الخلق القويم والطريق المستقيم . ودعاهم إلى نبذ الآثام واحتسابها . والتزود بزيادة التقوى والاتجاه إلى الله الحي اليوم كقولہ (١٣٦١) :

يا طالب العلم بادر بورى وهاجر النوم وهاجر النسيما
يا أيها الناس أنتم عشب يحصد الموت كل ما طيلما
لا يحصد المرء عند فاقته إلا الذي في حسياته رزعا

ولعمدري كثافة شعر في الزهد . ملك فيه مسلك الوعظ والنصح الدين والدعوة إلى القيم الأخلاقية الرفيعة التي أوصى بها الدي العنيف . وسار على هديها السلف الصالح . وكان مترفعا عن الدنيا . بعيدا عن كل ما يحز ويحزن . وقد صرح بذلك في شعره (١٣٦٢) .

سألقى المنايا . لم أخالط دنيا ولم نشر بي إلى المخزبات قلوب

ومن المتواضعين الزهاد محمود الوراق الذي أكثر من النظم في الزهد . دعا فيه إلى طاعة الله ولزوم أوامره ونواهيه . والتوكل عليه . والثقة به . والرضا بقضائه . والتحمل بالصبر والقناعة . مثل قوله (١٣٦٣) .

من كان ذا مال كثير ولم يتخسع فذاك المور المعسر
وكل من كان قسوعا وإن كان ثقبلا غسوه المسكشر
الفر في بنى النفس وفيها النفس وفي بنى النفس النفس الأكبر

(١٣٦١) التجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢٨٥ .

(١٣٦٢) الشعر . المخطوطة ٢٢ .

(١٣٦٣) الألفاظ ١٢٢ ، ٢٩٠ . وينظر ، محمد بن كنانة الأسمي . حياته وشعره . مجلة أدب

الراشد ، العدد ٦ لسنة ١٩٧٥ . المخطوطة ١٦ .

(١٣٦٤) ديوانه ص ٥٧ .

واشتهر الامام أبو عبدالله محمد بن ادریس الشافعي بشعر الزهد والوعظ . وقد روت له المصادر أقوالاً وأشعاراً تدعو الى التزكية الإسلامية . والتمسك بحبلى الله المتين . والسير في درب الهدى والتقوى والعمل الصالح مثل قوله (١٧١) :

يا مَنْ تَعَزَّزَ بالدُّنيا وَزَيَّنَتْها الدُّمُورُ بِأَمِّي عَلَى المَنِيِّ والبَاني
وَمَنْ يَكُنْ بِعِزَّةِ الدُّنيا وَزَيَّنَتْها فِعْزَةُ عَمِّ قَلِيلٍ زائِلٌ عاني
واعلمْ بأنَّ كُنُوزَ الأرضِ مِنْ ذَهَبٍ فاجْعَلْ كُنُوزَكَ مِنْ بَرٍّ وِإِيمانٍ

ومن النساء المشهورات بالعبادة والصوم والاستغراق في الذات العلوية . رابعة العدوية . وهي لا تقل شهرة عن كبار الزهاد والتصوفة آنذاك أمثال ابراهيم بن آدم . وسفيان الثوري . وشفيق التلخي . ومعروف الكرجي . ويشر بن الحارث الحافى . والحارث النعاسي .. ومن شعر رابعة العدوية الذي يتجلى فيه الحب الإلهي الأبيات الآتية (١٧٢) :

أَحَبُّكَ حَبِيبُ . حَبِّ الهوى وَحَباً لَأُنْسِكَ أَهْلُ لَذائِ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حَبِّ الهوى فَشَمْنِي بِذِكْرِكَ عَمَّنِ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهْ فَكُفِّفْكَ لِلْحَجَبِ حَتَّى إِذَا
عَلَا الْحَمْدُ فِي دَا وَلَا ذَاكَ نَهَى وَلَكِنَّ لَكَ الْحَمْدُ فِي دَا وَذَاكَ

وهناك شعراء تيقنوا من غفلتهم . وثابوا إلى رشدهم . وثابوا . وثابوا إلى الله ونظموا شعراً رهدياً . أمثال لم بن عبد العزيز . ومحمد بن يسير . وصالح بن عبد القدوس . ويوسف بن القاسم . ولقيط بن يكيك الجعاري . وأبي نواس . وسعيد بن وهب . وأبي العتاهية . ولعل هذا الأخير أكثرهم نظاماً في الزهد . حتى لبولس وحده ديواناً كاملاً . وسنحدث بالتفصيل عن حقيقته في ترجمته . ولا بأس من إيراد هذا الشاهد من شعره (١٧٣) :

(١٧١) شعره ص ٩٩ .

(١٧٢) كنز القلوب ٩٨٤ . إحياء العلوم ٩٦٧ . ونظم الشعر الصوفي حتى أقول مدرسة بغداد
وظهر القزالي ص ١٣٨ .
(١٧٣) ديوانه ص ٢١٥ .

إلى الله فارغب لا إلى ذا ولا ذاك فإِنَّكَ عِندَ اللَّهِ . والله مولاك
وإن شئت أن تحيا طليماً من الأذى . فكُنْ لشرار الناس ماضت تزاكاً

وبلاحظ أبا نؤس . ذلك الحادث المأساوي . يندم في أخريات حياته على ما اقترف
من إثم . وينظم شعراً زهداً يرجو فيه غفر الله وغفرانه . مثل قوله وهو
يقصص (١٣١) :

ير - إن عظمست دنوبي كثرة . فليد عنتك بأن عذوك أعتة
أن كل لا يرجوك إلا محسن . فممن ملوذاً وببستحيز المحرم
أعدوك - رب - كد أمرت فاعرفاً . فإذا رددت يدي فعن ذا يرجح
عالي إليك وسيلة إلا الرجا . وحصيل عذوك ته أني من

ونجس الإشارة هنا إلى أن هناك مجموعة من الشعراء عرفوا بعتلاء المجانين .
أشال عليان وبهلول وعاس وسعويون . تميز شعركم بصدق العواطف وحرارة
الشاعر تجاه المحبوب . وهو الله سبحانه وتعالى . يلجئون بكثرة ويأتسون بسناجده .
مثل قول عباس (١٣٢) :

يا حسب الغلوب من نبي زراكا : . أرحم السيوم فذنب قد أراكا
أنت سولي وميسني وشوربي . قد أبى قلبك أن يحب سواي
المني وميندي وأند... شمادي . طاك شوقي متى بكوي القاك
نيس حوني من التجن نعيما . غمير أنهي أريدك لأراكا

المجنون :

حاء في اللغة : أن المجنون هو الذي يرتكب المصاع المردية . والمضطرب المعربة .
ولا يمضه عذل عادله ولا تغريغ من يفرغه (١٣٣) . أن المجنون يعلج ثوب الحياء
ويفعل ما يشاء من الأعمال المكررة التي لا تبيحها الأديان السماوية ولا تقبل بها
الاجتماعات الفاضلة

(١٣٣) ٥١٩هـ والله من ١١٨

(١٣٤) عتلاء المجانين من ١٣٥ . حلية الأولياء ١٠ ، ١٣٥ .

(١٣٥) لسان العرب ١٤ ، ١٤٠ .

لقد اُسِّمَ جانت من المجتمع العباسي بالمجون والاستهتار بالتقيم الخلقية النسيطة . وكان وراء انتشاره الزنادقة . والشعوبيون الحاقدون . والمتحلقون من الذين والعرف والتغالي . وساعد على شيوعه أيضاً كثرة التجواري المتهتكات النلوئي اشتهرن بأفعائهن الرديئة . وأخلاقهن السيئة « ١٨١ » . وكذلك العلماؤ الذين غرغوا بالفساد وانحطاط الأخلاق . وقد عزا الدكتور طه حسين انتشار العبث والمجون إلى العرس وحصارهم ١٨١٠ . ورأى الدكتور محمد مصطفى هدار أن الفرس مدوا تيار المجون بأسباب القوة وأن الحياة التي عاشوها قد أنتجت أنواعاً من الأدب المكشوف . فتناولها أيدي المترجمين العرب فكان لها تأثير خطير في إشاعة الإباحة والمجون في المجتمع الاسلامي (١٨٢) أما الدكتور محمد نبيه حجاب فيعزو الحلاعة والمجون إلى انتشار العائات ومجائس الشراب التي تضم الفجار والمجان من الزنادقة المارقين وأكثرهم من فسقة الموالي الذين خلغوا حشمة الوقار .

ونحن لانكر ما ذكره الباحثون في أمر المجون وانتشاره . ولكننا نرى السبب الأقوى هو الحرية المطلقة التي رآها الناس آنذاك . وخاصة التافهين على مبادئه السماء . والكاهنين لتشرائع التي أرادت أن يكون الانسان سامياً في أخلاقه وطبائعه وتصرفاته . وتؤيد ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف أن الدولة العباسية كانت معقولة عن انتشار موجة المجون ؛ لأنها لم تقف بوجه الفساد ولم تتخذ للمجابين ديواناً لحاسبتهم كما فعلت مع الزنادقة (١٨٣) .

جانحوا الكثيرون بالمجون وارثكباب المحارم . ولا يمكن حصرهم وإحصائهم في هذا المكان . ومن يرجع إلى الرسائل والمصادر واسمها الأغاني يجد أسماءهم وتفصيلاً عن سيرهم . ويقف على أدبهم الذي يعكس صورة صادقة عن حياتهم الداعرة الفاسدة الشاذة . ولعل من أكثرهم شهرة في هذا المجال أبا ذلامه . وأبا نواس . ومطيع بن إياس والحسين بن الضحاك . والحنادين الثلاثة . ومسلم بن الوليد . ويعيسى بن رباب . ووالبة بن الحباب . وأبان الملاحقي . والفنل بن عبدالصمد الرقاشي .

(١٨١) الخوفى ص ١١٧ . وينظر : التجواري والفرس في العصر العباسي الأول ص ١٠٤ .

(١٨٢) حديث الأربعة ٢ ، ٨٢ .

(١٨٣) القضاة الفهر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢٠٥ .

(١٨٤) معالم الفهر وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ٦٩ .

(١٩٠) الفهر العباسي الأول ص ٢٨٢ .

والخاركى الذي أمض جيلًا برمته كما يقول أبو نواس : « ما مجت . ولا خلعت
العار حتى عاشرت الخاركى . هجاهم بذلك ولم يحشم . فاعتنكنا نحن على ما
أنى » . وملكنا ملكه . ونحن ومن يذهب معنا حائل عليه . (٢٠١)

إن الغيبة الماجنة اتخذت في أديها أسلوب التصريح لا التلميح . يقول أحدهم وهو
مطيع بن إياس (٢٠٢)

أخـلـف عـازـك فـى الـهـوى واشـرب مـسـمـنـة الـلـذائـ
وصـل الـقـدسـيـسـيـخ فـجـاهـراً فالـمـسـيـسـى فـى وصـل الـقـدسـيـان
لا يـسـلـسـهـيـنـك غـيـر نـهـوى فـلـن الـسـبـه مـر فـان

وكانت مجالس الخان في غاية الخلعة والتهتك والذليلة . وقد روى حمزة
الأصبهاني شعراً لعشرة من أولئك الماجنين . كان يستضيف كل منهم الآخرين
عنده . ويغريهم بنون أو أكثر من ألوان المجون ليقبلوا ضيافته (٢٠٣) . وكان أترقأشي
من دعائهم البارزين . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني : « وكان مع ثقلمه في الشعر
ماجنًا خليعاً . مثلاًوناً في مروءته ودينه . وقصيدته التي يوصي فيها بالخلعة
والمجون شهيرة . سائرة في الناس . متبدلة في أيدي الخاصة والعامة » . (٢٠٤) .

إن المجانة والخلعة والتهتك وركوب المعاصي حالة طبيعية لأناس تمرّدوا على
دينهم واستحقوا بكل القيم والتقاليد . وباعوا أنفسهم للشيطان كما قال والبة بن
الحياب (٢٠٥)

حـتى إذا ما اتـتـتـتـتـتـتـت وهـزأ إـبـنـيـi
رأيت أعـجـب شـيـء مـسـئاً وـلـحـن حـلـولـ
هـذا بـشـيـئـيـيـيـيـيـيـيـيـيـيـيـi وذاك هـذا بـشـيـئـيـيـيـi

(٢٠١) طبقات الشعراء ص ٩٠٦ .

(٢٠٢) شعراء عباسيون ص ٦٦ .

(٢٠٣) ينظر ديوان أبي نواس بتطبيق ابيداله لاجتر ص ٩٢ . والتجاذبات الشعر العربي في

القرن الثاني الهجري ص ٩٦ .

(٢٠٤) الأغانى ١٩ ، ٩٤٩ .

(٢٠٥) طبقات الشعراء ص ٨٩ .

إن هذا اللون من الأدب في غاية الكثرة . ولكن لا ينبغي لأعضائنا الاشتغال به . لأنه بعيد عن الترية الصحيحة التي نتوخاها لأبنائنا السائرين نحو العلم والمجد . ويكفي ما ذكرناه في الصفحات السابقة للاستدلال على تلك الفئة الضالة التي كانت تعمل على عدم مثلنا وقبيلنا السامية

الشعوبية والزندقة :

عاش الفرس بحدود العرب من الجانب الشرقي ولاسيما العراقي منذ أزمان بعيدة . ولكنهم - حسبما تذكر الكتب التاريخية - كانوا يناصبون العرب العداء . ويشمخون عليهم . ويدعون أنهم أرفع منهم مقاماً . وأعلى مكانة . وأقوى سلطاناً . وأرسل بيلداً . وتهموه بأنها علاقه الأكباد . قساة القلوب . وليس رد النعمان بن الحر ملك الحيرة على كسرى حين أراد النيل من العرب ومكانتهم بخاف على اندارسين (٢٦١) لقد حاول كسرى - غير مرة - أن يَكُلَّ بالعرب . ويستبيح ديارهم . ويثلم عزهم . ويهين كرامتهم . وما قصيدة لقيط بن يعمر الأيادي العينية المشهورة التي حذر فيها قومه من عسر هذا الملك إلا دليل على ذلك (١١٠) . إن العرب لم يقبلوا الإهانة ولم يناموا على صميم وعند غير الأعشى بقصيدة رائعة في يوم ذي قار عن ذلك (١٠٠)

وحينما قامت دولة الراشدين تعادله . وهوت دولة الأكاسرة . جمع الأشرار حطاب حقدهم ولومهم - ولاسيما فريق من الفرس - لينقلوه بوجه السوء . وأثمتهم . منه أبو نؤلة العرسى الذي طعن الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب بسكين أودت بحياته . ورازوه الهارسي الذي اشترك مع ابن سبأ في مقتل الخليفة عثمان بن عفان . والشاعر علي مقتل الخليفة علي ابن أبي طالب وإن ظهر ذلك على يد الخوارج .

(٢٦٢) العهد الفريد ٢١٢

(٢٦٣) ديوان لقيط بن يعمر ص ٢١ - ٢٢

(٢٦٤) ديوان الأعشى ص ٢١٨ - ٢١٩ .

وما كادت تقوم دولة بني أمية في الشام حتى بدأ الغادرون بمحاربتها وعرقلة نشاطها والتأمر عليها وعلى العرب الذين كان لهم الفضل في حمل لغة القرآن إلى أفق بعيدة وهنأية الصالحين وتخليص الشعوب المضطهدة من العبودية والتفهم والاستغلال. وعيذ عدد من الشعراء إلى اتغنى بمجد الفرس القديم. والتعصب على العرب. والتطاول عليهم. والليل منهم. كنساعيل بن يسار وابنه ابراهيم وموسى شهاب (٢٠٩).

وشارك الفرس بني هاشم في إزالة الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية. وعاونوهم في إرساء قواعدهم وثبتت أسسها. ولم يكتفوا بالعمة التي صاروا عليها. بل أخذوا العزور وتطلووا على العرب. وكان بشر بن برد من أبرز رجالهم في عصبيته للفرس وإذكاء نار الشعوبية (٢١٠). والمتصنع لديوانه يلح ذلك ولا سيما في قصيدته التي يقول في أولها: (٢١١).

خفيلي: لا أنتم على نصر ولا أسى على مؤلى وحار
سأخبر داعر الأعرب عني وعنه حين تاذن بالسفحار
أجير كليت بعد الفري خراً ونادمت الكرام على السقار
تسفلخر يابن راعدا ورأى بسى الأحرار حبلك من خار
إن التعريض بالعرب. والتجنى عليهم. والتقليل من شأنهم والاستهزاء بهم لم يكن اعتباطاً وإنما هو جزء من مخطط تأمرى تعاند الشعوبيون وموقف مضاد من العرب في غابره وما ضيه. وكان بشر بن برد اسمه البار. وربيهم "مجنون". وداعيتهم الأول. وجديهم السعري يس شعرائه في العصر العباسي الأول. وكان مصرعه جزءاً بذاته ومحوسبه واستحفاه بأقدار الدلس.

(٢٠٩) الأهالي ٢٠٩: ٢.

(٢١٠) نسبة شهر قياسية إلى الشعوب. وهم فرقة من الناس لا يرون للعرب فضلاً عليهم. بل يبالغون في ذلك فيذهبون إلى تقسيمهم والعط من قعرهم (اليان والتهيج ٢٠٩: ٢ حاشية ٢).

(٢١١) ديوانه ٢٠٩: ٢. وينظر، تاريخ الفهر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٢٢٦.

ومن الشعراء الذين صلبوا جام غضبهم على العرب . وخطبوه بالسنة حداد الشاعر المشهور أبو نواس الذي استطاع بدكائه ولباقته وبديهيته بحصرة ان يتعدى إلى ابتلاء العباسي ويثبت سموم شعوبيته في محاسن الخلفاء والوزراء وسراة القوم الذين اصطفوه وجعلوه بديهم .

لقد تغنى أبو نواس بأعجاد الفرس وحضارتهم . وتباهى بمقام الأكاكسة وقرائمهم . واتخذ من هذا التقني منفذاً لطمس العرب والزراية بهم ومسح صورة أنانيتهم المشرقة المتمثلة في البطولة والشهامة والإباء والسخاء مثل قوله (١٠٣) :

أَرْضُ قَبِيضٍ بِهَا كَسْرَى دَسَاكِرُهُ فَعَا بِهَا مِنْ بَنِي الزَّعْبَاءِ إِنْسَانٌ
وَمَا بِهَا مِنْ هَيْمٍ الْغَرْبِ عَرَفَجَةٌ وَلَا بِهَا مِنْ غَدَاةِ الْعَرَبِ خُطْبَانٌ (١٠٤)

ولم يكن نهكم أبي نواس التمرير بالواقفين على الأطلال - كما قال الدكتور طه حسين - ملجأ شعوبياً فحسب . وإنما هو مذهب سياسي أيضاً . يذم القديم - لا لأنه قديم - بل لأنه قديم . ولأنه عربي . ويمدح الحديث - لا لأنه حديث - بل لأنه حديث . ولأنه فارسي . فهو إذن مذهب تفضيل الفرس على العرب . مذهب الشعوبية المشهور (١٠٥)

وثمة شعراء آخرون دفعوا لواء الشعوبية في المجتمع العباسي وتحشروا لها مثل أبيان اللاهثي وأبي عبد الرحمن الهيثم بن عتيق وعلى بن خليل . وإبراهيم بن معشاذ المعروف بالثوكلّي .

إن الصيحات العدائية للعرب . والتشهير بهم . والطمس بعائرتهم رذلت على أعتابها بأقلام الغيارى من الكتاب والشعراء مثل أبي عثمان الجاحظ الذي استنكر « العصية التي هلك بها عالم بعد عالم . والحمة التي لا تنهي ديباً إلا أهدته . ولا دنياً إلا أهلكتها . وهو ما صارت إليه المعجم من مذهب الشعوبية (١٠٦) . وقد

(١٠٣) ديوانه ص ١٢٢

(١٠٤) المرقية ، واحدة المرفق وهو حجر يثبت في البادية . الخطبان : حبات الحنظل

(١٠٥) حديث الأريفاء ٩٠ ، ٩١ . وينظر : حبات الفرس في البصرة للدكتور أحمد كمال زكي ص ٢١٤ مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ص ٩٩ - ١٠٦ .

(١٠٦) رسائل الجاحظ ٩٠ ، ٩١ . وينظر البيان والثبوت ص ٩٠ ، ٩١

الجاحظ مزاعم الشعوية في كتابه البيان والتبيين ومنتبههم في البخلاء والحيوان والمحاسن والأضداد كما تعقبهم في غير ذلك من الكتب الكبيرة التي ضاعت ولم يبق منها سوى أسماؤها نطق سقمون. مثل كتاب الضحى والهجنة. والعرب والموالي. والعرب والمعم. وثمة علماء كثيرون وشعراء من غير العرب كانوا يفضلون العرب على الجميع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم منهم. أي من العرب. مثل الماخرزي (١ - ١٣٧ هـ / ١١٩١ م).

وكان لمريق من الفرس - إلى جانب الشعر الذي فرضوه في الفخر بأصولهم والإرارة بالشعر - دور بارز في تشويه موروثنا الحضاري والفكري والبحث بهما وقضاءهما. ونسج الروايات ولتحتها أمثال حماد الراوية. وجناد بن واصل الكوفي. وخلف الأحمر (١٠٣٠). وذهب فريق ثانٍ إلى أبعد من ذلك. فألف الكتب في معائب العرب ومنتبههم أمثال يونس بن أبي فروة. وعلاء بن الحسن الشعبي ثوراني. وأبي عبيد خنجر بن المتنى. والهيثم بن عدي (١١٨١). واندفع فريق ثالث لتخليق الأحاديث في فضل الفرس ودورهم في الإسلام. ناسبين إياها إلى الصحابة والتابعين. ذكر الطبري أن عبد الكريم بن أبي العوجاه لما أيقن أنه مقتول قال: أما والله لئن قُتيتُ مني. لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام. والله لقد فطرتكم في يوم صومكم. وضومتمكم في يوم فطرتكم (١١٨١). إن الشعوبيين والحاقدين أخذوا لهم مواقع خطيرة في مختلف جبل المعرفة. وكان طريق دراسة الحديث الذي ولجوه مجالاً للنس على الرسول الكريم يمثلهم أحمد بن منبر الذي يقول عنه الخطيب البغدادي إنه: كان رأساً في الشعوية. استافأ بحكامها (١٢٠١).

إن هذه الأفعال الخربة كل الفساد منها. تفسخ الدولة العربية الإسلامية. وتصدع كيانها. وتدمر كل أخلاقها ومثلها وقيمها. ونسف الإسلام. وهو عمادها وقوامها. ويسفد تحطت قواعدها ودعائمتها. وتهدم قلاعها وحصونها. وينهاهم أن يحيوا برائتهم الذاتية والدينية. ويعيدوا مجددهم السياسي على أنقاضها (١٢١١).

(١٢١٦) ينظر الصراع الأدبي بين العرب والعجم ص ١١٩ - ١٢٢.

(١٢١٧) ينظر أخبارهم في: الصيوان ١: ٩٨٧ - ٩٨٨. مجمع الأدباء ١٩: ٢٩٦. ٢: ١٢٩.

(١٢١٨) ينظر: الصيوان ١: ٩٨٨. أمالي المرقش ١: ١٢٢. مروج الذهب ٢: ٢٩. الفهرست ص ١٥٥. ١٥٦.

(١٢١٩) تاريخ الطبري ٢: ٩٨٩.

(١٢٢٠) تاريخ بغداد ٢: ٢٨٠.

(١٢٢١) الفراء من مخرجات الدولتين الأموية والعباسية ص ٢٩.

وكانت الزندقة تعمل إلى جانب الشعبية على عدم المجتمع وتشويه قيمه ومثله . وقد اتهم الكثيرون بشروبيجها . منهم من سلم من العقاب والقتل أمثال مطيع بن ابيس ، ووالبة بن الحباب ، ويحيى بن زياد الحارثي ... ومنهم من قتل أمثال ابن المقفع ، وبشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، وحماد عجرد وقد أورد الشريف المرتضى في فصل خاص شيئاً كثيراً عن أخبارهم وأشعارهم (١٣٣) فانزندقه موقف مضاد من العرب في حاضرم بعد حملهم رسالة الاسلام ورفعهم راية الجهاد في سبيله

الخصريات

من أدبي ليس يجديد على الشعر العربي في العصر العباسي وإنما هو قديم ابتدأه شعراء ما قبل الإسلام . ويعتد الأعشى أبرزهم وأكثرهم إلمانة في وصف الخمرة (١٣٤) ولما جاء الإسلام أمر بتحريمها وحذف شاربها ، لذلك قلّت معارفها إلا من نغز قليل جداً مثل أبي محجن التنفسي الذي لم يسلم من الحدث عدة مرات (١٣٥) وفي عصر بني أمية فرغ كلوسها عدد من الشعراء أمثال النابغة الشيباني (١٣٦) والقطامي (١٣٧) . والأعطل (١٣٨) . والونيد بن يزيد (١٣٩) .

ولما أقبل العصر العباسي بترفه ولهوه ومجونيه وانتاجه على اقوام كثيرة ولاسيما العرس والروم . شاعت الخمرة . وتوسعت مجالسها . وكثرت حاناتها وأنديتها . وزاد الأقبال عليها . وتوفر الشعراء على وصفها بصورة لم تحدث من قبل . ويبسوا الحرية والتساهل كأننا وراء هذا الإقبال ولم يكن الخلفاء بمعزل عنها . فإن أكثرهم شربها . ويغال ابن المنصور تناول النبيذ مرة واحدة بعد أن زيتها له أحد

(١٣٣) أمالي المرتضى ١ : ١٢٧ - ١٢٤ .

(١٣٤) ينظر : تطور الخصريات في الشعر العربي ص ٣٤ . وأمايب الصناعة في شعر النضر والناقة ص ٤٤ .

(١٣٥) الأطلاني ١ : ٢٩ .

(١٣٦) ديوانه ص ٨٢ .

(١٣٧) ديوانه ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

(١٣٨) الأعطل الكبير . حياته وخصيسته وقبته النية ص ١١٤ - ١٢٠ .

(١٣٩) الأطلاني ١ : ١٩٠ .

الأطباء . فشربه في اليوم الأول فاستطابه . فعلا له في اليوم الثاني . وزاد عنه فحدره . ثم عاوده في اليوم الثالث فأبطأ عن صلاة الظهر والعصر والعشاء . فلما كان من غد دعا بما عنده من الشراب فهارقه . ثم قال . ما ينبغي لثلي أن يشرب شيئاً يشغلني . (١٣١)

إن أول شاعر خضع شعره لوصف الخمرة هو أبو الهندي غالب بن عبد القدوس . قال عنه أبو العرج الأصمعي : « وقد أدرك النولتين . دولة بني أمية . ودولة وند العباس . وكان جزل الشعر . حسن الألفاظ . نظيف المعاني ... واستقر شعره بصفة الحمر . وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام . فجعل وصفها وكذبة وقصده (١٣١) . وكان يحب الخمرة . ويحكي لمراقها . ويحكي إليها حين القطيع إلى الرصاع . فما هو نا يقول بعد أن أبطأ عن شربها مدة (١٣٢)

أديرا علي الكائن أنني فقدتها
حليف مدام فارق الراح روحة
كما فقد الغطوم در المراضع
فظل عليها فنته الدامع
وإذا قال أبو الهندي (١٣٣) :

اجعلوا . إن بيت يوماً كفتي
وانفوني وادقنوا الراح معي
ورق الكرك وقرمي مقصرة
واجعلوا لأقداح حول المقبرة
فقد سبقه إليه أبو محجن الثقفي (١٣٤) .

إنا بيت فادعني إلى أصل كزمية
ولا تذفني في الغلاة فأنسي
تروي عظامي بعد موتي عروفتها
أخاف إذا مايت أن لا أدوفها (١٣٥)

(١٣١) الوزراء والكتاب للجهمياري ص ٤١ .

(١٣٢) الأغانى ٦٠ ، ٣٢٩ .

(١٣٣) ديوانه ص ٥٥ . الأغانى ٩٠ ، ٣٣٢ .

(١٣٤) ديوانه ص ٣٣ .

(١٣٥) الأغانى ١٩ ، ٧ .

(١٣٦) أدولها مرفوعة باعتبار (أن) مغلطة من القافية ، واسمها حيدر الشان أو حيدر بكلم
مجدوف . رجعت أدولها غير . تنظر : خزنة الأدب ٢ ، ص ٥٥ ط يولاق .

وقد استقى أبو نواس كثيراً من المعاني في وصف الخمرة من أبي الهندي . حدث فضل اليزيدي . . انه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول . وأنته شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر . فاستحسنه وقرظه . فدكر عنده أبو نواس . فقال . ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة . وأنا أوجدكم خلقة هذه المعاني كلها من خمره . فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهندي : ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره (١٣٩١) .

ومن شعر الخمرة المشهورين قبل أبي نواس . على بن الحليل (١٣٨١) . ولغزته العمى (١٣٨٢) . وابن ميادة (١٣٨٤) . وأبي هريرة (١٣٩١) . ومهما قيل عن هؤلاء . فإن شعر الخمرة تطور تطوراً كبيراً على يد أبي نواس . حتى عُذ رعيم شعراء الخمرة (١٣٩١) . وبقي شعره على مر العصور في صدر الدراسات التي تحدثت عن العجريات . فإذ من سريق أخاذ . وأريحية غلابة معانيه من قوة القطع إلى جانب بساطة الأسلوب وحلاوة اللفظ ورشاقة الوزن (١٣٩١) .

لقد عشق أبو نواس الخمرة عشقاً عبداً قوياً . ووصل شعوره نحوها إلى درجة التقدير . وقد أشار إلى هذه الحقيقة المذكور حله حين حين توقف أدا . مقطوعته (١٣٩١) :

أَتَنَ عَلَى الْخَمْرِ بِالْإِلَهِي	وَسَفَّهَا أَحَدٌ مِنْ أَسْمَاءِ
لَا تَجْمَلُ الْمَاءَ لَهَا قَاهراً	وَلَا تَسْلُكُهَا عَلَى مَائِهَا
كَرْخِيَّةٌ قَدْ غَشَقَتْ حَقَبَهُ	حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَعْرَافِهَا
فَلَمْ يَكَدْ يَدْرِكُ خَمْرُهَا	مَنْ مَوَى آخِرَ حَوَائِشِهَا
جَارَتْ فَأَحْبَبْتُ غَيْرَ مَنْمُومَةٍ	نَفَوسِ حَرَاها وَأَنْفُسِهَا
وَالْخَمْرُ قَدْ يَشْرِبُهَا مَعَشَرٌ	نَبِيْرٌ إِذَا عُدُوا — كَكَذِبِ

(٢٢٤) الأطلال ٩٠ . ٢٢٤ .

(٢٢٦) الأطلال ١٤ . ١٢٤ .

(٢٢٧) الأطلال ١٤ . ٢٤٧ .

(٢٢٨) العيون ٣ . ٢٢٧ . البيان والخبير ٣ . ٢٤٥ . ٢٤٠ .

(٢٢٩) ديوانه ص ٢٢٤ .

(٢٣٠) ينظر : أبو نواس زعيم شعراء الخمرة ص ٢٢ - ٨٥ .

(٢٤١) ينظر : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ص ٤٢٧ . الشعر وطوائفه

الشعرية ص ٨٥ .

(٢٤٢) حديث الأرواح ٨٧ . ٩٠ . وينظر ديوان أبي نواس . . .

إن شعر الخمرة في العصر العباسي يشكّل ديواناً كبيراً يتناول وصفها وما يتصل بها من ندامي ومقاة وكؤوس ومجون ... وفي هذا الشعر جانب جديد يمكن أن يطلق عليه - كما يقول الدكتور هذارة (١٩٨٢) - اسم أدب الديارات . ويقصد به الشعر الذي كان يتردّد حول مجالس الشراب في الأديرة التي كانت منتشرة في العراق والشام ومصر . وقد تحوّل جماعة من الشعراء بالذهاب إلى هذه الأديرة أمثال أبي نواس ، والحيث بن الضحاك ، وعمر بن لؤلؤ ، ومطيع بن إيلس ، وأبي الشبل البرجمي ، ومحمد بن عبدالرحمن الكوفي المعروف بالشواني ، ويكر بن خازجة الكوفي ، ومحمد بن أبي أمية ، وأسحاق الموصلي . وخالد الكاتب الذي يقول في دير (سمالو) الذي يقع بباب الشامية شرقي بغداد (١٩٨١) :

يا منزل الفطيف في سمالو ما لي عن طيبك استعقل
واهاً لأيامك الخوالي والمسيح صلب بها زلال
تلك حياة النفوس غفلاً وكل ما دونهما فحال

وهكذا أصبحت الأديرة « مقصداً وهدفاً لطلاب الفطنة والشفقة . وأصحاب اللهو والمجون . وإذا بالشعراء والأدباء وغيرهم من مغرمي موائد الشراب ومجالسه . يقطعون المسافات للوصول إلى هذا الدير . أو ذاك . لما ظهر به من فيض حسن وخمرة جيدة . وطيب معشر سكانه . والقيمين عليه . وإذا بهذه الديارات تدخل الأدب العربي عن طريق الشعر خاصة بأبيات ومقاطع وحتى بقصائد كاملة . تمجدها ويذكر الشعراء فيها أيامهم الجميلة . وليلاتهم السعيدة المخلوة التي قضوها فيها . ثم يتنون العودة إليها . أو يتواعدون على اللقاء في الدير القلبي . وقد نشأ علاقة صداقة ومودة خالصة بين المجران وطلاب الفطنة وبين المسؤولين عن هذه الديارات (١٩٨٢) .

إن رواد الديارات كانوا « يتسامون فيما يظهرون هنالك من زيف . ويباهون بما يملكونه لتصفهم (١٩٨٦) . وقد عدّ الدكتور يوسف خليف شعر الديارات لوحة من لوحات مدرسة الأدب المكتشف . صوّر فيها الشعراء الجانبي اللاهي من

(١٩٨٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٩٩٧ .

(١٩٨٤) دوران خالد الكاتب ص ٥٦٢ . وانظر : الديارات للشافعي ص ٦٩ .

(١٩٨٥) الأندية الأدبية في العصر العباسي ص ١٧٨ .

(١٩٨٦) الديارات ص ٤٩ .

حياتهم . فوضعوا مجالس الشراب . وتغزلوا بالفتيان والفتيات الذين كانوا يقومون على أمر الإدارة . ويقدمون الخمر لروادها^(١٧٢) . وقد صدق ما قاله جحظة في دير الزند ورد القريب من بغداد^(١٧٣) :

سقياً وربياً لدير الزند ورد وما يحوي ويجمع من راح وريحان
دير تدور به الأقداح مترعة من كف ساق مريض الطرف وسنان
والسمود يستبعمه نائي يوافقه والخنو يحكمه غصن من البان

الشعر الفكاهي :

الفكاهة : المزاح . والفكاهة : الذي يحدث أصحابه ويضعهم . وقد وجدت الفكاهة مجالاً رحباً في أوساط المجتمع العربي . وعندما أخذ هذا المجتمع بأبواب التحضر والتطور . وأصبحت تطلب كثيراً في المجالس والمجالس . ولا سيما من الخلفاء والوزراء وسراة القوم . إذ جعلوها وسيلة للترفيه والإضحاك والتسلية . أو لترويض الفكر . كما قال الرشيد . النوار تشعز الأذهان . وتفتق الأدان^(١٧٤) . وكان طبعاً في وسط الحياة الانسانية حيناً والصاخبة أحياناً أن تنزع القوم المكدود إلى أساليب الفكاهة التي تسري لهم . وتشرح الصدر . وتفتح مغاليق القلوب . وهل وراء ذلك بنية لنفس ؟ لا عرو أن كانت روح المجالس وريثة المحافل . ولا حرم أن كان الخلفاء يقبلون عليها ويعقدون لها مجالس السحر^(١٧٥) .

والفكاهة عادة تتطلب الذكاء والنباهة واللباقة وسرعة التديده . وكان بعض الشعراء قادرين على إتيانها في المكان اللام والزمان المناسب . وقد رأينا أبيات أبي ذلامة حينما خرج لتصيد مع الحليفة المهدي الذي أصاب طياً فصاده وعلى بن سليمان أصاب كلما فقتله .

(١٧٢) حياة العصر في القولة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ص ٢٩٠ .

(١٧٣) جحظة البرصكي الأديب القاهر ص ٥٢٠ .

(١٧٤) لمرات الأوزال ص ١٨٧ .

(١٧٥) ينظر : معالي الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ٩٩ .

وكان الخلاء موضع التثنية في المجازس. وقد عند الجاحظ فصلاً في كتابه
 البلاء، لمؤادهم. وفي دولوين الشعراء شيء كثير منهم. والاسماء في ديوان أبي
 نواس. وله أكثر من مقصورة في التهنئة بهم. مثل قوله في رجل يدعى سعيداً: ١٣٣١

يعرف سعيداً عدة عدل نفسه يثلبه طوراً وطوراً بلا عينة
 ويخرجه من كعبه فيشتمه ويجلسه في حجره ويخاطبه
 وإن حده المكين يطلت فضله فقد تكلت له أمة وأقاربه
 يكره عليه الشوط من كل جانب وتكسر رجلاه وينسف شاربته
 وقوله في آخر يدعى الفضل (١٣٣٢)

رايت الفضل مكنثاً راعى الحبير والشعكا
 فقطب حين أنصربي وكسب من رأسه ويسكي
 فلما أن حلفت له بأبي صالح ضحكا

وتنذر الشعراء كثيراً بأولئك الذين لم يحسنوا تنظيم إحصاء وتنظيمها. من مثل
 قول مروان بن أبي حفصة في لجة شيخ يسقى رباحاً: ١٣٣٣
 لقد كنت محالاً فساداً وخيفها بلحيتة رباح

مبعثرة الأسافل والأعالي لها في كل زاوية جراح
 ولاين الرومي باع طويل في هذا اللون من الشعر فله فيه صررٌ مصحكة. مثل
 قوله: ١٣٣٤

ولحسية يحملها مائق تنلي الشرايين إذا أشعرا
 تستفوده الريسخ بها صافراً قوداً غليفاً يستعصم الأخدعا
 فار عنا والريسخ في وجهه لم ينبعث في مثبه إضغما
 لو غاص في البحر بها غوصة صاد بها حينه أجمعا

(٢٥١) ينظر، كتاب البلاء ص ٤٧ - ٤٨.

(٢٥٢) ديوانه ص ٤٦٤.

(٢٥٣) ديوانه ص ٤٦٤.

(٢٥٤) شعره ص ٢٨.

(٢٥٥) ديوانه ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

فلحية هذا الرجل الأحق بجانبها المستعرضين كشرعين . ولكلها لا يساعدها مع الريح على التنقل كما يساعد الشراعان السفينة بل هما يتقلان حين تقابله الريح . فلا يستطيع التحرك بل إن هذه اللحية العريضة أثبت ما تكون - في عين ابن الرومي - بشبكة كبيرة . وأولى بصاحبها أن لا يعترض بها الناس في الطريق بل يسقط بها في البحر ليصيد حيتانه التي يمز على الشباك صيدها(١٠٠٠)

والوادر أحياناً تكون لاذعة وساخرة . ومثال على ذلك ما حدث به أحمد من خالد . قال(١٠٠١) - كنا يوماً بفار صالح بن علي من عبد القيس ينفذ . ومعا جماعة من أصحابنا . سقط علي كنيئة (١٠٠١) في سطحه ديك طار من دار دجيل . فلما رآياه قلنا هذا صيدنا . فأخذناه . فقال صالح ما تصنع به ؟ قلنا ، نذبخه . فذبحناه . وشويناه . وخرج دجيل مدل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح . فطلبه منا . فجددناه . وشربنا يوماً . فلما كان من الغد خرج دجيل فصلى الغداة . ثم جلس على المسجد . وكان ذلك المسجد مجمع الناس . يحتج فيه جماعة من العلماء . ويتباهى الناس فجلس دجيل على المسجد وقال :

أمر المؤمن صالح وصوفى أمر الكمي هـا خلال الماط (١٠٠٢)
معشوا عليه بنهم وبنهم مابيز بانغة وأخر ماط
يتنارعون كأنهم قد أوتقوا حافان أو مزموا كتاب نابط(١٠٠٣)
نمشوه فانزععت له أسنانهم ونهضت أفضالهم بالحائط

وقال فكشها الناس به ومضوا فقال لي أبي وقد رجعت إلى البيت ويحكم ضاقت عليكم الأكل . فلم نجوا شيئاً نأكلونه سوى ديك دجيل " ثم أخذنا الشعر . وقال لي لا تدع ديكاً ولا دجاجة تغمر عليه إلا امرئته . وبعت به لي دجاجة ولا رقصة في لابه . فعملت ذلك

(١٠٠١) أشهر وطوايه القمبية ص ١٠٩ .

(١٠٠٢) الألفاني ٩٠ ، ١٠٨ . ويظهر ديوان دجيل ص ٩٩ .

(١٠٠٣) كنيئة ، كصغير الكنة . وهي الماط . أو السيفنة تفرع فوق باب الدار .

(١٠٠٤) المولود ، أواد به الدهك هـا . ماط . الماط . الضيق في الحرب .

(١٠٠٥) حافان ، اسم لكل خفنة التره أي مكنوه عليهم . نابط ، الهيلة من همدان

وبسلك التعايب أحياناً عند بعض الشعراء طريق الاسماء . وهو أمر خطير يؤدي إلى ربح الفتنة . وتفكك الروابط وزوال المحبة . وهنا ماتجده عند عبد الصمد بن المعذر في كثير من شعره . مثل قوله في أعور عشق عوراء (١٣١)

هي عوراء بالميمسين وهذا أعور بالسبب — ر — وأفق شمسنا
بين تحديقهم ضيرير إذا ما قصعت عن شامته ٢٠٢ غشنى

وقوله في أبيان اللاحقى (١٣٢)

صعدت أنك إذا — شك بالميمهد أنا
قد علمنا ما أريد — نزلت إلا أنا
صيرت بام مكان الت — حياء والله عيانا
قطع الله وشيكاً — من منك انك

إن هذا الشعر وأمثاله لا يرقى إلى المستوى الذي شاعدهنا في الأغراض الأخرى . إذ يغلو من الجمال . وتبدو عليه السطحية والضعف . لأنه في الغالب منظوم على عجل أو ارتجالاً .

الشعر التعليمي ،

فن أدبي جديد . اقتحم الشعراء بابَه في العصر العباسي . سهلاً لحفظ العلوم واستظهار المعارف ولاسيما بعد الإقبال على التعلم والرغبة الشديد في طلب المعرفة . وهو في الغالب يقتصر إلى المعاطعة والخيال ويخاطب العقل ويشير بطول النفس الشعرى واعتماده الرجز وتنوع القافية .

ويُعدُّ أبا ن بن عبد الحميد اللاحقى فارس الشعراء في هذا اللون من النظم . فانه مزدوجة في خمسة آلاف بيت تقريباً كما يقول ابن المعتز (٣٣١) . استمرع فيها كتاب كليله ودمنة . وقد نقل الصولي منها بضعة وسبعين بيتاً جاء فيها (٣٣٢) .

(٣٣١) شعره ص ١٨٩ .

(٣٣٢) الأغانى ١٩ ، ٢٢٧ .

(٣٣٣) طبقات الشعراء ص ٢٤١ .

(٣٣٤) أخبار الشعراء المجتهدين ص ٤٩ . وينظر الأغانى ٣٣ ، ١٥٤ .

وربما كان هلاك الشجر في حسي الحصن وطيب الثمر
 ودنت الطودوس فهو زينة كذلك أسبلا وفيه حينه
 وبذل الصبح لمن له يشكره كطير في شبح ما يفرده
 لآخر للعقل في ذي المظفر إن هو له بحمة عد البحر
 وليس في الصديق ذي الصفاء خير إذا لم يك ذا وهاء
 وله أيضا مزدوحة طويلة شرح فيها أحكام الصوم والزكاة . أولها : ٢٨١

هذا كتاب الصوم وهو جامع لكثير ما قامت به الشرائع
 بمن ذلك السمنزل في السقران فصلا على من كان ذا بيان
 ومنه ما جاء عن النبي من عهده الممشيغ المرضي
 صلى الاله وعليه سلما كسما هدى الله به وعلمنا
 وبك ابنه حمدان بن اهان هذا المسلك . ونظم مزدوجة في وصف الحب وأهله .
 منها : ٢٨٢

يا أيها التار فموا	وميتي وأمتعوا
فمي صلاتي عجب	وفي كتابي أدب
فحصيدتي مقومة	أناظها معلمة
فيها هوى العشاق	وميتي المعتاق

وفي علم الحيوان نظم يشتر بن القنبر قصيدتين مبهما عرائب وفرائد كما قال
 الجاحظ . وفي تاريخ الطب نظم لحاق من حنين قصيدة : ١٢٨١ . وفي علم
 الفلك نظم محمد بن ابراهيم القراري مزدوجة طويلة تقع مع تفسيرها في عشرة
 مجلدات . كما يقول باتوت الحموي . أولها : ١٢٨٢

الحمد لله الغلي الأعظم ذي الفضل والمجد الكبير الأكرم
 الواحد الفرد الجواد النعم
 الخالق الشبع الغلي طباقا وأشمس بجلو ضوءها الانعقادا
 والبنز يملأ نورة الآفاقا

(٢٦٤) أظهار القمر المصنوع من ٥١ .

(٢٦٥) أظهار القمر المصنوع من ٥٨ .

(٢٦٦) المصنوع من ٦٠ ٢٨٨ .

(٢٦٧) قمر التبرانية بعد الإسلام من ٢٩٩ .

وشارك الشعراء في تدوين التاريخ شعراً. ولعل أحدا لم يسبق علي بن الحنفية
فهو الذي فتح هذا الباب ونظم مردوخة في أكثر من ثلاثمائة بيت. تناول فيها بدء
الحليفة وتاريخ الانبياء كما حكى تاريخ الاسلام منذ بعثة الرسول محمد صلى
الله عليه وسلم حتى خلافة المهديين منها قوله (١٠٠)

ثم أزال القلعة الحُصينة وعادوت جذتها الاشبية
ودانت الشُموخ والأحبية وجاء ما ليس به خفة
لناهم المنتجب الأوفاء محمد صلى الله عليه

وبعد علي بن الحنفية جاء ابن المعتز في نظم تاريخ الخلفاء إذ نجد له مزدوجة
طويلة في سيرة الحليفة المعتمد وأحداث عصره تقع في أربع مئة وتسعة عشر بيتاً
أولها (١٠٠)

يا رب الإله الملك الرحمن دي السر والفسرة والظلم
الذي... بعد الله على الإله أعمدة والحمد من نعمائه
أبدع خلقاً لم يكن فكراً وأظهر الخجة والبيان
ورسل الرسل بحق ماطر فخر كل رطل وقامع

ويتمنى الدكتور طه حبيب على هذه المزدوجة. ومزدوجة أخرى لابن المعتز
أتمت نحو مائة وعشرين بيتاً في ذم الصبوح وحمد الصبوح (١٠٠). يقول: ...
أدفع وإن أعلو حين أوصى بقرامة هاتين المقيدتين. لا لأن واحدة منهما تدم
الصبوح وتحمي الصبوح ولا لأن الأخرى تتناول حوادث تاريخية قد نجدتها في
سهولة في الكتب التاريخية بل لأن في قراءة هذا النوع ما قد يبعث شعراً على
معاينة هذا الشعر وأؤكد أنه أن هذه المعازكة تعود شيء كثير على الشعر في هذا
العصر فأحمد ما فيه أنه برز كل البراءة من التكلف. أنه يبحث عن لهج
عريس. ولم يتكلف معنى غريباً إنما هو يأخذ الأشياء التي حوله. ويعبر عنها

(١٠٠) (مجمع الأدباء ٦، ٢٦٨)

(١٠١) (ديوانه ص ٢٦٢)

(١٠٢) (ديوانه ١، ٢١٩)

(١٠٣) (الطبري، الغرب آخر المنابر مقابل الصبوح، تتنظر المزدوجة في ديوان ابن المعتز ٢٠٠
٢٠٨ وأخبار أولاد الخلفاء ٢٠٨)

بالألفاظ التي تدور على ألسنة الناس جميعاً^(١٠٣). أما الدكتور عز الدين اسماعيل فيقول ، وقد كان من المميزين يتطور هذا اللون مراراً في الشعر العربي أو نوع من الشعر الحملي ، فيه نفس غير يسير منه ، ولكن ما يؤسف له أنه تطور في اتجاه آخر لا ينتمي في كثير أو قليل الى الفن الأدبي . وذلك عندما راح المشتغلون بفروع العلم المختلفة ينظمون المادة العلمية في أراجيز مزجوجة من هذا الطراز . تكون بمثابة منون يحفظها الآخرون في تحصيل هذه العلوم .^(١٠٤) لقد كان التعلم آنذاك يعتمد كثيراً على الحفظ والشرح . حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . والصون اللغوية . والنصائح الشعرية الحيدة . وكل المعارف المتصلة بعلوم اللغة العربية وأدائها .. ولذلك كثر هذا اللون من النظم بأسلوب سهل مبسور . ولم يتجاوز الغاية التعليمية . ولم يتطور في اتجاه آخر . وتناول الشعر التعليمي الوعظ والارشاد والتعذيب . وكذلك الحكم والأمثال كما نلاحظ في أرجوزة أبي الصمغانة المعروفة بـ (ذات الأمثال) التي نيفت على أربعة آلاف مثل كما يقول أبو الفرج الأصبهاني^(١٠٥) منها قوله .

لكل ما يؤذي وإن قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم
علا انتفع المرء بمثل قطعه وخسير دُخْر المِرِّ عَنزٍ فَمُنَّمِه
إن الفساد ضلَّة الصلَاح ورُبَّ جِدَّةٍ جَرَّةُ السَّيِّئِ مَزَاخٍ
إن السُّبَابَ والسِّفَاخَ والسَّجَنَ مفسدة للممرء أي مفسدة

وظل الشعر التعليمي قائماً . وزاد الاقبال على نظمته بمرور الأيام . حتى أصبحنا نرى في العصور اللاحقة كثيراً من المنظومات في الفقه والطب والمنطق والحساب والتاريخ والنحو والصرف والبلاغة والخط ..

(١٠٣) من حديث الشعر والنثر ص ١٩٩ .

(١٠٤) في الأدب النحوي ، الرؤية والفن ص ٤٠٦ .

(١٠٥) (١٠٣٥) ص ٣٦ . وقد وصل إلينا من هذه الأرجوزة ثلاث مئة وعشرون بيتاً (ينظر أبو

الصمغانة أقصاده وأخباره ص ٤٤٤ - ٤٦٥) .

التجديد في المعاني والأفكار

انسمت الثقافة في العصر العباسي، وكثرت سماتها، وتمتدّت ألوانها، وقد ظهر أثر ذلك جلياً في الحياة الفكرية، والشعر جانب من هذه الحياة، إذ نراه يزدهر بالمعاني والأفكار، والصور والأخيلة، ومن يراجع دواوين الشعراء والمجاميع الأدبية يجد تلك الحقيقة واضحة للعيان.

بعد غاص الشعراء في بحر الأفكار، وتمسّقوا في أغواره، واستنبطوا آلهي جديدة، ودرأ شينة تعجب الماظر وتبهر السامع، لما فيها من دقة وروعة وبهاء...

إن الصور الشعرية التي نفّس فيها البعثة والطرافة كثيرة في ريباض الأدب العباسي، فمن أراهبر تلك الریاض الأبيات الآتية لبشار بن برد التي أعجبت بها أبو عمرو بن العلاء، وعذّ بشاراً من أفضل الشعراء لتجديده وإبداعه فيها، قال (٣٣١)

لم يطل ليلى ولكن لم أنه ونفى عني الكرى طيفاً ألم
وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونغة
نفسى بأعبد عني واعلمي أنسي بأعبد من لحم وذم
إن في بردي جـــــحاً ناعلاً لو توكأت عليه لانسهم
ختم الحب لها في عنقي موضع الغاتم من أهلي الذم

ولعلّ أبا عمرو بن العلاء استساغ البيت الأخير، لأنه حقاً صورة فريدة وتشبيه تادر إضافة إلى أن لغة الأبيات سهلة وأسلوبها مأنوس يتعاطف مع القلب.

ومن الشعر الجميل المتاهي في الرقة والسلاسة قولٌ لبطل الخزاعي (٣٣١)
أين الشباب، وأية ضلکا لا أين يطلب؟ ضل، بل هلكا
لا تعجبي بأنكم من زجل ضحك الشيب برأيه فبكى
بأنكم ما بالشيب منقضة لا ثقة ببقى ولا فلكا
بالبس شمرى كيف نومتكما يا صاحبي إذا دمي شفا
لاتأخنا بظلام سنسسي أوجاً قلبي وطرفي في دمي اشركا

(٣٣١) الأطلال ٢، ١٤٠، ١٤١.

(٣٣٢) ديوانه ص ١٣٧.

والبيت الثاني هو الذي أوصل دعبلاً بالرشيد . فقد غنى ابن جامع المتطورة التي تضم هذا البيت بين يدي الرشيد . فطرب . وسأل عن قاتل الشعر . فقيل له : دعبل بن علي . وهو غلام نشأ من خِزاعة . فأمر بأحضار عشرة آلاف درهم وخلعة من تيبابه . فأحضر ذلك . فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاضته . وقال له : اذهب بهذا إلى خِزاعة فاسأل عن دعبل بن علي . فإذا دلت عليه فاعطه هذا . وقل له : ليحضر إن شاء . وإن لم يحب ذلك فدعه . وأمر للمعبي بجائزة . فصار الغلام إلى دعبل . وأعطاه الجائزة . وأشار عليه بالسير إليه . فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس . واستنشد الشعر فأنشده إياه . واستحسنه وأمره بخلاصته وأجرى عليه رزقاً سنياً (٢٨٠)

وبرر مسلم بن الوليد في ابتغاء المعاني . وكثيراً ما ذكره المؤمنون في محامده وفضله على غيره من الشعراء . ومن شعره الذي أعجب به النقاد والقراء البيت الثاني (٢٨١) .

تعود بالنفس إذ صي الحواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
وكذلك اشهر أبو تالم بفتي أكمام الفكرة ونريتها باللفظ جميل والجرس .

لرقيق . مثل قوله في فصل الحامد على المحمود (٢٨٢) .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طوبى لأخ لها لسان حمود
لولا انتدلى النار فيما جاورت ما كان يعرف طيف عرف لغود

وسلم ابن الرومي مرتبة عالية في التجويد باللفظ والعبرة . والتمعن في المعاني . وابتداء قصود الجديدة . مثل قوله في الغزل (٢٨٣) .

نظرت فأقصدت الغؤاد بهما ته اثنت نحوي فكذبت أهبي
وبلاة بن نظرت وإن هي أعرضت وقع التهم ونزعهن ألبه

ومما يستحسن في هذا لجمال بستان أحمد الله بن محمد بن -الم المعروف بابن الخياط . قال أبو الفرج الأنصاري (٢٨٤) دخل على أبيه فمدحه . فأمر له بحسين ألف درهم . فقال يمدحه

(٢٨٢) [الأطالبي ٩٠ : ١٧٩ .

(٢٨٣) [ديوانه ص ١٧٤ .

(٢٨٤) [ديوانه ١ : ٩٩٧ .

(٢٨٥) [ديوانه ١ : ٩٩٧ .

(٢٨٦) [الأطالبي ٩٠ : ١٧٩ .

أخضت بكفي كفه ،سعي الغنى ولم أدر أن الحدود من كفه يمدني
فلا أنسه من أود دورو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ماعدني

فلج المهدي خيره فأنصف جائزته . وأمر بحملها إليه في منزلة .

إن خيال الشاعر في العصر العباسي خلق في أفق بعيدة . بعدد شاهد ما صنعت
يد انحصاره . وما أوجدته الحياة الجديدة من ألوان الترف والتعيم لم تكن معروضة
إبقا التي حلت الطبيعة الجميلة المكتبة بالألوان الزاهية . كما يرى مثلا في قول
أبي تمامه :
أما سعيد الشعرى ويذكر بعض حملاته على الأعداء : (١٢٣)

ذميرت زرعها بحبك في الوعى وأقمت فيها وأدعا فتمهلأ
وأتى الزمان حواملا ومطاولأ أيمنست مسند غوة أطرافها
تسنى مداد السعداء وتغنى هججى مع ذيقة عذابتك رقايبها
وتفترق صورة الحرة عندك كوكبا (١٢٤)

كأن يد التميم رير منها وقريب من هذا المعنى قول أبي المعتز (١٢٥) :

سحبي الرجاجة نونها وكأئها في الكسف قائمة به . ير يد

ولاحظ هذه الملوحة الشعرية الملونة المتحركة التي قدمها ربك العز في أبياته
الجميلة الرقيقة لوصف الديك . (١٢٦) .

أما ترى راحب الأسفار قد هتعا وحث تغريده لما علا الشعا
أوعى يسبح أبي قابوس معرفه كدرة التاج كذا أن علا شرفا (١٢٧) .
منشعا بحقيق فوق مذبحه هل كس في عبر أن تعرف الشعا

(١٢٦) ديوانه ٩ ، ١٨٩ .

(١٢٧) شعرة ص ٧٦ .

(١٢٨) شعرة ٩ ، ١٨٩ .

(١٢٩) ديوانه ص ١٧٧ .

(١٣٠) جام في ديوان المعاني ٩ ، ١٧٧ (وقوله يسبح أبي قابوس ، يعني فائق النصارى) .

لما أراحت رعاة الليل عارية من الكواكب كانت ترتعى الشدا
 هز اللواء على ماكان من سبلة فارنج. ثم علا. واعتز. ثم هفا
 ثم استمر. كما غش من طرب مزيج شرب على تغريده وصفاء ١٢٨
 اذا استهل استهل قوقه خصل كالحن صيغ صباحاً فيه فاختلغا

ومن صور ابن الرومي البديعة الزاهية قوله في وصف قوس السحاب ١٢٩
 يطرزها قوس السحاب بحمرة على أخضر في أصفر وسط مبيض
 كاذبان خوذ أقبلت في غلائل مصبغة والبهمن أنصر من بعض

ومن الشعراء من أضفى على شعره أدلة منطقية. اكتسبها من الثقافة التي
 تلقاها. أو من مشاهداته وتجاربه الخاصة. يريد بها اقناع السمعين بما حدث به
 قريحته. مثل قول أبي تمام في الهرم ١٣٠

لا تشكري من تخديدا تجلله فالشيف لا يزدرى إن كان ذا شعل
 ومن ابتذاعات ابن الرومي التي لم يثبت إليها قوله ١٣١
 كل أمرئ مدح امرأ لنواله فأطال فيه فقد أراد هجاء
 لو لم يفتخر فيه بحد المشتق عند ورود لما أطال رشاة

واستعان الشعراء في هذا العصر بالتجديد والتخيم. والمبالغة والتحويل. وهذه
 الأمور - وإن لم تكن من مستحدثات هذا العصر - أصبحت سنة بارزة انكأ عليها
 انشعراء في كثير من الأحيان. ولا سيما في المديح والغزل. ويبدو أن المتلقين كانوا
 يرتاحون لها ويهشون لسماعها. مثل قول منصور النعري في اخليفة هارون
 الرشيد ١٣٢

إن المسكارم والمسمعون لودية أحلك الله منها حيث تشع
 إذا رفعت امرأ فآله يرفقه ومن وضعت من الأقوام متزع

(١٢٨) المريع ، الحديد المرح ، الغرب ، القوم المهاجرون . صفا . اصطال مسقرا .

(١٢٩) ديوانه ٩ ، ١٢٦٩ .

(١٣٠) ديوانه ١١ ، ١١١ .

(١٣١) ديوان ١٢ ، ١٢٢ .

(١٣٢) الأطلال ١٢ ، ١٢٥ .

وقول يشار بن برد في الغفران ١٨٤

إذا ما غضبنا جبةً مضريةً هنكنا حجاب الشمس أو تُمطر الذما
وقوله في الغزل ١٨٥

سلبت عظامي حبها فتركتها عواري في أجلادها تنكس
وأخفيت منها مخها فتركتها أنابيب في أجوافها الريح تصفر
خذي يدي ثم ارمي الثوب فانظري ضلعي جدي لكني أكثر

والى جانب المبالغة يلاحظ القاري، حرص كثير من الشعراء على المحنات
اللفظية والعنوية. إذ عدوها من مراتب التجديد والابتداع. وقد جاءت في شعرهم
أحياناً مقونة. لها وقع حسن في النفس. وأحياناً مرضونة لا جمال فيها ولا بهاء
وبعيدة عن الخلق السليم. فمن الصور اللطيفة التي تبدو فيها الصنعة محببة قول
الحسين بن مطير الأسدي ١٨٦

يضاء تحب من قيام فرجها ونعيب فيه وهو حقد أسحم
فكأنها منه نهاراً مشرق وكأنه ليل عليها مطلع

وقول يشار بن برد في عنونة صوت الحية ١٨٧

وكان رجوع حديشها قطع الرياض كمين زفر

وهذه أبيات لأبي تمام تتداعى فيها المداحي وتتزاحم الصور يمدح بها أبا سعيد
محمد بن يوسف النخعي ويذكر خروجه المقد، العدو ١٨٨

لقد أنعم والشداد له ويراة الكمد إذ همما قطوبها
طاعنا منحدر النمل شبحا بلاد العدو موتا جنوبها ١٨٩
في بلد بكاء تقوى رخذ السوس من ريعها الليل غروبها

١ ٢٩٦ ديوان شعر يشار بن برد ص ١٩٩ .

٢ ٢٩٦ نفسه ص ١٩٩ .

٣ ٢٩٦ شعره ص ٧٩ .

٤ ٢٩٦ ديوان شعر يشار بن برد ص ١٩٨ .

٥ ٢٩٧ ديوانه ١٩ ص ١٦٤ .

٦ ٢٩٨ المعنى أنه يفر ببلاد العدو وهم في ناحية القتال فيجيشهم يموت من ناحية الجنوب .

فصرحت الشماء في أخذ غيبه ضربة غائرة عودا ركود (١٣٦)
لو أصغنا من بعدها لسمعنا لقلوب الأيام مثل وجع (١٣٧)

إن غاية الشعراء العباسيين كانوا مولعين بالتجديد إلى جانب الاعتماد على
الوروث . وهذا التجديد يعود إلى التطور الاجتماعي الكبير الذي شمل جوانب
الحياة المختلفة آنذاك . وكذلك التطور الفكري الذي أدى إلى تراء العقل وفتح
الأبواب الكثيرة للتخلق والابداع

الألفاظ والأساليب

قطع العلم والأدب في العصر العباسي شوطاً كبيراً في ساحة الرقي والتقدم
والازدهار . وزاد عدد المدارس والتأليف من معين المعرفة . تلك المعرفة الواسعة من
أصول قديمة أو آنية من مناهج جديدة . ومن يلاحظ في ألفاظ هؤلاء المدارس
وأساليبهم يجدونها تتراوح بين القوة والجزالة من جهة والسهولة والليونة من جهة
أخرى

كانت صلة كثير من الشعراء قوية بالشعر القديم . فبشار بن برد مثلاً كان
يحازي امرئ القيس (١٣٨) . ويعتمد محاكاة الأساليب القديمة . ولا عجب حين قال
الأصمعي : بشار خائفة الشعراء . والله لولا أيامه تأخرت لفضلته على كثير
منهم . وأبو نواس قال عن نفسه : « ما ظنكم برجل لم يقل الشعر حتى روى
دواوين ستين امرأة من العرب . مهم الخساء وليلي . فما ظنكم بالرجال » (١٣٩) .
وكان محمد بن سنان . ينحوي نحو ندي بن زيد في شعره . ويميل إليه . ويقدمه .
وعرف عن أبي تمام ديوانه للقديم من الانتشار . حتى أن الحسن بن رجاء قال :
« ما رأيت أحداً قط أعجب بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام » (١٤٠) .

(١٣٨) الأصحاحان ، عرقان في العلم . عوداً ، جملاً مستأ . ركوداً ، مثلاً .

(١٣٩) الأصمعي . إمالة الأذن للسمع . الوجيب ، صوت حركة القلب

(١٤٠) الأغاني ٢ ، ١٩٦ .

(١٤١) الأغاني ٢ ، ١٩٢ .

(١٤٢) أخبار أبي تمام ص ١١٨ .

إلى فئة كبيرة من شعراء العصر العباسي الأول كان شعرهم يجاري الأفدين تارة . والعدشين تارة أخرى . ومن أشهرهم بشر بن برد ، وأبو نواس ، ومروان بن أبي حفصة ، وسلم بن الوليد ، وأبو الشيصر ، ودعبل الخزاعي . والحسين بن مطير الأسدي . وعذارة بن عقيل . وكاثوم بن عمرو العنابي . وأبو تمام . وعبدالمك بن عبدالرحيم الحارثي .. فمن النماذج الرصيفة القوية قول أبي نواس من قصيدة يمدح بها الخليفة هارون الرشيد^(١٠١)

أنا إليك من الضيفت قدسم طلع النجاذ بنا وجيف الأبق^(١٠٢)
يتبعن سائر الملائك ترو بعيني مقلبت لم نفرق^(١٠٣)
حده برعي جودرا بحملا وبها إليه صباة كالأولق^(١٠٤)
حتى إذا وجدته لم مر عنده ألا مسجرا إهابه التمزق

في هذه الأبيات يصف الشاعر حنين الابل واشتياقها إلى أعطانها . ويشبها ببقرة وحشية ترو إلى ابنها في خميلة . وليس لها بواه . لأن كل أولادها تموت أو لأنها ولدته ولم تلد بعده . فلما ذهبت إليه وجدته قتيلا فأوعلت عليه . وأرزمت له فهو يشبه هذا بهذا . وهذه الصورة التي رسمها النواس تشبه أختا لها عبد الغصاة في رثاء أخيها محمر في رثائها المشهورة . ومن النماذج السهلة المبصرة الخفيفة على الأسجاع قول مروان بن أبي حفصة في مقدمة قصيدة يمدح بها الخليفة المهدي^(١٠٥)

طرفتك رائحة محبي خيالها بيضاء تخلص بالحياء دلالها
قادت فؤادك فاستفاد ومنلها فاد القلوب إلى المنا فدلها

(١٠١) ديوانه ص ٤٠

(١٠٢) الصلوات وواسم ، أسا موضحين . النجاذ ، مقردة النجد . وهو ما اشرف من الأرض . الوجيف ، نوع من السير السريع .

(١٠٣) المائرة ، المضطربة الملائك ، جالها السنام . المقلبت المرأة لا يميل لها ولد .

(١٠٤) الأول ، المبتون .

(١٠٥) شعره ص ٩٩ .

ومها في المديح :

أحبنا أمير المؤمنين محمد نزل النبي حرافها وحلالها
ملكك تفرغ تبعه من هاشم مد الإأسه على الأنام ظلالها
جبل لأمنه تلوذ بركننه راذى جبال عدوها وأزالها

وهناك فئة أخرى من الشعراء سلكت طريقاً سهلاً ميوداً ، يسميهم نجيب محمد البهيني أنصار المدرسة الشعبية (٢٨٩) . وهم كثيرون وعلى رأسهم أبو العشاهية ، والعباس بن الأحنف ، وربيعة الوقي . وقد سار شعرهم بين محبي الأدب ، ووجد الناس فيه مراحاً من كذ القريحة ، وإعسال الذهن ، ومهرباً من النصب الذي يتقونه في قراءة غيرهم من الشعراء^(٢٩٠) . وحسبنا من شعر هذه المدرسة قول ربيعة الرقي متفزلاً بفتاة تدعى عثمة (٢٩١)

حمامة بلسني عسني لاما حبسباً لأطيق له كلاما
وقولي للنسي غضبت علينا علام . وفيهم بإمكانهم علما
ومنها .

ولأن جصيص لهلك عثوني ولاحوني . ولم أطلق الملا
كرام الناس قبلي قد أحبا كرائصهم وأعجبين الكراما
جميل والكثير قد أحبا وعروة من هوئ لاقي جمابا
هم سوا الهوى والحب قبلي وما ألقى لهم في الناس داما
فيا . غاثم . يابصري وسمي رميس هوالك أوديسي سقاما
لقد أقصدت - حين زويت - قلبي بهم الحب . إن له سهاماً

بهذه الرقة والمذوبة يتربل اشاعر في قصيدة طويلة . طالباً من العبيبة أن يلين قلبها . وتعطف عليه . وتعمل اليه . وتنجيه من لوعة القرام ودواهي الشوق والهيام .

إن اغلب الشعراء ، سواء كانوا من أنصار الأوائل أم من أنصار المدرسة الشعبية ، تأثروا بالعصر الجديد ومعطياته . ومن هنا تعصب اللغويون لأدب ما قبل الاسلام

(٢٨٩) ينظر تاريخ العصر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٢٨٩ .

(٢٩٠) نفس ص ٢٨٩ .

(٢٩١) نفس ص ٢٨٨ .

والعصر الإسلامي والأموي . وقد تساهل الأصمعي حين ختم الشعر بأبن غزوة وابن
ميادة وأضرابهما من شعراء نجد والحجاز الذين أدركوا الدولة العباسية (٢٠٠)

لقد تدرجت كثير من الألفاظ والأفكار إلى الساحة الأدبية من الاقوام الذين
امتزجوا بالعرب وتصارفوا مع الكثيرين منهم ومن يراجع الكتب التي عشت
بالألفاظ الدخيلة مثل : المغرب ، لأبي منصور الحواليقي . و . شفاء الغليل فيما في
كلام العرب من الدخيل ، لشهاب الدين الخفاجي يجد ألفاظاً كثيرة أصبحت مألوفاً
الاستعمال في الشعر والنثر ، مثل : العاتودج . والمدهاج . والمطيلن . والخوان .
والنطشت . والاسريق . والمهرجال . والبيرور . والمارستان . والمنسكرة . والقونج . .
والترياق . والهيولي . والاسطربلاب . والقبراط ... ومن أكثر الشعراء استعمالاً للألفاظ
غير العربية أصلاً أبو نواس . وكان أحياناً يأتي بها على وجه التطرف والتدليح كما
يقول الجاحظ (١٢٠) . كذلك وفدت إلى العربية بعض ألفاظ التبجيل مثل الحضرة
والجنب . والادارية مثل صاحب الشرطة وصاحب المنار ...

وشاع استعمال الألفاظ المركبة مع لا النافية في حالة التعريف كالتلهاية .
واللاضروية . واللارادة . وكذلك صياغة الأسماء من الحروف والضمائر مثل الكمية
والكيفية والنافية والهوية .. كما أدخلت الألف والنون قبل ياء المتكلم مثل نفساني
وروحاني .. وهذه وتلك من خواص اللغة الأرية كما يقولون (٢٠١)

وضم بعض الشعراء ألفاظ المتكلمين والفلاسفة في شعرهم مثل : الحركة والمكون
والروح والجسد والكل والبصر والجوهر والعرض والجزء والقليل والأقل .. وقد
استشهد الجاحظ في هذا المجال بشعر أمي نونس في حنان جزرية آل عبد الوهاب
التقني . (٢٠٢)

(٢٠٠) الأزهري ١ ، ٢٣٣ .

(٢٠١) البيان والتبيين ١ ، ١٤١ . ونظر الأبيات الشعرية التي فيها ألفاظ أعجمية في كتاب الفن
ومذاهب في الشعر العربي ص ١٢٩ - ١٢٤ .

(٢٠٢) تاريخ أدب اللغة العربية ١ ، ٤١ .

(٢٠٣) البيان والتبيين ١ ، ١٤١ . ونظر ديوان أبي نواس ص ٢٣٣ .

وَذَاتُ حَيْدٍ ، مَحْزُونَةٌ
نَاقِلُ الْعَيْشِ مِنْهَا
فَبِمَعْصَاهَا قَدْ نَنَاقَى
وَالْحَرَّ فِي كُلِّ عَصْرٍ
فِي ثَانَةِ ، الْمَنْجَرِ ١٣٨١

وَأَبَى نَوَاسٍ أَيْضاً ١٣٨٢
بِعَاقِدِ الْقَلْبِ مَنِي .
نَرَكْتُ مَنِي قَلْبِي
يَكُنْ لَا يَنْسَجِرُ
هَلَا تَذَكَّرْتُ حَلَا
مِنْ الْقَلْبِ أَقْلَا
أَقْلَ فِي اللَّعْظِ بِنَ . لا .

وهكذا تجاوز الشعراء على المعجم الشعري الأصل . واستخدموا العاطف وتراكيب
أعجمية فضلاً على المصطلحات العلمية والفنية والفقهية والفلسفية وسواها . وقد
ابتعد بعض الشعراء عن السليقة مما بدأ لظهور النحن والخروج أحياناً عن القياس
الصرفي ١٣٨١ . وكان علماء اللغة لهم بالمرصاد . كلما انحرفوا دلّوهم على انحرافهم .
وبغض كتاب الموشح للعرزبائي في ماخذ هؤلاء العلماء عليهم

(٣١٦) المتجرد ، الأبهة عند القجر .

(٣١٧) الهوان والتبجيج ١١ ، ١٤١ ، وانظر ، أبو نواس لابن منظور ص ١٤ حيث تجد فيه أشعاراً
أخرى فيها دليل على معرفته بألفاظ المتكلمين .

(٣١٨) ينظر الفن ومناهجه في الشعر العربي ص ١٦٦ .

الأوزان والقوافي

الشعر فنٌ جميل تستهويه النفوس - مثله مثل التصوير والموسيقى والحدث - وهو في أغلب أحواله يخاطب العاطفة - ويستثير المشاعر والوجدان - وهو جميلٌ في تخير الألفاظ - جميلٌ في تركيب كلماته - جميلٌ في توالي مقاطعه وانجاءها - بحيث ترتدّد ويتكرّر بعضها فسمعه الأذان موسيقى ونغماً منتظماً (٢٦٩)

إن للشعر خصائص موسيقية - تأتيه - في الغالب - من الوزن والقافية - وقد اهتم بهما المنارسون القدماء - فقال ابن رشيق - الوزن أعظم أركان خد الشعر - وأولاهها به خصوصية - وهو مشتملٌ على القافية وجانب لها ضرورة - إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في القافية لا في الوزن - وقد لا يكون عيباً نحو المعجمات وما شاكلها (٢٧٠)

كان الخليل بن أحمد الغراهيدي الرائد الأول في تسجيل أوزان الشعر - إذ تفرغ في الثقات الشعري فحرف منه خمسة عشر وزناً على نحو ما هو معروف في علم العروض - ثم جاء أبو الحسن الأخفش فاستدرك عليه وزناً نادراً أسماه المتدارك - وقد أتم الشعراء العباسيون بهذه الأوزان ونظموا على تفعيلاتها - التي تمثل الوحدات الصوتية - وكان الميل في كثير من الأحيان إلى الأوزان القصيرة والمجزوءة - ولا سيما التي يعنى به - إذ يستدعي الرشاقة والعدوبة والنوعة والخفة وبلائه حياة القصود والحدائق والتماثل وما فيها من عجز ولهج وطرب والحازن - والشيء الذي نفث عنده قليلاً هو بحر المجتث الذي نظر إليه النقاد القدماء نظرة استعذار - قل حارم القرطاجي - : أما المحدث والمقتضب والحلاوة فهما قليلة على طيش فيهما (١٣١) - . فأننا نحالف هذا الرأي - فهو - وإن كان قليلاً في أ شمار المتقدمين كما يقول أبو العلاء المعري (١٣١) - محبب إلى النفوس - وأكثر استجابة للفناء وطواعية للموسيقى - لذلك نظم فيه الشعراء في العصر العباسي - أمثال بشار بن برد (٢٧١) - ومطيع

(٢٦٩) موسيقى الشعر ص ٧ .

(٢٧٠) الصفة ١١ - ١٢٤ .

(٢٧١) منهاج البلاغ ص ٢٦٨ .

(٢٧٢) الفصول والمفاتيح ١ - ١٢٩ .

(٢٧٣) ديوان بهار ١٦ - ١٢٧ .

ابن اياس ١٣٤١. والعباس بن الأحنف ١٣٤٢ ومن جاء بعدهم. وإليك هذه الأبيات من بحر الجذث من قصيدة لطبع بن اياس

وَيْلِي مَلِكُ جَفَانِي وَحَبُوبَةُ قَدِيزَانِي
وَطَيْفَةُ بَلْقَاسِي وَشَخْصُوتَةُ غَيْرِ دَانِي
أَعْرُ كَالْبَدْرِ يُعْمَلِي بِحُسْنِيَةِ الْعَيْنَانِ
جَارِي. لَا تَهْلَانِي فِي حُسْنِيَتِهِ وَدَعَانِي
ومن المقضب قول أبي نواس ١٣٤٦

حَامِلُ الْهَوَى ثَعْلَبُ يَسْتَحْفَةُ الطُّرُنِ
إِنْ بَكَى بِحَقِّ لَه تَمِيسُ مَابِهِ ثَعْلَبُ
لَمُحْكِبِينَ وَالْحَبُّ يَنْتَجِبُ
تَمِيسُ مِنْ ثَعْلَبِي مَسْحُوتِي فِي الْفَجْرِ
كُلُّهَا الْقَضَى بَعْدُ مِنْكَ عَادَ لِي غَيْبُ

تصرف بعض الشعراء بالأوزان المعروفة. كما استحدثوا أوزاناً أخرى تلاث الأذواق لذلك وتنجم مع روح العصر. وكان عبدالله بن هرون بن الشيبوع البصري أول من أوقع على ذلك. قال عنه أبو الفرج الأصبهاني: «أخذ العروض من الحليل بن أحمد. فكان مقدماً فيه. وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدب أولادهم. وكان يمدحهم كثيراً. فأكثر شعره فيهم. وهو مقلّ جداً. وكان يقول أوزاناً من العروض غريبة في شعره. ثم أخذ ذلك عنه ونعا نحوه فيه رزّين المروسي. فأتى فيه ببدائع حمّة. وجعل أكثر شعره من هذا الجنس ١٣٤٧. ومن شعر رزّين المروسي الأبيات الآتية من قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل وزير المأمون ١٣٤٨

(٣٤٦) الأغانى ١٢ ، ٢٤٧

(٣٤٥) الأغانى ٢٨ ، ٢٤٤

(٣٤٦) الأغانى ٢٨ ، ٢٤٧

(٣٤٧) الأغانى ٦ ، ١٦٠

(٣٤٨) معجم الأمجاد ٩ ، ١٦٠

ويطالعنا أبو العتاهية بأبيات شعرية لم نألفها من قبل . فهي لا تقرا إلا قطعة واحدة متصلة . على الرغم من تنغية صدور الأبيات وأجوازها : (٣٣)

يا ذا الذي في الحب يلخي أما	والله لو كلفت منه كما
كلفت من حب رقيم . لا	لعت على الحب . فدربي وما
ألقى . فاني لست أدري بما	بليت إلا أنني بينما
أن بباب القصر . في بعض ما	أطوف في قصره . إذ رمى
قلبي غزالاً بهام . فما	أخطأ بها قلبي . ونكسها
سهماً عينان له . كلما	أراد قتلي بهما علما

أبو العتاهية

١٣٠ - ٢١١

هو أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم بن حؤنيد بن كيسان . وكنيته أبو اسحاق . وأبو العتاهية لقبه . زوي أن المهدي قتل له يوماً ، أرت إنسان متحدثي نعمة . فاستوث له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته . وسارت له في الناس .. وقيل : كني بأبي العتاهية لأنه كان يحب الشهرة والمجون والتمتع . (١٣٠) أما نسب ففيه خلاف . قال بعض الباحثين إنه ينحدر من موالى بني غزاة . وأمه من موالى بني زهرة . وذكر آخرون أنه عربي وتبعهم في ذلك بعض المستشرقين مثل نكلسون وهوار .

مولده وسيرته :

ولد أبو العتاهية في بلدة عين التمر عربي الكوفة (٣٨٠) سنة ١٣٠ للهجرة ولا يعلم شيئاً عن حياته في هذه البلدة . وأغلب الظن أنه انتقل منها صغيراً مع أبيه إلى الكوفة الذي كان يعمل حجاماً ..

نشأ في الكوفة . وتلقى علومه فيها . وكانت آنذاك مركزاً للمعلم والأدب . وكان لقسم من الموالى الذين عاشوا في هذه المدينة أثر كبير في انتشار المجون والخلاعة والزندقة والشعرية . وقد ظهر فيها مجموعة من الشعراء ملكو طريق النهلك والعواية أمثال : مطيع بن إياس . ووالية بن الخباب . وحداد عجرد ... وكان لأبي العتاهية نفس ميالة للمسير في درب اللثائن . وقد حاول أخوه زيد الذي كان يعمل بالجرار والتخار أن ينقذه من السقوط في حلوة الضلالة . فاشركه في حرفته . وكان أبو العتاهية ذكياً بتردد إلى حلقات العلماء والأدباء ونجح في نظم الشعر وهو في مستقبل العمر . وكان الأحداث والمتأدبون يأتون إليه فينتدبهم أشعاره . وكتبونها على ما تكثر من الخرف . وبعد زمن قصير رفض هذه المهنة وتركها . وكان يقول : « أنا حذار التوافي . وأخي جرار التجارة » (١٣١)

(٢٢٧) (الأطفي ٤ ، ٢ .)

(٢٢٨) ينظر معجم البلدان ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٢٩) (الأطفي ٤ ، ٢٥ .)

برزعت نفس أبي العتاهية إلى مخالطة الشعراء المصان والتروء إلى محلات
 المنس والقيان . واكتسب لذلك صديقاً أخلص له التود وهو المعنى ابراهيم
 النوصلي وقد اصطحبه عندما جاء إلى بغداد . ولم يخلج أبو العتاهية من هذا
 المعنى . ولم تفتح له أبواب البقاء فعاد إلى الكوفة بعد أن خرج في طريقه إلى
 الحيرة . ووقع بصره على فتاة ذات حسن وجمال تسمى سعدى مولاة عبد الله
 بن مقر بن زائدة . تعانه بها . ونظم فيها شعراً غريباً رقيقاً . ولكنها أعرضت عنه .
 ولم تأبه به . وحينما علم مولاها بذلك نهته عنها . ولكنه لم يتعدل لشهيه . وهجاء
 هجاء موحداً . فقبض عليه وصر به مئة سوط وأسكبه من هذا الثمر .

جز أبو العتاهية أذيال الخيبة والغزل إلى الكوفة . ولم يكد فيها طويلاً . إذ
 جاءه طلب من صديقه ابراهيم النوصلي بالتوجه إلى بغداد . فاستجاب له . ونظم
 قصيدة في مدح الخليفة المهدي ثالث رضاء . وبذلك انفتحت له أبواب الشهرة .
 وبقي بعدها جوائز التولية والقواد أحدهم عمر بن العلاء الذي وصله على قصيدة
 واحدة سبعين ألف درهم (١٧٠)

وفي البلاط العباسي رأى جارية جميلة فتاة تسمى غيبة . فتابها .
 ولاحقها . ونظم شعراً رقيقاً يحاول به أن ينفذ إلى قلبها وينالها . من ذلك
 قوله (١٧١) .

يا غيبتي بيدي ! أما لك دين ؟ حتى متى قلبي لديك رهين ؟
 وأنا الذلول لكل ما حلفتني وأنا الشفيق البائس المسكين
 وأنا الغناة لكل بالك ماعد ولكل صب صاحب وخدين
 لا يأمر . إن لداك عندي راحة لنصب أن يلقي الحزين حزين
 يا غيبتي ! أين أفر منك . أميرتي ! وعلى حصن من هواك حصين

لم تكن غيبة تجيبه . بل كانت تكرهه وترذره . وفي أول الأمر هم المهدى أن
 يدفع غيبة إليه . فجزعت وقالت . يا أمير المؤمنين . أستجير في مروءتك وشرفك
 وما يلزمك من حق خدمتي وصحبتي أن تخرجني من دار النعمة إلى بائع حرار .

(١٧٠) زهر الأديب ١٦ : ٢٢٦ .

(١٧١) زهر الأديب ص ٤٥٨ .

سوقى . مبي النفس . وبعد . فلما يريد الذكر والشهرة . وليس بعاشق (١٢١٥) .
فأعدها . ولم يمثل أبو العتاهية لهذا القرار . ومضى يتفرج بها . وضربه المهدي
مئة سوط لقوله .

ألا إن ثبياً للخليفة صادى ومالى على ظمى الخليفة من عشو
وقال : أبى يتعرض . ولحرمى يتعرض . وينسالى يبعث . ونغاه الى الكوفة .
وبقى يذكر عتبة ويكنى باسمها . من ذلك قوله (١٢١٦) .

قل لمن كنت أبى . بأبسى أنبت وأبى
بأبسى أنبت لبقد أم . حببت من أكبر هبى
ولقد قلت لأهلى . إذ أذاب الحبيب لسحبى
وارادوا لى طسبى . فاكتموا منى بعلمى
من يكسب بجهل مألفى . فإن الحب بقمى
إن روحى تسبى . ذوى السكوة جسمى

وشفع له المهدي . بوساطة يزيد بن منصور الحميري خال المهدي . وعاد الى
بغداد . وبقي على حبه لعنة . وبعد وفاة المهدي ثم الهادي . تقدم لطيفها . وحاول
الخليفة الرشيد أن يستميلها اليه . ولكنها أبى وقامت . « أنا أمك . وأمرك نافذ
في . عاخلا أمر أبى العتاهية (١٢١٨) . » وبكت بين يديه . فرق لها ورحمها .
وانصرف عنها . ولما سمع أبو العتاهية الخبر يش منها وعلم أنها لاتجيبه . وقال في
ذلك قصيدة أولها (١٢١٩) .

قطعت منك حائل الآمال وحططت عن ظهر المظن رحالى
ويست أن أبقى لشيء بلى منى فبكى يادنيا . وإن يبقى لى
فوجدت برز اليأس بين جوانحي وأرحت من حلى ومن ترجالى
وهكذا انتهت المحاولة الأخيرة . وانسد استار عليها . وقد ذل الشك حول هذا
الحب المضائع . ونحن نرجح أنه أحب عتبة وإن ذهب فريق من الناصيين الى أنه مثل
دور المحب العاشق المدله بالغرام كى يتحدث الناس بأمره

(١٢١٩) طبقات الشعراء ص ٢٢١ .

(١٢٢٠) لهر الأديب ١ . ص ٢٢٧ .

(١٢٢١) مروج الذهب ٢ . ص ٩٥٧ .

(١٢٢٢) بقراته ص ٣٢٤ .

وبعد انصرافه عن غيبة . وانقطاعه عن التفرُّك بها . بقي ملازماً لدار الخلافة . وكانت الأموال تأتيه بسخاء . فلن الخليفة الرشيد كان يجري عليه كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعان ١٣٧١ . ومن بعده المؤمن كان يجري عليه عشرين ألف درهم ١٣٧١ وكان الى جانب هذا يجري الحسن بن سهل عليه ثلاثة آلاف درهم كل شهر ١٣٧١ . فضلاً عن الهدايا والهبات الأخرى . ومع هذا الثراء والمال الكثير كان بحيلاً غاية البخل . وكان يحاول أن يدفع عن نفسه البخل والشرافة في جميع نزال بطرق عتي . وله نواتر طريفة نجدها في ترجمته في الأسامي وتاريخ بغداد ومروج الذهب .. ومن أطرفها أنه يدعو الى التمتع بالمال وانعافه في قوله ١٣٧١

ذَا نَرَا نَمَ يَحْتَقُّ مِنْ لَذَائِ رِقَّةٍ تَمْلِكُهُ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَبْنُوكُهُ
أَلَا لَمَّا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْفَقٌ وَلَيْسَ لِي الْمَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ
إِذَا كُنْتُ ذَا مَالٍ . فَيُجَازِ بِهَ الَّذِي يَحَقُّ . وَالْأَ اسْتَهْلِكْتُهُ هَوَالِكُهُ

لقد حدث تحول كبير فجأة في حياة أبي العتاهية . إذ نراه ينقطع عن مجلس الرشيد . ويضرب عن قول الشعر في الحب . ويلبس ملابس الصوفية . في سنة ١٨٠ للهجرة وهو في الخمسين من عمره . ويدعوه الرشيد الى استئناف خدمته والعودة الى ماكان يصنع له من رفاق الغزل . فيأبى . فيأمر بحبسه والتصيق عليه . فينظم قصيدة مطلعها: ١٣٧١

أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِنَظْمٍ لَمْ لَوْمْ وَلَكِنْ نَلْسِي هُوَ الظُّلْمُ
وَفِي خِثَامِهَا يَقُولُ .

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الرُّجَى عَلَيْهِ نَوَاصِصُ الدُّنْيَا تَحْوِمُ .
لَمَلْسِي رِقَّةً نَبَ أَجْرُ مِنْهَا إِلَى نَوْمٍ . وَمَا مَلْسِي مَلُومٍ
وَحَلْمُنِي تَحْلُصُ يَوْمَ بَعْدِ إِذَا نَلْسَانِي يُرْزِزُ الْحَبِيبُ
رَقَّةً لَهُ الْخَلِيفَةُ وَأَمْرٌ بِاطْلَاقِهِ . وَفَضَى أَخْرِيَاتِ حَيَاتِهِ بِالزُّهْدِ وَالتَّوْبَةِ
وَالِاسْتِغْفَارِ . والدعوة الى مكارم الأخلاق . الى أن قضى نعبه سنة ٢١١ هـ على أرجح الأراء ١٣٧١

(٢٦٩) الأغانى ٤ ، ٩٢ .

(٢٦٧) الأغانى ٤ ، ٩٢ .

(٢٦٨) الأغانى ٤ ، ٨٩ .

(٢٦٩) ديوانه ص ٩٧ .

(٢٦٠) ديوانه ص ٢٩٨ .

(٢٦١) ينظر أبو العتاهية حياته وشعره ص ١٥٨ .

ذكرنا سابقاً أن الزندقة كانت حركة كبيرة في العصر العباسي . لذلك حاربها الخليفة المهدي ومن جاء بعده . وقد اتهم عددٌ من الشعراء بهذه التهمة . وكان أبو العتاهية واحداً منهم . ويبدو أن تهمة لعدواة شخصية . لأن ما قيل عنه لم ينهض دليلاً قاطعاً على زندقته .

ونورد هنا أهم التهم . قال محمد بن أبي العتاهية : « لما قال أبي في غيبة :

كأنَّ عتابة من حبيبها ذمية فسر فتنتت فمها
يارب لو أنسيتها بما في جنة الفردوس لسم أسسها
شئ عليه مصور بن عمار بالزندقة . وقال : يتهاون بالجنة ويتنخل ذكراها في

شعره بمثل هذا التهاون . وشئ عليه أيضاً قوله .

إنَّ المليك راك أحسن خلقه ورأى جمالك
فحبذا بقرة نفسه حوز الجنان على مثالك

وقال : أبصُر الحوز على مثاب امرأة أدمية . والله لا يحتاج إلى مثال . وأوقع له هنا على ألسنة العامة ، قلبي منهم يلاءة (٢٠١) .

إن التهمة واضحة . لأن الأبيات ما هي إلا مبالغات أدبية .

وقال أبو الفرج الأصبهاني في التهمة الثانية : « وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث . ويحتجُّون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر التشوير والمعاد » (٢٠٢) .

إن من يطالع ديوان أبي العتاهية يظهر له بجلالة اقتراء هؤلاء القوم لما فيه من ذكر التوحيد وذكر البعث . والاقترار بالجنة والنار . والوعد والوعيد .

وفي تهمة ثالثة قال أبو الفرج الأصبهاني (٢٠٣) . قال محمد بن أحمد بن حرب . كان مذهب أبي العتاهية القول بالوحييد وأن الله خلق جوهرين متممادين لا

(٢٠٢) الأصبهاني ٢٠٤ .

(٢٠٣) الأصبهاني ٢٠٤ .

(٢٠٤) الأصبهاني ٢٠٤ .

من شيء . ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما . . وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تغنى الأعيان جسيماً . وهذا القول يوافق ما قاله ابن المعتز عن أبي العتاهية . « والذي يصحح لي أنه كان شوقاً » (٢٠٠) . ويبدو أنه نظر إلى أرجوزته التي تقول فيها (٢٠١)

لكل شيء معين وجوهر
وكل شيء لاحق بجوهره
الخصير والشئ بها أرواح
لكل إنسان طبعه من
والخير والشئ إذا ما عدا
وأوسط وأصغر وأكبر
أصغرهُ مُصَلِّ بأكبره
لذا نحتاج ولذا نحتاج
خصير وشئ وهما ضدان
بينهما بون بعيد جداً

إن أبا العتاهية - في ظننا - لم يكن زنديقاً . وإنما كان في أول أمره محيراً فذنباً ثم استقر بعد ذلك على الايمان بالله وباليوم الآخر . وهما ذا يتم . والله ما دني الأتوحيد (٢٠٢) . . وقد أصاب الدكتور محمد مصطفى هدار في قوله (٢٠٣) : « الواقع أننا مؤمن إيماناً وثيقاً بأن أبا العتاهية ليس زنديقاً ولا كافراً ولكنه مؤمن إيماناً لا يتطرق إليه الشك . وكل ما في الأمر أنه رجل عاش وسط تيارات من الفسفات المختلفة والمذاهب المتباينة . فتأثر بها لاتأثر الزنديق ولكن تأثر المؤمن . فهو يستخدم ما في الثنوية من فكرة الخير والشئ لتوضيح تيارها في نفس الإنسان وفي العالم كله . ولكنه لم يشعر هذه الحدود وبذلك لم يتعد حدود الإسلام . »

زهد :

عاش أبو العتاهية حياة لاهية عابثة . ثم عاف تلك الحياة بعد تحاوزه الخمسين من العمر والتجأ إلى الزهد وتقوى الله وعبادته . وقد اختلف الدارسون في هذا التحول . فقد رأى محمد خلف الله أن وراء زهد أبي العتاهية وتحوله من تيار الشهو والتجول إلى الايمان وتقوى الله عاملين رئيسيين . أولهما أحاسه الدفين بضعة أصده . وهذا الاحساس النفسي جعله على أن يلاقي بأن التقوى هي العز والكرم كما في قوله .

(٢٠٠) طبقات القراء ص ٢٢٨ .

(٢٠١) ديوانه ص ٩٤ .

(٢٠٢) الأملاني ص ٢٥ .

(٢٠٣) اتجاهات الفكر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٦٩ .

دعاه غسبي من ذكر أب وجد . وسبب إعطيك نور المجد
مالمحز الأفي النقي والزهد . وطاعة تعطي جنان الخلد

والعامل الثاني حبه لعنبة الذي صهر مشاعره . وكان بلا أمل فصار بذلك
حرماً جديداً أصبغ ال أسباب تنكده . ويرى خلف الله أن صدمته في حبه لعنة
هي نقطة التحول الحقيقية في حياته (١٣٨) . ويصف الدكتور مصطفى هداره باملا
بالثأمو اتصاله بالثقافات المختلفة في عصره . ولا سيما حركة الزهد التي بدأت
تأخذ طريقها في ذلك الوقت (١٣٩) . أما محمد بن برائق فقال . - ماكن شعره في
الزهد لله . ولكنه طريق سلكه في شعره لاظهار العسرة والأسى على حبه عنة (١٤٠)
وأذكر الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي زهد أبي العتاهية ورأى أنه ضلّل الداعين
والنقاد ماغرب من انهي عشر قرنا . ولا يزال شعره في مدارس الثانوية بل
وجامعنا يدرس على أنه مبعث عن زهد أو ما يشبه الزهد مع أنه أبعد الاشياء عن
ذلك . وجعل أحد دوافع الزهد عند أبي العتاهية انعكاسية سيرة بين الشاعر من جهة
والفصل بن الربيع مع زبيدة من جهة أخرى . لإبعاد الترتيب عن معالني الأنس
والطرب والجواري مناقبات زبيدة وأبعاد جعفر الترمكي عدو الفصل بن الربيع
ونديه الرشيد على الشراب . لقد كانت زبيدة تريد أن تجعل من الرشيد رجلاً
عبداً زاهداً في كل شيء من الدنيا - وأبو العتاهية وشعره وجيلها في
ذلك (١٤١) .

وهكذا حاول الكثيرون اخراج أبي العتاهية من حلبة الزهد ورميه خارجها . مع
أنه - في رأينا - قد تزهد في أخريات عمره . وكف عن شهواته وحبهاته . وهماو ذا
يقول مخاطباً الرشيد بعد اعتزال مجلسه وطرح اللهو والشراب والمداومة جانباً . - يا
أمير المؤمنين . إن الحسنات يذهب السيئات . كمت أقول الفول ولمي شرباً وجدة
وبى حزالك وقوة . وأنا اليوم شيخ ضعيف لا يحسن بعثني تصاب (١٤٢) . أن زهد
جاء بعد ضعفه وكبره وشعوره بالندم على ماقدمت يده من معاصي وأثام وأعمال
منكرة . ويرى الدكتور محمد محمود النش أنه تزهد حقاً بعد سنة مثنتين للهجرة .
أي بعد السبعين من العمر (١٤٣) .

(٢٥٩) دراسات في الادب العربي الاسلامي ص ٨٥ .

(٣٦٠) اتجاهات الفكر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢٩٢ .

(٣٦١) أبو العتاهية ص ٦١ .

(٣٦٢) الفكر العربي بين الجسد والطور ص ٤٢ . وأسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ٩٩ .

(٣٦٣) زهر الادب ١٠١ : ٢٢٩ .

(٣٦٤) أبو العتاهية . حياته وعصره ص ١٥٩ .

كان أبو العتاهية ذا ثقافة واسعة . أتته من عدة زواهد أوسعها الزاهد الإسلامي
وهذه الثقافة واضحة في شعره . فمثلاً ما ذكره القرطبي في قول أبي العتاهية (٣٠١)

وقد يهلك الإنسان من باب أمه ويحو باذن الله من حيث يحذر

فهو متأثر بقوله تعالى : (فمضى أن تكرر هوا تبتاً ويجعل الله فيه خيراً
كثيراً) (٣٠١) ومن تأثره بالحديث : (٣٠٢)

إذا كنت في الدنيا بصيراً فإنما بلائك منها مثل زائد المسافر

فهو مأخوذ من الحديث الشريف : « ليكن بلاغ أحدكم من الدين كزاد المسافر » .
ومن تأثره بمن سقه من الشعراء في قوله (٣٠٣)

يا من رأى قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجد على القتلى

فهو مأخوذ من جميل بن ميمون في قوله (٣٠٤)

خليلى . فيه اعتما هل رأيت قتيلاً بكى من حب قاتله خلي

كان أبو العتاهية مبكراً في نظم الشعر ومكثراً حتى أنه قال : « لو شئت أن أجعل
كلامي كله شعراً لفعلت » (٣٠٥) وقد شاهد ابن النديم من ديوانه في الموصل شيئاً
وعشرين جزءاً من ثلاثين (٣٠٦) وقال الخطيب البغدادي : « وهو أحد من مار
قوته . وانتشر شعره . وشاع ذكره . يقال : إن أحداً لم يجتمع له ديوانه بكماله .
نظمه » (٣٠٧) ولكن الذي بين أيدينا الآن من ديوانه محله واحد أغلبه في الزهد .
ونحل الأسباب التي حالت بين ذلك الشعر الكثير وبين وصوله إلينا

(٣٠٥) الكامل ١ ، ٢٢٢ .

(٣٠٦) سورة النساء . الآية ١٩

(٣٠٧) ديوانه ص ١٧٦ .

(٣٠٨) ديوانه ص ٢٨٦

(٣٠٩) ديوان جميل بلخية ص ٧٢ .

(٣١٠) الأغاني ٤ ، ١٢٠ .

(٣١١) المهرج ص ٢٢٧ .

(٣١٢) تاريخ بغداد ١ ، ٢٥٠ .

استهل أبو العتاهية حياته الشعرية بالفزل . ونعنى في قول الدكتور محمد عبد الحريز الكفراوي شيئاً من المبالغة ، أنه أعظم شعراء الحب في عصره . (٣٣) . إن غرله عفيف ورقيق له . من قلوب النساء موقع الزلال البارد من الضمان (٣٤) . وأغلب ما وصل إلينا منه في عتبة حارية المهدي ووصيفة الخمرار . وقد نجر بها حيناً راحاً لأول مرة رائحة إلى السوق . وأخذ يستطعمها ويتودد إليها . ويتوسل لها . بشعر سهل لطيف عذب . مثل قوله . (٣٥) .

عينني على عتبة منهلة بدمعها المنسكب السائل
كانها من حننها دوة أخرجها انيم إلى الساحل
كان في فيها وفي طرفها سواحراً أقبلت من بابل
ثم يبق مني حنبا ما خلا حشاشة في كيد ناحل
وكان صد عتبة ورذاها ودلالها يزيد جذوة حبه . ويشير في فقه الآل والحرة .
و يدفعه إلى نظم الشعر تاركاً . (٣٦) .

الله بيني وبين ظلماتي طلست منها وصالها فأيس
ماذا علمها ذو أنها بعثت منها رسولاً إلى أو كتبت
رغبت في وصلها . وقد زهدت غشبة في وصلنا وما رغبت
أن بساطة تنعم وطريقته في التوجع وفي التعجب وفي النداء والنداء أشبه بطرق
النساء . وهذا ماذع الأقدمين إلى القول ، أنه يحمل زاملة الخشين . (٣٧) . وقد مثل
بشار بن برد : من أشعر أهل زماننا ؟ فقال : مخنث أهل بغداد (يعني أبا
العتاهية) . (٣٨) .

ونلمنح نصيب لا بأس به في شعر أبي العتاهية . إذ سخره للوصول إلى أبواب
الخلفاء والولاة والقواد والحصول على الأموال الكثيرة منهم . وكان يهز أرباحهم

(٣٣) أسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ١٢٢ .

(٣٤) طبقات الشعراء ص ٢٢ .

(٣٥) ديوانه ص ٢٨٦ .

(٣٦) مروج الذهب ٢ : ٤٢٢ .

(٣٧) الأذهاني ١ : ١٠٤ . وينظر أبو العتاهية حياته وشعره ص ٢٠٦ .

(٣٨) الأذهاني ١ : ٢١٤ .

لأنه يعرف كيف يتخير الأفكار القريبة الى نفوسهم مبين القول . وإليك هذه الايات في مدح الخليفة المهدي لتري مدى دقته في اصابة هدفه . (١٨٦)

ثبته الخلافة منقاداً اليه تحرراً أذباله
ولم تـك تصـلح الـا له ولم يك يصلح الـا لها
ولو رامها أحد غيرة لزلزالـت الأرض زلزالها
ولو لم تـطعمه بنات العنوب لما غـسـل الله أعمالها

وكان الخليفة الرشيد يقربه ويرعاه ويصحبه ويملا يديه مالا . ولذلك كثرت مداخله فيه . ومن جيد شعره الذي تتجلى فيه مظاهر القوة في الصياغة قوله (١٨٧)

جرى لك من هارون بالعبد طائره
امام له رأي حبيب ورحمة
هو أفنك الجبول نقاً على النقى
مؤدباً مـودعـة ومصادرة
ليحمد سيف الحرب . فالفه وحده
مـلـمـة من كل سوء عاكرة
وهارون ماء المزب ينعي من الضدى
وتسي أسير المومنين وناصرة
وأوسط بيت في قريش نية
إذا ما الصدى بالريق غصت حاضرة
وزحف له نحكي البروق سيوفه
وأول عز في قريش وأخرة
إذا حيمت شمس النهار تضاحكت
وتحكي الرعود القاصفات حوافره
إذا تكب الإسلام يوماً بنكية
الى الشمس فيه بيضة ومغافره
لقد ملأفت ما قال فـمـسـا يـنـسـبـت ما قال
ولا يـي العنـايـة شـر في الهـدء ولكنـه قـلـيل
وعارون من بين البرية نائرة
والخيرية والظعن في الرحوة . ولا سيما هجاءه لمن بن زائدة تشيبياني الذي معه من التشيبيين بجاليقته شعري . من ذلك قوله (١٨٨)

لقد ملأفت ما قال
فأما بالبيت ما قال
فلو كان من الأد
لما راع ولا هلا
وما تصنغ بالسيف
إذا لم تـك قد خـلا
فقص ما كنت خـليت
به سيعتـ حلـ خلا

(١٨٦) ديوانه ص ٣٢٥ .

(١٨٧) بنات العنوب ، الآ ١٠٠٠ .

(١٨٨) ديوانه ص ٣١٣ .

(١٨٩) ديوانه ص ٣٨٠ .

وكان معي من زائدة يتألم ويتوجع من هذا الهجاء ويقول : ما ليست سيني
قط فرائيت انسابا يلحقني الا ظننت انه يحفظ قول ابي العتاهية في : فذلك
يتألمني فأعجل ٢٨٥.

والباب التاسع في شعره هو الزهد . وقد رأينا كيف انصرف الى
نظمه بعد كبره واعتلاه الشيب معرقه . ورجحنا انه تاب توبة صادقة لاريب فيها .
وكان كما قال ابو الفرج الاصبهاني : يحج في كل سنة ١٠٧١ . والحج آنذاك لم
يكن سهلاً ميسوراً وانما له متاعب جمّة لا يتحملها الا المؤمن الصبور الذي اتى الله
بقلب سليم .

أدرك ابو العتاهية ان المرء ان فناء . وأن وراءه حساباً عسيراً . لذلك زهد في
الدنيا بعد أن سعى فيها الى طلب اللذة واللذة وعكف على بهرجتها وريشها . وقد
ذكر خلاصة رأيه في الحياة في قوله ١٨٢١ :

حظيتك يادنيا . فأعذرت في الطلب فما بذت الا الهمة والغنى والنصب
أفعلما بما لي أنتي لست وأصلاً الى لذة الا بأصنافها تعبت
وأسرعت في ديني . ولم أقض بغيتي هربت بديني منك . ان فزع العرب
نخلت مما فيك جهدي وطاقتي كما يتخلى القوم من عزة الحرب
هكفا وجد الحياة . هم وتعب . ونعم وتصب . لذلك فر منها الى عالم العبادة
والزهادة ويبدو أن السهام التي رمى بها من اليفضيين والجامدين آذته وزادته نفرة
وفراراً من الواقع الذي كان يعيش على أرضه . وقد عبر عن ذلك في قصيدة
منها ٢٨٦ :

فبارت . إن الناس لا ينصفوني وإن أنا لم أنصفهم ظلموني
وإن كان لي شيء تصلوا لأخذه وإن حشأ أبغى شيئاً منوني
وإن نالهم رقصي فلا شكر عندهم وإن أنا لم أبذل لهم شئوني
وإن وجدوا عندي رخاءاً تقربوا وإن عزلت بي شدة حذوني
وإن طرقتني نكبة فكبوا بها وإن صحتني بعمه حشوني

(٢٨٥) الأغانى ٤ ، ٢٧ .

(٢٨٥) الأغانى ٤ ، ٢٧ .

(٢٨٥) ديوانه ص ٤٩ .

(٢٨٦) ديوانه ص ٤٦ .

لقد دعا أبو العتاهية في شعره الزهدي إلى محاسن الأخلاق . وحميد العمال .
وصالح الأعمال . وكان آخر ما لونه في مرضه الذي مات فيه (٢٨٤)

إلهي . لا تشدني . فإني مقرر بالذي قد كان مني
ومالي حيلة . إلا رجائي وعفوك . إن عفوت . وحنّ ظني
فكم من زلة لي في البرايا ولأنت علي ذو فضل ومني
إذا فكرت في ذمّي منبهاً عضضت أناملتي . وقرعت سني
يظن الناس بي خيراً . وإني لشرُّ الناس . إن لم تغف عني

إن شعر أبي العتاهية . في كل أغراضه . سهل وواضح وسلس . وبلا تعثر في
مظاهر الصنعة أو الزخرف . قال مصعب بن عبد الله حينما سمع الآيات الآتية ، من
شعره

نعلست على بآمل	طوال إني أمـل
واقبلت على الدنيا	مـلحاً أي أقبل
أيا هذا . تـجـهـز لـ	فراق الأهل والمال
فلا بد من الموت	على حال من الحال

، هذا كلام سهل حق . لا حشو فيه ولا نقصان . يعرفه العاقل . ويقر به
الجاهل (٢٨١) . لقد تقصد أبو العتاهية هذه الطريقة . أي طريقة السهولة والوضوح
والبلاغة . وأرادها لنفسه . فالشاعر في رأيه يجب « أن تكون الفاظه مما لا تخفى
على جمهور الناس (٢٨٢) . وهذا الشيء دفع تكلسون إلى القول ، « أن أبا العتاهية
قد برهن لأول مرة في تاريخ الأدب العربي . وربما كان لآخر مرة أيضاً . أنه في
استطاعة المرء أن يستعمل لغة عادية . وواضحة تمام الوضوح . ونظلم له رغم ذلك
مكانته بين الشعراء (٢٨٣)

والى جانب السهولة والوضوح وسلامة الأسلوب كان أبو العتاهية « يباشر المضي
مباشرة . وينصد إليه قصداً . لا يختار لذلك واسطة من صورة أو غيرها . مما أوقع
به شعراء العصر الذي عاش فيه . ألا إن تأنبه عفواً في غير كذ (٢٨٤) وهذه الحقيقة

(٢٨٢) ديوانه ص ٤٢٥ .

(٢٨٣) الأطلاني ١٠٠٤ . ويظهر ديوانه ص ٢٤٦ .

(٢٨٤) الأطلاني ٧٠٠٤ .

(٢٨٥) أسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ١٢٤ .

(٢٨٦) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٢٨٩ .

واضحة للمعان في شعره عموماً . وللتأكد من ذلك نورد هنا الخبر . روى أبو الفرج
 الاصفهاني أن اباالعتاهية مدح عمر بن العلاء . وهو من اصحاب الخليفة المهدي .
 . فأمر له بسبعين الب درهم . فأنكر ذلك بعض الثمراء وقال . كيف فعل هنا بهذا
 الكوفي ؟ وأي شيء مقدار شعره ؟ فبلغه ذلك . فأحضر الرجل وقال له . والله أن
 الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه . ويتعاطاه فلا يعنه . حتى يشيب
 بحمين بيتاً . ثم يمدحنا ببعضها . وهنا كلُّ المعاني تجتمع له . مدحني فقصر
 التشبيب وقال .

اني أمنت من الزمان وريبه لما علفت من الأمير حبلا
 أن المطايا تشتمكك لأنها قطعت اليك سباباً ورملاً
 فإذا وردن بنا وزدن مخفة وإذا رجفن با رجفن ثقالا ١٢٨

لقد عرم أبو العتاهية اختيار الطريق الذي يوصله إلى ما يريد . وحسناً قال
 حينما شئ . ، كيف تقول الشعر . قل : ما أردته قط إلا مثل لي . فاقول ما أريد
 وأترك ما لا أريد ١٢٩

(٢٩٢) الاطاني ٤ : ٢٨ .

(٢٩٣) الاطاني ٤ : ١٣ .

مسلم بن الوليد

١٤٠ - ٢٠٨ هـ

اسمه وكنيته ولقبه .

هو مسلم بن الوليد . ويكنى بأبي الوليد . ويلقب بصريع الغواني . وهذا اللقب كان الرشيد قد أطلقه عليه حين سمع قصيدته الغزلية الخمرية التي يقول فيها .

مَنْعَاذَ لُذَّاتِ مَتَّبِعِ الطُّبَا لَأَمْنِي فَمَنْ أَوْ أَصِيبَ فَنَنْ مَنِي
هَلْ الْعِشُّ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ الضُّبَا وَتَقْدُو صَرِيعَ الْكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ النَّجَلِ ؟
قال له . أنت صريع الغواني . فسمي بذلك حتى صار لا يعرف إلا به (١٨٠) .
وفي رواية أخرى . أن رجلاً سأل مسلم بن الوليد . ثم تدعى صريع الغواني ؟ فأجاب يقول (١٨١) .

إِنْ وَرَدَ الْخُدُودَ وَالْأَعْيُنَ النَّجْدُ لِي وَمَا فِي الثُّغُورِ مِنْ أَتْعَمَانِ
وَأَعْرَاجِ الْأَصْبَاحِ فِي ظَاهِرِ الْخُصْبِ وَمَا فِي الصُّدُورِ مِنْ زَمَانِ
تَرَكْتَنِي بَيْنَ الْغَوَانِي صَرِيحاً فَلِهَذَا كُذِّعِي صَرِيحَ الْغَوَانِي
إِنْ هَذَا اللَّقَبُ الَّذِي شُهِرَ بِهِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ . إذ كان زير نساء . ويردد كثيراً في شعره كلمة الصريع وما أشبهها . ويبدو أنه كان راضياً مرحواً به .

سيرته :

ولد مسلم بن الوليد في الكوفة سنة ١٤٠ للهجرة . من أسرة تُنسب إلى الأنصار . وكان أخوه الأكبر سليمان الأعشى شاعراً جيداً وصديقاً نديماً لبشار بن برد . وكان له أثر كبير في نشأته وتوجيهه إلى درب الأدب .

تعلم مسلم بن الوليد في الكوفة . واختلف إلى البصرة . وسمع كبار رجال النحو واللغة والأدب والرواية . وحفظ القرآن الكريم . والشعر القديم . والخطب والأمثال ... حتى أصبح واحداً من أعلام الأدب آنذاك . قال الجاحظ : « من الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاعرة مع البيان الحسن

(٢٩٤) طبقات الشعراء ص ٢٢٤ . تاريخ بغداد ١٩ . ٢٧ . ديوانه ص ٣٣ .

(٢٩٥) ديوانه ص ٢٩٦ .

كلثوم بن عمرو العنابي . وكتبه أبو عمرو . وعلى الفاظه وحذوه ومثاله في اليدبع
يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين . كنحو منصور النخري . وسلم
بن الوليد الأنصاري (١٣١).

جذبت بغداد الكثيرين من الأدباء والعلماء . وكان مسلم بن
الوليد شأنه شأن معاصريه توافاً إلى الترف واللهم والملا . فارتحل إليها . ولم
يمض وقت طويل حتى طلع نجمة في سماء الأدب . ودعته مجالس الحلفاء
والوزراء والقواد . وقال الهذلي والأحطيات . ويقال . إنه كان يربح ألف ألف درهم
في العام وكان مبتلاً ما يتفق ما تجود به أيدي الكرماء على ملثائه وأصحابه الذين
يشامرون معه .

ولم يدم على حياة اللهو والشرب . إذ تراء يُغَيَّرُ هذه الحياة . ويطلع عن درب
القوابة والمبث بعد وفاة زوجته . يقول أبو الفرج الأصبهاني (١٣٢) . « كانت مسلم
بن الوليد زوجة من أهله . كانت تكفيه امرأة وشرة فيما تليه له منه . فماتت .
فجزع عليها جزعاً شديداً . وتشتك مدة طويلة . وعزم على ملازمة ذلك . فأقسم عليه
بعض إخوانه ذات يوم أن يزوجه . ففعل . فأكلوا وقدموا الشراب . فامتسح منه
سلم . وأنشأ يقول .

بكاءة وككر . كيف يشتغل ؟ سبلاهما في القلب مختلفان
دعاسي وإفراط السبكاة غزاسي أرى اليوم فيه غير ما ترويان
غدت والثري أولى بها من زليها إلى منزل تام لعينيك داب
فلا خزن حتى تفرق العين مامها وتسترزف الأحشاء للحفقات
وكيف يدفع اليأس للوجد بعدها وسهامها في القلب يغليجان .

لقد أحسن في هذه الأبيات وأجاد . لأن معانيها صادرة من أعماقه . تنطق
صدقا . وتتحدث عن ألم كبير ومأساة فادحة أصابته وأرجعته وتركته بلا قريب
واليف .

تولى مسلم بن الوليد في أخريات أيامه يريف خرجان . وبقي فيها مستقراً على
شاطئ بحر الخزر . وكان يشتوق إلى بغداد ويحن لها . وقد أحسن بالغربة وراى
ذات يوم نخلة قبعت شجونة وذكرته بنخيل العراق كما ذكرت نخلة الأندلس

عبدالرحمن الداخل بوطنه في المشرق في أبيات مشهورة له (٣٨١) قال مسلم وكأنه
يسكن على حاله ويرثي نفسه (٣٨١)

ألا يا نخله بالشمس ج من أكــناب خرجان
ألا يا نخله وإياك جرجان غريـــــــــــــــــبان
وقيل : لما احتضر وهو بـجرجان نظر إلى نخله وقال هدين الميتين . وليي داعي
ربه سنة ٢٠٨ للهجرة .

شعره :

قال مسلم بن الوليد إعجاب الدارسين والنقاد . وجمعوه في منزلة رفيعة . فها
ابن رشيقي يقول ، سمعت جملة من العلماء يقولون مسلم بن الوليد نظير أبي
نؤاس . وفوقه عند قوم من أهل زمانه في أشياء (١٠١) . ويُفضله الأديبي على أبي تمام
« سلامة شعره . وحسن بيته . وصحة معانيه » (١٠١) . وهو في نظر المرزبانى
، شاعر مثله مستخرج لطيف المعاني بحلم الألفاظ (١٠٢)

طوى مسلم بن الوليد أغلب موضوعات الشعر من مديح وغزل ووصف ورثاء
وهجاء .. وكان مجوداً فيها ، مبدعاً في صياغتها ، متقناً في تركيبها . وقد يهزم محبى
الأدب منذ عصره . ذكر أبو العرج الأصبهاني أن جملة من الأدباء والنقاد اجتمعوا
يوماً عند الخليفة المأمون ، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء . فقال له بعضهم ، أين
أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد ؟ قال حيث يقول ماذا ؟ قال ، حيث
يقول وقد رثي رجلاً .

أرادوا ليخفوا قبره عن عبوه عطيب تراب القبر دل على القبر
وحب مدح رجلاً بالشجاعة فقال والجود بانفس أقصى غاية انجود
يجود بالنفس إذ ضُ الجواد بها

وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاق فقال ،

(٣٨٨) ينظر : دولة الإسلام في الأندلس ص ٩٠٠ .

(٣٩٩) دهراند ص ٢٤٣ .

(٤٠٠) المصنف ١ : ١٩١ .

(٤٠١) الموائمة ص ١١ .

(٤٠٢) معجم الشعراء ص ٣٧٣ .

فبحث مناظره فحس خبرته خست مناظره لنسج المخبر
ونازل قتال .

هو ينجح وحبيب يطمع أنثى لفتى يسميها مغنيت
فقال المأمون . هذا أشعر من خضم اليوم في ذكره « (١٤) .

كان مسلم فارساً مجلياً في المديح . بصي جل طاقته وموهبته في إبداعه وإخراجه
في صورة مثلى . وكأنه أمام امتحان صعب . ومثال على ذلك قصيدته اللمية التي
يبلغ عدد أبياتها تسعة وسبعين بيتاً . وهي من عيون قصائده في مدح يزيد بن
فريد الشيباني . قائد الرشيد المشهور الذي أنقذ الجراح في الأعداء وانتزع النصر منهم
بجلده وصبره وفؤاده وإرادته وشدة مناجزته . منها قوله (١٥) :

يقش الوضى وشهاب الموت في يده	يرمي القوارس والأبطال بالثقل
يفتر عند انقراض العرب بيتاً	إذا تغير وجه الفارس النطل
موف على منهج في يوم ذي زفج	كأنه أجل يسعى إلى أمل
يدل بالرفق ما يعيا الرجال به	كالوت مستعجلاً يأتى على غفل
لا يرسل الناس إلا نحو حجرتي	كالبيب يضحى إليه ملتقى السبل
يقري المنية أرواح الكماة كما	يقري الضيوف شحوم الكوم والترك
يكسو السيوف دماء الناكثين به	ويجعل الهام تيجان الثنا الذليل
يقعدو فتنوا المايا في أسننه	شوارعاً تتحدى الناس بالأجل
قد عود الطير عاداك وتمز بها	فهن يشعة في كل مرتحل
ترام في الأمن في جرح مضاعفة	لا يأتى الدهر أن يدعى على عجل
لا يعنى الطبيب خليه ومغرفة	ولا يمتح عينيه من الكحل

إنها صورة رائعة . مرسومة بكلمات محبوبة وعبارات مبدوعة . تأخذ معانيها
بعضها برقاب بعض وكأنها سلسلة ذهبية قلدها الشاعر جيد البطل المصوح . وقد
تأثر بها أبو الطيب المتنبي حين مدح سيف الدولة الحمداني في قصيدة جاء
فيها (١٦) :

(١٤) الألفاظ ١٤ ، ٢٤ .

(١٥) ديوانه ص ٩ .

(١٦) شرح « ديوان المتنبي » ٩ ، ٢٣٣ .

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَيْءٌ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَنَّتِ الرِّزْدَى وَهِيَ نَائِمٌ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلُّنِي هَزِيمَةٌ وَوَجْهُكَ وَصَاحٌ وَشَغْرُكَ بَالِمٌ

وكان مسلم يذوبُ صباغةً في جمال النساء الأخاذ ، ويُعَيِّرُ عنه بشعر رفيق ،
يسيل غزوبة ، ولا سيما في شعره الذي نقل فيه حديث القواني اللواتي تغزل بهن ،
وهو يذكُرنا فيه شعر عمر بن أبي ربيعة ، مثل قوله من قصيدة (١١٦) :

وَقَدْ خَالَتْ لِبَيْضِ أَمْسَاتٍ يَصْدُنْ قُلُوبَ شَبَابٍ وَشَيْبِ ،
أَنَا الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ حِينَ تَبْدُو وَتَكُنْ لَسْتُ أَعْرِفُ بِالْمُغِيْبِ
يَرَانِي اللَّهُ زَيْبِي إِذَا يَرَانِي مِيرَاةً سَلِمَتْ مِنْ الْعَصِيْبِ
فَلَوْ كَلِمَتْ إِنْسَانًا مَرِيضًا لَمْ أَحْتَاجِ الْمَرِيضَ إِلَى الطَّبِيْبِ
فَقَنْزِ لَهَا ، صَدَقْتَ فَهَلْ عَطَقْتُمْ عَلَى رَجُلٍ يَهْمُ بِكُمْ كَتَبِ
غَرِيْبٍ قَدْ أَتَاكَ فَأَطْلُقْ سَيْبِهِ فَإِنَّ الْأَجْرَ يُطْلَبُ فِي الْقَرِيْبِ
فَقَالَتْ ، قَدْ بَدَتْ مِنْهُ غَنَاتٌ وَقَدْ تَبْدُو الْهَنَاتُ مِنَ الْمَرِيْبِ
وَصَلَاةُ فَكُلُّنَا ، بِسُخْرٍ ، كَذَلِكَ كُلُّ مَلَاةٍ خُلُوبِ (١١٧)
وَمَا ظَلُمْتُ وَلَكِنَّا ظَلَمْنَا فَقَدْ تَبْنَا إِلَيْهَا مِنْ قَرِيْبِ
غَفَرْتُ ذُنُوبَهَا وَصَفَحْتُ عَنْهَا قَلَمٌ تَصْفِيحٌ وَلَمْ تَغْفِرْ ذُنُوبِي

لم يكن مسلم بن الوليد محبوباً في المديح والغزل فحسب وانما كان محبوباً في
كل الفنون الشعرية ، فله شعر جميل في الوصف ، ولا سيما في وصف الخمرة ،
ووصف الروض ووصف السفينة التي جعلها وسيلة في الوصول الى المملوح بدلاً من
الثاقل ، وكذلك كان محبوباً في الرثاء والتعبير عن الحزن بحرارة وقد عُدَّ التَّغْلُدُ يَتَهُ
الذي مرُّ بنا في بداية حديثنا عن شعره أروع بيت .

وفصاري القول ، إنَّ مسلم بن الوليد من الشعراء الأذكياء المبدعين الذين جمعوا بين
جزالة التقديم ورقة الحديثين ، وبصياغة لطيفة وموسيقى محببة ، وإن قيل انه أول
من وضع الديدغ وحشابه شعره (١١٨) ، فإنَّ صورة التي زينها بالبداع والبيان له
تكن قبيحة أو مستكرة كما سنرى عند شعرائنا المتأخرين

(١١٦) هجاء ص ١٩١ .

(١١٧) كلُّنَا بِسُخْرٍ ، أي سبالي جها . وليس اسمي ، وكذلك يطل كل ملأ عن غرب
والغروب ، المصروع .

(١١٨) طبقات الشعراء ص ٢٦٥ .

أبو تمام الطائي

١٨٨ - ٢٢١ هـ

اسمه ومولده :

هو أبو تمام حبيب بن أوس بن أنحارث بن قيس . وثمام ابنه . ولد بقرية
 « جاسم » على يمين الطريق القصد بين دمشق وطبرية . وقد اختلف المؤرخون في
 السنة التي ولد فيها . ولعل سنة ١٨٨ للهجرة أقرب إلى الصحة . لأن أكثرهم يرجعون
 هذا التاريخ ومنهم ابنه تمام . فيقول : « ولد أبي سنة ثمان وثلاثين ومئة . ومات
 سنة إحدى وثلاثين ومئتين » (١٠٧)

نسبه :

إن الخلاف في نسبه وأصله كبير أيضاً . فقد ذكر أبو الفرج الأصبهاني أن أبا
 تمام من نسل طويق ضليعة . واسمه حبيب بن أوس (١٠٨) . وعدد ابن خلكان جنوده
 وأوصله إلى يعرب بن ضعلان (١٠٩) . وقيل : أن أبا تمام كان رجلاً نصرانياً يدعى تدوس
 فغفره أبو تمام إلى أوس وانتسب إلى طيء . وذهب مرجليوث وطه حسين إلى أنه
 تيودوس . وهو اسم يوناني . وكان هذا نصرانياً يبيع الخمر في دمشق وأن ابنه نشأ
 في حجرة نشأة نصرانية . ولكنه أسلم وترك دمشق وذهب إلى مصر فأقام فيها
 فترة (١١٠) . وأنكر البهيتي نصرانية أبيه وقال : « دعك من نصرانية أبيه . فما كانت
 إلا افتراء خصوم أبي تمام » (١١١)

إن نصرانية أبيه - أن صحت - لا تنفيه من العرب ولا من طيء . فقد كانت
 النصرانية شائعة من قديم فيها . وبشده لذلك فخره للضطرم بطيء . وأنه اختار
 منها أكثر صمدوحيه . ونزه تنويرها عظيماً بمن سجلوا لها في عصره أمجاداً حربيةً .
 مما يدل على أنه طائفي وعربي أصيل (١١٢)

(١٠٧) : ترجمة الألباء في طبقات الأديباء ص ٦٨ . وينظر أخبار أبي تمام لقصولي ص ٢٢٢ .

واللهيب التاريخ الكبير لابن عساکر ٦ : ١٨٠ ، ٢٦٠ .

(١٠٨) : الأتاني ٢٨٧ ، ٢٩٠ . صلبية ، أي ليس من مواليها ولا حلفائها

(١٠٩) : وفيات الأعيان ٢ : ١١٠ .

(١١٠) : من عهد الفخر والنفر ص ٩٩ . وينظر مادة أبي تمام في دائرة المعارف الإسلامية

(١١١) : أبو تمام الطائي ص ٦٢ .

(١١٢) : ينظر العصر النبوي الأول للذكور الطائي ص ٣٦٩ .

نشأ أبو تمام في دمشق بعد انتقاله إليها مع أبيه ، واشتغل في مطلع حياته عاملاً صغيراً في حاتون للحياكة ، وفي أثناء ذلك كان يتردد إلى حلقات الدرس ويسمع ما يدور على أفواه العلماء والادباء من علوم اسلامية أصيلة أو وافدة مثل الفلسفة اليونانية . وتنفق كثيراً في سبيل التعلم . وكانت رحلته الأولى إلى حمص ، حيث أقاد من الشعراء عتبة بن عبد الكريم الطائي . وعين السلام بن زغبان المعروف يدبك الجس . وانتفع بما عندهما من معرفة بصناعة الشعر . وبعدما شد رحاله إلى مصر ونزل المسجد الجامع في القبطاط ليكتب معاشاً وينهل علماً . وأسعفته قدرته على فرض الشعر الحيد منذ الوهلة الأولى وتسخيره للمدح كما يفعل كثير من الشعراء . فتظم قصيدة في مدح صاحب الشرطة والخراج عياش بن لهيعة الحضرمي ، منها قوله (١٧١) :

وما ضيقُ أقطارِ البلادِ أضاني إليك ولكن مذهبي فبك مذهبي (١٧٢)
وأنت بمصر غايشتى وفراستى بها وبنو الأبياء فيها بنو أبي

وفي رواية للصولي أن أبا تمام قال عن هذه القصيدة أنها ، أول شعر قلته .. ومدحت به عياش بن لهيعة فأعطاني خمسة آلاف درهم (١٧٣) ولا تنس هذه الرواية مع عتاب أبي تمام للممدوح فيما بعد ولا مع هجائه له . ومع ذلك قد يحصل أن يمدح شاعر شخصاً ثم يتقلب عليه فيهجوه كما فعل مسلم بن الوليد مع سريد بن مزبد الشيباني (١٧٤)

عاد إلى موطنه دمشق سنة ٢٧٩ للهجرة بعد مكوثه في مصر أكثر من خمسة أعوام . استوعب فيها علوماً كثيرة . ووقف على كتب جمّة . وكان المؤمن أنذاك يتجول في الشام بعد رجوعه من حرب الروم والانتصار عليهم . وقد مدحه أبو تمام بقصيدة طويلة . منها قوله (١٧٥) :

(١٧٥) (١٩٥) : ١١٠ ، ١٢٤

(١٧٦) : يقول : لم يلقني ضيق البلاد علي ، وكساه بضايعي هند الناس . ولكن مذهبي إلا أسأل إلا لكريم .

(١٧٧) : أحيار أبي تمام ص ١٣١ .

(١٧٨) : الطائي ١٩ ، ٢٩ .

(١٧٩) : (١٩٩) : ٢ ، ١٢٤

يأيتها الملك السهمان وعذرة ملك عليه في القضاء خدام
أوريت زند عزائم تحت اللجي أرسجيز قكوك والسبلاظلام
فنهضت سحب ديك جيسر ساقه يحسن اليقييز وقادة الاقدام
حتى نفقت الروم منك بوقعة شتعاة ليس لنقضها إبرام
لم يظفر أبو تمام عنده بما كان يحلم به أو يتأمله . وراح ينظم شعرا في رثاء
بطل من طيء . هو محمد بن حميد الطائي الذي كافح بابك الخرمي كفاحاً مريراً
وخاته القدر فسقط في ميدان النضال . وأخذ هذا الشعر يحتل مكانة ممتازة في
الأوساط الادبية ولا سيما قصيدته التي يقول في مطلعها (١٣١) :

كنا منجمل الخطيب وليفدح الأمر
فليس لعين تم يفض ماؤها غمز

وكان يحب التنقل والتصاوى وانتجاع الأقاليم والثغور في العالم الاسلامي الذي
عنه وطناً واحداً له . وقد صور هذه الحالة أصدق تصوير في ابياته الاولى من
قصيدته التي مدح بها محمد بن حسان المصبي (١٣١) :

ما اليوم أول نوديع ولا ثاني البين أكثر من شوقي وأحرابي
خليفة الخضر عن يريع على وطن في بلدة فضهوز العيسر أوطائي
بالثام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقعتين وبالفسطاط اخواني
وما أظن النوى ترضى بما صمت حتى تطوخ بي أقصى خراسان (١٣٢)

انه على سفر دائم . وترحل قائم . على ظهور الابل .
يطوف البلاد وكأنه خليفة الخضر . فأهله في الشام . وهواة في
بغداد . وهو بالرقعتين . واخوانه بمصر . وقد يطرح به النوى أقصى خراسان
هكذا حقاً كان أبو تمام . فرأه يرتحل الى الموصل ومنها الى ارمينية . وينال عطايا
ولفرأه من واليها خالد بن يزيد الشيباني . ثم يقتل راجعاً الى بغداد بعد وفاة
الأموي سنة ٢١٨ للهجرة ويجد خطوة عند المعتصم وكبار رجال الدولة . منهم محمد
بن يوسف الثغري القائد الذي هزم بابك الخرمي ثم قصد خراسان واستقبله واليها
عبدالله بن طاهر استقبالا حافلاً ومن معه من الكتاب والشعراء . وأنشده أمانه قصيدة
قوية جزلة المعاني . مطلعها (١٣٣) :

(١٣٠) ديوانه ١ : ٢٩

(١٣١) ديوانه ١ : ٢٠٨

(١٣٢) وهناك رواية ثانية . حتى تصافى . ولانك . حتى تفاهى .

(١٣٣) الاغانى ١ : ٢٨٨ . ونظير الديوان ١ : ٢١٩ .

هسّ عوادي يومئذٍ وصوابه فغزماً فغزماً أدرك النول طائفة
فلما فرغ منها نشر عليه ألف دينار .

وقبل عودته الى العراق ، عرج على همدان ، واستضافه أبو الوفاء بن سلمة أحد
أدباء البلد وشركاتها . وصادف سقوط الثلوج بكثافة في هذا الاقليم ، فألقاه عن
السفر . وجلس في مكتبة أبي الوفاء وأكب على الكتب التي تحويها هذه المكتبة
وصنّف خمسة مجاميع في الشعر منها الحساسة ، والوحشيات . كما يقول أكثر
الدارسين (١٧٨) . وانما لا تتفق مع هذا الرأي ، لأن المرء مهما أوتي من فطرة وقوة لا
يستطيع ان يقرأ في مدة ثلاثة شهور كل الشعر العربي ويختار منه خمسة كتب .
وانما ذهب الى ماذهب اليه الآمدي بأن أبا تمام ، كان مشهوراً بالشعر ، مشغولاً
به . مشغولاً مدة عمره يتعيره ودراسه (١٧٩) . وربما كانت مدة اقامته مكحلة لعمله
السابق الذي خططه لنفسه في جميع الشعر في مختارات . وانه استغل هذا الانقطاع
لتفرغ لهذا العمل بدلاً من نظم الشعر والوقوف به على أبواب المدح والهجاء . رجع أبو
تمام الى اصهان ومنها الى سُر من رأى . وأخذ يتنقى بانتصارات القواد على بابك
الخرمي الذي دُوخ الدولة منذ سنة ٢٠٨ للهجرة . ونازله رجال كثيرون . وأخيراً قبض
على الأفشين في اوائل سنة ٢٢٣ للهجرة . وهو من اكبر قواد المعتصم . وجاء به مقيداً
الى سُر من رأى وفيها خُلب جزاء بغيه وخروجه على الدولة . وأخذ الشعراء وفي
مقدمتهم أبو تمام يباركون للخليفة بهذا النصر يقول من قصيدة بهذا الظفر (١٨٠)
فتوح أمير المؤمنين تفتححت لهن زاهير الزُما والعمائل
وعادت مصر لم تزل تستعبدُها عصابة حق في عصابة باطل
فهنا دواء الداء من كل عالم وهذا دواء من كل جاهل

وحينما أنار توفيل إمبراطور بيزنطة على مدينة « زبطرة » ونكّل بأهلها
وسبى نساءها . نهض المعتصم على نداء الهاشمية الأسيرة ، وامتنصاه ! وهتف لببك
لبيك . وخرج بنفسه يدوس ديار هذا الامبراطور الى أن وصل الى عمورية . وكان
يحميها سمور ألفاً من الروم . فحاصرها . ثم انقضّ عليها وقتلها . وكسر أنوف
المتحيرين المعتدين . وأخذ للذكاء باباً حديدياً عظيمًا من أبواب هذه المدينة

(١٧٨) ينظر بحثنا (نظرة في حياة أبي تمام) مجلة بين النهرين ، العدد ٢٧ لسنة ١٩٦٩ .

(١٧٩) الموازنة ص ٥١ .

(١٨٠) ديوانه ج ٢ ، ص ٨٩ .

وأحضره الى بغداد وقد رآه ابن الطقطقا فقال : « وهو الآن على أحد أبواب دار الخلافة يسمى باب العامة » ١٢٨٠ . وسجل أبو تمام وقائع هذه المعركة في قصيدة تُعَدُّ من عيون الشعر العربي . مطلعها ١٢٨١ :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حذو العدو بين الجند والنعم
وأصبحت لأبي تمام مكانة لائقة و متميزة عند الخليفة المعتصم وابنه أحمد . وقويت علاقته بالوزراء والكتاب والقواد ولأسيما محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الشاعر . وكان به وكاثم سره الحسن بن وهب . وحظي عند الجميع تقديراً و احتراماً ومهادنة . وعندما خرج الأفشين عن طاعة الدولة وظهرت غيائنه أمر المعتصم بئجهته ثم أعدامه . ووقف أبو تمام فأشدد الخليفة قصيدة في غاية السبك والعجب مطلعها ١٢٩١ :

الحق أبلغ والسيف عواري فحذار من ألد العرين حذار
وفي سنة ٢٢٧ للهجرة توفي الخليفة المعتصم ورحل الى بارته وحلقة ابنه الواثق ونظم أبو تمام بهذه المناسبة قصيدة مطلعها ١٢٩٦ :

مالئدموع تروم كبل مرام والجنن شاكل هجمة و صنام
ياخفيرة السموم ترينك مودع ماء السحابة وفانسل الاعدام
إن الصفائح منك قد نُصِدت على فلق عظام لو علمت عظام :

وفي أوائل سنة ٢٢٩ للهجرة عُيِّن أبو تمام على بربريد الموصل وانتهى تطوافه ومرافقته للخليفة وحاشيته . ولكنه لم يمكث طويلاً إذ فاجأه الموت سنة ٢٣١ للهجرة على أرجح الآراء ولم يتجاوز الأربعين الأ قليلا . ودفن في الموصل خارج الميدان على حافة الخندق ١٢٣٦ . وراثه محبوبه أمثال أبي عبادته البحري . وعلى بن الجهم . ومحمد بن عبد الملك الزيات . والحسن بن وهب . وأبو الشيخ . وأحمد بن يحيى البلاذري ...

(٢٩٧) الطبري ص ٩٩٠

(٢٩٨) ديوانه ١ : ٤٠

(٢٩٩) ديوانه ٤ : ١٩٨

(٣٠٠) ديوانه ٢ : ٢٢٠

(٣٠١) ديوانه الأمان ١ : ١٢٠ . حبة الأمان فيما يتعلق بأبي تمام ص ٩٤ .

كان أبو تيمام شخصية مرموقة تملأ العين . قال أبو اليركات الأقباري ، - كان موصوفاً بالطرف . وحسن الأخلاق . وكرم النفس (١٣١) . ومن أميز صفاته الذكاء العاد والاحساس بالشئ قبل وقوعه . ذكر الصولي أن أبا تيمام ، إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه . كأنه كان على علم بما يقول فأعذ جوابه (١٣٢) . ويروي أنه لما أشد قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعا ،

دبسة سمحة السحاب سكب مستغيت بها الثرى المعكروب

سعدا أحد الفلاسفة الجالس وقال : - إن هذا انشأ يموت شاعراً . فقيل له : ومن أين حكمت ؟ قال : رأيت فيه من الحدة والذكاء والعظمة . مع لطافة الحس وجودة الحاطر . ما علمت به أن النفس الروحانية تأكل من جسمه كما يأكل العهند من غنمه (١٣٣) .

وكان أبو تيمام حاضر اندية . سريع الإجابة والافتناع يتخلص من المواقف الحرجة بذكاء ولباقة . من ذلك قصته حينما مدح أحمد بن المعتصم بسينته المشهورة . وكان الفيلسوف الكندي حاضراً . وانتهى إلى قوته .

إقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أحف في ذكاه إيامرا (١٣٤)
اعترض عليه الكندي وقال : الأميز فوق من وصفت . فأكبر قليلاً ثم رفع رأسه وأشد .

لانتكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في السدى والباس
فالله قد صرب الأقل لوره مثلاً من المشكاة والسنبراس
ثم استمر في امشاده حتى أتم القصيدة ولما أحنث من يده لم يجدوا بها البيتين . فمجبوا من سرعة فطنته واهتر الأمير طرباً (١٣٥) .

(١٣١) لوحة الإيهام في طبقات الأديباء ص ٦٨ .

(١٣٢) أخبار أبي تمام ص ٦٩ . وقيل القصيدة في مدح محمد بن المهدي . ينظر ديوانه ١٩ .

(١٣٣) حبة الأديب ص ٦٤ . طبقات الأديب ٢ ، ٧٥ .

(١٣٤) عمر عمرو بن عبد كرم . وحاتم الطائي (أبو) بن معاوية كان داعياً في البصرة ولاحتضار بن هيس سيد قبيلة شعير .

(١٣٥) حبة الأديب ص ٦٤ . طبقات الأديب ص ٦٤ .

ومن صفات أبي تمام حبُّ التجول والسير بلا ضجر ولا ملل من أجل الوصول إلى المكان الذي عقد العزم على الذهاب إليه . وقد صدق في قوله (١٣٨) :
 مالبيص وجهُ المرء في طلب الغنى حتى يسود وجهه في السيد
 وإلى جانب حبه للسفر . كان كريماً سخياً مرفهاً . يحبُّ أطاليب الحياة غير أنه
 لم يكن مهتكم . بل كان يأتي ملثانه في ستر (١٣٩) :

ثم مزنة أخرى لأبي تمام أنه كان كثير النظر في الكتب والحفظ . قال محمد
 بن قدامة : دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه
 فما يكاد يرى . موقفست ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه . ثم رفع رأسه فنظر إلى
 وسلم علي فقلت له . بأبى تمام إنك لتنظر في الكتب كثيراً وتدعن المدرس فما
 أصرك عليها فقال : والله مالي الف غيرها ولا لغة سواها (١٤٠) . وإلى جانب هذه القراءة
 كان يستظهر شعرأ كثيراً وقد قيل : إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة
 للعرب غير القصائد والمقاطيع (١٤١) :

شعره :

لانتظن دارساً للأدب العربي لا يعرف إلى أي مدى سار أبو تمام بالشعر نحو
 التطور والتجديد . وكيف . حرك النقد - قديماً وحديثاً - إلى دراسة شعره وإطلاق
 الأحكام العتباتية فيه . فهو شاعر امتاز بالثقافة الواسعة . والذكاء العاد . والحفظ
 الغزير للشعر العربي الموروث . قال العمرد : سمعت الحسن بن رجاء يقول
 . ما رأيت أحداً قط أعلم بهجد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام (١٤٢) . وعلة
 محمد بن عبد الملك الزيات : أشعر الناس طراً (١٤٣) . وقال الشاعر عمارة بن
 عقيل حينما قدم إلى بغداد وسمعه الناس شعراً لأبي تمام وحكمه فيه . لئن كان
 الشعر بجودة اللفظ . وحسن المعاني . وأطراد العراد . واتساق الكلام . فإن صاحبكم
 هذا أشعر الناس (١٤٤) . وقال الزمخشري : وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره

(١٣٧) : ديوانه ٨ - ٩ .

(١٣٨) : أمهات القصة ١٦ ، وما بعدها ، وأبو تمام للشاعر جسر فرغ ٣٦ .

(١٣٩) : طبقات الشعراء ص ٢٨٥ .

(١٤٠) : وفيه أمهات ١٢ ، ١٣ .

(١٤١) : شرح ديوان الصباية للسريدي ١٠ ، ١١ .

(١٤٢) : الأذهاني ١٦ ، ٢٨٥ .

(١٤٣) : الأذهاني ١٦ ، ٢٨٥ .

في اللغة . فهو من علماء العربية . فأجعل مايقوله بمنزلة مايرويه (١٠٠٠) وإن أردنا أن نجعل ما قيل في أبي تمام وشعره ومختاراته ابتداء من المصولي في كتابه ، أجاز أبي تمام ، ومروا بمن ترجم له إلى وقتنا الحاضر لوحدها الشيء الكثير اعطاه بالأخراء والأعجاب والثناء

تقول أبو تمام معظم موضوعات الشعر المعروفة وسمع فيها إلا الهجاء فقد قضاها وأكثر شعره في منى المديح والثناء . ههنا تشكلا أكثر من ثلثي الديوان ، وقد اشتهر بها حتى قيل : أبو تمام ملاحة مائة

لقد صحت جل طاقته الشعرية في إجادة المديح لأنه الموضع الذي يستحسن به الشاعر تم إحراز عليه . وما أكثر المواقف التي نجح فيها . وفاز بالجوائز السنية والهدايا الثمينة . وأحدى هذه المواقف أنه حضر مجلس أبي ذؤيب القاسم بن يحيى النحلي وكان كريما كريما جوادا ، وأنشد قصيدته .

على مرء لها من أربع ملاعب أديت مصونات المومع أسواق
فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها وزادت على ما وطئت من مناقب
وأنت بذني قار أمالت سيفك كم عروش الذي استر هوا قوم حاجب (١١٠)
محاسن من مجد متى تقرأ بها محاسن أقوام تكس كاسعاصب
فقال أبو ذؤيب : يا معشر ربيعة ما مدحتكم بمثل هذا التعرق . فما عدكم لغائله ، فبادروه بعطائهم يرمون بها إليه . فقال أبو ذؤيب قد قبلها وأعارك لبسها . وأنتوب عنك في ثوابه . ثم القصيدة يا أبا تمام . فتمتها فأمر له بخصمين ألف درهم . وقال : والله ما هي بأزاء استعققتك وقبرك . فاعذرت . فشكره وقام ليقبل يده . فحلب ألا يفعل (١١١) :

إن أبا تمام يعرف كيف ينفذ إلى قلوب المعنوحين ويداعبها عن طريق مايعجبهم . إضافة إلى مفرته العالية في اختيار أفعال رصينة منظومة كاللؤلؤ في سلك ذهبي مزين جميل كما لاحظنا في القصيدة السابقة وقد بدأها بمقدمة طلبية

(١١١) الكفاح ١١٠ ، ١١١ .

(١١٢) يوم ذي قار ، هو أول يوم انتصر فيه العرب على الفرس . ونظر قصة الفرس حاجب بن زائدة في شرح التبريزي علم دهوان أبي تمام ١٠٨ ، ١٠٩ .

(١١٣) الألفاظ ١٦ ، ٢٨٩ .

وهذا ما بعدة نكترة في قصائده المدحية . وقد يبدأ بوصف صاحبه ومعانيه في
هواها ثم يعود أو ذكر ديارها . وبعد ما يحطى الى ممدوحة مثل قصيدته في مدح
القاضي أحمد بن أبي ذؤانق يقول في أبيات الأولى (١١٧)

أرأيت أبا حاتم — فوجدته — عشت لنا بين القلوب غزيرة
أتراب غاملة — الذي ألفت — غدت الهوى في دارى وعقود (١١٨)
يضاهي بصرفها الغيا من رمة — حوذة كحود البنية الأملاء (١١٩)
مثنى برقع منهم — معهود — إلا الأسى وعريضة المجلود

ويذكر دافته واستعاني من تعب ومشقة . ثم يصف كيف تحط رحلها في رحاب
الممدوح فتجد أمنا وراحة وضمانية

هبها من روضة محمود — حتى نال — يا أحمد الممدوح
مفوس العرب التي وجدت فيه — أسر المودة وبعدة المنجود

إن أبا تمام يعنى عذابة فائقة بمقدمته المدحية . وكثيراً ما بلغت فيها الى
عنه . فبنت حمومة وآلامه . وقد يودعها حكايات وأملات تدل على نظر عميق وفكر
دقيق . وهو عندما يسفل من هذه المقدمة ليحكم تربط بينها وبين الموضوع
الأساس وهو المديح كي لا يشعر القاري أو السامع بالحمولة أو عثرة . حينما يرفع من
بشر الممدوح . ويتهرب راقبه ويظهر مناسبه . وقد يظفر في استهلاله قبل التخليص
الى المدح . كما نلاحظ — مثلاً — في قصيدته التي مدح بها الخليفة المعتمد
وأولها (١٢٠)

رفعت حواشي الدهر معي — تعمرن — وغدا الترى في حليته ينكسر
فهو يقصد الطبيعة في لوحة جميلة جدية في أكثر من عشرين بيتاً . بأنها فيها
على مناهج هذه الطبيعة وما فيها من دافعة جدية . ولا سيما في رمن الربيع الذي
تحضر فيه المروج في حلة جديدة . وتتفع الزهور بألوانها الزاهية . ثم يربط بين

- (١٢٧) ديوانه ١٩٨٤ .
(١٢٨) خلاصة الليالي ، ناعية اليال ، ألفت عبد الهوى . جمعت الهوى بما لاح من حسناتها
اليدالي ، السوار .
(١٢٩) الفود ، السنة العلق القاعة الثانية الفود . القصن . الأملاء . الأملس الناصر .
(١٣٠) ديوانه ١٩٨٤ .
(١٣١) تمرمر ، تموج واضطرب لبناً ونسمة .

هذه المقدمة الفخرية التي تتجلى في العروس وتسرّها مع خاتم الحليّة العظيم الذي عمّ
الريّة بعدله ولطفه وكرمه .

خلق أهل من الربيع كائن خلق الإمام وعذبة المنسب
في الأرض من عدل الإمام وجوده ومن النبات بعض شرج ترعر
في الرياض وما يروى في مدينة أهل على مرّ السنين يذكّر

واشتهر أبو تمام بالمرثاة كاشتهره في المديح قال ابن رشيق هو من
المعشودين في إجازة المرثاة (١١٠١) وقال الأمازي : هو أشهر الناس في
المرثاة (١١٠٢) لقد كانت مرتبة رائعة وكنها أمتية حربية ولا سيما ما نقله في
التأليف محمد بن حميد الطائي الذي استشهد في راحة الوفا ولم يكن عيباً أن
يطلب أبو ذؤيب العللي من أبي تمام أن يستد قصيدته المرثية (كذا طبع
المخطوط) في رثاء هذا القائد ومنها

وما مات حمي مات مطرب سيفه من العرب واعتلت عليه القنا الشمر
وقد كان فوق الموت سهلاً هزلاً إليه الجماع الممر والخلق النور
واتمت في مسجع الموت رجلة وقيل لها من تحت أخمصك الحز
غدا غفوة وأحمد نسج ردائه فلم يصرف إلا وأكفاه الآخر
فقال له : والله لو ددت أنها في . فقال : بن أدي الأمير وأهلي . وأكون المقدم
فقال : إنه لم يست من رثي بهذا الشعر (١١٠٣)

إنه كان يحسن إظهار التطلع والتحرر والألم على الفقد وخارذ الأمة فيه .
ويجيد خلق الجوارح المتلاطم مع طبيعة الكرامة وطروف المأساة . ثم ينبغي
بثقله وفكره على دحر العاصي فيميت نفاثها ويحفظها ويطررها ويقدمها لجمهور
الناس أحسن ما تكون صوغاً وأكمل ما تكون نوعاً . (١١٠٤) ومن جميل مرثية التي
أجدها فيها قوله في رثاء القائد حنظل الطائي (١١٠٥)

(١١٠٢) (الصدقة ١٢ : ١٠)

(١١٠٣) خاص العاصي للشعالي من (١٢٦) .

(١١٠٤) الأغاني ١٦ : ٢٩

(١١٠٥) القمر والشعرام للدكتور مصطفى الفلكمة من ٢٧٩

(١١٠٦) ديوانه ١٤ : ١٢٨

رحم الله حمصرا بعدد كان أمرا عسما وكان رحمة...
 مثل الموت ير عينه والد...
 ثم سارت به العزيمة قدام... فأتت العدة ومات كريمة!

أما الأغراض الأخرى ولم يكن مكثر فيها فنه شعر رقيق في الثبات والاستمرار في أولئك الذين مدحهم وقد تأخر رفاهه . مثل قوله بخاطمه : أذا ذلف (١٠٠٢)

أما ذلعي لم يبق طالت حاصي من العاني غيري والمعلل حديث
 بشرك أن أنت علك مغيبا ولم يخلق من حدك يغيب...
 وأحيانا يتقلب هاجيا . وهو فيه أدنى مرتبة من سائر شعره . إذ تبدو لغته التعرية في هذا اللون باردة لارواة فيها ولاعمل . ويظهر أنه لم يكن يحس نفاة السبب والشك التي طرح عليها بعض شعره العصر العباسي . مثل قوله في عهده عبدالله بن يزيد الكاتب (١٠٠١)

ما أنعمت إلا الممشى في السمان يعرفه الجاهل والجاهل
 واكبه ضاحك مع سحره...
 والورد والدمار

وقوله في عزاء من لبيدة (١٠٠٢)

مفجئت بك الذبا فمالك حامد ومجت بالذبا فمالك حامد
 ولم يعرف أبو تمام حبيبا معية عارلها . وعانى فيها خوفا وصداة . ومع ذلك نجد له عزلا في مطامع الفدائم المدحيد . أو مقطوعات متقلقة . مثل قوله الحمصلي الذي ينتهي المرء سماعه (١٠٠١)

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما السحت إلا السحب السحب الأول
 كمنزل في الأرض يالعه الضى وحده...
 كان أبو تمام يحزن اختيار أبياته التي تجري مجرى الأملاك والحكم . وقد كان في أثناء المدح والثناء ثم في الأغراض الأخرى . مثل قوله (١٠٠١)

(١٠٠٧) ديوانه ١ : ٢٤٢ .

(١٠٠٨) ديوانه ١ : ٢٥٢ .

(١٠٠٩) ديوانه ١ : ٢٤٢ .

(١٠١٠) ديوانه ١ : ٢٥٢ .

(١٠١١) ديوانه ١ : ٢٤٢ .

وإذا أراد الله نسيئاً فسد مسيلة طوبى لأربع لها نسل حسود
 لولا أنشأ الله لهم عينا جاورت ما كان يعرف حيث عرف القود
 ومن حكمه التي راقى الحافظ وأجته ، وعظم تملح الرواية والمذاكرة قوله

في البيتين اللذين يندعو فيهما إلى الارتحال والتقليل لأن الأسفل حاجة إلى
 تجديد النشاط والحبوة ورؤية عوالم جديدة (١٣٦)

وطول مقام الزم في اتحق محقق ندياحينه فاعترى تنجده
 فاني رأيت الشمس زينت محبة إلى الثاني ان ليدت عليه برمد
 خصائص شعره :

أبو تمام شاعر منفرد ودي السوء علوم عمره ، وأحاط بها ، واستقصاها ،
 واستخلص منها رمتها ووظفها في شعره توظيفاً اختل الدارسون والنقاد فيه ، فمنهم
 من صار منه ومنهم من صار عليه ، وقد لاحظ أبو الفرج الأصبهاني ذلك فقال
 : وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيعظم ، حتى يفضلته على كل سائغ وخائب ،
 وأقوام يتعمدون الردي من شعره فيشرونه ، ويضوون مجلسه (١٣٧) ، ومن أبرز
 الأمور التي استحوذت عليه في شعره الصفة البديعة ، والصفة المعسوة أو الاختراع ،
 والأغراب والتعمد في اختيار الالفاظ البهمة والفضبة .

لقد عمد كثير من الشعراء إلى الاستعانة بالبرع ، ولأبجد الجناس والمطابق
 والمفاداة والتفخيخ ومراعاة الظهير ، والاكثار من التشبيهات والاستعارات
 والكلمات ، وأوهم مسلم من الوليد ثم بعده أبو تمام (١٣٨) وهاقه وأربع عليه حتى
 صار به أولاً وأخيراً متبوعاً ، وشعر به حتى قيل هذا مذهب أبي تمام (١٣٩) ،
 وقد أشار نفسه إلى هذا المذهب فقال (١٤٠)

إن السجدة إذا علمتها صفة راقى ذوي الآداب والأفهام
 شر من الأبحر فيها فحة وثقلا يشارذ الـ

(١٣٦) دهوانه ٢ ، ٢٢٠ ، البيان والبيان ٢ ، ٨٧

(١٣٧) الألفاظ ١٩ ، ٨٢

(١٣٨) انظر : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ص ١٤٢ - ١٤٨ .

(١٣٩) الواسطة ص ١٩ .

(١٤٠) دهوانه ٢ ، ٢٨١ .

ان النقود شعوا نعمة . ونظروا فيه مدقة . وانكروا عليه امورا جمدا . والتواعد
عليها كثيرة . تأخذ منها قوله : (١٣١)

لا تسقى ماء الفلام قرأني صا قد استعذبت ماء بكائي

قالوا : اذا كان ماء الفلام هو ماء ركائه فكيف يكون مستعمرا منه . مستعذبا
له : (١٣١) وقد ردهم الأمدي بقوله : ليس قول أبي تمام - لا تسقى ماء الفلام -
بعيب عندي . لأنه لا أراد ان يقول - قد استعذبت ماء بكائي - جعل ليسلام ماء
ليقابل ماء بقاء . وان لم يكن للسلام ماء على الحقيقة . فان الله جل اسمه يقول :
(وجزاء سيئة سيئة مثلها) ومعلوم ان الثانية ليست سيئة وانما هي حمراء على
السيئة . وكذلك : (ان تسخروا عنا فاننا نسخر منكم) والفعل الثاني ليس ببحرية .
ومثل هذا في الشعر واتكلام كثير ومستعمل . علما كان في مجرى العادة ان يقول
القاتل : أغضضت لغلان القول . وجوزعته به كالأثرة . أو سقيته منه أمر من العلفم .
وكان الفلام ماء يستعمل فيه التجرع . جعل له ماء على الاستعارة . وهذا كثير
موجود : (١٣١)

ولم يكنف أبو تمام باليديع وصور البيان . بل كان يعتمد أيضا الى الافكار .
ويتعمق فيها . ويستط منها الواو يرتاح لها العقل . وقد أثبت عليه أبو العلاء
المعري في هذا الشيء . فقال : كان صاحب طريقة مبتدعة . ومعان كالقول
متبعة . يستخرجها من غامض البحار . ويفض عنها المستغلق من المعارف . ومن
أمثلة هذه الطريقة المبتدعة قوله في مدح الحسن بن رباح : (١٣١)

لا تتركري عطيل الكريم من الغنى والبر حبيب للمحكان العالي
وتنظري حبيب الركاب ينقها محبي القريض الى مميت المال
وقوله في مدح أبي ذلف المجلي : (١٣١)

تكاد عطاياها بجن جنونها اذا لم يعوذها بنعمة طالب
تكاد مغانيه تسبح عراضها فتركب من شوق الى كل راكب

(١٣١) ديوانه ١ : ٢٩٠

(١٣٢) من القصيدة ص ١٣١

(١٣٣) نفسه ص ١٣٢

(١٣٤) رسائل الطبراني ص ٤٨٨

(١٣٥) ديوانه ٢ : ٧٧

(١٣٦) ديوانه ٢ : ٧٨

وتتصل بالمرية السابقة مزياً أخرى هي التعميد اللفظي والميل إلى الغريب من المعاني . وقد وصف شعره بقوله (١٣٣) :

فكأنما هي في السماع جنائن وكأنت هي في العيون كواكب
وعرائب تأنيبك إلا أنسها لصيغتك الحسن الجميل أقارب

ولس علي بن عبد العزيز الجرجاني هذه الصفة في شعره فقال انه . تصف ما أمكن . وتقلل في التصعب كيف قدر . ثم لم يرض بذلك حتى أضاف إليه طلب البديع . فتحمله من كل وجه . وتوصل إليه بكل سبب . ولم يرض بهاتين الحليتين حتى اجتنب المعاني الغامضة . وقصد الاغراض الخفية . واحتمل فيها كل غث ثقیل . وأرشد لها الأفكار بكل سبيل . فصار هذا الجس من شعره إذا فرغ السمع لم يصل إلى القلب الا بعد اثعاب الفكر . وكذا الخاطر . والعمل على القريحة (١٣٤) فمن اغرابه قوله (١٣٥) :

وركب ساقون الركاب زحاجة من السير ل تصد لها كف قطب
فقد أكلوا منها الغورب بالسرور صارت لها أتباعهم كالغوارب (١٣٦) :

لاحظوا أن ظهر مثل هذا التصعب في شعره . فانه كان يقتصر المعنى البعيد أو الاستعارة التي يتحيلها . ولا يثني بها بآتيه من نقد فقد سألوه ابو المفضل اللخوي . له تقول مالا يعوم « فحاجبه على الغور » ولم لا تفهم ما يقال (١٣٧) . وهذا الامر دفع النقاد العباسي المشهور علي بن عبد العزيز الجرجاني إلى القول . ان ديوانه متحون بالغموض والتعقيد (١٣٨) :

ومهما قيل في أبي تمام (١٣٩) . فانه يبقى ذلك الشاعر العربي الكبير الذي يشب الاسح بأنقوى الشعر وأحزله . وقد صدق ابن رشيق حين قال . اما سمى

(١٣٣) ديوانه ١٩ : ١٧٦ .

(١٣٤) الوصافة ص ١٩ .

(١٣٥) ديوانه ١٩ : ٢٠٦ .

(١٣٦) جعل ابو تمام السير ضمناً صرفاً . يديرها الركباني بينهم فتوراهم شدة في سيرهم من غير تفكير بمال . له ان اجهد النفاق بالسير قد اذاب سناهما . وكان السير الكثير ايضاً قد المصطوب هم انفسهم فاصبحت اجسامهم التحيفة كأنها هي صنام الاثر .

(١٣٧) اختيار أبي تمام ص ٢٢ .

(١٣٨) الوصافة ص ٤٨٩ .

(١٣٩) انظر . الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام ١٩ : ٢٤٤ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٢ .

الشاعر شاعراً « لأنه يشعر بها لا يشعر به غيره . وإذا لم يكن عند الشاعر توليد
 معنى ولا اختراعه . أو استطراف نديظ وإبداعه . أو زيادة فيما أجهف فيه غيره من
 المعاني . أو نقص مما أطالته حواء من الألفاظ . أو صرف معنى إلى وجه من وجه
 آخر . كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة . ولم يكن له "لا فضل اتوزن" (١١٦)

أبو عبادة البحرى

٢٠٦ - ٢٨٤ هـ

هو الوليد بن غنيد الله بن يحيى . وكنية أبو عبادة . واشتهر في عالم الأدب بلقبه البحرى نسبة إلى بحر أحد أجداده (١). ينتهى نسبه إلى طيء إحدى القبائل القحطانية . وكانت أمه عريفة من سبي ناعل إحدى القبائل الشغلية . فهي عربية حاضرة النسب أيضاً . وقد أشاد في شعره بنسبه البحرى . فقال (٢):

إِنْ قَوْمٌ قَوْمُ الشَّرِيفِ قَدِيمًا وَحَدِيثُ أَبُوهُ وَجُدُودًا
دَعَيْتَ طِيَّةً بِأَبْقَةِ الْمَجْدِ عَلَى الْعَالَمِينَ بَأْسًا وَجُودًا

سيرته :

ولد البحرى في مدينة تشنهر بالحضرة والروح تسمى « مَبَج » . تقع في الشمال الشرقى من حلب . سنة ٢٠٦ للهجرة . وأمضى فيها طفولته وشبابه . وأخذ فيها علومه . ولا سيما ما يتصل بالقرآن والحديث واللغة والنحو والفقه . وكان مولعاً بحفظ الشعر يُشَنِّه في دهره وأيامه كما يقول 'من خلكتان' (٣):

ظهرت مواهبه الشعرية في وقت مبكر . وحينما أنش من نفسه القبرة على مواجهة رجال الأدب ومعاوِرتهم شد رحاله وأُتخ صوب حمص ليلقى بالشاعر الكبير أسي تمام الطائى ليعرض عليه نظمه ويأخذ رأيه فيه . وبينما هو في طريقه مرّ بحلب . وفيها وقعت عينه على فتاة جميلة تدعى « علوة بنت زُرَيْقة الحلبية » . فعُتِن بشكلها وفولها الرشيق . ونظم فيها شعراً في غاية الرقة والعذوبة . وبقيت صورتها عالمةً في ذهنه بعد رحيله عنها .

(١) الأملاني ٢٦٠ - ٢٧٠ . معجم الأديباء ١٧٠ - ١٦٩ . (٢) ديوانه ١٠٦ - ١٠٤ .

(٣) وليات الأعيان ١٠٦ - ١٠٤ .

وصل البحرى الى حمص والتقى بأبي تمام وأبشده شعره أمام معصومة من الشعراء الحاضرين آنذاك . وأقبل عليه وأكرمه . وقال له : أبا شعر من أبنى . فكيف حالك ؟ فشكا اليه خلّة . فكتب الى أهل مرة العمل في شأنه . فاستقبلوه بحفاوة . ولبسوا لبائحه . وتاريخته الحيدة . ووظفوا له أربعة آلاف درهم . كانت أول مال أصابه بالشعر (١٨١) .

وفي رواية أخرى تقول : إنه التقى بأبي تمام في مجلس أبي سعيد البحرى أمير الجزيرة . قال البحرى : أول مراريت أرا تمام أتي دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف . وقد مدحته بقصيدتي

أفنى صت من هوئى هائفا : أو خان عهدا أم أطاح شيقا ،

فأربها أبو سعيد . وقال : أحنت والله يافنى وأحدث .. ودعاني أبو تمام . وخصني اليه . وعانقني . وأقبل يقرظني ولمنه بعد ذلك . وأحدث عه . واقتديت به (١٨٢) . ويرجح العمولى أن هذه الرواية ربما كانت قبل ذهابه الى مرة لتعمدان

قويت علاقته بأبي تمام . وسج منه وصية بليغة في ساعة الشعر أودعها في مسيرة حياته الأدبية (١٨٣) . وبقي وفيأ مخلصا به . حتى أنه قبل أن يلقى يزعمون أنك أشعر من أبي تمام . فقال : والله ما ينفعننى هذا القول ولا يضرنى أنا تمام . والله ما أكلت الخبز إلا به . ولو ددت أن الأمر كان كما قالوا . ولكنى والله نأى له أخذ منه . لأثد به نيمي عند هوائه . وأرضى تنخفض عند سمائه (١٨٤) .

ولما اشتد أثره في نظم الشعر . ولم تسع ديوانه لأدبه . أقبل الى العراق . وهي زاوية بجلال الملك . ناعمة بمضارة العيش . وانخفضه . وحديث عامه . وكان قدومه

(١٨١) أخبار البحرى ص ٦٦ .

(١٨٢) الأغانى ٢٦ ، ٢٧ ونظر الموازنة ص ٦٢ . والديوان ١٢ ، ١٣ .

(١٨٣) فنظر الوصية في الجمعة ٢ ، ١١٤٠ . زهر الآداب ١١ ، ١١٠١ .

(١٨٤) الأغانى ١٦ ، ١٥٠ .

زمن الخليفة التواتي . ولكن شهرته ظهرت في عهد التوكل . إذ صار نسان هذا الخليفة . يمدحُه ويُعجده . ويُحَلُّ أعماله في قصائد عامرة . ويصاحبه في رحلته إلى دمشق . ويقول له : (١٤٤)

يُرامُ الذي إلهي ———— ساط لذي ———— واحسنت هذه
ر ————— بغداد السُّعود في ضحوة الواجب السُّسُود !
وابس في السُّر والسُّر ————— أول السُّر السُّر الأبد !

وحين يتفقد راجعاً إلى بغداد ينظم أيضاً قصيدة . منها : (١٤٥)

فأسفر وحة الشرق حتى كأنما تبتلع فيه السُّدُ بعد أقوله
وقد لبث بغداداً أحسن ريثاً لإقباله . واستشرفت السُّدُ
لعمري لقد لب الخليفة جعفر وفي كل نفس حاجة من قفوله

وتوثقت ملكته بهذا الخليفة . وأصبح نديمه . كما توثقت علاقته بوزيره الفتح بن خاقان الذي عُرف بتكريم الشعراء والتدبُّر عليهم . وضلت هذه العلاقة الحميمة هذه خمسة عشر عاماً . كانت من أهم أيام البحري وأسعدّها . حتى قتل الخليفة ووزيره الفتح على مرأى من بصره في مجلس منادبة في قصره سنة ٢٤٧ للهجرة بمؤامرة خطيرة اشترك فيها ابنه القنصرا . وهرب البحري متوجهاً متلماً بلاحقه شبح الجريمة . ورثى الحليفة المقتول وعرض بابنه في قصيدة تتوخى ثوب الصدق وتدل على وعاء شديد . مظهرها : (١٤٦)

محض على القاطول أخلق دائرة وعادت صروف الدهر جيشاً تفاؤلة
ومنها .

(٤٨٨) : ٢ : ٧٠٨ .

(٤٨٩) : ٢ : ١٦٣٤ .

(٤٩٠) : ينظر البحري في سامراء من ٢٦٩ - ٢٨٥ .

(٤٩١) : ٢ : ١٠٤٧ .

(٤٩٢) : القاطول : لغير من دجلة كان في موضع سامراء كان عليه القصر الجعفري . أخلق : بلي . الدائر : الهالي . صروف الدهر : توارثه . تفاؤله : ثغاريه .

صريح تقاضاه انثبوت خشاشة يجود بها. والموت خفر الظاهرة
أدفع عنه بالدين. ولم يكن ليثنى الأعادي أعرن الليل حاضرة
ولو كان سعي ساعة القتل في يدي دى القاتل العجلان كيف تاروة
سرا على الراخ بعدك. أو أرى دعا يدم بحري على الأرض ماثرة

توجه البحري إلى مكة وأذى غريضة الحج. ومنها - لم أرى منج حيث أهله
وذويه. ولكنه لم يستطع البقاء فيها بعد أن رأى النعمة والتره في بلاط الخلافة.
وماد مرعاً إلى سر من رأى وأرضي الخليفة المنتصر بقصيدة أشاد فيها بحلمه
ورأفته. ولم يدم حكم هذا الخليفة أكثر من ستة أشهر. إذ فاجأه الموت سنة ٢١٨
للهجرة. وجاء بعده المستعبر. ولم يستمد البحري عن دار الخلافة. فابصل بهذا
الخليفة الجديد وخطة بعده فساد. وفي سنة ٢٢١ للهجرة اتصل البحري ببلغتر
بعد وفاة المستعبر. وحظي بجوائز كثيرة. وتولى إقندي الخلافة سنة ٢٢٥ للهجرة
ومدسه بقصائد أشاد فيها برهده وورعه وعمله وشجاعته في محاربة الروم. وبعد
سنة خلع هذا الخليفة وولّى مكانه المعتد. وهو آخر الخلفاء الذين اتصل بهم
البحري ومدحهم ونال رفده. وهكذا كانت علاقته بالخلفاء. يسفل حليمة
ويؤذع آخر. وقد أثرى تركة كبيراً. وأصبح صاحب أموال وضياء كثيرة. حتى
قيل: " كان مديراً قد فاض كسبه من القوم. وكان يركب في موكب من
عبيده ١٢١٠".

وبعد وفاة الخليفة المعتد سنة ٢٢٩ للهجرة عاد البحري إلى موطنه الأصلي.
ومكث فيه إلى أن أفرخته المية سنة ٢٣٥ للهجرة نازكاً وراءه ديواناً ضخماً وكتب
الحصاة. " وأخر ديواناً. مهابي الشعر. لم يصل إليها

شعره :

كان البحري شاعراً فذاً مجيداً بديعاً. استطاع بموهبته الفذة وطبعه الشديق
أن يقدم شعراً حميلاً تبيهاً. بسلامة الذعم. كما يقول ابن خلكان (١):

١ ٢٢٢ (الصفحة ٢٢٢).

٢ ٢٢٣ (ديوان الأعيان ٢٢٣).

وصل البنا شعر البحري في ديوان كبير . خوى كل أبواب الشعر العربي
المعروفة . والمديح هو أكبر باب في هذا الديوان : فإنه احترف هذا الفن وحماه وسيلة
لمحسين الحال وجمع المال . وله في مدح الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد وأعيان
الدولة شعر كثير . وجد في نفوسهم هوى وقبولا حسنا . وقد عذبه أبو هلال العسكري
من أكبر المذاهمين . وذكر له قصيدة في مدح الفتح بن خاقان . منها قوله .

أعز الله من جوده وسماحه طهير عليه ما يخيف وتافع
ولما جرى للمجد والقوم خلعة تقول أقصى جهنم وهو وادع
وعلى يتكافأ الناس شئ خلافة وما تنكافأ في الديدن الأصابع
إذا ارتد صفا فالرؤوس نواكس وإن قال فالأعناق صور حواضع
ولا يعلم الأعداء من فرط غزبه متى هو مستوب عليه فوافع

وعقب في خاتمة القصيدة بقوله . . ثم يبق وجه من وجوه المدح في الجود
والشجاعة وتحموب الرأي ومضاء العريضة والدعاء ونقد العكر إلا قد اجمع ذكره في
هذه الأبيات . ولا أعرف أحدا يقوم مثل هذه العاني في أكثر مدائحه إلا
البحري .»

وهو في نظر ابن حلكان محسناً كل الإحسان في المدح . وأورد له أبياتاً من
قصيدته الرائية المشهورة في الخليفة الشوكل وهو يخرج لأداء صلاة عيد الفطر .
وأولها

أعني هوى ذلك في الصلوح وأظهره . والألم من كمدك عنك وأعدز
ومنها .

ذكروا بظلمك النبي فهتأوا لما طلعت من الضفوف وكبروا
حتى انتهت إلى الصلح لآبأ نور الهدي يبدو عليك ويظهر
ومشيت مضية خاشع متواضع لله لا يزغى ولا يسكسرت

وعلق عليها بقوله . . هذا التعرُّ هو البحر الحلال على الحقيقة . والسهل المنفع .
فذلك دُرهُ ، مألوف قياده . وأعجب الفاظه . وأحر بيته . والظلم مقاصده . وليس
فيه من الحشو شيء . بل جميعه نخب . (١١١) وكما أنذاك ابن خلكان بهذه
القصيدة . فقد أشاد بها كثير من الباحثين المعاصرين وعملوها من قصائده الفريدة
في جودة المبني وروعة المعنى (١١٢)

لقد تميز شعره بالدخى بمثانة الألفاظ . وجودة الأسلوب . وحب العرص ورقة
الجرس الموسيقى التي تستهوي السامع . ويبدو أنه عمل بوصية أستاذ أبي تمام
حين قال له : إذا أخذت في مديح سيد ذي ألباء فاشهر مناقبه وأظهر
مناسبة . وأبرز معتنه . وشرف مقامه . ونصه المعالي واحذر الجهول منها وأياك
أن تشير بفرك بالألفاظ الرديئة . واتكى كأنك خياط يقطع الثياب على مقدار
الأحاديث (١١٣) .

وأجاد البحري في العزل . وقدم شعراً بليلاً ورقة وعذوبة في . علوة
العادة الحسناء التي تولع بها . وصبا إليها في مطلع شبابه . ولم يحظ بها . إذ
تزوجت من رجل آخر . ولكنه لم يزل عنها . وطل طيفها يعاوده طوال حياته .
وضرب به المثل بين الأدباء . فأصبحوا يقولون : أرق من طيف البحري . وقد
كانت أغلب شواهد الشريف المرتضى في كتابه . طيف الخيال . من شعره . إذ ذكره
في بضعة وسبعين موضعاً (١١٤) . ولا عجب في ذلك : فإن ابن رشيق قال البحري

(١١٥) وفيات الأعيان ١٦ : ٩٩ .

(١١٦) ينظر . حياة البحري وقته من ١٠٤٨ . تاريخ الأدب العربي . الصبر العباسي الثاني من
٩٩ . البحري في سائر من ١٠٣ . القراء والقراء في الصبر العباسي من ٩٨ .
البحري بين لقاء حصره من ١٠٣ .

(١١٧) زهر الأدب ١٩ : ٦١ .

(١١٨) ينظر : طيف الخيال (الفهرس) من ١٠٤٨ - ١٠٤٩ .

أرق الناس نبياً وأصابعهم طريقة لاسبما إن ذكر الطيف وإنه الباث الذي شجر به (١٠٠) ومن تعره التعلل الأسر قوله في فائته (١٠١)

خيال يعتريني في المنام لسكزي اللحن فائته انقوام
لعلوة إنهما تجرّ نفسي ولسال فلسي المصنم
أذا غرت رأيت الطرف حثا ونار الحسن ماطمة الضرام
سلام الله كل صباح يوم غيبك ومن يئس له سلام
لقد غارت في قلبي مقام بما في مشيتيك من الضمام
لش قل التواصل لو شادي بنا المهران عما بعد عام
فكم من نظرة لي من غريب إليك وروية لك في السلام
أخذ العراق هوى دارا ومن أهواء في أرض التمام

والبحري شاعر وحذف من الدرجة الأولى له مقردة فائقة على تصوير مظاهر الحضارة وماهج المعمول ومع الحياة والطبيعة الخلابة برياضها وأزهارها وله قدرة فذة في تقديم صور معركة لوكب الخلافة والعيش والأسطول الحربي .. وكذلك وصف حياة البادية ومشاقها وما فيها من حيوان كالنمقة والدب والأسد .. وقد حقق في كل ذلك تفوقاً كبيراً ما يصعب ضمن أعظم الوصفين العرب وإليك هذه الأرجوزة النضيجة بوقعها الموسيقي الحبيب ولغتها الحيلة السهلة في وصف سحابة ذات رعد وبرق ألقت مطرها على الأرض فروبت، وتفتحت أزهار رياضها . وامتلأت غيرانها بالنبوة (١٠٢)

ذات ارتحار بحسين الزعد مسجورة الذيل صدوق الوعد
مفوحة الذمغ لغير وجه لها سميم كنسيم الورد
ورثة مثل رسل الأسيد ولع بزق كسوف التهنيد
جاءت بها ربح الضب من نجم هانتشوت مثل انتشار العنيد
فراحبت الأرض بعيش رغد من وشي أنوار الزبي في برد
كل نسما غدرانها في الوعد يلعبن من عباسها بالشرع

(١٠٠) الصفحة ١١٩

(١٠١) ديوانه ١٣ ١٩٣٩

(١٠٢) ديوانه ١٦ ١٩٣٩

وللبحري شعر جيد في رثاء من رزى به ، يفيض حزناً وألماً وحسرة ، وقد مرّت بنا قصيدته في رثاء المتوكل التي قال فيها أبو العباس ثعلب : « ما قبلت هاشمية أحسن منها » وقد صرح فيها تصريحاً من أذهلت الصائب عن تحوّل العواقب . (١٤١) ومن مرثية القوية أيضاً ما قاله في القائد محمد بن يوسف الثغري وولده يوسف بعد مقتلهما : قال أبو الفرج الأصبهاني : « ومرثيته فيهما أجود من مدائحهم » . ورزى أنه قيل له في ذلك : فقال : من تمام الوفاء أن تفضّل المرثية المدائح . (١٤٢) وله قصيدة رائعة في رثاء الفرسان الأبطال من بني حميد الطائي الذين استشهدوا في ساحة الحرب دفاعاً عن الكرامة والشرف والوطن . « مها قوتها » .

تدانت منابضهم بهم ، وتبعث مضاجعهم عن ثربك المنتم
فكل له قمر غريبت سبلية من منجد دائي الضريح وسهم
فجوز بالطراف الكفر كأنها موافقها منها موافق الأجـم
مضوا يستلذون المنابض حميضة وجمعت لذك المؤذنة المنفـم
وناروا بعض التحية مذنة عليهم وعز الموت غير مخـم
أبو أن ينوقوا العيش والندم واقع عليه . وماتوا ميتة لم تـم

وكان البحري موهوب الحظ في شعر العتاب . فله فيه صور دقيقة . قال ابن رشيـق : « وأحسن الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحري » . (١٤٣) . أما الهجاء فإنه كأشاده أبي تمام لم يكن موفّقاً فيه . أو بالأحرى لم يكن مطوعاً فيه . وقد نوه أبو الفرج الأصبهاني بذلك . فقال : « شاعر فاضل . حسن المدح . نقى الكلام . مطبوع . كان مشايخنا رحمة الله عليهم يحتمون به الشعراء . وله تصرف حسن فاضل نقى في ضروب الشعر . سوى الهجاء . فإن بضاعته فيه نزرة . وجيده منه قليل » . (١٤٤)

(١٤٤) زهر الآداب ١ : ٢٢٦ .

(١٤٥) الأغاني ٢ : ٤٢٠ .

(١٤٦) ديوانه ١ : ١٥٦ .

(١٤٧) القصيدة ٢ : ١٨٠ .

(١٤٨) الأغاني ٢ : ٤٢٠ .

وله أبيات قليلة في الحكمة نستلهمها من صميم تجاربه وتعامله مع الحياة مثل قوله: (١٠٠):

إذا المرء لم تدهك بالحزم كله قريحته لم تقن عك تجاربه
وقوله: (١٠١):

إذا ما الجرح رزم على فداك زسائر فيه تمريط اليط - سرب

خصائص شعره :

إن من أثير خصائص شعر البحري الوضوح الذي لا تقيد فيه ولا ابتدال . إلى جانب اللغة الصافية الشفافة التي لا تحنق بجزائر التعسف والسطق . والالتزام بالإيقاع الحميل في طبل موسيقى هادئة مريحة . والتوسط في استخدام الحركات اللفظية والمعنوية في صياغة رائعة وكأنها كما يقول ابن الأنبار نداء حسان عبيهر علال نصبهات وقد تحبى بأصناف الحملى (١٠٢) . . . وقد أشار البحري بنفسه إلى مدحه الشعري في الأبيات الآتية : (١٠٣)

كفتمونا حدود منطفكم	في الشعر يلقى عن صدقه كدبة
ولم يكن ذو القروح بلهج بال	منطلق . مانوعة . وما سبده (١٠٤)
والشمر لمخ . تكفي اشارته	وليسر بالهذر طولت خصبة
لو أن ذلك الشريف وزن رب	من اللفظ واختار له نقل شجبة (١٠٥)
واللفظ خلقي القمى . وليس يري	بش العفر حب يريكة نهضة (١٠٦)

(١٠٤) ديوانه ، ١ ، ١٩٦ .

(١٠٥) ديوانه ، ١ ، ١٠٠ .

(١٠٦) المقل السائر ، ١ ، ١٧٨ .

(١٠٧) ديوانه ، ١ ، ٩٠٩ .

(١٠٨) ذو القروح ، امرؤ القيس .

(١٠٩) يرويه بالطريف : عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الذي جرت بينه وبين البحري صداقة

بالقصر تجدها في الديوان .

(١١٠) الصفر ، النصارى الأسير .

ولا يعني هذا أن البعدي تعلّى عن أثره القديم بل انعكس فإنه جمع في
 نعره بين مذهب القدماء ومذهب المحدثين . أخذ عن القديم الجرأة والخصامة
 والمتانة . وعن الحديث الرقة والعدوبة والسلامة . وقد أصاب الأمازي في قوله : أن
 عمر الوليد بن عبد الحزري صحيح الثبوت حسن الديانة . وليس فيه سفاهاً
 ولا رذيلة ولا مطروح . ولهذا صار فتوى ابنه بعضه بعضاً . وما فارق عمود
 الشعر المعروف . وكان يتجنب التعقيد ومنكره الألفاظ . ووحشي
 الكلام . (١٠٠٦) .

لقد ذال إعجاب أهل المدارس بين ومحمد بن الشعر . وعدوه أطبع المحدثين
 والنولدين لأنه . يرسل نفسه على جيتها زبالاً . ويتميز عن عواطفه كما يتميز
 الناس حين هموم أو ييغضون فليس غريباً أن يجد كل من من
 معاصريه مرأة لهذه العواطف التي يشعر بها في حياته وفيما يختلف عليه من
 ظروف . (١٠١٠)

(١٠٥) الموازنة ص ٦٠ .

(١٠٦) من حمود الشعر والنثر ص ١١٧ .

ابن الرومي

٢٢١ - ٢٨٢ هـ

له بقل هذا الشاعر الكبير لسوء حفظه . باهتمام مؤلفي كتب الادب والسير والعبقات من القدماء . إذ لا نجد له ترجمة في طبقات الشعراء لابن العنبر . ولا في كتب الأغاني لأبي العرعق الأصمهاني . ولا في نزهة الألباء في طبقات الادراء لابن الأباري . ولا في معجم الادباء لطاقت الحموي ولعل أكثر من أنصحه بترجمة موحدة لا تعني كثيراً الخطيب البغدادي وابن خلكن . وقد حظي في العصر الحاضر بأعمال طيبة من رجال فضلاء . وفي مقدمتهم عباس محمود العقاد في دراسة قيمة . والذكر حسب نماذج في تحقيق ديوانه ستة أجزاء .

سيرته :

عني بن العباس بن جريج أو جورجيس . المكنى بأبي الحسن . والمعروف بابن الرومي . ولد في بغداد بالجناب الغربي لثلاثين حلاً من رجب سنة ٢٢١ للهجرة من أب رومي . وقد أشار إلى ذلك في شعره . فقال (٢٨١)

ونحن سو تبنوا من قوم له حبي ومجد وعيدان ثلاث الساجد
وفاء في تورية لطيفة وهو يداعب فتاة (٢٨١)

وروم ية يوماً دعتني لوصولها ولم أكن من وصل الأعاني بمحروم
فقلت . فذلك النفس والأمل انتهى أريد وصلاً منك . فقلت لها . رومي

وليس غريباً أن يكون هذا الشاعر من أصل رومي . فإن كثيراً من الأقوام أسلموا وأمسحوا بالعرب ولا سيما في العصر العباسي . وكانت له أهمية أيضاً تسمى حنة بنت عبدالله سجزي كما ذكر المرزباني (٢٨١) وهي امرأة تغية طالعة طيبة العشر . تضم الأيتام وتجد على الجيران بمطاعمها . ومن شعر ابن الرومي فيها بعد مماتها (٢٨٢)

[٢٧٢] ديوانه ١٩ ٢٢٧٢

[٢٨٠] الكشف ١٠١ ١٢٤ . ولو ورد البيتان في ديوانه المطبوع .

[٢٨١] معجم الشعراء ص ١٢٥

[٢٨٢] ديوانه ١٩ ٢٢٠٠

أقول. وقد قالوا: أبكي كفاً رضاءاً وأبني الكهل: من راضع التحمل.
هي الأم بالناس جوعت نكحتها ومن يبك أم لم تدم قط لا يدم

وقد ابن الرومي والده وهو صغير. ونعته أنه وأخوه الأكبر ويسمى محمداً
كان يعمل في دواوين الدولة. ولم يلبث أن توفي أخوه ولم يبلغ الثلاثين. وتوالت
عليه أشدائد. وهانت أمه. ثم تزوج وأجب أطفالاً. ولكن القدر لم يمهله بهم.
فماتوا جميعاً حتى زوجته. فحزن عليهم أشد الحزن.

أما دراسته وعلمه وثقافته فلم تذكر المصادر شيئاً عنها. ويبدو أن المكتاتيب قد
أعطته قسطاً من علوم اللغة العربية وأدبها. وحينما أصبح يافعا أخذ يكتشف إلى
حلقات العلماء في الساجد. ويتابع الكتب ويقرأها ويستخلص المعارف منها. وقد
أثر أبو الغلاء العربي إلى أنه. كان يتعاطى علم الفلسفة. واستعار من أبي بكر
ابن السراج كتاباً ١٠١١ وهذا الخبر يدل على شغفه بالمتابعة والسياسة العلوم من
الكتب حتى الفلسفة. التي أصبحت في خلق الكثير من مميزات نادرة التي نراها
فيما بعد.

وكان عريب الأطوار مواد في المراج. انطوائت النفس. كبير التطير والظن
وانتفاقي. صديق الأعصاب شديد الخوف. لا يستقر على حالة. تراه يمدح شخصاً
ثم لا يلبث أن يهجو. حتى قال عيالله من سليمان من وهب وهو يودي أنه
الوزير القاسم. أرى ما يوسى ولا يبرى. أرى رجلاً صحيح الشعر. حبيب
العقل. ومثل هذا لا تؤمن بواذره. وأقل غلبة بعضها تبغي في أعراضاً مثلاً يفعله
الدهر. والرأي المباد ١٠١١. وهكذا جعلته هذه الصفات رجلاً غير معقول
كأقره من الشعراء الذين وجدوا قبولاً حسداً عند الخلفاء وأعيان الدولة.

وفي موته رأيان. الأول. أنه مات أثر مرض. والثاني. أن الوزير القاسم بن
عيالله دس له السمات ليتخلص من لسانه. وهذا ما ذهب إليه أكثر المؤرخين.
وكانت وفاته للثلاثين ربيعاً من جمادى الأولى سنة ٢٨٤ للهجرة ودفن بحضرة باب

الشان في الجانب الشرقي من بغداد ورويت له أشعار قالها في نزعه . منها ما رواه أبو حيان التوحيدي عن أحد الرواة قوله دخلنا على ابن الرومي في مرضه الذي قضى فيه وأشدنا .

ونعد مئمة مازبي فكأن ضميمها خبيث
ألا لئلا يدبث وأنف مائل اسمه أبدا حديث (١٠٣)

شعره :

برزت موعبة ابن الرومي في وقت مكر فقد صاغ ألياً في هجاء غلام عيسى وهو لا يزال في الكتاب (١٠١) ثم استمر في النظم حتى أصبح له ديوان في حجم كبير . حوى أغلب موضوعات الشعر المعروفة من مديح . وهجاء . ورتاء . ووصف . وعزل . وعتاب . وشكوى وحكم .

عاصر ابن الرومي عدة حلفاء . ولكنه لم يعدح معهم أحداً مدحاً مباشراً إلا الخليفة المعتضد . ويعزو أحد الباحثين ذلك إلى سوء طالع في قصور الملوك . وجنبه عن اقتحام أجوائهم . واستهانتهم به لخاصة تحصنه . وميوعة أسلوبه . التحاكي عن القعقة والجلباب (١٠١) . ولا نضج عدا هو السب الرئيس . ولعل الواقع أنسي . الذي كانت عليه الخلافة زمن المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والدماسكس الكثيرة في قصورهم نقرته عن أجوائهم وابعثته عن أبوابهم . والبيتان الآتيان في مدح المعتضد يدلان على الاستئثار بعهد جديد (١٠٣) .

هنيئاً بني العباس إن إمامكم إمام الهدى والباس والوجود أحمد
كفا بأبي العباس أنشيء ملككم كذا بأبي العباس أيضاً يحد

إن لابن الرومي مدحون كثيرين . يتجاوزون الأربعين . من وزراء . وكُتّاب . وحجّاب . وحكّام . وقوّاد . وتجار . وأصحاب جاه وثقوة . ومع هذه التكررة فإنه لم يحظ بنوال كبير منهم . وربما يتعلق ذلك بأن الرومي نفسه فإنه لم يكن دقيقاً

(٥٣٢) الامتاع والمزاجية ٢٦٠ ، ٢٦١ ينظر الديوان ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٥٣٦) ينظر ديوانه ١٢ ، ١٣ .

(٥٣٥) ابن الرومي في الصورة والوجود من ١٨٢ .

(٥٣٦) ديوانه ١٢ ، ١٣ .

في الدخول إلى نفوس المدحوجين وتشخيص مواضع الفضائل والذات التي يرتاحون لها ويستعشون بسماحها كما كان يفعل أكثر شعراء عصره . فلو نظرنا مثلاً في قصيدته التالية في مدح أحمد بن ثوبة التي تجاوزت مئة وخمسين بيتاً لما وجدنا فيها إلا آياتاً قليلة في موضوع المدح الخالص مثل قوله (٢٠٠) :

بوجهك أضحي كل شيء منوراً
وأمرز وجهها ضاحكاً غير قاطب

وله شعر كثير في المهجاء . صب فيه حقدَه وغنبدَه على كثير من الناس . وجردهم من ثباتهم بأسلوب ساخر لاذع . وألقى بهم عبوراً وبواقص مشبعة . وصور بعضهم تصويراً مصححاً يكاد يكون منفرداً فيها . وقد عُدَّ العقاد من أشهر محدثي القرن الثالث مع الشاعر جميل الخزازي (٢٠١) مثل قوله وهو يعرض الكتب على المهجو (٢٠٢) :

والكتب واقف وعبك غمر
وقد يحامي عن الثوابي وما تحامي
وأنت من أهل بيت سوء
فبئس لهم قصة تظنون
وجوه . . . سم . . . المورق . . . طائر
تكن أقدامهم طبول (٢٠٣)

وأوقف ابن الرومي قسطاً من شعره على امرأة . ووصفها وصفاً بديعاً . وأضفى عليها ألوان الطبيعة وفلاحتها . وأحوالاً لولا التفرقة لما أدركت أنه يصف امرأة . مثل قوله في بيتان اللغنية (٢٠٤) :

يا حسرت عار زهر
فبك من الكلب بل على نمر
بئس . . . ثم يستعر لك سمك يا
بئس ثنائنا ولم يسر

وسلوته في الغزل شفاف ورقيق لا يحدس السبع مثل قوله وهو يرد على أولئك الذين يلومون العاشقين . لأنَّ نومهم يغريه بزيادة الحب والامعان فيه . كما أغري الربيع الدار بشدة الاحراق (٢٠٥) :

(٢٠٢) { ٢٢٧ } ديوانه ١ : ٢٢٩ .

(٢٠٣) { ٢٢٨ } ابن الرومي . حياته . من شعره ص ٢٢٦ .

(٢٠٤) { ٢٢٩ } ديوانه ١ : ٢٣٤ .

(٢٠٥) { ٢٣٠ } أي القفاؤهم تصليح كضرب والصليح عليها كالضرب على الطبول .

(٢٠٦) { ٢٣١ } ديوانه ٢ : ٩١٨ .

لأن كثرة ملامة المعتق فكيفه... بالتوجه والأشواق
من البلاء بظائق غير مضاعف ولا ضعف كان غير مطلق
لأنفسه جوى بلوم أنه كثر يبع أغرى... ناز بالاحراق
من لمحبته إذا ما فاقه دقة غير الحبيب بؤرة من رقيق

وكانت له عقوبة دقة في وصف المراثيات والمعويات بما أتبع له من دقة
لتصوير وبراعة تشخيص وحسن التعبير. فقد وصف الرياض والأزهار والسمار
والأطيار والحيوان. كما وصف أنواع الفهم ومجس الدمنة والغنيات. ومظاهر
العمران. والطبائع والعدوات والعدوات. وأصحاب المنون والحرف. مثل قوله في
وصف المختار ومهارته في صنع الحبر بسرعة وكفنة تشبه الممعة الخاطفة (١٣٣)

ما أنسى لا أنسى خاترا مررت به يدحو الرقاقة وتك الملح دابصر
ما به من رؤيتيها في كعبه كرة وبين رؤيتها قوله كالقصر
الأب... قدار من مدح دائرة في صفحة انه يرمى فيه بالحجر
واليك هذا المشهد الرائع الذي يصور الشمس سعة سروبها وتوديعها
للظلمة (١٣٤)

دا رفقت شمل الأصول ونفدت على الأفق العربي وراة غنمها :
وودعت الدنيا شغفي بحبه وسؤل بأبي عمرها فتشعرا (١٣٥)
ولاحظت النور وهي مريضا وقد وضعت هذا في الارض أضربا
كما لاحبت عواده بين مذبح توجع من أوصده ما بوجعا

(١٣٣) ديوانه ٤ : ١٦٦٢

(١٣٤) ديوانه ٤ : ١١٤٠

(١٣٥) ديوانه ٤ : ١٥٧٦

(١٣٦) رفقت ، يقال رفق الظاهر اذا وقف صالبا جناحيه لا يمضي ، وترقيق الظاهر مستعار
من ترقيق الظاهر وهي ميلها الى القريب ودنوها من الاقرب . الثورس ، نبات اسفر .
مذبح ، معركه ، اعله يرمي به اختراز الأسمه في بصر الناظر .

(١٣٧) النجب ، السموم . شون ، القعر ، قل ، وشولت الناقة ، جلست البانها . تشمش ، يقال
لشمس القهراي يلمى منه قليل

وطلت عبورُ النورِ تحضُّلاً بالمدى كما انورفت عينُ الشَّجِي لتدعى
براعينها ضورا الربها زوانيا ويحضن الحافضا من الشجو خُلعاً ١٣٧
ويبين انصافَ العراقِ عليهما كأنهما حلا مهاباً نودعاً ١٣٨

سأجعل هذه اللوحة وأروعها لها رُسُمت بريشة دقيقة مظهرة شمس
الأميل وهي مائلة نحو الأفق استعداداً للرحيل تاركاً الأرض الحفراء
مزروعتها وورودها حزينة متوجعة بعد مودة ومحبته وانفاد.

وكان ابن الرومي يغلب في ساعات من حياته إلى أنسان متفجع ينزى
جرحاً ويتفجر إلى وحرناً بعد أن يرصد الدهر مهاله له في أسرته واحداً بعد
الآخر ، ويُقدِّم فيه شعراً حزيناً ، ولأبداً في ابنه الأوسط محمد ، إذ لم
يملكه بأشجى النمل الأبوه المتجوعة في فلاة الكد ومصيبة الولد . مثل
قصيدته الدالية التي لا تقل روعة من قصيدة أبي ذؤيب الهذلي في بيته
المشهوره التي رثى فيها أبناء البعة الذين ماوا الأطلال ، قال ابن الرومي
من قصيدة تتجاوز أربعين بيتاً ١٣٩ :

بكأنكم يا شفي وار كان لا يجدي فحوداً فقد أودى نظيركم بندي
بنى بني أهده كعابي للثرى فإعزّه الهدي وياحرة الهدي
ألا بئس لك المنايا ورميها من تقوم حنث القلوب على عمد
نوحى حمام الموت أوسط صبيتي فله كيم اختر واسطة اتعبد
على حين شمت الخيز من لحائبه وأنث من أفعاله أبة الرشيد
طوء الردى غني وأنصحى مزاره بعيداً على قريب قريباً على بعد ١٤٠
وأي . ون نصت بانني بعده لداكره ماخنت النيب في نجد ١٤١

{ ١٣٧ } براعينها ، يلاحظها ، سوراً ، موالل . روائيا ، مديحات لظهرن .

{ ١٣٨ } بين ، تبين الخطأ الفراق ، وقود

{ ١٣٩ } دهواته ٩ ، ٦٢٤

{ ١٤٠ } ويقول ، إن ابته سار بعيداً على الرغم من قرب مكان دفته . قريب المكان ولكنه بعيد
المقال لا بالذكريات

{ ١٤١ } النيب ، جمع قاب وهو النافذ .

وأولادنا مثل السجوارح أثمها فقدناه كان الفاسخ البين العقيد
لكل مكان لا يسد احتلاله مكان أخيه في جزوع ولا جلد^(١)
هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين يهدي كما تهدي^(٢)

ومن شعره الرثائي المشهور فصيدته الطويلة التي بكى فيها على مدينة تبصرة
المحصاة التي صربها تزرج بقاوة وعنف وخربوها ، وأذلوا أهلها ، وعصفوا
ببحرات الحضارة فيها سنة ٢٥٧ للهجرة في خلافة المتمد ، وكانت هذه الحادثة من
أسوأ الحوادث التي وقعت على هذه المدينة ، وجاءت فريدة ابن الرومي التي
برزت بين الغضب والحرن تشرح هذه المأساة الدامية التي أذهلت الناس آنذاك ،
مما قوله : (١٢١)

لعل نفسي عليك أيتها البعد	سرة لها كمثل لهب الصرام
لعل نفسي عليك بأفنة الآدم	لام لها يطول منه غرام
كم أخ قد رأي أخنة صريحا	ترب الخد بين مرعى كرام
كم أب قد رأي عزيز سبه	وهو يسعى بصرام صمصام
كم رضيع عاك قد فطموه	بشبا الشيف قل حين الطعام
كبد فتاة مصوفة قد سبوها	بارزا وجهها بفغير لثام
دبحوهم فكابد القوم منهم	طول يوم كآبه السيف عام

ولابن الرومي شعر لطيف في العين إلى الأوطار ، والشكوى والعتاب ، والشيب
والنسب ، والحكمة والمثل لم يكن متخلعا فيه ولا مقصرا ، بل يبلغ في بعضه
مرتبة لا نظير لها ، مثل قوله : (١٢٢)

ولبي وطير البيت ألا أبيعده	وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدي به سرخ الشباب ونعمة	كثمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفت النفس حتى كآته	لها جد أن بان غودرت هالكا
وحسب أوطار الرجال اتبهم	مارب فضاها الشباب هالكا
إذا ذكروا أوطارهم ذكرتهم	عود الصبا فيها فحوا لنكا

(١٢١) الجزوع ، هو الكثير الجزع ، والجلد ، هو الصبور على المحاراة .

(١٢٢) ديوانه ، ٦ ، ٣٣٧ .

(١٢٣) ديوانه ، ٥ ، ١٨٢٥ .

خصائص شعره :

نُفِرَ عن ابن الرومي بكثرة النظر ، وطائفة النفس ، حتى يصل في بعض قصائده إلى ثلاث مئة بيت تقريباً وقد دناج حمة من شعره كما يرى المشرق رومون جيت ، ويقول في تنقيح مه : « نستطيع أن نعدده بما لا يقل كثيراً عن ضعف شعر البحري وثلاثة أضعاف أو أربعة أضعاف شعر أبي نجاد » (١٠٠١)

إن أبرز خصائص شعره التعمق في المعاني ، والتحليل ، والاستقصاء ، واستعمال المنطق ، فإن المزمعاني هو « شعر أهل زمانه بعد البحري ، وأكثرهم شعراً ، وأحسنهم إرسواً ، وأبلغهم حجة ، وأوسعهم قسماً » في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه ، ويركب من ذلك ما هو صعب متداوله على غيره ، ويلزم نفسه سلا يلزمه ، ويحاط كلامه بألفاظ منطقية يجعل لها المعاني ثم يعطىها بأحسن وصف وأجذب لفظ (١٠٠٢) « إنه كان يدخل إلى أعمق المعاني ، يكره الدق ، ويستخرج منها التوارد والفرار ، وقد عرف له هذا ابن خلكر فقال : صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغمس على المعاني الدرة فيستخرجها من مكانها ويررها في أحسن صورة » (١٠٠٣)

وكان ابن الرومي صاحب تروية لغوية كبيرة ، يعرف دقائقها وأسرارها ، ويحسن اختيار الألفاظ والعبارات منها ، أما المعجمات المنقضة فقد استعمل بها في تحسين صوره ، ولكنه لم يسرف فيها لئلا يفقد أبي تمام.

ومع براعته ودقة معانيه ، وسرع صوره وأخيلته لم يسلو من النقد فطنه ، حسب يقول : « طول وقوف ابن الرومي عند المعاني يضطره أن لا يميل النظر فيها فهو يتصرف فيها ويعبث بها أكثر مما كان أبو تمام يتصرف في معانيه » (١٠٠٤) « كان شاعرهم أكبر مقتداً ، وتمكنوا من ذائقة القريض لاند أن تقع في شعره حداث يؤخذ عليها ، وقد أدرك ابن الرومي ذلك ، وعرف أن النقد مباح إليه ، ولذلك شبه شعره بالشجر ، أي يرى فيه الجماء والخشب والشوك والصبر » (١٠٠٥)

(١٠٠٤) ابن الرومي ، حياته وشعره ص ٨٨ .

(١٠٠٥) معجم الشعراء ص ١٤٥ .

(١٠٠٦) وقفات الأعيان ٢ ، ٢٥٨ .

(١٠٠٧) من حديث الشعر والنثر ص ١٢٨ .

(١٠٠٨) ديوانه ٢ ، ١٢٩٩ .

قولاً لمن عبي شعير ما دحسه
 رُكِبَ فِيهِ النَّحْتُ وَالْخَشْبُ الْهَلْ
 وَكَانَ أَوَّلِي دَنْ يَسْتَهْدِي مَا
 جَاءَ بِكَرٍ ذَلِكَ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ أَرْ
 وَاللَّهِ أَفَرَى بِسَبْعٍ يَدْرُوهُ
 وَلِيَعْرِفَ النَّاسُ مِنْ أَرْهَ وَمِنْ
 مَطْنُهُ كَالْمَذَاقِ فِي دَرْكِ اللَّيْلِ
 وَلِيَذْكُرُوا أَنَّهُ يَسْكُذُ بِهِ الْهَلْ
 وَفِيهِ مَا يَأْخُذُ الْتَخْيِيرُ مِنْ
 وَلَيْسَ بَدَلُ لَنْ يَفُوصَ مِنْ أَرْ

أَمْ تَرَى كَيْفَ رُكِبَ الشَّجَرُ
 بِإِيسَى وَالشُّوكُ بَيْنَهُ الشُّعْرُ
 يَخْلُقُ رَبُّ الْأَرْيَابِ لَا الْبَشَرُ
 أَمْرٌ لَشَيْءٍ جَرَى بِهِ الْقَدَرُ
 مَنَّا، وَفِي كُلِّ مَرَقَضَى الْغَيْرُ
 قَحْخَرٌ فِي الشَّعْرِ، أَنَّهُ بِشَرِّ
 نَ مِنْ دُونَ ذَرْهًا غَطَرُ
 عَقْلٌ وَنَضِي فِي قَرَضِهِ الْفَكْرُ
 غَالِبٌ شَمْسٌ وَفِيهِ مَا يَفْرُ
 سَجَرٌ لَا يَنْصَطِفُ وَيَحْتَفِرُ

عبدالله بن المعتز

٢٩٧ - ٢٩٦ هـ

ظهر في بني العباس مجموعة من الشعراء الجذبة. كانت لهم منزلة رفيعة في دنيا الأدب. ويكاد عبدالله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ للهجرة. والراضي بالله المتوفى سنة ٣٠٩ للهجرة (١٠٠٠). من أشهر رجال هذه الأسرة في قرض الشعر والأجادة فيه.

سيرته :

أبو العباس عبدالله بن الخليفة المعتز بالله محمد بن الخليفة المتوكل على الله جعفر. يصل نسباً إلى علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم. وقد افتخر بهذا السب قتلاً (١٠٠٠).

ألقب السائل عن الحب الأمل
نحن آل الرسول والعشرة المح
ولما ما أضده صبح عليه
وملكاً رقى الإمامة ميرا
وأبونا حاملي النبي وقد أن
بب ما فوقة لحلق مزينة
في وأهل القري فعدا ترو
وانت رايات ليل سوء
تأ. ممن دعنا فحز يحيد
ير من تعلمون وهو ينفذ

في مدينة سامراء. مدينة الخليفة المعتصم. وعاصمة الخلفاء العباسيين من بعده. ومركز الإشاع الحضاري في القرن الثالث للهجرة. ولد ابن المعتز سنة ٢٩٧ للهجرة بعد مقتل جده المتوكل بأرميس يوماً على أرجح الآراء والروايات (١٠٠٠).

فرح الأب بهذا القول. وضرب باسمه البدائير. وتولى مربيته وتسلطه في حجر العز والكرامة. وروحة العلم والحرفة. ولكن هذا الأمر لم يند. إذ قتل هذا الأب

(١٠٠٠) جعل لنا المعتاد من دهراته حرباً حسب العروق الهجالية (المخيار الراضي بالله والتمني لله ص ١٦٤ - ١٨٣).

(١٠٠٠) دهراته ٨٠٠.

(١٠٠٠) تاريخ بغداد ٩٥٠٠٠. وفيات الأعيان ٧٠٠٠.

غزرا في شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة . ولم يتجاوز عمر ابنه ثمانية أعوام وقد سكنت المصادر عن ذكر أمه . فلم نعلمنا شيئا عنها سوى أنها كانت جارية لجدبه قبيصة (١٠٠٣) .

توجه ابن المعتز نحو المدرس والتعلم منذ الصغر . وكان والده قد اختار له أبا جعفر محمد بن عمران النسي السجوي الكوفي ليؤدبه (١٠٠٤) . وسارت جدته في هذا الاتجاه . فهيات له مستلزمات الدراسة . واختارت له مجموعة من الأساتذة في علوم القرآن والتحديث واللغة والمنطق والنحو والأدب . قال ابن النديم : كان يقصد فضحاء الأعراب . ويأخذ عنهم . ولقي العلماء من المحوريين والاحباريين (١٠٠٥) . ومن أشهر العلماء والأدباء الذين درس عليهم : أحمد بن سعيد الدمشقي . وأبو العباس البرد إمام البصريين في اللغة والأدب . وأبو العباس تلعب إمام الكوفيين في النحو واللغة . وأحمد بن يحيى البلاذري المؤرخ المشهور . والتقى بكثير من رجال المعرفة وجائهم أمثال : قدامة بن جعفر . وأبي بكر الصوفي . وأبي حنيفة المصري . وأبي سعيد محمد بن هيرة الأسدي . وأحمد بن أبي قتي

لم يترك ابن المعتز علما من علوم عصره إلا قرأه بنهر وأخذ منه . حتى الموسيقى . قال أبو الفرج الأصبهاني : . . . كان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى . والكلام على النغم وعملها (١٠٠٦) . وظهرت ثمرة دراسته في وقت مبكر . إذ نراه وهو في الثالثة عشرة من عمره ينظم أبياتا يحاطب بها أساتذه ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي . منها (١٠٠٧) .

سرا بلنسي حكمة قد هذب شيمي
أكون إن شئت قفا في خطابه
وإن أنا فكزبد في فرانضه
أو الخليل عروضا أنا فطر
تغلي بداهة ذهني في مراكبها
وأجحت غزب ذهني هو مستعمل
أو حاربا وهو في يوم الغر مرتحل
أو مثل نعمان لنا ضاقت الجبيل
أو اليكسائي نحويا له بعليل
كمثل ما عرفت أبائني الأول

[١٠٠٣] زهد الأمازي والتوادري ص ٩٩ .

[١٠٠٤] معجم الأدباء ٤٢٠٧ .

[١٠٠٥] التراث ص ١٦٨ .

[١٠٠٦] الأغانيد ١٠٠٣٩ .

[١٠٠٧] ديوانه ٢٠٢ .

هذا الشعر - كما قال الدكتور طه حسين (١) - على خلوّه من الحسان الفني أو على خلوّه من الشعر . كثير على غنى في المألّة عشرة من عصره . ولكه على كل حال يصل غرور القصي . وإعجاب لغتي نفسه . يرى انه يكون حطيط كقص . وشاعراً كالعزّارث من جلة . وداراً في الميراث كريد بن ثابت . وداراً في الفقه وحيله كأبي حنيفة . وداراً في العروض كالخليل . وداراً في النحو كالكسائي . وبذلك الدكتور سعد شلبي بهذه القدرة على الظن في هذا الشعر فيقول : . يغلب على ظني أن هذه الأبيات مما تحل عليه . ويرشح ذلك أنها أنسى من أن بقولها علام في الثالثة عشرة هذا من حيث هو شعر . ومن حيث مضمونها أيتها . فيدر أن يلم صبي بهذه المعارف كلها . (٢) . ومهما قيل في هذه الأبيات الشعرية . فإن أكمّام غرسة تفنّحت في أول شبابه وأصحت تعجب الناظرين . وقد روى له أبو الفرج الأصبهاني شعراً قاله في مجلس عند أبي عيسى من المتوكّلات قال استحسن الأعرابي شواهد الشعر وأصوله وهو دون عشرين سنة (٣) .

توزعت حياة ابن المعتز بين الدرس والقراءة والتأمل والتأليف وبين اللهو واللعب والنادمة والنعاء والموسيقى ومفاصلة الحسان وركوب الخيل والصيد والاستمتاع بحمال الطبيعة بعيداً عن الحياة السياسية والصراع على السلطة

لقد كان عهد شبابه ناضراً بهياً رخياً . عبّر بشعر كثير عن هذا العهد المملوء بالانفتاح والانفتاح على عالم النهو والأنس والطرب . ومع كل هذا الاندفاع عن جو السياسة والسلطة لم يسلّم من واقعة وخيبة كان فيها حتفه . فإن القواد الذين كانت بأيديهم مقاليد الأمور تآمروا على الخليفة المقتدر وحلوه ونصبوا مكانه أسن اعنّز . وبأيديهم بالخلافة . واستجاب لهذه المايعة على شرط . ألا يكون في ذلك سفك دم

(١٥٨) من حديث الشعر والنثر ص ١٥٦ .

(١٥٩) ابن المقفل العباسي . سورة نصره ص ١٠٩ .

(١٦٠) الأملاني ص ٢٨٦ .

ولا حرب . فأخبروه أن الأمر يسلم إليه عفوا . وأن جميع من وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضوا به . فبايعهم على ذلك ١٢١٥ . والغريب أن القواد أنفسهم اختلفوا فيما بينهم وأعادوا المقتدر إلى السلطة وجعلوا ابن المعتز بعد يوم وبيلة من نصيبه على كرسي الحكم . وقبض عليه . وأودع السجن . وقتل بعد أن عذب عذابا شديدا . وكان ذلك يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٦ للهجرة . وله من العمر تسعة وأربعون عاماً وذهن في خريبه بارز له داره ١٢١١ وفجع فيه رجال الأدب والقرض ورثوه بشعر حزين . منهم أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن بسام في قوته ١٢٣٠ .

لقد أدرك من مبادئ مضمضة ناهيك في العلم والأدب والتجرب
ما فيه لو . ولا ليت فتنفسه وإنما أدركت حرفة الأدب

بقي ابن المعتز مذكوراً بعد رحيله بكتبه النعية التي تركها وراءه . وقد ضاع بعضها ووصل إلينا بعضها الآخر . منها : كتاب طبقات الشعراء . وكتاب الذريع . وكتاب أشعار الملوك . وكتاب الآداب . وكتاب فصول التعانيل في تبشير السرور إلى باب ديوانه الكبير ورأته

نرى ابن المعتز في نظم الشعر . واشتهر فيه . حتى أصبح أحد أعلام الأدب في العصر العباسي . قال ابن رشي : ليس في المولدين أشعر أسماً من الحسن أبي نونس . ثم حسب وإبحرتي . ويقال : إنها أخملا في زمانها حسنة شاعر كلهم مجيد ثم يشعها في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز . فطرا اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وأمري - القيس في القدماء . فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس ١٢١١ .

(٢٦١) تاريخ الطبري ١٠ ، ١٦ .

(٢٦٢) وفيات الأعيان ٣ ، ١٧٠ .

(٢٦٣) وفات الوفيات ٣ ، ٢٤٠ .

(٢٦٤) الفكرة ١ ، ١٠٠ .

إن هذه الشهرة جاءت من إجادته في الشعر . بل كل أغراض الشعر . وبلوغه فيه مرتبة رفيعة حتى غدا . أشعر قريش : لأنه قال في الخمر . والطرد . والفزل . والمديح . والهجاء . والمذكر . والمؤنت . والمعاتبات . والزهد . والأوصاف . والمراثي فأحسن في جميعها ١٨٥٥ .

ثم يتخذ ابن المعتز المديح وسيلة للعيش وسبيلاً لكسب المال . وإنما نظم فيه وفاء وإخلاصاً لأصدقائه ومحبيه . أو مجاملة للخلفاء والوزراء . أو نظيماً لنفسه وأبداً للشبهات من رجال السلطة الذين أطاحوا برأس حمه وأبيه . فس شعره مثلاً قوله في مدح صديقه يعين بن علي المجمل أحد رجال الأدب آنذاك ١٨٥٦ .

إن يعين - لازال يحيا - صديقي
زاد وذي له صفاء كما في
ومن مديحه للخليفة المعتضد قوله ١٨٥٧ :

فأهلاً بذلك وسهلاً —	دعنا نسمي الإمام إلى قرب —
ويوحى التصواب إلى قماربه	يوقر من الله في رأيه
وبالحق يهلك قوماً به	وبالحق ينعم قوماً به
لأمر يعلو في عبيه	ويعمر والساني في غفله
بلاد ونعم من حرايه	وتخضر من منعه أوجه الـ
ولا قيس قط إمام به	ولم يز قط شبيه له
ونى وتراجع عن خطه	إذا الدهر لاقى لـه عزمة
ولست أقصّر عن خبئه	بمقصّر جهدي عن شكره

إن القاري . لهذا الشعر القريب من النثر ينس أن صاحبه قد دفع نفسه دفعا إلى نظم . فلا يجد فيه عبق العبارك وصدقها . وقوة المعاني وحرارتها كما يحدثنا مثلا في مدح إبراهيم بن هرمة المنصور . ومسلم بن الوليد الرشيد . وأبي نواس للأمين . وأبي تمام للمعتصم . والبحري للمعتز كل . ولا يعني هذا أن ابن المعتز كان مقصرا في فن المديح . بل انعكس إذ يجد له قصائد جيدة شكلاً ومضموناً مثل رأيته التي مدح بها المعتضد وعرج فيها على تهمته بقصر . الثريا . الذي أبدع الثعالوني في بنائه . قال في أولها : ١٨٥٨

(٥٦٥) أخبار أولاد الخلفاء ص ١١٢ .

(٥٦٦) ديوانه ١٠١٦ .

(٥٦٧) ديوانه ١٠١٦ .

(٥٦٨) ديوانه ١٠١٦ .

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ولا زلت فيها بآقياً واسع النعم
 خلقت أثراً خير دار ومزناً فلا زال معمرها وبورك من قصر
 وقيل في خائنها

فكُلُّ أداسٍ يشهرون أكنفهم دعاء له بالعز فيهم وبالصر
 وهو كثير الفخر بمائر أسرته وفضائلها . وبمنه التي حمل منها بطلا مقواراً وفاردا
 هبداً في الثوبى . مع إنه - على علمنا - لم يشارك في حرب ولم يقاتل في معركة .
 مثل قوله (١٣٩)

عاشمى إذا نبت ومخضو ص بيت من هاشم غير عار
 ولوى الصناعات نردى إلى الم ب . ولا تهدي سبيل الفرار
 وسببى كلمها حين هزمت ورق هرة سقوطاً الفظفر
 وهار تهدي الردى من عيب واقعات مواقع الأبرص
 أنا جنى إذا غدت وحيداً ووحيداً في اتجعل الجرار

انعمل ابن المعتز في جالس من حياته بالعلم والحكايات وقد استأثرت
 محبته أشرة ، بجر ، كبير من شعره العزلي الذي بث فيه لوعته وعياده وصابته
 فيها وهو - في الغالب - لم ينفرد بشيء جديد في هذا الفن الذي اشتهر به التكتيرون
 في العصر العباسي . مثل قوله (١٤٠)

عصيت في شر مما أنعموا وخجبت على مما أراها
 وطوبيت ما فرسسى على جوانها وعصف يذب حنى شحها
 حدثك من حالي وما ألاما ليت ترى عين الهوى سواها
 وقوله (١٤١)

يقولون لي والجمع بيني وبينها يادته نأت عنك شر وانطوى سبب القرب
 فقلت لهم والحب بفضحه الكلا لمن فارجت عيني لقد سكنت قلبي

واستغل أيضاً إلى جانب الغزل بالغمرة وتحدث عنها حديثاً مسمياً . وتوشع في
 وصف محالها وبدائلها وسفاتها وأبوابها وفعالها في الشاربين وديبها في المتشين .

(١٣٩) ١٤٩ | ١٥٠ هـ ١٠٩٠

(١٤٠) ١٥٠ | ١٥١ هـ ١٠٩٠

(١٤١) ١٥١ | ١٥٢ هـ ١٠٩٠

ع يورأ ان يابسوا فكأنما مدامعها من فوق أجعلها دُر
مجازها يفسر وأحدتها صغر وأجسامها حشنة وألوانها عطر
نقى زوض بدن كأن ناله تسفع ونيا بالثره السد طر

وأخذ الطرد حاشا كبرا من ديوانه فهو وثاق سرع بقادحيه حاشا حجب
في تصوير رحلة تصيد والحيوانات والطيور التي تستخدم في القنصر . مثل قوله في
وصف كلاب الصيد (١٧١)

ولما عدت خيلنا لنسطاراد جد منا إلى الذير مبداهها
وقد لم يكن لنا سببا قد غرا سلوقسية طلقها فادها
معدومة من بنات الرزا ع إذا سالنا عثوها رادها
ولم نخرج فوفها لها لئلا كسبك الحناجر المبداهها
ولم يكن صيدا ولم نلمه نكصم تكوئيب أولادها

وسبلك ابن المعتز طرفة عربية متدفقة في مواقف الأسى واليأس على الخوس من
أخته وذويه وأصحابه الذين أرحموا له الود ووفوا له حبه في أيام حياته القصية
وكثيرا مررت في هذا اللون من الشعر الأمد وبشر إلى العفصاء من قومه الذين
طواحد الزمن وارتفع إلى عصره المملوء بالخير والوصعة بالاشراف . مثل قوله في رثاء
أخيه (١٧٢)

لله أقوام فقد ساء بهما كنوا بطون الأرض والنجرا
أبى السميعين إلى أقدارهم لم من يحدث عنهم خيرا
أبى الوغى ويوزن الندية سخوي الصيور إليهم المنظرا
عبيدات لا أذاع بها أما سقيا لهم وأعصرهم عصرا
تركوا الرمان فرقه خلتا والناس لأجلا ولا نرا
وكأنما الأخلاق في خلق لأعيب من كرم ولا ثرا
كم نورق الشرد شمر لا أحنى من غصنه ثمر

وله نفع رفعة مرثته . وهو مكانته وهو سره من انحاء والده والتفريع .
وهو في عالم هذا اللون من النظر لا يبرلق إلى مهاجر المعنى المستكره والسب
المستح مثل قوله في هجر أحد حداثته (١٧٣)

(١٧٢) ديوانه ١٩٢٢

(١٧٣) ديوانه ٢٩٠٢

(١٧٤) ديوانه ٩٠١٩

أقطع وصالي عاصت مني وذم على جسفونسي وهجري
لا أثنى الخجل عند عيسى هديسحق وهري عدو فسري
وقوله في آخر .

أقول وقد صدقني امرؤ وما كنت بالصد مع حدير
كما لم أر النفع في وصه كذلك هجرانه لا يصير
ونجد في ديوان ابن المعتز شعرا في الزهد والوعظ والنصح والحكمة وهي - كما
يسمى - منتزعة من تجاربه وتجارب الآخرين الذين سبقوه وقد صبها في قوالب جميلة
مناعة مثل قوله (١٨١) .

اصبر على حديد السعد وإن صبرك فائتله
فالنار تأكل بسفها إن لم تجد ما تأكله
وقوله (١٨٢) .

تجاوز عن جناية كل دهر وصاحبت يوم حادثي يد صبر
وإن نابتك نائبة فتاور فكم حمد التاور غيب أمر
وقسمهم هم نفسك في نفوس ولا تنفردن بسطول مدكر

خصائص شعره :

كان ابن المعتز يتدفق شعرا منذ مطلع حياته ينظم في كل شيء يثبته أو
يلفت نظره ومن هنا كثرت هذا الشعر في كل الأعراض . وقد شك فيه مملكا مهلا
مسررا لا وعرة فيه ولا تعقيد . ارتفع في بعضه إلى مستوى رفيع يضاهي المستوى
الذي يلعبه كبار شعراء الأمة العربية قال الدكتور طه حسين . . . هو مطبوع ليس
متكلفا ولا متعللا في شعره . وهو يؤثر السهل على القريب . وهو حر يص ما استطاع على
جولة اللفظ . وهو يمس بهذه المعاني المرفعة . التي تلائم حياته ويشتت . وهو
تغوب بغز خاص من فنون الشعر . يظهر أنه قد تفوق فيه على الشعراء . وهو من
الوصف والوصف المادي بنوع خاص ووصف الأشياء المادية الجسمانية التي تلائم
هواه . وهو من أكثر الشعراء تشبيها . ومن أروعهم في هذا التشبيه . يبحث عن
طرائف التشبيه . ووجه تشبيه قريب . يفهمها كل إنسان في سهولة ويسر . وفي
غير مشقة ولا عناء . (١٨٣) مثل قوله في الهلال والنجوم (١٨٤) .

(١٨١) ديوانه ١ : ٢٠٨ .

(١٨٢) ديوانه ١ : ٢٠٨ .

(١٨٣) ديوانه ١ : ٢٠٨ .

(١٨٤) من حديث المهر والنشر ص ١٦٨ .

(١٨٥) ديوانه ١ : ٢٠٨ .

انظر الى حسن هلاك بدا بهتك من أنواره الجنب
 كمنجل قد صبح من غبطة بخص من زهر الدجى نرجس
 ومثل قوله: (١٨٦)

نحي بكاءً وللحجاب بكاءً فدموعى هوى وذاك هواه
 نعل من الحائرين شتى وهما قد بدا للعيون مساً سوا
 ياجفون الحجاب دمعك يفسى عن قليل وما لدمعي فناء
 أن أبكي طوعاً وتبكي كرها ودموعى دم وتدمعك ماء
 بك يحيا العباد من بطل القصد رويحاً بمقدس الشرا

لقد كان ابن المعتز بارعاً في رسم الصورة الشعرية ووضعها في إطار جذاب حتى
 عدّه الدكتور محطوف الشكعة ، فنان الشعر العربي . وأستاذ الشعراء العرب في
 مجلّ الشبه الزائل والصورة الأنثوية النابعة من طبيعة الفن الكائنة فيه . وملكمة
 الشعر والموسيقى التي خلقت معه ورافداه منذ أن كان فتى صغيراً ليس على الإحباب ،
 واستعان إلى جانب صور البكاء ، بالبنع في إبراز مدانيه ونحيلها . ولكنه لم
 يكن مثالياً فيه كأيي تمام وتباعد . وإنما تناوله تناولاً محباً مقوفاً وقد شهد له
 ابن رشيق في ذلك فقال : « وما أعلم شاعراً أكمل ولا أحب نصيحاً من عبدالله بن
 المعتز . فإن صغته حفيفة لطيفة لانتكاد تظهر في بعض المواضع إلا للتصغير بدقائق
 الشعر . وهو عذب لطف أصحابه شعراً . وأكثرهم بديعاً وإغناءً وأقربهم قولاً
 وأوزاناً ولا أرى وراءه غاية لطالها في هذا الباب (١٨٧) .

ومن ينعم النظر في شعره يجده موزوناً على النحور المعروفة جميعها . طويلاً
 وقصيراً . ناتها ومجزؤها إلى جانب قوافيه فإنها - على تنوعها - لطيفة الوقع على
 السمع

وحمل القول ابن المعتز أديب كبير موهوب امتلك طامة شعرية كبيرة في
 التعبير عن المشاعر والأحاسيس بلغة واضحة وحيلة تجاوبت مع نفوس القراء
 قديماً وحديثاً

(١٨٦) ديوانه ٢ : ٤٩٤ .

(١٨٧) الشعر والشعراء في العصر العباسي ص ٧٨٩ .

(١٨٨) المصدا ٢ : ١٢٠ .

المقدمة :

رأى الاهتمام بالكثير من أبحاث نور الإسلام وفيما الدولة الجديدة زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . وأخذ ينمو ويتطور ويرداد البناء في عهد الخلافة الراشدة بين نه في دولة بني أمية . ولا سيما بعد الفتوحات الكثيرة ووسع رقعة الحكم الإسلامي شرقا وغربا . وازدادت مسائل مركز الخلافة . وحاجة الخلفاء إلى الاعتماد على تولدوا والعلماء والفوائد .

وبما كثير من الكتاب بدجوى الكتابة وافتقارها بالأسلوب . حزن حين وقد كانت في أول أمره تميل إلى الإيجاز المذهب . واختصار المعنى . نقل العبارات وأقصرها . والتمسك بالأمانة والصدق والمراعاة التي درج عليها العرب وأرضى بها الكثير الخلفاء

وحينما تقدم العهد بالدولة الأموية . ومضى الجيل الأول . ضمت الكتابة إلى التنوع والإلحاح والتوسع في المعنى والدق في صياغة العمل والعبارات . حتى أصبح لها أصول محددة وقواعد مقننة . وقد ظهرت لمرحلة حلية واضحة عند عبد الحميد بن يحيى ١٠٢ هـ . كانت مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في دمشق . وقد أجمع النقاد والمؤرخون على أنه وضع أسس الكتابة الفنية الأولى في الشعر العربي . قال ابن الأثير . أنه أخذ المترفون وطريقته زموا . وهو الذي جعل سبيل البلاغة في الشعر . وقال المصنف . صاحب الرسائل وبلاعات وهو أول من أضاف الرسائل . واستعمل التحيينات في فصول الكتب . واستعمل الناس ذلك بعد ١٠٩١

كان عبد الحميد يعني في كتاباته بنسق العجوزات . وتوزيها . وأحد أجمل معطى بركات بعض النسط والاحدب . واستخدام السجع والازدواج من غير تكلف . وقد تجلّت ضربته في رسالته الدقيقة لحكمة التي وحيها إلى الكتابين بحدودها دليلا . في عهده الكتابي ١٠٩١ . ومن جميل ماوصل إليها من نثره أيضا رسالة إلى عاتقه

(١٠٨) (الفهرست ص ١٧٠)

(١٠٩) (مروج الذهب ٢٤٨٠)

(١١٠) (تنظر الرسالة كاملة في مباح الأعشى ١٠٩٤ - ٨٩)

ابن مروان على لسان أبيه الخليفة مروان بن محمد وكان قد أرسله لحرية الصدقات
 بن قيس الشيباني الخارجي، وعلى طويشة تقع في تبع وثلاثين صفحة ١١١: وله
 رسالة قصيرة بحث بها في أهله ودويه وهو مهزم مع مروان بن محمد من دمشق
 العباسيين. من قولته: كنت أتيك ولأبدي تزييذاً منك بعد واليك صراحة
 ووجداً فإن لنا للبلية في أنفسنا فليكن آخر العهد بكم وبنا وإن بخصم
 طغر حارح من أظفر من يلبك ترجع اليك بذلك الأسير والسفائر والمال بما دار
 والأمان حارح. تسين من روح طمطم وفحة لرجاء سائل الله سدي. نعر من ساء
 ويند من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار أمة تجمع سلامة الأديين
 والأمن. هذه رسالة العليين وأحمد المرحبين ١١١٦

ولما قامت الدولة العباسية عظم دور الكتابة وراء الإقبال عليه بعد أن انتعج
 أزمها مجالات واسعة وأصبح للكتاب مقام محمود لدى الخلفاء والوزراء والنواب.
 وكان الموهوبين منهم دور بارز في سير شؤون الدولة السياسية والإدارية والمالية

كان الكتاب في العصر العباسي مشغول ثقافة عالية ومرودين يستوفى المعرفة
 نرحه يحدثون لغزل الكربة ونشأ كثيراً من الحديث المبني وكلام البلده
 وعصب الحداثة والحلقات ووجدانها وفصلها كسر الشعراء إضافة إلى تردده بنزوة
 لغوية ووقوفهم على علوم الأمم الأخرى مباشرة أو بعد ترجمتها إلى اللغة العربية

لقد توسعت الأدق أمام الكتابة بعد أن احتضت الدولة العباسية الأمة الإسلامية
 ونواب رعايتهم وحميتهم والنظر في شؤونهم السياسية والثقافية والعمرانية.. فتجد
 هناك كمالات في المدح والخطب، والتغاني، والتبريدات، والعهود والعقود، والنهايات،
 والعزى في حكايات المواقع، والخطب، والترسل، والمشتورات، والوصايا، وهناك
 أيضاً كتابات حولية كالمدافع، والعتاب، والشفوق والاعتذار، وسجرات
 التعذرات، وكذلك في الأغراض الأدبية كالطب، القصص أو السر على أنه
 الحيوان

وقد كانت الكتابات المذكورة تلبس في كتاباتهم الأول الأسلوب. لاهل نمرال
 تعدد مع التقصد في الألفاظ بغد، يعصه العيس من الموضح والحلا. ورأى هذا
 الأسلوب من التقع. وهو ذ يوصى أحد الكتاب بقوله: إياه وتسمع لحوثي

١١١٦ (صباح الأعشى ١١٠٠ - ١١٢٢).

١١٢٢ (الوزراء والكتاب ص ٩٦).

الكلام طمعاً في سبل البلاغة . وإنَّ ذلك هو المعنى الأكبر . وقوله لأخر . عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ الشذلة .. وسار على هذا القرب الكبيرون منهم عمرو بن مسعدة . وسهل بن هرون وأحمد بن يوسف ..

أما الأسلوب الثاني فهو أسلوب المألق واستيفاء المعنى باستقصاء أحرانه . وتطويع الكلام إلى فقر مرحلة ومصححة . والاستطراد إلى الأخبار والوارد والفرج والاكثار من الشواهد الضمنية ومأثور الكلام كما نرى ذلك في أسلوب الجاحظ الذي ستتناوله بالشرح والتوضيح في ترجمته

الفنون النثرية :

الرسائل :

تطورت فنون النثرية في العصر العباسي تطوراً ملحوظاً . وقطعت شوطاً بعيداً في مضمار الرقي وانتقدت بعد الانفتاح الكبير على أمم أخرى وتمازج الثقافات . وكما هو معروف فإنَّ الإنشاء رهين برقي الحياة وتطورها . وكانت الرسائل بالشكليات المختلفة في مقدمة هذه العصور ازدهاراً واتساعاً . لأنها مرتبطة أشد الارتباط بحياة الناس جميعاً ولا سيما العائلي في مرافق الدولة والعائلي بشؤون السلطة . يقول الدكتور طه حسين : " ليس غريباً إذن أن تتغير طبيعة النثر في آخر القرن الثاني وطول القرن الثالث . وأن نكثر موضوعاته وأن يزاحم الشعر حتى يسته . فقد كان النثر لا يكتفي بتجاور النثر السياسي والتاريخ .. أما في القرن الثاني وطول القرن الثالث فقد أصبح النثر قادراً يؤدي فيه جميع العلوم الثلاثة على كثرتها واختلافها . وهذا طبيعي مفهوم لأنَّ نثر أسروا بسط . وهو أقدر وأوسع للمعاني . يستطيع الكاتب إذا عرض لغزاً أو لسألة أن يتناولها من جميع وجوها دون أن يحول بينه وبين الاتجاه فيما يريد وزن أو قافية . أو شرط من هذه الشروط التي كانت تقيد الشعراء . ونجد هذا واضحاً عندما نقرأ الرسائل الكثيرة التي صدرت عن كتاب القرن الثالث " ١٨١٠

ويمكن تقسيم "رسائل" هذا النوع إلى نوعين . الأول . الرسائل الدبلوماسية أو مايسمى بالكتابات الرسمية . وعالياً تكتب من الخلفاء والوزراء والولاة والقواد بأقلام الشخصيات بصلة الكتابة . وهم كما قال الجاحظ . لا يقفون إلا على الألفاظ اللخيرة . والمعنوي النجبة وعلى الألفاظ المعذبة والمجازح الهلابة . والديباجة

(٥٩٣) التنبؤ في أمالي المرقسي . ١٣٧ .

(٥٩٤) من حديث الشعر والنثر ص ٥٥

الكريمة . وعلى الطبع المتصان وعلى السبك الجيد . وعلى كل كلام له ماء ورواق .
وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور غفرتها وأصلحتها من انفساء القديم . وفشت
تسنان باب البلاغة . ودلت الأعلام على مدافن الألفاظ . وأشارت إلى حسان
المعاني ١٩٨٦ .

وكتب الرسائل إما فنوية تعيل إلى الشرح والتفصيل . مثل رسالة الخليفة
المعتصم إلى ملوك المسلمين بعدما قبض على بابك الحرمي وقضى على ثورته التي
دامت عشرين عاماً ١٩٨١ . أو قصيرة موجزة مستطیع أن تطلق عليها عبارة « ماقول »
وذلك « مثل الرسالة التي كتبها يوسف بن طريح عن عبدالله بن علي إلى ابن أخيه
اسحاق يعزبه عن ابن له : « أما بعد . فإن أحق الناس بالرضا والتسليم لأمر الله
جل وعز من كان إماماً لحق الله وخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعز أمير
المؤمنين بجهنك . وارجع في وجه الله جل وعز من الصابرين إلى عظمك ١٩٨٦ » . ومن
الرسائل الموحدة جداً ما كتبه ضاهر بن الحسين إلى الخليفة المأمون بعد مقتل علي
بن عيسى بن ماهان . « كتابي إلى أمير المؤمنين . ورأس علي بن عيسى بن ماهان
يبر يدي . وخاتمه في يدي . وعسكره مصروف تحت أمري والسلام ١٩٨٦ » .

والنوع الثاني من الرسائل التي شاعت في العصر العباسي . الإخوانية التي
يتبادلها الأصدقاء فيما بينهم في مناسبات شتى . وكانوا يتأخون في صياغتها ويعنون
بدياجتها . ويبدونها بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال الصحابة والتابعين
والأشعار والأمثال والحكم . وقد اشتهر لكثيرون بها أمثال ابن المظفر . ومحمد بن
زيد الحارثي . وكثوم بن عمرو العنابي الذي قال عنه ابن قتيبة : « كان شاعراً
محباً . وكتباً في الرسائل مجيداً . ولم يجمع هذا لمبره ١٩٨٦ » . فمن رسائله
النضيفة ما كتبه إلى أحد أصدقائه يسانده مواصلة مودته بعد جموة وقطيفة . « لو
اعتصم شوقي إليك بمثل ملوك بني لم أبتل وجه الرغبة إليك . ولم أجتشم مرارة
تماديك . ولكن استخفنا صبايتنا . فاحتملنا قسوتك . نعظيم قدر مودتك . وأنت
أحق من اقتضى لصتنا من جفائه . ولشوقنا من إبطائه ١٩٨٦ » .

[١٩٨٥] البيان والتبيين ١ : ٩٩ .

[١٩٩٦] ينظر صبح الأعشى ٩ : ٦٠٠ - ٦٠٤ .

[١٩٩٧] جبهة رسائل العرب ٢ : ٩ .

[١٩٩٨] القل السائر ٩ : ٣٣٨ . وينظر الوزيد والكتاب ص ٢٤ .

[١٩٩٩] القمر والقمر ٩ : ٩٦٠ .

[٢٠٠٠] زهر الآداب ٢ : ٩٨٩ .

ودرج بعض الكتاب رسائل لطيفة وعدة شبيهة بها يعرف الآن بالعواشر الأدبية. تناولت موضوعات كثيرة تتعلق بالأخلاق والتهذيب والوحيه والسمح والارشاد وتؤور الحجة المختلفة. مثل رسالة عثمان بن عفان الحميد في الأخوة والتواضع وحفظ العهد. أمّا هذا. فإن الله جعل العباد أطوارا في أخلافهم كما جعلهم أطوارا في صورهم وجعل بينهم أمورا يتلقون عليها ويعملون أحلامهم فيها من حرم يتحملون بها. وحقوق يتأدّبونها ومودة يتعاطونها وأخوة يتأدّبونها مرغى يوفى. ونؤذى بأمانة وتأنى بتقصر وتأنى بحياة ليس من أذى فيه فيس يحفظ منها بأحد من المؤاخذ لها فيما يأخذ به من الفضل نفسه. وليس من ضياع منه رافقى ممن صنعها فيما يدخل من تقصير عليه. فإن من أخطأ الوقت من أخيه فأنما يدخل عليه تقصير يرد. ومن ضاع الوقت لاخوانه فقد أضره النفس في خدعه نفسه وأمرنا يحذر من أخيه إذا خذله بدلا. ولا يجد عر نفسه إذا فُتِر به متحولا. وليس غرض يستل به كنفس لا يستطيع مزايده.

الخطابة :

اشتهر العرب منذ حصر ما قبل الاسلام بالخطابة وعرفوا بقدرة القائل وقوة البيان وبراعة التعبير وشدة التأثير. وردت الخطابة ازدهارا في عصر العرب وانحطت الرندي. وبلغت ألقه في عصر بني أمية لتوفر دواعيها الدينية والاجتماعية والسياسية وظلت رتحة في العصر العباسي الأول. وسقطت لما عرفته بدوى رخصتها المذمومة. فسودت من لدولة الجديدة وتفتت حولها. وتجمع قلوبها في حثها. وتنادى بالدولة السابقة وبزري روحها. وقد اشتهر الخليفة الأول ابو العباس السفاح بالقدرة المثلقة على تارة الناس والهاب متاعهم في خطبه. من ذلك قوله حين يوع بالخلافة. الحمد لله الذي جعلني الاسلام غدا وكرمه وشرفه وعظمه. واختاره لدا. وأيدى به. وجعلنا أهله وكهفه. وحسنه والمؤاد به والدابيين غدا. والمناصرين له. وحضنا برحمه رسول الله صلى الله عليه وآله. وانشأ من شجرته. واتقنا من بيته. وأمرنا بذلك كتاب بنى. فاضل حلاله. فقل لا تسلكم عليه أحرار لا تؤذوه في هرمي. ١٠٠٠ سنة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله. قاله. قام دأمر أفعاله وأمره شوري يوم ١٠٢٩ هـ. فمسلوا وحرموا.

١٠١٩ | جبهة رسائل العرب ١٢٢٩

١٠٢٠ | سورة الشورى. الآية ٢٢.

(١٠٢١) | سورة الشورى. الآية ٢٨.

خمساً (٦١) ثم وثب هو حزب وهو مروان فابترؤوها . واستأثروا بها . وظلموها .
 فهنا . فأملى الله له حذاً . فهنا السورة (٦٢) انتقم منهم . يدبرها . ورؤ عليها حذاً .
 فها السراج النج والشار المير (٦٣) .

وبرر عدد من ولاء الدولة العباسية وقوادها بالحطابة . وقد وصلت لنا مجموعة
 كبيرة من خطبه منها داود بن علي والتي مكة والمدينة لأبي العباس السراج .
 قال الجاحظ : . كان نطق الناس وأخوده ارتحالا . واقتضاهما تقول . ويقال انه لم
 يتقدم في تحرير خطبة قط (٦٤) .

وخلت الحطابة السياسية نشطة نشطة قرابة قرن من الزمن في البيت العباسي . فكان
 فيه خطباء برزوا من العلوة أمثال المنصور والمهدي والمعتز والأمن . وكلهم تؤكد
 أحقية العباسيين بالحكم وصلبه . بل الرسول صلى الله عليه وسلم . وبعد ذلك
 ضعف . ولما بعد نجد خليفة بلا السمع بحضبة . ولا سيما بعد ذهب هيئة الخلافة
 ويعظمه الأعاج على مقاليد السلطة . وتصريف شؤون الدولة بأنفسهم .

ونجد في جانب الحطاب السياسية خطباء دينة وجهادية وحطابة . وكانت
 الخطبة الدينية تقضي بنوعظ والتمج والارشاد . وتلقى في الغالب أيام الجمع
 والأعياد . وقد تترك فيها عدد من الخلفاء . منهم الأمن في قوله من خطبة له في
 يوم جمعة . الحمد لله مستخلص الحمد لله . ومستوحاه على حلقه . أحمده
 وأشعبه وأومر به وأوكل عليه . وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له .
 وأشهد ان محمدا عبده ورسوله . رشفة بالهدد ودين الحق يظهره على الدين كله
 ولو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده . والعمل بما عنده . والتشجر
 لوعده . والخوف لوعبه . فإنه لا يسم الا من اتقاء ورحمة . وعدل له وأرضاه .
 فانتقوا الله عباد الله . وابدروا حالكم بأحذركم . وابدعوا ما ينبغي بها برول
 بنك . ونرجلوا بعد جدكم . وأعدوا للموت فقد أطلكم . وكونوا قوماً سبح بهم
 وانتسوا . وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستموا . فإن الله ثم يخلقكم عباداً ول

(٦٤) خصصاً ، جياها .

(٦٥) أمفوه ، المحبوه .

(٦٦) شرح نهج البلاغة ١ : ٧ .

(٦٧) البيان والتبيين ١ : ٣٣١ .

بترككم سدى... نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة . ولا تقشُر به عن طاعته غفلة . ولا تحُلْ به بعد الموت فُرقة له سبع الدعاء . ويبدد الخير . والله فعال لما يريد (١٣٨)

أما الخطيب الحربية أو الجهادية فكانت تأخذ طابع الاستنهاض والاستبسال وشحن الهمم وبذل النفوس . مثل قول عبد الله بن طاهر في تحريض الجند على قتال الحوارج : « إنكم فئدة الله المجاهدون عن حقبة الدأبور عن دينه . الذائون عن محارمه . الداعون الى ماأمر به من الاعتصام بحبله . والطاعة لولاة أمره . الذين جعلهم رعاة الدين . ونظام المسلمين . فاستنجزوا موعود الله وبصره . بمجاهدة عدوه وأهل معصيته . الذين أشروا وتعزذوا . وشقوا العصا . وفارقوا الجماعة . ورفقوا في الدين . وسعوا في الأرض خساراً . فإنه يقول تبارك وتعالى . (إن تصروا الله ينجركم ويثبت أقدامكم) . فإنه أنور المصيح . الذي ذلكم الله عليه . والخنة الحصينة انتهى أمركم الله بلباسها . غصوا أبصاركم . واخفئوا أحوالك في مصافكم وانصوا قذفا على بصلاركم . فارغبوا إلى ذكر الله . والاستعانة به . كما أمركم الله . فإنه يقول . « إذا لقيتم فئدة هائبوا واذكروا الله كثيراً لعنكم قتلحون (١٣٩) . أيدكم الله بغر الضبر . ووثبكم بالحياطة والنصر (١٤٠) »

وهناك خطب تعرف بالحفلية تلقى في المناسبات كإعلان البيعة للخليفة أو ولي العهد والمأم والأفراج والموسم والمفود وهي في الغالب قصيرة ومؤثرة على نحو ما قالته إحدى الاعرابيات وقد تعرضت للخليفة المنصور في طريق مكة بعد وفاء أبي العباس السعاج : « ياأمير المؤمنين اجتب الصبر . وقدم الشكر : فقد أحزن الله لك الثواب في الحياتين . وأعظم عليك لنة في الحداثين . سلمك خليفة الله . وأماذك خلافة الله . سلم فيما سلمك . واشكر فيما منحك . وتجاوز الله عن أمير المؤمنين . وخار لك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين (١٤١) . ولا توفي الخليفة المنصور دخل ابن عتبة مع الخطيب على الخليفة المهدي سلم ثم قال . « أحر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قباه . وبارك لأمر المؤمنين فيما خلقه له أمير المؤمنين بعده . فلا

(١٣٨) هيون الاغيار ٩ : ٢٥٢

(١٣٩) سورة مائدة : الآية ٧ .

(١٤٠) سورة الأنفال : الآية ٥٥ .

(١٤١) العهد القوي ٤ : ١٢٤

(١٤٢) صحيح الاطفي ٩ : ٢٢٨ .

مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين . ولا نغنى أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين .
واقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية . واحتسب عنده أعظم الزرية (١٣١)

القصص

راحت في العصر العباسي القصص وكثر الاقبال عليها . وهي - وإن كانت في نظر بعض الباحثين وحسب معاييرهم لا تدخل في باب القصة ، لأن الخصائص المطلوبة غير متكاملة فيها - تروى للتسلية والسر وقضاء أوقات الفراغ إلى جانب ما فيها من عبر وعظات ودروس أخلاقية . ولاسيما التي تتناول البطولة والعروسية قبل الاسلام وبعد

وكانت بعض القصص تدور على السنة الطير والحيوان . كما هو الحال في كتاب كليلة ودمنة ، الذي نقله إلى اللغة العربية عبد الله بن القفح . وهو أثر نفيس بصور البهائم والطير كائنات عاقلة معكرة مدبرة تحضن لنوازع الفرائز وشهوات النفوس خضوعها إلى الاعتبار بالأحداث والاحتكام إلى الضمير والرغبة في التعلف واستخلاص العظة أو المثل من المواقف والعلاقات (١٣٢) وسهل بن هارون كتابان على شاكلة كليلة ودمنة الأول . نعلة وغراء . وقد نقل الخصري القيرواني الفقرات الآتية منه : . اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم . وأن تقديم النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظاهر عن وزن المفيدة . وتفصيل الروية . ومضر بالتدبير . مخجل بالاختيار . وليس في نفع محدثه عوض من فساد المروءة وتزويم التقصيص . وقال معقباً : « وكتابه هذا مملوء حكماً وعلماً (١٣٣) والكتاب الثاني . النمر والتعلب . وهو منتج طريف الأسلوب . يدور على شخصيات ثلاث ، التعلب الحكيم ، والتذب الجحود . والنمر الطاغى وقد وصل البناء منه نصوص كاملة (١٣٤)

وكانت مجالس الوعظ انداك تنيل إلى القصص الديني . ولاسيما في تفسير بعض آيات القرآن الحكيم . وقد شاهد الجاحظ طروفاً من هذه المجالس وذكر أسماء مجموعة من قضاة العصر العباسي الأول . قال : « ومن القضاة موسى بن سيار

(١٣٢) البيان والجهين ٩ ، ١٩٢ .

(١٣٣) الحكاية الذهبية ص ٤١ .

(١٣٤) زهر الآداب ١١ ، ٥٧٧ .

(١٣٥) العصر العباسي الأول ص ٥٥ . وينظر العدد الأول من مجلة الجامعة التوفيقية سنة

الأسوري . وكان من أعاجيب الدنيا . وعمره بن والده . كان حافظ الميمر ولوجوه
 الحؤولات . وكان ربما ضربه في عدة أسابيع . وكان يفتقر في فنون من القصص
 ويعمل للقرن بصيهاً من ذلك . ثم قص من بعده القاسم بن يحيى . وهو أبو
 العباس الفرير . لم يدرك في القصاص سنة ١٧٠١ . وهؤلاء القصاص كانوا يعنون
 بالكلوب وصبط الكلام وطريقة الانقاء كي يقبل عليهم الناس ويستمعوا منهم
 وينصتوا إليهم . فتر الحافظ بن الفضل بن عيسى الرقائبي . كان سخافاً في
 قصصه . وكان عمرو بن غيد وهشام بن حسان وأبين بن أبي غيث يأتون
 محله . وقد كان عبد الصمد بن الفضل . وأبو الفس لثام بن يحيى . وعامة
 قصاص النصرة . وهم أخطب من الحضنة . يجلس إليهم عامة الفقهاء (١٧٠١)

ويمكن أن نصف أن ماضي الحكايات التاريخية التي يذمر فيها العوار وتأخذ
 طابع سرد المباشر مثل قصة التقدم فسير بن سعد الماحمي لجديعة الأبرش الذي
 صرته الزبارة ملكة بدمر ١٧٠١ . وقصة معركة القادسية التي تصور فيها أبو حريفة
 الحنوري أحداثها تصويراً دقيقاً كما وقعت بين المسلمين والفرس من غير تعمق أو
 افتعال . وقد تمسك فيها بالأحداث وإن اشتملت على حكايات فرعية مثل حكاية
 طلحة بن حويله الأسدي الذي بعثه سعد بن أبي وقاص ليأخيه بخبر الفرس
 فذهب وتعمق في كل المطلوب وأعطاهم بعدد من الحصوم وعاد معه أحدهم أسيراً
 وقدمه أبي محسن الثقفي الذي خرج من حده للقتال بعد أن ركب فرساً بلقاء
 بساعة راحة سعد بن أبي وقاص . وقيل قتال الأبطال وأنخن الجراح في الأعداء
 وعاد طاهراً مرفوع الرأس (١٧٠٠)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك حكايات لبعض الأطباء مع مرضاهم فيها بؤادر
 طريقة وحيل طريفة . وقد نقل لنا علي بن سهل الطبري مائة منها في كتابه
 فردوس الحكمة (١٧٠١)

١٧٠٠ - ١٧٠١

- (١٧١٧) البيان والتبيين ١ : ٢٦٨ .
 (١٧١٨) البيان والتبيين ١ : ٢٦٩ .
 (١٧١٩) الكشافة الخفية في مشرق الدولة الإسلامية من ٢٦٩ نقلاً عن كتاب (أشغال العرب) لأبي
 حبيب القاسم بن سلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٧٢٩٩ ز .
 (١٧٢٠) الأشهر الطوال من ١١٢ وما بعدها .
 (١٧٢١) طبع في برلين سنة ١٧٢٨ بتصحيح الدكتور محمد الصمد هقي .

وعلى اليهود من أن يلاحظوا أني يكتبها بالخلاف، والولاة والوزراء والفولا والقضاة على الكتب الرسمية أو الشكوى المرفوعة اليهم من أفراد الشعب، وتحتار بحمل الاسماء والاياد المتديدة والملاحة المفضة . وقد وصلت ايضا مجموعة كبيرة من هذه التوقيعات في مكتب الادينية والتاريخية . ولا سيما في العقد الفريد لايز عمده ١٣٩١ . من ذات توقيع الخليفة السفاخ في كتبه . جمعة من بطائنه بشكون احتياطي أرزاقهم . من مصر في السنة ٨٢٢ في السبعة . وتوقيع الخليفة المنصور على كتاب اليد من صاحب الهند بحره أن جيدا ذهبوا عليه وكسروا أقفال بيت الال فأخذوا أرزاقهم . فوجدت له بشكوا . ولم وجدت له يهيموا . . وتوقيع الخليفة الهندي على كتاب اليد من صاحب ارمينية بشكوى سوء طاعة رعاياه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل . . وتوقيع الخليفة الرشيد على عاهته على خراسان . كذا من ربيع راحة فأرثه عن يده . ومما يروى عن الخليفة المأمون أن المراهبي بن الهندي كتب اليه في كلام له . ان سمعت بفطرك وان أخذت فبفطرك . فوقع في كتابه . القدره تذهب لحظطة واحدة حزن من التوبة وبهجه عو الله .

وكانت التوقيعات تشيع بين الناس . يتألفونها ويحفظونها . وقد اشتهر جعفر بن يحيى بها . قال الجهمشيري . كان جعفر يلبس كتيبا . وكان اذا وقع تحت توقيعاته وتدورس بلاغته ١٣٣١ . ومن توقيعته الى أحد العمال . قد كثر شكوك . وقيل شكوك . فانه عدلت . وما عترت . ١٣١١ . وكان يقول للكتاب . اذا صنعتته أن يكون كلامك كله مثل التوقيع فعملوا ١٣٢١ . وكذلك اشتهر بعض بن سهل ذو الرياستين بتوقيعته الخيفة . مثل توقيعته على كتاب مظلوم . كسى يافته للمظلوم ١٣٢١ . وعرف أخوه الحسن بن سهل ايضا بالتوقيعات الدقيقة . مثل توقيعته على كتاب لأمرأة حبس زوجها . الحق يعبه . والأحسان

(١٣٢٩) العقد الفريد ٤ : ٢١١ - ٢٢٢ .

(١٣٣٠) الوزراء والكتاب ص ١٤٨

(١٣٣١) العقد الفريد ٤ : ٢١٩

(١٣٣٢) زهر الاداب ١ : ١٤٧ وينظر الوزراء والكتاب ص ١٤٨

(١٣٣٣) العقد الفريد ٤ : ٢٢٠

يطلقه (١٣١٠) ولطاهر بن الحسين توفيعات كثيرة في كتاب بعدد لا يس طيفور .
 منها انه وقع في قصة رجل محبوب : . يخرج ولا يحوج . . . وفي قصة قاتل .
 . لا يؤحر قتله . . . وفي قصة لصر . . . بنقد حكم الله به (١٣١٠)

وقد بسط عدد قليل من الكتاب في توفيعاتهم فبلغت عدة أسطر او مقدار
 الرسائل المتعددة . من ذلك ماكتبه محمد بن عبدالله بن طاهر في رغبة اعتر اليه
 فيها رجل من شي . بلغه عنه . فرأى خطه فيجأ . أردنا قولاً نذكر فاقطعنا عنه
 ما فابنا من فيج خطك . ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك . أو
 ما علمت أن حسن الخط ينال عن صاحبه موضوع الحجة . ويمكن له ذكر
 البنية : (١٣١٠)

نشر المؤلفات أو المصنفات .

شط العلماء والادباء في التأليف وتدوين العلوم والمعارف في العصر العباسي
 الأول نشاطاً كبيراً ورفضوا المكتبة العربية بتراث جليل ونفيس أفاد جيلهم
 والأجيال اللاحقة في التعليم والتثقيف وتربية العقول . ففي مجال الادب برز عدد
 كبير من الصنفين . ومن أشهرهم الناحظ صاحب المؤلفات الكبيرة ولايسم البين
 والتبيين والعيون . وابن سلام الصحي صاحب طبقات هحول الشعراء . والمبرد
 صاحب الكامل . وابن قتيبة صاحب الشعر والشعراء . وابن المعتز صاحب طبقات
 الشعراء . وقد حرص هؤلاء المصنفون على تقديم موادهم بأسلوب واضح ولغة سهلة
 فنتيجة يعمها القاري . لا عذ . ولا متعة

وكانت الدراسات النغوية والنحوية والصرفية نشطة أيضاً . وقد برز كثير من
 العلماء في ميادينها أمثال . سيبويه . والكسائي . والفراء . ونعجب . والمبرد

واتحه فريق آخر من الكتاب والمؤلفين الى المغازي والنير . وصنفوا كتباً قيمة
 فيهما . وبعد محمد بن اسحاق شيخ الصنفين . فله البيرة الشهورة التي استخرجها
 الامام أبو محمد عبدالله بن هشام وعرفت به وشاع ذكره بها . والواقدي صاحب
 المغازي . ومحمد بن سعد صاحب الطبقات المكمرة . . . واشتهر بتاريخ العرب هشام

(٩٣٧) الطلح الفريه ١ : ٣٢٠ .

(٩٣٨) كتاب بغداد من ٧٥ .

(٩٣٩) جبهة وساق العرب ١ : ٩٦٦ .

بن محمد الكلبي صاحب كتاب الأصنام وجمهرة انساب العرب . ولغت أسماء
بكتابة تواريخ الأمم القديمة والأدباء . ولعل من أشهرهم : الندائني . واليعقوبي .
والبلاذري . والطبري

وازدهرت الكتابة الجغرافية التي تتناول البلدان والمواقع وأحوال السكان
وأجاسم وطبائعهم . وقد لغت أسماء عدد كسر من الكتاب في هذا الميدان لانزال
نراجع كتبهم . مثل المسالك والممالك لابن خردادبة . والبلدان لليعقوبي . والاعلاق
لابن رسته . والاكلیل وصفة جريدة العرب لابن الحائك ...

وأقبل بعض العلماء على القرآن الكريم . فشرحوه . وتناولوا قراءاته . وأظهروا
تجاره وناسخه ومسوخه . وبعد تفسير أبي جعفر محمد بن حرير الطبري من
أشهر التفسير التي ظهرت آنذاك سعةً وشمولاً ودقةً . وذهب علماء آخرون الى
الاحاديث النبوية الشريفة وجمعوها ووثقوها على طريقة الاسانيد . لشتهر منهم
أصحاب الصحاح الستة : البخاري . ومسلم . وابن ماجه . وابو داود . والترمذي .
والسائي

وتخصص عدد كبير من العلماء بالفقه والشريعة . وأنفوا كماً كثيرة . شرحوا
فيها العبادات . والاحوال المدنية . والقوانين الجزائية . بفروعها المختلفة . ومن أبرز
هؤلاء العلماء . مالك بن أنس . وأبو حنيفة النعمان بن ثابت . وأبو عبدالله محمد
ابن ادريس الشافعي . واحمد بن حنبل . وجعفر بن محمد الصادق .

وكان لعلم الكلام الذي يبحث في الأنشطة العقلية والمسائل العقائدية نصيب من
الكتابات آنذاك . وكان المعتزلة من أنشط الجماعات في هذا المجال . فانهم كانوا
يعتمدون المنطق والفلسفة في مناقشاتهم ومحاجاجاتهم . وقد اشتهر منهم واصل بن
عطاء وبشر بن المعتد . وأبو هذيل العلاف . وابراهيم بن سيار النخعي

لقد ابرزت امام الكتابة في العصر العباسي الاول كما لاحظنا ميادين كثيرة
رحبة الجوانب . وهي في مجملها تسم بدقة الماخذ وبساطة العرض . تمتع النفس
والعقل معاً بخلاف الأسلوب الفارق في الصنعة الذي شاع في العصور اللاحقة

حدث امتزاج كبير بين العرب والأمة الأخرى بعد قيام الدولة العباسية. ووقف الناس آنذاك على ثقافات كثيرة وفقدت عن طريق الترجمة. وأقبل المترجمون الذين يحسنون أكثر من لغة إلى نقل كتب مفيدة في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات والسياسة وسواها. وقد اشتهرت في ذلك الوقت مراكز لهذه الترجمة أمثال حران والرها ونصيبين وانطاكية والاسكندرية وجند يسابور. وكان تشجيع الخلفاء دور بارز وأثر كبير في نشاط الترجمة والاقبال عليها. إذ نراهم يُخصصون الأموال الطائلة لها. ويبعثون الرجال الناهرين بالترجمة لجلب الكتب النافعة من مواطنها. وينتظون دوراً خاصة لها. ويُعيّنون مستلزمات الإقامة والراحة للمعاملين فيها. وكان أبو جعفر المنصور من أوائل الخلفاء المشجعين على الترجمة فإن ابن المقفع ترجم له كتاباً في السياسة والأدب وتدير الملك والفلسفة والمنطق بعضها في الأصل بوبائية أو هندية منقولة إلى اللغة الفارسية وترجم له محمد بن إبراهيم العزازي كتاب «السند هند» في علم الفلك. واستدعى جورججوس بن جبرائيل رئيس أطباء حند يسابور ونقل له مجموعة كتب في الطب وطلب من أبي يحيى البطريرك ترجمة عدد من كتب أبقراط وجالينوس في الطب.

وكان هارون الرشيد من الخلفاء المتميزين في حب المعرفة وإكرام أهل العلم. وهو الذي أنشأ حزانة الحكمة ومركزاً للترجمة يضم مجموعة من المترجمين بإشراف يوحنا بن ماسويه. ووصلت الترجمة زمن الخليفة المأمون إلى عصرها الذهبي. إذ رعى العلماء المترجمين وقربهم إليه. وأرسل فريقاً منهم لاستقصاء الكتب النعيسة في بلاد الروم وقبرص. واهتم بدار الحكمة وخضع لها ماله وقبلاً وصم إليها نخبة من المترجمين البارزين وعهد بإدارتها إلى حنين بن إسحاق. وكانت ثمرة تلك الرعاية وذلك الاهتمام ترجمة مجموعة كتب لافلاطون وأرسطو. وبقيت حركة الترجمة نشطة بعد وفاة المأمون. وظهر علماء كبار في ميدانها. ومن أشهرهم الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي قال عنه ابن أبي أصيبعة: «كان عالماً بالطلب والفلسفة وعلم الحساب والمسطق. وتآليف اللحن والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم. ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره». احتذى في تآليفه حذو أرسطو طاليس. وله تآليف كثيرة في فنون من العلم. وخدم الملوك فباشرهم بالأدب وترجم من كتب أرسطو الكثير (١٧١).

أن من أكثر الكتب المترجمة تدنوا منذ العصر العباسي الأول . كتب . كلية
ودمنة ١٧٣١ . وقد سبق الإشارة إليه في حديثنا عن ثقافة العصر . والملاحظ في هذا
الكتاب أن المترجم منك فيه أسلوباً لطيفاً . تتدفق المعاني يبرر وسهولة بحيث
لا يجد القارئ صعوبة أو عسراً في فهمه . وليس بصحيح ما رجحه بعض الباحثين
من أن ابن المقفع أنشأه وكتبه مباشرة . فإن قدرة هذا الكاتب وتمكنه من اللغة
العربية وتضلعه فيها وسعة ثقافته وفهمه للغة الترجمة عنها جعلته أن يقدم مادته
بصيغة مشرقة واضحة . واليك هذا المقطع منه . « قال دمنة . زعموا أنه كان في
بعض المدن طبيب له رفق وعلم . وكان ذا فطنة فيما يجري على يديه من
المعالجات . فكبر ذلك الطبيب وضعف بصره . وكان تلك المدينة أمة قد
زوجها لابن أخت له . فعرض لها ما يعرض للحوامل من الأوجاع . فجاء بهذا
الطبيب . فلما حصر سأل الحارثية عن وجعها وما تجد . فأخبرته . فعرف دأها
ودواها . وقال لو كنت أبصر لجمعت الأخلاط على معرفتي بأجناسها . ولا تلق
في ذلك بأحد غيري . وكان في المدينة رجل سفيه . بلغه الخبر . فأتاهم وأدعى علم
الطب . وأعلمهم أنه خير بمعرفة اخلاط الأدوية والعقاقير . عازف بطباع الأدوية
المركبة والفردة . فأمره الملك أن يدخل حراثة الأدوية فيأخذ من اخلاط الدواء
حاجته . فلما دخل السفيه الخزانة . وعرضت عليه الأدوية . ولا يدري ماهي ولا له
بها معرفة أحد في جملة ما أخذ منها ضرة مما سئم قائل لوقت . وحلطة في الأدوية .
ولا علم له به . ولا معرفة عنده بحبسه . فلما نضت اخلاط الأدوية . سقوا الجارية
منه . فصارت لوقتها . فلما عرف الملك ذلك . دعا بالسفيه . فسأه من ذلك الدواء .
فصارت من ساعته . » (١٧٣)

(١٧٣) روى أسيا كلية ودمنة . وهذا هنا أول . في ما بين فقط من أبواب الكتاب الأساسية .
وعدها خمسة عشر باباً . أحدها باب « الأحد والثور » والآخر باب « الفصص عن امر
دمنة » . أما حالي أبواب الكتاب فلا علاقة لها بهذين الأسبين . وهذا يعني أن تسمية
الكتاب باسمها من قبيل اخلاط الجزر على الكل .

(١٧٤) كلية ودمنة ص ١٧٦

الكتاب

عمرو بن بحر الجاحظ

١٦٠ - ٢٥٥ هـ

نميز العصر العباسي الأول بالشراء والرخاء . والانفتاح على ثقافات مختلفة .
والانقبال على العلوم والآداب . والتوجه الى التأليف والتصنيف والترجمة . وقد نبغ
رجال عظام في شتى المعارف . رفدوا المكتبة العربية بثرات قيم تعاقبت الاجيال
على الاحتفاظ به والاستفادة منه . ويعد الجاحظ - وهو من رؤاد الأساليب الرفيعة في
الكتابة - من ابرر هؤلاء الرجال العظام الذين خلّوا انفسهم بمعطائهم الفكري من
خلال الكنوز النافعة التي خلفوها .

مولده ونشأته :

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي . لقب بالجاحظ لجهوظ
عبيه ولد في البصرة حوالي سنة ١٦٠ للهجرة . وتوفي ابوه وهو صغير . وفي مدينته
التي كانت آنذاك محج طلاب المعرفة تعلم مبادي القراءة والكتابة في أحد
كتاتيبها . وحينما أصبح باقياً أجد يتردد على حلقات العلم التي تعقد في المساجد .
ويختلف الى سوق المربد . يتفقى الفصاحة من شفاة العرب الذين يغدون الى هذه
السوق قال ياقوت الحموي : « سجع من أبي عبيدة . والأصمعي . وأبي زيد
الانباري . وأخذ النحو عن الأخفش وكان صديقه . وأخذ الكلام عن النظام .
وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد » (١٣١) وأما من أبي يوسف يعقوب بن
إبراهيم صاحب أبي حنيفة . وصالح بن حجاج اللخمي . وثمامة بن أثرس
اليميري . ويريد بن هرون . والسري بن عبيدويه . والحجاج محمد بن حماد بن
سلمة . وسواهم . وكان مفرطاً في القراءة . يكتري دكاكين الوراقين . ويبتكف
فيها . ليقف على ما يأتي إليها من كتب . ويستوعب معارفها . ويحفظ ما يروى له
منها . ولم يخل بالذال حينما يشوقه لديه لشراء الكتب قال محمد بن سليمان
الجوهري : « كنا نصحب الجاحظ على سائر أسواقه من جيد وهزل . قال : فخرجنا
 يوماً لنزعة . فبينما نحن على باب جامع البصرة ننظر شيئاً أردناه . إذ عارضت امرأة
معه أوراق مقطعة . فعرضت علينا فلم نعد فيها طائلاً . فتركناها وانصرفنا

وتخلفاً معها التجاحظ ونحن نتنظره فأطال . ثم رأيناه قد وزن لها شيئاً وأخذ الأوراق وقال . انتظروني ومضى بها إلى منزله . فلما عاد أخذنا نهرأ به ويقول . فزئت بقطعة من العلم وافرته . وضحكنا فقال . أنته حمقى والله . أن فيها ما لا يوجد إلا فيها . ولكنكم جهال لا تعرفون النفس من الخسيس (٣٠١) . وقال ابو هفان . . لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من التجاحظ . فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان (٣٠٢)

وال جانب طلب العلم والعرفه كان يتمسك اسباب العيش عن طريق العمل . وقد قيل ، انه كان يبيع الخبز والسلك على ضفة نهر صغير بالحصرة يعرف بسيحان . ويبدو أن أمه كانت في رادي ، امره تتولى الاتفاق عليه . وقد زوي انها ضاقت به حين رآته منهكاً في اقتناء الكتب والجلوس اليها ساعات طوالا . فطلبت منها يوماً طعاماً . فجاءته بطبق مليء بكراديس أودعها البيت . فقال ، ماهذا ؟ قالت هذا الذي تجيء به . فخرج مقتماً . وجلس في الجامع وقويس بن عمران جالس . فلما رآه مقتماً قال له . ماأثك ؟ فحدثه الحديث . فأدخله المنزل وقرب اليه الطعام وأعطاه خميس ديناراً فدخل السوق . واشترى الدقيق وغيره وحمله الحدادون إلى داره . فأنكرت الام ذلك وقالت من أين لك هذا ؟ قال من الكراديس التي قذمتها لي (٣٠٣) . ولكن هذه الحالة لم تدم . إذ انهالت عليه الهدايا والمعطيات بعد ان اشتهر أمره وعرف بين كتاب عصره بقلبه الرفيع وانشائه البديع . حينما زار بمداد حضر مجلس المأمون . فقال اعجابه واتس عليه وقرئ له وولاه رئاسة ديوان الرسائل . وكان هذا المنصب مهماً في الدولة لا يتولاه الا من له مقدرة كبيرة ومعرفة واسعة بشؤون الكتابة . ولكن التجاحظ لم يبق فيها أكثر من ثلاثة أيام . إذ هادر إلى الاستعلاء مستزاً للخليفة . فأعفاه . وانصرف إلى التأليف الذي اكسبه شهرة عظيمة وجعله ذا مقام محمود عند أرباب الدولة والمعيين بالثقافة . وكان في أثناء ذلك يتنقل بين البصرة وبغداد واسراء . وقام برحلات إلى ديار الشام وزار دمشق وانطاكية . وكان الناس يتفاخرون بصداقته ومحالسته لحسن عشرته ووفاء علمه وطرافة نواتره ويعتزون بكتبه ويفرحون حينما توشح بأسمائهم . قال . . أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار . وأهديت كتاب

(٢٩٦) افراد البهتان ص ٢٨٧

(٢٩٧) معجم الادباء ١٠٦ ص ٥١٠

(٢٩٨) طبقات المسترلة لابن المرقط ص ٩٤ .

البيان والتبيين إلى ابن أبي دؤاد وأعطاني خمسة آلاف دينار. وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصوفي فأعطاني خمسة آلاف دينار. (١٢٢)

اعتنى الجاحظُ مذهبَ الاعتزال ونصره في كتاباته. وخالف أستاذه إبراهيم بن سيار النظام ببعض الآراء. وأبدى في هذه الآراء طائفة من المتكلمين عرفوا بالجاحظية نسبةً إليه (١٢٣)

وكان صديقاً مخلصاً للوزير محمد بن عبد الملك الزيات. وحينما تكب هذا الوزير وقُبضَ عليه زمن التوكل سنة ٢٢٣ هـ، هرب الجاحظ. فقيل له: لم هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين أذهبا في التنور! يزيد: فأصبح بمحمد بن عبد الملك من أذخاله تنوراً فيه ماير كان هو صعه ليعذب الناس فيه. فعذب به حتى مات (١٢٤)

استقر في البصرة. وطالت به الحياة. وأصيب بالفالج والقرص (١٢٥). قال البرد: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل. فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من صعه مفلوج ولو تنثر بالمناشير لما أحسن به. ونصحه الآخر مفرساً: ولو طار الذباب بقربه لآله. والأمر في ذلك أني قد حزن السعير واشدنا:

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كدبتك نفسك ليس ثوباً حليق كالجديد من الشباب (١٢٦)

وأدركه الموت سنة ٢٥٥ للهجرة. وقيل وقعت عليه كبة وهو ضعيف قد جاوز السبعين فقضت عليه

أخلاقه:

كان الجاحظُ يمتلك شخصية قوية وإرادةً فذة. وكان متفائلاً بدو عليه السرور. بسيطاً، متواضعاً. يخاطب الناس جميعاً -وله كانوا أغنياء أم فقراء- حرصاً على مواعيده وأوقاته. وفيما لاصدقائه. صادقاً في أقواله. محباً للنظام

(١٢٢) معجم الأدباء ٩، ٧٦

(١٢٣) ينظر الملل والنحل للفهرستاني ص ٧٦

(١٢٤) أمالي المرقضي ١، ١٩٥

(١٢٥) الفالج: القمل، القرص: نوع من مرض المفاصل.

(١٢٦) نزهة الألباء ص ١٢٤. تاريخ بغداد ١٢، ٦٦٩.

صبراً متقياً لعمده ومتعانياً فيه . بعيداً عن الفوضى وما يفتق الإنسان . محتجباً الحاسدين والموتورين . ولم يكن مترشداً . يقوم بما قرض عليه الاسلام من واجبات . يرفق بالضعفاء حتى يقووا وبالجهلاء حتى يتعلموا . يبدل جهده في رفع شأن المسلمين . ويحبب اليهم دينهم وديارهم ليستقيموا أمة عزيزة فاضلة ذات شأن عظيم (١٧١) .

تهكمه وتندرته :

نُفِر الجاحظ بالطُرف والمعاكسة والمداخبة والتندر . واجباره في ذلك كثيرة نجدها مبثوثة في كتبه ورسائله . وقد استطاع أن يجعل ظلّه خفيفاً عند الجميع مع انه كان دمية الوجه قبيح الشكل جاحظ العينين

لقد كان مرحباً . مفندراً على الضحك والاضحاك . متمكناً من تلطيف النفوس وابعاد السأم والاضحار عنها . وتهذيبها . والانسان يتعلم بالضحك اكثر مما يتعلم بالتجهم والعوس . ومثال ذلك ما جاء في قصة محمد بن أبي المؤمل . قال انجاحظ . اشترى مرة شبوطة (١٧٢) وهو يبتعد . وأخذها فائقة عظيمة . وغالى بها . وارتفع في ثمنها . وكان قد نفذ عهده بأكل السمك - وهو بصري لا يصبر عنه - فكان قد اكبر أمر هذه السمكة . لكثرة ثمنها . ولحسنها وعظمها . ولشدة شهوته لها . فحين ظنَّ عبد نفسه انه قد خلا بها . وتمرد بأطاييها . وحسّر عن ذراعيه . وصعد صعداً . هجمت عليه ومعى السدري (١٧٣) فلما رآه رأى الموت الأحمر . والطاعون الجارف . ورأى العثم المنقضى . ورأى قاصمة الظهر . وأيقن بالشر . وعلم انه قد ابتلى بالثنين فلما أكل السدري جميع أطايبها . ولم يبق في يده مما كان يأمله في تلك السمكة... تولد الفيظ في جوفه... وتم عزفه في أن لا يؤاكل رغبياً أبداً

-
- (١٧٢) للتوسع ينظر كتاب الفكر القوي عند ابن المظفر والجاحظ وجه الصيد الكاتب من ٢٨٢ - ٢٨٦ . وأمرام البيان من ٢٩١ - ٢٩٤ . والجاحظ في حياته وأدبه وفكره من ١٠٢٢ .
- (١٧٣) الفيظ : نوع من السمك . وهو القلب . هو من الوسط . لين الحس وفي كتاب الحيوان للجاحظ شرح واقف عنه .
- (١٧٤) السدري : محمد بن همام بن أبي غصيبة . شاعر مقل . كان يصحب الجهم . وجهد قصيد بن الحذل . والجاحظ وأدباء البصرة (معجم القراء من ٣٢٥ . وينظر دليل الأسماء للقالي من ١٩٠) .

ولا زهدا . ولا يشتري سكةً أبداً . رخيصةً ولا غالية . وإن أهدوها إليه إن لا يقبلها . وإن وجدنا مطروحة لا يمسها :» (١٥٢) .

موقفه من الشعوبية :

ناضت حركةً الشعوبيين في العصر العباسي الأول . ووقف الخلفاء منهم ولا سيما المهدي موقفاً متشدداً . وإلى جانب الخلفاء وقف عدد من الأدباء والعلماء يحاربونهم بأنسنتهم ويردوهم بالهجو والبراهين . وكان الجاحظ واحداً منهم . فهو يحب العرب ويكره من يناديهم أو يظعن فيهم : لذلك نراه يهتف بما أوتي من بيان وحكمة يقاتل الشعوبيين ويستصغروهم ويحط من قدرهم . ومن يرجع إلى كتاب البيان والتبيين وكتاب الموالي والعرب^(١٥٣) يستجلي ذلك بوضوح . يقول مثلاً : « وأعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه . ولا أشد استهلاكاً لمعرضه . ولا أطول نصاً . ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة . وقد شفى صدورهم طول جثوم الجسد على أكادهم . ونوقد نار الشنآن في قلوبهم . وغلبان تلك المراجيل العائرة . وتسمر تلك النيران المضطربة ولم يعرفوا أسلاك أهل كل ملّة . وزيّ أهل كل لغةٍ وعلمهم . على اختلاف شاراتهم وآلاتهم . وشعائلهم وهيباتهم . وما علم كل شيء من ذلك . ولم اجتلبوه ولم تكلفوه . لأراحوا أنفسهم . ولخفت مؤونتهم على من خالطهم :» (١٥٤) .

مؤلفاته :

كان الجاحظ نابغة عصره . لم يدع باباً من أبواب المعرفة إلا طرقة . وأصدق ما يوصف به أنه موسوعة أو دائرة معارف . فقد بلغت مؤلفاته ما يقارب المئة والستين (١٥٥) . ولعل في كلامه سيطر ابن الجوزي بمبالغة حين قال : « ألف حسين وثلاثمائة مؤلف بين رسالة في بضع صفحات وكتاب في بضعة مجلدات وذكر أنه رآها في أول القرن السابع في مشهد أبي حنيفة في بغداد » (١٥٦) .

(١٥٥) البهلول ص ٢٢٨ .

(١٥٦) ينظر كتاب الجاحظ حياته وآثاره ص ٢٢٢ .

(١٥٧) البيان والتبيين ١ ، ٩٩ .

(١٥٨) ينظر : معجم الأدباء ٦ ، ٢٦ - ٧٨ .

(١٥٩) أمراء البيان ص ٢٨١ .

إن مؤلفات الجاحظ مفيدة وذات فائدة. بعضها رسائل أشبه ما سمعها اليوم بالبحوث. مثل: التربيع والتدوير، مناقب الترك، المعاش والمعاد، كتمان السر وحفظ اللسان، هجر السودان على البيضان، في الجدد والهمز، في نفى التشبيه، في كتاب الفتيا، إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب، فصل بين العداوة والحد، صناعات القواد، في القابضة، كتاب الحجاب، معاصرة الجوارحي والغلمان، ذم أخلاق الكتاب، كتاب سيد العيين إلى الأوطار، كتاب التبصر بالتجارة كتاب البلدان، كتاب النساء، كتاب الفيلان، كتاب جميع النبوة، فضل هاشم على عبد شمس .. وبعضها الآخر كتب في مجلد واحد أو عدة مجلدات، مثل: الحيوان، والبيان والتبيين، والبغلاء، والعثمانية، والمعاصر والأضداد، والبرصان والمرحون وأنعميان والحولان ...

لقد وقعت كتبه ورسائله موقع الانحياز والرضا عند القراء والباحثين على مر العصور السابقة. ولا تزال تراجيع وتُعتمد في الدراسات الأدبية والعلمية والتاريخية والاجتماعية، لأنها رصينة وموثوقة، ومكتوبة بلغة سليمة وأسلوب واضح وممتع ولطيف.

نشره وأسلوبه :

كان الجاحظ كاتباً بارزاً مشهوراً في جميع الأوساط في العصر العباسي، وبقيت شهرته إلى يومنا هذا. له طريقة خاصة عُرف بها. امتدت آثارها إلى أمد بعيد، يتداولها جيل بعد جيل. حتى أصبحت مدرسة من مدارس الكتابة لها خصائصها ومميزاتها. يعود إليها الباحثون في دراساتهم يتخلون منها المواد الأولى في الإنشاء العربي. ومن أبرز صفات هذه الطريقة :

١ - مطابقة الكلام لمقتضى الحال. فهو يقول: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات. فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقادماً. حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني. ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقدمات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات (١) " .

(١٥٠) (البيان والتبيين ١٦، ١٧٨، ويظهر الحيوان ١٤٠٤ .

٢ - البيان والابتعاد عن حوشي الكلام وغريبه ووضوح الدلالة . فهو يقول : « على قدر وضوح الدلالة وحواس الإشارة . وحسن الاختصار . ودقة المدخل . يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح . وكانت الإشارة أثير وأنور . كان أنفع وأتبع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه . ويدعو إليه . ويحث عليه . والبيان اسم جامع لكل شيء . كشف لك بياغ المعنى . وهتك الحجاب دون الضمير . حتى يفضي السامع إلى حقيقته . ويهجم على محموله كأنما ما كان ذلك البيان . ومن أي جنس كان الدليل . لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع . إنما هو الفهم والإفهام . فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحتم عن المعنى . فذلك هو البيان في ذلك الموضع » ١٣١

٣ - الاستطراد . وأراد به دفع القائل والسامع عن القاري . وتفكيها . للنفس وترويعاً لها من التعب والعناء . وتنشيطاً لتابعة القضاء والنائل التي يتناولها بالبحث والاستقصاء . جاء في كتاب الحيوان قوله : « قد عرستم والله النوفق - أنه أوشح هذا الكتاب وأفضل أبوابه بنوادر من صروب الشعر وضروب الأحاديث ليخرج قاري هذا الكتاب من باب إلى باب ومن شكل إلى شكل » فإني رأيت الأسماع تملأ الأصوات المطرية والأغاني العنسة والأوتار الفصيحة إذا طال ذلك عليها . وما ذلك إلا في طريق الراحة التي إذا ضاقت أورشنت الغفلة » ١٣٢

٤ - مزج الجدد بالهزل والصحك والمرح . لتحبيب القراءة والمتابعة وشحن ذهن وتجديد النشاط . قال : « وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضيات أن يعمل أصحابها على الحد الحرف . وعلى العقل المعض . وعلى الحق المر . وعلى المعاني المصعبة التي تشتت النفوس وتستفرغ المجهود . وللمصير غاية ولا احتمال نهاية . ولا بأس أن يكون الكذاب موشحاً ببعض الهزل » ١٣٣

٥ - العناية بالانقاط وتركيب العبارات والمجمل بلا تكلف أو تسرع . فهو يقول : « إنما كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً . وكان صحيح الطبع . بعيداً من الاستكراه . ومنزهاً عن الاختلال . معصوماً عن التكلف . صنع في القلوب صنع

(٦٥١) البيان والتبيين ١ : ٧٥

(٦٥٢) الحيوان ٢ : ٧

(٦٥٣) رسالة في الغناء . مجموعة رسائل الجاحظ ط الرحمانية - القاهرة ١٩٢٢ ، ص ٢٧٥ .

الغيث في التربة الكريمة . ومتى فضلت على هذه الشريطة . ونعدت من قائلها
على هذه الصفة . أحبها الله من التوفيق ومنحها من التأيد . ما لا يمتنع من
نظمها حذور الجارية . ولا يدهل عن قهها معه يقول الجيلة (١٠١١)

١ - التلوين الصوتي أو الموسيقي الذي يعتمد على السجع يأتي عفو الخطر .
والراوحة والتراذف والجمال الاعترافية مثل قوله . لا أعلم قريت أحسن
مولانا . ولا أهل مكافاة . ولا أحضر معونة . ولا أخف مؤونة . ولا شجرة أطول
عمراً . ولا أجمع أمراً . ولا أطيب ثمرة . ولا أقرب مجتس . ولا أسرع إدراكاً .
ولا أوجد في كل البان من كتاب . ولا أعلم نتائجاً في حداثة سنة . وقرب
ميلاده . وزخرف ثمنه . وإمكان وجوده . يجمع من التذائير المجيبة . والعلوم
الغريبة . ومن آثار العقول الصحيحة . ومحمود الأذهان النطيفة . ومن الحكم
الرفيعة . والمذاهب القوية . والتجارب الحكيمة . ومن الاخبار عن القرون
الماضية . والبلاد المتنازحة . والأمثال السائرة . والأمم السائلة . ما يجمع لك
الكتاب (١٠١١)

لقد زرق أسلوبه القبول في القلوب لصدقته وواقعيته ودقته وتوافقه بين
اللفظ والمعنى . ولذلك اكتسب الخلود . واستحق أن يكون الصعلم الأول في
الإنشاء العربي . وخير ما يحتتم هذه الدراسة الموجبة عن سيرته وإنشائه
الآيات الآتية من نظمه (١٠١١)

نظي العيش أن تلقى حكيماً عماد العلم والوطن المصيف
فيكشف عنك حيرة كل جهل وفضل العلم يعرفه الأدب
سفام الحرص ليس له شفاء ودان الجهل ليس له طبيب

(١٠١١) البيان والتبيين ١ : ٨٢

(١٠١١) السيران ١ : ٤٢ .

(١٠١١) تاريخ بغداد ١٦ : ٩١٥ .

سهل بن هرون

٢ - ٢١٥ هـ

سيرته

سهل بن هرون ، ويكنى أبا عمرو . من كبار العصر العباسي الأول المشهورين . وهو عراقي المولد والنشأ . ولد في ميسان (١٣٠) بين البصرة وواسط . وقيل ، نشتيسان (١٣١) بين البصرة وواسط والأهواز . في أواخر النصف الأول من القرن الثاني للهجرة تقريباً . ترك مقط رأسه مع أسرته وانتقل إلى البصرة مدينة العلم والمعرفة آنذاك . وفيها درس وتثقف وظهرت مواهبه في الكتابة ونظم الشعر . وقد أثنى عليه الجاحظ ونقل كثيراً من أخباره في كتبه . وصفه بقوله : « كان حسن الشارة . يعبد عن القدامة (١٣١) . معتدل القامة . مقول الصورة . يفتنى له بالحكمة قبل الخبرة . وبرقة الذهن قبل المخاطبة . وبدقة المذهب قبل الإمتحان . وبالسبل قبل التكتشف (١٣١) »

وكان ظريفاً محبوباً . رويت له طرائف ونوادر كثيرة مع رجال عصره (١٣١) . ونال شهرة كبيرة بأدبه وكثرة مصنعاته . قال الجاحظ : هو « من الخطباء الشعراء الذين قد جمعوا الشعر والخطب . والرسائل الطوال والقصار . والكتب الكبار المخلدة . والسير الحسان المدونة . والأخبار المولدة (١٣١) »

جاء سهل إلى بغداد حاضرة العلماء والادباء واستقر فيها وفتحت أمامه اتقاق الشهرة والمجد حيث تقرب من الخليفة الرشيد والتحق بالدواوين . وحظي بصداقة ذي الوزارتين الفضل بن سهل وأصبح من مقربيه وهو الذي قدمه للخليفة العاُمون وأعجب بذكائه وقطنته وبلاغته وجعله حازناً لكتب الخليفة في دار الحكمة . قال ابن نباتة المصري : « كان في أول أمره حصباً بالفضل بن سهل . ثم قدمه إلى العاُمون فأعجب ببلاغته وعقله . وجعله كاتباً على خزانة الحكمة . وهي كتب

(٢٥٧) زهر الآداب ١ : ٥٧٧ .

(٢٥٨) الفهرست ص ١٦٩ .

(٢٥٩) القدامة ، الق١ .

(٢٦٠) البيان والتبيين ١ : ٨٩ .

(٢٦١) ينظر الصيوان ٢ : ٢٦٠ . مرجح الصيوان ص ٢٦٢ .

(٢٦٢) البيان والتبيين ١ : ٨٩ .

الفلاسفة التي نقلت للمأمون من حرية قبرص ، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ، أرسل إليه يطلب بخرانة كتب اليونان .. فأرسلها إليه . واشتبط المأمون وأمر العلماء بتحريبها ، وحمل سهل بن هارون خازناً لها ، فتسحقها ونسج على منوال كتب منها « ١٧٣١ » . وبقي في منصبه العلمي إلى أن توفي سنة ٢٠٥ للهجرة . وترك مجموعة من الكتب والرسائل مثل : ثلثة وعشرون على نسق كليلثة ودمعة ألفة للمأمون ، وكتاب الإخوان ، وكتاب المسائل ، وديوان رسائل . وتديرير الملك والسياسة والوفاق والعزراء ، والنمر والثعلب ، والحذلية والمخزومي . وسحرة - أو شجرة - العقل ، وسواها .

نثره وطريقته ،

كان سهل بن هرون كاتباً بليغاً مشهوراً برصانة الأسلوب وجودة الديباجة . وقد سنك طريقة ابن المقفع في تأليف الكتب التي تعنى بشؤون الحكم والسياسة وقديرير انلك . وكذلك قصص الحيوان ، ولعل من أطرف كتبه « النمر والثعلب » . وقد وصل إلينا قسم منه « ١٧٣١ » . يعتمد الحوار فيه على الثعلب الحكيم ، والذئب الجاحد ، والنمر الطاغى . من ذلك أن الذئب حينما استتب أمره في السلطة وقوي شأنه تمرد على النمر وقطع عنه المعونة . فكتب النمر رسالة إليه يهذده فيها ويثنيه بالعقاب . فرد الذئب بهذه الرسالة : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم . أما بعد . فإن كتاب الملك - أمتع الله به - وصلى إلي بما حذر فيه وأنذر وقدم وأخر ، وقبخته . وقد كان الملك - حفظه الله - أسند إلي أمر هذا الشعر المححوف على حين استشار من المعنى به . وانقطاع من شبلة . واختلاف من الكلمة بين أهله وتفرق من الأهواء فيه . فرأيت « ١٧٣١ » ضد الآفة . وجمعت شبل الطاعة . وكشفت ذخينة « ١٧٣١ » الفتنة . وأسقت الريق بعد الشجا . « ١٧٣١ » . وجمعت أولى العداوة والبغضاء . وأهضت حقاً كان معلته متروكاً . ودفعته ضلالة كان محرماً سلوكاً . أتصير بذلك جريل الثواب وكريم العاقب ورضا الملك والزلفة عنده . فعاد ما عملته حياة . ولم أجد منه شيئاً مشكوراً . وما يفتقير لعنلي بالثنا « ١٧٣١ » . وإني لألوى بعيد

(١٧٣) صريح العيون ص ٢٤٢ .

(١٧٤) حوالية الجامعة القرونية ، العدد الأول ١٩٦٤ .

(١٧٥) رابع ، أصله .

(١٧٦) الحجية ، الظلمة .

(١٧٧) القضا ، الحصة .

(١٧٨) القنان ، الجله الياسر ، والقيح ، ضرب . وكانوا إذا ضربوا عليه لغرت الأيل . ويضرب

الشمس (١٣١). فإن يستمر الملك صيته ويرث (١٣٢) نعمته فإن بين العسا
ولحائها (١٣٣). وألا فيسجدني جذل حكاك (١٣٤). إذا مكأت (١٣٥) قرخة أدميتها.
أحمر (١٣٦). صراباً بالسيف. والسلام.

فلما قرأ النمر الرسالة عرف أنه عزم على الانتفاض عليه فجمع وزراءه. وكانوا
ثلاثة. فاستشارهم في أمره. فأشار الأول بالكتابة إليه في ايجاز لبين دويلة أمره
وحقيقة موقعه إن سلماً فسلماً. وإن حروباً فحروباً. وأشار الثاني بالصفح عن رلته.
فإن اتعرب جلال. وهي حتى على الطافر خسارة في الاموال والرجال. وأشار
الثالث بمحارته قبل استفحال أمره وحتى لا يطن غيره من الولاة أن النمر
ضعفاً. فيحاكوه ويستطووا عز ظهورهم فرائض السلطان وخزاجه. وأخذ النمر يقول
لوزير الأول. فكتب لي اطلب رسالة. أسخطها. بسم الله الرحمن الرحيم. صلى
الله على سيدنا محمد النبي الكريم. أما بعد. فاني رأيتك تخذ رجلًا وتؤخر
أخرى. فإذا بطرت في كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت فإن كنت سلماً فاقبل
والأ فاذن بحرب. والسلام.

إن طريقتي في الكتابة واضحة وجلية. لا تكلف فيها ولا النواء. إلى جانب
انصاحة. والدقة في اختيار الألفاظ وملامتها في سياق العبارات. والتقطع الصوتي
الجميل الذي يبهج السامع. مثل قوله: لو أن رجلين خطبا أو تحدثا. أو احتجا أو
وصفا. وكان أحدهما جميلاً جليلاً بويلاً. ولثاماً نبيلًا. ودا حسب شريفًا. وكان
الأخر قليلًا قصيرًا. وباء الهيبة. وخامل الذكر مجهولًا. ثم كان كلامهما في مقدار
واحد من البلاغة. وفي وزن واحد من القوافي لتصدع عنهما الجمع وعادتهما تغني
للقليل الذميم على السبيل الجسيم. ولذا الهيبة على ذي الهيبة. ولشغلهم التمتع
منه عن مداواة صاحبه به. ولصار اتعجب منه سبب للعجب به. ولصار الاكثار في
شأنه بلة للاكثار في مدحه. لأن النفوس كانت له أحقر. ومن بيانه أياض. ومن
حسده أبعد. فإذا هجوموا منه على ماله يكمونوا بعثيونه. وظهر منه خلاف ما

(١٣١) ألومي : عسر. يلتقي على خصمه. يعيد البسمة. قوي بها الصعومة.

(١٣٢) يرث : يمتد. يمتد.

(١٣٣) لما العسا : فطرها. والكتابة واضحة.

(١٣٤) الجذل : أسن الفجرة. حكاك من العاك وهو الدلك. وجذل حكاك : مثل يضرب لمن
يستغنى برأيه.

(١٣٥) مكأت القرخة : فطرها قبل أن تجرا.

(١٣٦) كنى بالعصاة على البأس الله به.

قثروه . تصانف حسن كلامه في صوره . وكثر في عيونه ، لأن الشيء من غير معدنه أغرب . وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم . وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف . وكلما كان أطرف كان أعجب . وكلما كان أعجب كان أبعد وإنما ذلك كنوار كلام الصبيان وملح الحائز : فإن صفت السامعين من ذلك أشد . ونعجبهم به أكثر . والناس موكلون بتعظيم الغريب . واستطراف البعيد . وليس لهم في الموجود أراهم . وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى . مثل الذي لهم في الغريب القليل . وفي المأخر الشاذ . وكل ما كان يملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم . والأصحات في الفائدة من صاحبهم . وعلى هذا السبيل يستطرون القادم عليهم . ويرحلون إلى النازح عنهم . ويتركون من هو أعم نفعاً وأكثر في وجوه العلم تصرفاً . وأخف مؤونة وأكثر فائدة . ولذلك قدّم بعض الناس الخارجي على العريق . والطارف على التليد (١٣٨) .

إن براعة الأسلوب والصياغة المحكمة والديباجة المشرفة في نثره رفعت من شأنه وأزالت منزلة رفيعة بين أرياب البيان والسيق . وسرت أقواله بين القراء كالحكم . مثل قوله . . العقل رائد الروح . والعلم رائد العقلي . والبيان ترجمان العلم (١٣٩) . وقوله . . الملائع البلع والشعر الجيد لا يتكادان يجتمعان في واحد . وأعز من ذلك أن تجتمع بلاغة الشعر . وبلاغة القلم (١٤٠) .

(١٣٨) البيان والشيئين ١٠ ٨٩ .

(١٣٩) نفسه ١١ ٧٣ .

(١٤٠) نفسه ١١ ٧٤٢ .

هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول . وكنيته أبو الفضل . وهو ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر الكاتب (ت ٢٤٣ هـ) . اعتنق جدّه الاسلام زمن بني أمية . وكان أبوه مسعدة كاتباً بليغاً يشتغل في ديوان الرسائل زمن الخليفة المنصور . وقد نقل ياقوت قطعة نثرية له في تعظيم الاسلام تتميز بالبلاغة وحسن الصياغة . وهي : . الحمد لله الذي عظم الاسلام واختاره . وأوضحه وأثاره . وأعزّه وأثابه وشرفه وأكمله ونسبه وحضله وأعزّه ورفعّه . وجعله دينه الذي أحبه واجتنباه . واسلم نفسه وارضاءه واحشاه واصطفاه . وجعله الدين الذي تمتدّ به ملائكتك . وأرسل بالعداء عليه أنبياءه . وهدى له من أراد اكرامه واسعاده من خلقه . فقال جلّ من قال . (ان الذين عند الله الاسلام) وقال جلّ وعلا . (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فقلّ يقبل منه) وقال . (ملّة أبيكم إبراهيم هو سلككم السليمين من قبل) . فهذا الاسلام والدخول فيه والعلم به وأداء شرائعه والقيام بمفروضاته وصلت ملائكتك ورسلك الى رضوان الله ورحمته وجواره في جنته . وبه تحرّزوا من عبه وعقوبته . وأمنوا نكال عدايه وسلطوته . (١٧٨)

وكان لسعدة أربعة بنين عمرو . ومحمد . ومعوذ . ومجاشع الذي يقول فيه أبو العتاهية . (١٧٩)

علقت يامجاشع بن مسعدة
أنا الشاب والقراع والجد
معدة للمرء أبي مسعدة

لم يصل اليه شيء عن مولد عمرو بن مسعدة ونسبه وأساتذته . ولا نعلم نوع الدراسة التي انصرف اليها . ولعلّ آياه وحجّه منذ انصرف نحو القراءة والكتابة والدرس وعلمه صنعة الكتابة التي كانت الطريق للمصعود الى الجدد والعلى والعلى :

أقبل على أعمال الخلافة . فاشتغل كاتباً للتوقيع بين يدي جعفر بن يحيى . قال عن نفسه . كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى . فرقع اليه علمانة ورقاً يستزبدونه في روايتهم . فرمى بها إلي وقال : أحبّ عنها . فكسيت . قليل دائم خير

(١٧٨) مجمع الادباء ٦ : ٨٨ .

(١٧٩) مجمع الادباء ٦ : ٨٨ .

من كثير مقطوع . فحُضِبَ بيده على ظهره وقال : أتني وزير في جلدك : ١٣٠ . ولما شاع ذكره في صنعة الكذابة ومهارته فيها وبلغ حبرة الى الأمون فزبه اليه وأكرمه وأحده معه حينما زار دمشق . واختلفت الروايات في توليه الوزارة . فقال ياقوت الحموي : « قد ولي للأمون الأعظم الجيلة . وألحق بدوي المراتب النبيلة . وسماه بعض الشعراء وزيراً أعظم منزلته لا لأنه كان وزيراً ١٣١ » وقال السعدي : أن الأمون أسودره ١٣٢ . ومهما كان . فالمرتبة التي وصل اليها كانت حيلة وعظيمة . حيث اشغل في ديوان الرسائل وديوان الحاتم والتوقيع والكرمة

كان الخليفة الأمون نجاة ويحترمه . ويسميه الرومي لباس وجهه وجعل صورته . وقد . أقيمت عليه الدنيا اقبالأ عظيمًا فتمبأ ولأ واقتبط . وقصدته القاصدون . وطابت نفسه بأصطناعهم والاحسان اليهم . وعطف على الخداة والقناد . فاستكثر من الأنصار وأبسطت نفسه وبهذه دافعوا . فتعشفته نفوس الناس وأهل الدولة . والخليفة من وراء ذلك بعده . ويطلق يده في المال والناس ١٣٣ .

خرج مع الأمون في غزوة في بلاد الرود وتوفي بمدينة أذنة ١٣٤ سنة ٢٠٧ للهجرة ١٣٥ . ورُفِعَتْ الى الأمون رقعة أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم . فوقع في ظهره . هذا قليل لمن اضل بنا وطالت خدمته ذاك . فبارك الله بولده فيما خلف . وأحسن لهم تنظر فيما ترك ١٣٦ .

نشره وأصوله :

كان عمرو بن معدة أحد النعماء المعروفين في عصر الخليفة الأمون . فأن ابن الشيم . كان بليغا شاعرا عثرشلاً وله كتاب رسائل كبير ١٣٧ . وقال ابن حلكان : كان كاتباً بليغاً جرد العذرة وجيزها شديد المقاصد والمعالى ١٣٨ .

(٦٨٠) أمراء البيان ص ١٢٦ .

(٦٨١) معجم الادباء ٦ : ٨٨ .

(٦٨٢) مروج الذهب ١٣ : ٤١٧ .

(٦٨٣) أمراء البيان ص ١٢٦ .

(٦٨٤) أذنة . بلدة في بلاد الرود قريبة من البحر الأبيض المتوسط . لها ثور يقال له سيحدا .

(٦٨٥) وقيل توفي سنة ٢١٥ للهجرة (وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٦) .

(٦٨٦) معجم الادباء ٦ : ٨٨ .

(٦٨٧) اقهر ص ١٢٨ .

(٦٨٨) وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٥ .

أن أسلوبه يتميز سائفة والوصوح والإيجاز وهو من السهل المتع . وصفه الفضل بن سهل بقوله . . هو أبلغ الناس . ومن بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أنه يكتب مثله . فإذا رآه رقد عليه (١٣١) . . مثل قوله في رسالة له إلى الحسن بن سهل أما بعد . فإني ممن إذا غرس سقى . وإذا أمس سى ليستقم تشيد أمه . ويجهني ثمار غرسه . وثلاثك عندي قد شارف الدروس . وغرسك مشعب على اليموس . فتدارك بناء ما أسست وسقى ما غرست . إن شاء الله تعالى (١٣٢) .

لقد كان ثراء الموصوف بالإيجاز الدال على المعنى الكثير موضع إعجاب أرياب البيان . قال أحمد بن يوسف للكتاب . . دخلت على العمون . وهو يمسك كتابا بيده . وقد أطال النظر فيه زمرا وأما ملتفت إليه فقال . يا أحمد . إنك مفكر فيما تراه مني قلت . نعم . وفي الله أمير المؤمنين من المكاره . وأعاده من المخاوف . قال . فإنه لا مكره فيه . ولكنني قرأت كلاماً وجدته نظير ما سمعته من الرشيد بقوله في البلاغة . كان يقول : البلاغة للمساعد عن الإمالة . والتفريب من معنى السفة . والدلالة بالتفصيل من اللفظ على المعنى . وما كنت أتوهم أن أحدا يفتد على المساعدة في هذا المعنى حتى قرأت هذا الكتاب . ورمي به النقي وقال هذا كتاب من عمرو بن مسعدة إليه . قال . فقرأته فإذا فيه . ! كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قولي من قواده وسائر أجداده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جنبة تأخرت أرزاقهم . وانقياد كهة تراخت (١٣٣) أعطيائهم . واختللت لذلك أحوالهم . والثالث (١٣٤) معه أمورهم فلما قرأته قال . إن استحياني إياه دعني على أن أمرت للحد قبله بعضائهم لبعة أشهر . وأنا على مجازاة الكتاب بما يستحقه من حل محله في صاعته (١٣٥) .

وقد رأى القلشندي أن طريقة مجموعة من كتاب العمر العباسي الأول ومنهم عمرو بن مسعدة شيه بطريقة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تجويد الالفاظ وصحة المعاني وتنويع الداعي فتد . . لقد كان المتقدمون لا يحتفلون بالجمع صفة . ولا يقتصدوه إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام . وانفق من غير قصد ولا اكتساب . وأما كانت كلماتهم متوازية وألفاظهم متساوية . ومعانيهم

(١٣١) معجم الأديباء ١٠٦ . ٨٩ . صبح الأعشى ١٠٢ . ٣٩٠ .

(١٣٢) معجم الأديباء ١٠٦ . ٩٠ .

(١٣٣) القامح . القاصه وتأخرت .

(١٣٤) الثالث . الخلفه .

(١٣٥) وفيه الأديباء ١٠٢ . ٩٧٨ . وينظر العقد الفرده ٢ . ٢٧٢ .

باصعة . وعباراتها رائعة . وفصولها متفائلة . وجمل كلامهم متماثلة . وذلك طريقة
 الإمام علي رضي الله عنه ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام . كابن المقفع . ويزيد
 بن هارون . وإبراهيم بن العباس . والحسن بن سهل . وعبدو بن شمعون . وأبي
 عفان الجاحظ . وغيرهم من النحاة السلفاء (١٧٤) .

- أشهر عمرو بن مسعدة بالحكم البليغة مثل قوله .
- عليكم بالآخوار فأنهم ربنه في الرخاء وعدة لبللاء .
- قللة الزبارة أمان من الملامة .
- أسرع الأشياء انقطاعاً مودة الأشرار .
- آخوار السود كتنجرف في النار يحرق بعضه بعضاً .
- ظاهراً العتاب خير من باطن الحقد .
- كهمون الحقد في الولد ككهمون النار في الزناد .
- التقريب بعيد بعداونه . والبعيد قريب سودنه .
- لا تأمن عدوك وإن كان متهوراً . واحفره وإن كان معقوداً . فإن حد السيف فيه
 وإن كان معموراً
- نصح الصديق تأديب . ونصح العدو تأنيب .
- أولد أعطف من الرحم .
- انفس بالمدىق أنس منها بالعشيق .
- من حقوق المودة عفو الآخوان . والأعداء عر تقفير إن كان
- يبقى الولد ما بقي العتاب (١٧٥)

(١٧٤) سجع الأعشى ١٢ ، ١٧٧ .

(١٧٥) قيمة لغزاه أخرى في كتاب أمراء البيان ص ١٨٠ .

محمد بن عبد الملك الزيات

١٧٢ - ٢٢٢ هـ

سيرته :

هو محمد بن عبد الملك بن أمين بن حمزة ، وبكثي أنه جعفر ، ويعرف بالبن الزيات . كان جازاً من قرية يقال لها الذكوة القريبة من بغداد . يعلب الزيات من مواضع ويبيع في بغداد ففاز هذا التلقب على يئنه

وقد ابن الزيات في بغداد سنة ١٧٢ للهجرة من أصل عربي ، ونشأ فيها . وكان أبوه من الاشباه المومنين في بغداد بحانب الكرخ . حله على التجارة والتعاق بها وملازمها . ولكنه رفضها وامتنع عنها وأقبل نحو علوم اللغة العربية وأدائها يهوى من يتابعها حتى نبع في الشعر والنثر على السواء . نقل عن أبيه عمر بن محمد بن عبد الملك أنه قال : كان جدي موسراً من نجار الكرخ وكان يريد من أبي أن يتعلّق بالتجارة . ويتشغل بها . فبستع من ذلك ويلزم الأدب وطبّه . ويخاطب الكتاب ويلزم اللوازم . فقال له ذات يوم : والله ما أرى ما أنت ملازمه بفعلك . ويخبرك ، لأنك تدع عاجل النفعة ، وما أنت فيه مكفئ . ولك لأبيك فيه مال واحد . وتطلب الأجل الذي لا يدري كيف تكون فيه . فقال : والله تصفّر أنا . ينتفع بما هو فيه . أنما أنت ؟ ثم شجر السي الحسن بن سهل بغير صلح (١٧١) فاستدعته غصبة . فأعطاه عشرة آلاف درهم . فداد بها إلى أبيه . فقال له أبوه : لا تؤمك بعدها على ما أنت فيه (١٧٢) .

وبدو أن ابن الزيات لم يكن فاعلاً بما حصل عليه من مال . وإنما كان طامعاً في منصب بنولاد في الدولة . فأقبل على الحسن بن سهل وأشدّه (١٧٣) .

له أمندحك روحاً ، ذاك طبّية . لكنّ لتلبسي التحجيجيل وانعمرا . وسر ذلك لا تسر رجالاً . لا أطلب لورد حتى أعرف قصداً

(١٧١) لم الصلح ، موضع على نهر الصلح . وهو لول واسط . والصلح كانت دار الحسن بن سهل .

(١٧٢) الأغانى ٢٩ ، ٢٨ .

(١٧٣) الأغانى ٢٢ ، ٢١ .

ويحقق فيه ما أراد. إذ بينه كتاباً يسواوين وأخذ نجمه يعلو. واشتهر أمره
 بين الأدباء والعلماء. فقد ذكر الرواد، أن عثمان الثاني لما قدم بغداد في أيام
 المعتصم. كان أسعاه وجساؤه يحرضون بين يديه في علم النحو. فإذا اختلفوا
 فيما يقع فيه التمسك يقول لهم أبو عثمان: ارجعوا إلى هذا المعنى الكتاب. يعني
 محمد بن عبد الملك. فأملوه وأعربوا جوابه. فيفعلون ويصدر جوابه للمواب الذي
 يرثيه أبو عثمان ويوقعه عليه (١٢٩).

يعني ابن الزيات يشجع كثيراً في تناوين الدولة راس الخليفة المأمون. ولما ولي
 المعتصم الخلافة استوزره وأصبح الرجل الأول في دولته لعلمه وذكائه وفصحته على
 تسيير أمور الحكم. وحظي بتقدير الناس واحترامهم. ووجد عليه كثير من العلماء
 والأدباء. أمثال أبي تمام وأبحتري والجاحظ والحسين بن وهب وحسين بن
 حنبل.

فلما ابن الزيات وزيراً في خلافة الواثق. وكانت بينه وبين قاضي القضاة أحمد
 بن أبي ذؤاد منقصة لثقت. فيما بعد إلى جفوة وبغضاء وعسواً وشحناء وتهاج
 بالسر. وكان الواثق قد أمر أن لا يرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك
 الزيات. الوزير الأمام له. فكان ابن أبي ذؤاد إذا رآه قام واستقبل القبلة نصلياً
 فقال ابن الزيات:

سئني الخبي لما استفد عدواني وأراة يسألك به عندي ويسخوم
 لا نعلم من عدوة صومعة تركك تقعد نازة وتقوم (١٣٠).

وحينما جد الشوكل في الخلافة. كان في يده شيء منه. لأن ابن الزيات
 حاول أن يصرف الخلافة عنه إلى ابن الواثق. وقيل كان يتجه للشوكل. ويغفل
 عليه القول (١٣١).

استوزره الشوكل أربعين يوماً. إذ قتله مخدوعاً فأقول: بن أبي ذؤاد وغيره من
 الحادق بن عليه بحجة أنه جمع أموالاً طائلة في أثناء توليه الوزارة.

(١٢٩) وفيات الأعيان ٢٠٢، ٩٤.

(١٣٠) وفيات الأعيان ١، ٦٠. ويظهر دهوان ابن الزيات ص ٩٦.

(١٣١) ينظر الكامل لابن الأثير ٧، ٢٩.

قضى ابن الزيات نجه في الثور الذي تغذاه أيام وراثته . وكان فيه مساهم
يُعذب فيه الصادقين وأرباب الدواوين المظلوين بالأموال . وكان موته سنة ١٢٢٢
للهجرة . وقد ندم المتوكل على مقله . وعلم أن أقوال الوشاة كانت كاذبة ومخلفة .
وقال لابن أبي دؤاد : أطمعني في باطل وحمسني على شخص لم أجد عنه
عوضاً . . .

أسلوبه في الكتابة :

كان ابن الزيات عالماً أديباً . ترك ديوان رسائل ١٢٣١ . وديوان شعراً ١٢٣١ . وقد
أشاد به إبراهيم بن المدر الوزير فقال : . . . أن محمد بن عبد الملك من أطباء الناس
ذهناً وأرفعهم طبعا . وأصدقهم حسناً . وأرفعهم قلباً . وأملهم إشارة . إذا قال
أخبار . وإذا كتب الخ . وإذا شعر أحسن . وإذا اختصر أغنى عن الإطالة . . .
ووصف أبو عبادة البحراني بلاغته في الكتابة بقوله (٢٧١) .

تدبنت في الكتابة حتى	عطل الناس قر عبد الحميد
في نظام من السبلاعة ما	كأنك امرؤ أنته نظام فريد
وبدبعت كأنه الزهر نصا	حك في زوني الربيع الحديد
شرق في جوانب السبع ما	لحقا عوذة على المستعيد
ما أثيرت منه بطون القراطيد	وما خملت طهور البريد
مستعمل مع الطروب المعنى	عن أناسي مخارق وعمدة اليد
حجج تسحر الألب بالعد	ط هراي كأنه جواهر المسعود
ومعان لو فضلتها القوافي	هجت شعر حرول وتبيد
حزن مستعمل الكلام اخترا	ونجس من طرفة العتمة قيد
وركمن اللغة بط القريب فأدرك	ن ب به غاية المراد السعيد
كأنه زار غدون في الحلال الصمد	د إذا رخن في الخطوط السود

(٢٧٠) (أمراد البيان ص ٢٧١) .

(٢٧١) (الفهرست ص ١٢٧) .

(٢٧٢) (طبع في القاهرة سنة ١٩٩٩ بتعليق الدكتور جميل سعيد) .

(٢٧٣) (أمراد البيان ص ٢٨٩) .

(٢٧٤) (ديوان البحراني ص ٢٧٩) .

أن من أبرز سمات شعر ابن الزيات الابهجار في الالفاظ مع الاتساع في المعاني وحسن اختيار الكلمات الفصيحة ودقة استحداثها في الجمل والعبارات وكأنها حبات مخددة مشقة. مثل قوله: «إن حق الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم. وتقوية نودهم. ورياضة أخلاقهم. وأن يجبر بيده. فيفطّم محسبهم. ويؤخر مسيئهم» ليرداه هؤلاء في أحسابهم. ويردجر هؤلاء عن أسامتهم» (١٧٢).

كان ابن الزيات معجباً بالأسلوب الفصيح البليغ. فما هو ذا يطرب لسماع قصيدة. لما تظويه من معنى وتحويه من بلاغة. وتعلن عنه من فصاحة. لأبي تمام في مدحه. فيقول له: «يا أبا تمام، والله أنك لتحلّي شعرك من جواهر لفظك وندائع معانيك ما يزيد حسداً على بهي الجواهر في أحياء الكواكب. وما يذخر لك من جزيل المكافأة ألا يقضّر عن شعرك في الموزنة» (١٧٣).

إن غزير علمه. وكثرة محفوظاته. ووافر ثروته اللغوية. وسعة اطلاعه على ثقافة عصره. جعلت الالفاظ تنقاد له والمعاني تطاوعه يسر وسهولة في كل الموقف من جميل ما وصل إلينا من شعره قوله: «الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته. منطوي القلب على مناصحته. مشحون السيف على عدوه. لم وهب له الظفر. ونوح له البلاد. وشرّد به العدو. وخضه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً. وحرّاه» (١٧٤). وقوله: «أر الله أوجب لخلعائه على عبادته حق الطاعة والنصيحة. وتعبده على خلفائه بسط العدل والرفقة. وأحياء السنن الصالحة. فإذا أدى كل إلى كل حقاً كان حياً لتمام المعونة واتصال الريادة. واتسق الكلمة. وبنوا الأئمة» (١٧٥). وقوله: «أفعال الأمير عند معبوءة كالأمانى. متصلة كالأيام. ونحن نواتر التكرم لكميم فعله. ونواصل الدعاء له مواصلة برّه. أنه الناهض بكلنا. والناضل لأعدائنا. والتأخيم بما آت من حقوقنا» (١٧٦).

[١٧٢] العقد المرفه ١: ٢٤٠.

[١٧٣] زهر الأمان ١: ٧٩.

[١٧٤] العقد المرفه ١: ٢٤١.

[١٧٥] نفسه ١: ٢٤٠.

[١٧٦] نفسه ١: ٢٤١.

ابن قتيبة

٢١٢ - ٢٧٦ هـ

بلغت الثقافة الإسلامية مرتبة رفيعة ومنزلة عالية في القرن الثالث للهجرة . وقد مثل ابن قتيبة بعد الجاحظ هذه الثقافة خير تمثيل . ورغد المكتبة شروء كبيرة تنصل باللغة والنحو والادب والتفسير والحديث والفقه والتاريخ وسواها من علوم اللغة العربية ولأدبها . اشتهرت منها "الاحوال" انتفاعا كبيرا حتى قبل كل بيت . ليس فيه شيء من تصنيفه لاخير فيه (١٣٦) .

سيرته :

هو عبد الله بن مسلم قتيبة البغوي يكنى أبا محمد . اختلف الدارسون في مكان ولادته . قال ابن الأثير وابن الأديم وابن الأثير انه ولد في الكوفة . وقال آخرون . منه السعدي والعملي انه ولد في بغداد سنة ٢١٢ للهجرة . وانسب الى مدينة (بور فلانة) وهي العدة فيها (١٣٧) .

نشأ وشب في بغداد . وكانت يؤمها فيه العلم . ومضى الادب . ومدينة الحضارة . وأكث على الدرس . وحذ في التحصيل على علماء التفسير والحديث واللغة والرواية وتبوع الادب . امثال ابي حاتم الجعفي . وسعد بن راهوي . وابراهيم بن سفيان الزياتي . وأما بعد ترحله عن اليمانية والهداية والتاريخ . واشتمل بالجاحظ وقرأ كتابه (١٣٨) . وحضر مجلس المعتزلة . ولكن سرعان قلاه ورد عليه وبين سقطاتهم التي هووا فيها حين عاوا في انفساد العقل وفرطوا في التزاد (١٣٩) .

نرم ابن قتيبة مدينة بغداد . وكانت له حطة راسي الحسن عبيد الله بن يحيى ابر خاقان وزير فتوكل ويأسه ألف كتابه "أدب الكاتب" (١٤٠) . وارتحل الى

(١٣٢) تفسير سورة الاخلاص لابن قتيبة ص ١٢٤ .

(١٣٣) تنظر مصادر ترجمة في هامش ترجمة الانباء في طبقات الادباء ص ١٤٢ . وهاشمي انباء

الرواة على انباء النصارى ١٧ ، ١١٢ . وابن قتيبة العالم الثالث الاديب للدكتور محمد

عبد الصمد الجعدي . وابن قتيبة للدكتور محمد دغول سلام .

(١٣٤) عيون الاخبار ٢ ، ٢٤٩ .

(١٣٥) ينظر لأولين مختلف الحديث ص ١٢ وما بعدها

(١٣٦) تنظر مقدمة ادب الكاتب ص ٤

دور لولاية القضاء عليها. ورجع إلى عدد منصرف إلى التأليف والتعليم. ولم يخرج منها إلا مدة يسيرة قصد فيها إلى الحج. ثم عاد ليواصل التعليم إلى أن توفي سنة ٢٧٦ للهجرة.

كتبه وأسلوبه :

اجمع المدين ترجموا لاسن فتية على انه كان احد العلماء الادباء . والخطاط الاذكياء . وان مصنفه شهرة القدر وجليلة الشفع ١٠٨٠ . وفي الادب تصنيف عبور الاخبار وادب الكاتب . والشعر واتسماء . وكتاب المغني . والمدار . ووصية الى والده . وكل هذه الآثار مطبوعة . وصنفه عيون الشعر . وطبقات الشعراء . والمناقب . وديوان الكتاب . وصناعة الكفاية . والحكاية والمنحكي . وفرائد الدر وحكم الامثال . وادب العشرة .

والف في اللغة والحو كتاب الحرائيم . والوحش . وحلق الاسان . والاشفاق وجامع المعو

وكتب في التفسير تأويل متكل تقرأ . وتفسير غريب القرآن واما مطبوعان . ومداني القرآن . وانواع القرآن . وكتاب التفسير .

واختص الحديث بكتاب تأويل مختلف الحديث . والمسائل والاحوية واما مشهوران . وغريب الحديث . واصلاح غلط ابي عبيد في غريب الحديث .

وعرد في اللغة كتاب الاشربة . ولبس والقداح . والآلهة مصنوعات . وجامع اللغة . وتأويل الرواية . واستماع الفقه بالاحسان . والتفقيه . والاصابة

وعمل في القراءة كتاب القراءات . وادب القراءة . وصح في الكلام الاختلاف في اللفظ والورد على الجملة والمنهية والورد على السجوية . والكتابات محققا . ودلائل النبوة من كتب الشريعة على الالباء عليهم السلام . والورد على القائل بحلق القرآن

ودون في التاريخ مذاقب العلماء الراشدين وسير المعج . وكتب التوراة وفي تلكا كتب الادواء وهو مطبوع . وفي الزرع كتاب تاس ونية أسماء اخرى لمستداته لا ينفع المقام لذكرها ١١٠٠

١٧٧ | الكتابة الفتنية في مغرور الدولة الاسلامية في القرن الثالث الهجري ص ١٨٢ .

١٧٨ | انظر ليشا باسماء مؤلفات ابن قتيبة في مقدمة كتاب عيون الاخبار ١٩ - ٩٢ - ١٤٩

ومقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن ص ٨ - ٩٩ .

من اميز خصائص السلوب الكتابة عند ابن قتيبة الوضوح والسهولة والسلاسة مع العناية بجودة المعنى والاسترسال في الكلام دون التفتيد باغلال الصنعة والاستشهاد بالآيات والاحاديث والامثال والحكم والنثر . جاء في مقدمة كتابه المشهور : النحر والشعر : قوله : « كان حق هذا الكتاب ان اودعه الاخبار عن حلاله قدر النحر وعظيم خطره . وعن روعه الله بالمدح . وعن وضعه بالهجة . وعن اودعته العرب من الاخبار النافعة . والانساب النصح . والحكم النضارعة لحكم الفلاسفة . والعلوم في الحيل . والنجوم وانوارها والاهتمام بها . والرياح وما كان منها مبشراً او حائلاً . والبروق وما كان منها خلباً او صادقاً . والمصاب وما كان منها جهلاً او ماطرأ . وعن بيعت منه البخيل على الساج . والحيان على اللقاء . والدينى على التمس . غير اني رايت ما ذكرت من ذلك في كتاب العرب » (١) كثيرا كقياً فكرهت الاطالة باعداته . فمن احب ان يعرف ذلك ليستدل به على حلو النحر وفرد . نظر في ذلك الكتاب (٢) .

ان كتابات ابن قتيبة الى جانب الترسل وتروحي السهولة والزهد في السجع الا ماحاه عنوا جيدة الصياغة . لطيفة التعبير . مثل قوله في اسمي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقن . « الحمد لله الذي اعاد توزير ابا الحسن - ايده الله - من الرديلة . وايانه بالفضيلة . وحياء بخيم الصالح (٣) . ورذاه رداء الايمان وغشاه نوره . وجعله عدي من الفضالات . ومصابدا في المظلمات . وعرفه ماختلف فيه المختلفون . على سر الكتاب والمنة . فقلوب الخيار له معتمة . وبعوسه اليه مائلة . وايدبهيم الى الله فيه مظان القول ممنة . والسنة بالثناء له شائعة . يهجع ويستيقظون . وبغفل ولا يعفلون . وحق من قام لله مقامه . وصبر على الجهاد صرة . وموى فيه نيتة . ان يسه الله لباس التعمير . ويرذية رداء العمل الصالح . ويخمر اليه مختلفات القلوب (٤) . ويسعد بهار الصدف في الآخرين (٥) .

(١) من هذا الكتاب قطعة نقرها الاستاذ محمد كره علي في رسائل البهلاء ص ٢٦٩ .

(٢) النحر والشعر ١١٤ .

(٣) ٧٩١ هـ ، اميزه والفضله عن غيره . حياء . منحه وخصه . اليقيم . الطبع والقيمة والسجية .

(٤) ٧٩١ هـ ، يسه الله لباس التعمير ، اي يظهر الله عز وجل ضميره الجميل . يهجو . يميل .

(٥) ٧٩٢ هـ ، ادب الكاتب ص ٦ .

العصر العباسي الثاني

٢٢٤ - ٦٥٦ هـ

توطئة

سعت الخلافة العباسية ودعج هبتها. بعد مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ للهجرة بمؤامرة عذيرة من ابنه المنتصر مع الطعان الأتراك^(١) وأخذت الأوضاع تتدهور وتزدى. وأصبحت أمور الخلفاء بيد القواد والخدم من غير العرب. يعزلون ويولون حسب أهوائهم ورغباتهم. فهي ثمة أربعة عشر عاماً (٣٣٠ - ٣٣٦ هـ) عزلوا ونصبوا خمسة خلفاء منهم من قبل. ومنهم من خلج لو أهين ولجن ونسخت عيناه

وظهرت في هذه الحقبة إمارات ودولات في الشرق والعرب. انسلخت من حصد الدولة العباسية. لها مملكتها ونعوذها. وقوتها وسيطرها. وقوادها وجنودها مثل الدلمية فيما وراء النهر. والريارية في جرجان. والمرومية في أفغانستان والهند. والبويهية في فارس. والحمدانية في حلب والموصل. والغاضمية في مصر..

في أثناء هذا التفتك والاحلال. وضعف مركز الخلافة. انتهر السويديون العرس الفرس. ووجسوها ساحة تحقيق مآربهم والتوصل إلى غاياتهم فخرجوا من ديارهم. وزحفوا بجيوشهم على بغداد وقد رحب بهم الخليفة المستكفي بالله (٣٣٣ - ٣٣٦). ومنح رؤسائهم ألقاب التكريم طناً منه أنه يستعين بهم في رد مكانة الدولة العباسية وجيشها إلى سابق عهدها بعدما أنهكتها قوى الترك الذين اعتمد عليهم المعتمد وابتنى لهم مدينة سمر من رأى واستفحل أمرهم يوماً بعد آخر. وأصبح الحل والعقد بأيديهم. يتصرفون في شؤون الدولة كما يشاؤون حتى أصبحوا مهيمنين على واجبات الخلفاء من بعد.

دخل أحمد بن بويه بغداد في الثاني عشر من جادى الأولى سنة ٣٣٦ للهجرة. وجعله الخليفة المستكفي بالله أميراً للأمراء ولقبه معز الدولة. ولقب إخوانه على بن بويه الذي استمل إدارة أقاليم فارس بمعاذ الدولة. ولقب الحسن بن بويه الذي أصبح حاكماً على ولايتي الرمي والجبيل ركن الدولة. ثم امر أن تُعرب أقاليمهم وكُتبت على النقود إلى جنود اسمه وسرعان ما تنكر مع الدولة البويهية للخليفة المستكفي بالله بعد شهر واحد من وصوله إلى بغداد. وشر به وجهه. وسمل

(١) مختصر التاريخ ص ١٤٧.

عنه . ونهب داره . وكانت هذه فتح مملكة واسطع بداية حياة ومكره اقربها
اليويون بحق الخلافة العباسية . والمذبح جعله مع الدولة مع الخليفة الشكفي
الله . فعند بعد ذلك بهاء الدولة مع الخليفة الطائع لله سنة ٢٠٠ للهجرة واحد ما في
فقره من دوائر وجواهر .

ظل البويهيون ممسكين برماد الامور اكثر من مئة عام . مملون مع حواشيهم في
ترف ونعيم وعيش كريم . اما عامه الس فقه عشوا في ضل الدلاء والخوف والرجب
وانضادة

لقد ازدادت مكانة الخلافة تدهورا وتخططا وتوزعت الاقاليم المختلفة الى دول
كبيرة والى دوللات صغيرة مركز كل منها حول مدينة كبيرة . حتى اننا نجد
الجرسة العثمانية تتوزع بين ثلاث سر . سفل كل منها بها تحت يدعا . هي اسرة
العتيليين بالتوصل . اسرة التردانيين بالرقبة . واسرة المروانيين بديار بكر . وقد
حمل هذا التدهور المدل الخليفة العباسي القائم بأمر الله التطاع الى مقعد الدولة
والخلافة من جهة الحلة الميعة . فكان هذا المنفذ جماعة الخلافة اقرب الى الدين
دخلوا بعدد سنة ١١٧ للهجرة دلتين مرحلة جديدة من مراحل تاريخها : ١٢٠٠ .

دخلت المعالجة بعداء بغداد طهرت بلد . واستقبلته الخليفة القائم بأمر الله
استقبلا حافلا وخاضعه بلعب ملك الشرق والغرب ١٢٠١ . وكان هذا عام لما
يعرف في التاريخ بعصر نفوذ السلاجقة . وامتدت سلطتهم على الاراضي التي كانت
خاضعة للخلافة العباسية بقوة السلاح . وكانت سلسله مع الخلافة نقل وطأة من
البويهيين . فانه احرموا الخلافة ووفروا الخلف . والرواء . التروحين للدولة (١٢٠٠)

تخلى السلاجقة نظام الاقطاعات والاملاكات . واستبدوها الى شخصيات من
اسرهم . وكثيرا ما كانت تقوم بينهم منازعات وحروب يذهب ضحيتها العس
الاميون . ومن هذا فلم يتقدم العراق عدا كان عليه . بعدا من الضاحية السياسية
والاجتماعية والاقتصادية

(٢٦٥) الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٢٩

(٢٦٦) ينظر تاريخ دولة آل مطهر ص ١٩ . المستقيم لابن الجوزي : ١٨ - ١٤ - ١٢٢ . تاريخ ابن
الاثير : ٩ - ١٢٥ . الشعر العربي في العراق وبلاد الشام في العصر السلجوقي : ٢٩١ - ٢٤٤ .

(٢٦٧) الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٢٠ .

بدأ التشكك الداخلي في الأسرة السلجوقية بعد ما حل نظام الورثة الذي اتبعوه . وبموت سلطانهم مسعود سنة ١١٧٠ للهجرة انهد كيانهم ولم يستطع من جاء من بعده إعادة مكانتهم . إذ استطاع الخليفة المقتضي لأمر الله (٥٢٠ - ٥٥٥ هـ) وبمؤازرة وزيره يحيى بن حبيزة بن يعقوب فلاحه عيبتها واستقلالها . وكذلك ابنه المستنصر بالله الذي بنت قاعدة الانحلال

انقلب خروج السلاجقة من العراق صحوة عادت فيها مكانة الخليفة إلى سابق حرميه وعزله . وبكفى هذه الحقبة فخرا ظهور حليفتين عظمى . كل لها دور بارز ومشرف في نهوض الأمة بعد رفدتها . وسيرها حثيا نحو الترقى والتقدم . الأول : المستنصر بالله (٥٧٥ - ٦٢٩ هـ) الذي وجد العرب وحده نظام الفتوة . والثاني : المستنصر بالله (٦٢٩ - ٦٥٠ هـ) باني أكبر مدرسة لذلك تتبع منها الثقافة ويستغلب الأسانيد والمطبعة من كافة أرجاء العالم الإسلامي

وأخيرا جاء المنصف بالله المعروف بقله الخيرة وانمائية بأمر السياسة . وعدم هنية جيش قوي نحرارية القوى الراخفة على البلاد الإسلامية فكانت نهايته بيد الشر المتخادم من الشرق سنة ٦٥٦ للهجرة

ولا بد من الإشارة هنا أن التشكك والانحلال الذي أصاب الدولة العثمانية بعد حكم البويهيين ثم السلاجقة وتحول البلاد إلى فئات معتره لا يجمع بينها اتحاد ولا جسمها سلطان قوي جعل العرب يسمونه قاضيهم وأدانيه . ويلد شعته . ويرتق فتته . ويرأب صدعة . ويتهم للانفخاض على الشرق المتداعي . طمعا في خبراته وولم ترواته

جاء السليبيون من الشرق في موجبات متتابعة . وهي فترات متقاربة . ابتداء من سنة ١٢٠٠ للهجرة فأهلكوا الحرث والنسل . واثاعوا الحراب والدمار في القرى والامصار حتى قذر المزارعون عدى الذين قتلوا في مذبحه أنطاكية بعترة آلاف شخص . وهي معركة الحمران سنة ١٢٠٦ . وفي بيت المقدس سبعين ألفا ١٢١٨ . وقال ريموند دي الكليس الذي شاهد المذبحة الأخيرة : ان الدماء قد وصلت في رواف السعد إلى المركب (١٢٩٠) فباله ينهده قد يرجو التقدير ويعوق المعنى والتعبير

(٦٢٨) مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٩ .

(٦٢٩) نفسه ص ٢٨٧ .

وقف المسلمون بوجه الحملات الصليبية بشجاعة وصلابة . وكان للرنكيين دور بارز ومشرّف في محاربتهم . فقد طهرتهم البطالان عماد الدين زنكي ونور الدين محمود الدين حارب الأعداء بلا هوادة . ثم جاء الأيوبيون وحملوا راية الجهاد والكفاح والنضال . وكان للبطل المغرور صلاح الدين الأيوبي وجنوده الميامين الدور الأكبر في محاربتهم وإخراجهم من القدس وردهم إلى نحورهم . وقد رافقت هذه الحروب نهضة فكرية كبيرة انفتحت المكتبة العربية بإنتاج ضخم في مختلف فروع المعرفة . وكان للأدب دور فعال في هذه الحروب إلى جانب السلاح . إذ تضاعف شعراء كثيرون من الشام ومصر والعراق واليمن والمغرب على معاوضة الانطوائ . وظهر صائغهم . ورب بطولاتهم في محاربة الفرنج وجولاتهم في حلال الغنائم عن المواقف التي احتلوها والذين التي استباحوها (١٣٠) .

الأدب في ظل التهيّئات الجديدة :

بلغت الدولة العباسية أوج قوتها . وذرورة مجدها . وغاية عظمتها . وبالع عيسيتها وعمرها زمن الخلفاء الأوائل أمثال المنصور . والمرشد . والمأمون . والمعتصم ثم أخذت تضعف وتتفكك . وبدأت القوى الطامعة أو الفعادية تتحرك وتتكتل للانفصال عن جسد هذه الدولة وإقامة دويلات لأنفسها بعيدة عن سلطة بغداد . وقد تلاحق الإرادات . لأن "الخلافة" لم تستطع أن تقف بوجهها . وتكرس توكنها . وتقضي على ماريها . وأضعفها من انشاء حكومات لها . وكانت هذه الدويلات بين معترف - بصورة شكلية - بالخلافة أو غير معترف .

تناهت الدويلات المستقلة في جذب العلماء والأدباء . واستقطاب المفكرين . ولانتمتكم منهم . والاندفاع عليها الأموال والمسلات والهدايا . وانما الوظائف الهامة لهم وجعلهم موضع الثقة والاستشارة (١٣١) .

وكانت غالبية ملوك الدويلات وأمرائها ينتمون اللغة العربية . ويهمون بالمجالي العلمية والأدبية . ويشركون أرباب الأقلام في الكتابة . فقصص الدولة البويهية كان مهتماً بالأدب وله مشاركة فيه . وقد قرّب عدداً كبيراً من الشعراء

(١٣٠) ينظر بحثنا ، النشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرة الأيوبية . مجلة آداب الراشدين العدد ٨ لسنة ١٩٧٧ . وشعر العرب في عصر بني أيوب . مجلة آداب الراشدين ، العدد ١٥ لسنة ١٩٨٢ . والقدس في شعر القرن السادس للهجرة . مجلة المودة . العدد (١) لسنة ١٩٨٢ .

(١٣١) ينظر ، الكتابات الشعرية في القرن الرابع الهجري

والكتاب أمثال أبي اسحق الصائبي . وأبي علي النحوي . وأبي الطيب المتبي .
 وأبي الحسن محمد بن عبد الله السلمي . واعتمد ركن الدولة الجوهري على كتابه
 كبير هو أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد . قال أبو منصور
 الثعالبي هو . اوحذ العصر في الكتابة . وجمع أنواع الرياسة . وآلات الوزارة .
 والضارب في الآداب بالهوام الثائرة . والآخذ من العلوم بالأطراف القوية . يدعي
 الجاحظ الأخير . والامتاز . والرئيس . يحرص به القتل في الملاعة . وينتهي إليه في
 الإشارة بالمصاحبة والبراعة . مع حسن الترتيل وجزالة الالفاظ وملاستها . إلى براعة
 المعاني ونفاستها ١٣٣٠ . واستوزر مؤيد الدولة لبويهري الأديب الشاعر العالم
 المصاحب بن عباد الذي احدث به من نجوم الأرض . وفرداد العصر . وابدأ الفضل .
 وفرسان الشعر . من برى بعدهم على شعراء الرشيد . ولا يقتصرون عنهم في الاخذ
 برغاب القوافي ومثلك رقن المعاني ... مثل أبي الحسن السلمي . وأبي بكر
 الحوزرمي . وأبي الطيب المأموي . وأبي الحسن البزهي . وأبي سعيد الرستمي .
 وأبي القاسم الزعفراني . وأبي العباس القضي . وأبي الحسن بن عبد العزيز
 الجرجاني . وأبي القاسم بن أبي العلاء . وأبي محمد الخازن . وأبي هاشم
 العلوي . وأبي الحسن الجوهري ... وأبي ذلف الخرجي . وأبي حمص الشهروري .
 وأبي معمر الاسماعيلي وأبي فياض الطبري . وغيرهم: ١٣٣١

واشتهر عدد من وزراء السلجوقيين بحب العلماء الأدباء وكرامتهم والاعاق عليهم .
 منهم الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي قال أبو غامة المقدسي . . كان
 عاداً فيها ديناً حنيفاً متواضعاً عادلاً . يحب أهل الدين ويكرمهم ويجزى صلاتهم
 وكان أقرب الناس منه وأحبهم إليه العلماء . وكان يناظرهم في الحديث ويبحث عن
 عواميس المسائل لأنه اشتغل بالفقه في حالي حياته مدة . وأما صدقته ووقوفه فلاخذ
 عنها ومدارسه في العالم مشهورة لم يخل بلد منها . ١٣٦٠ . واشتهر في عصر السلجوقية
 الشاعر الكاتب أبو اسماعيل الحسين بن علي الطبراني الذي وزير السلطان مسعود
 ابن محمد السلجوقي في الموصل له ديوان شعر جيد . وقد اشتهرت قصيدته المعروفة
 بلامية المعجم التي يقول في أولها: ١٣٦١

أصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتي لدى الخطل

(٧٣٣) يشمة الدهر ١٠٢٠ ١٠٥٨ .

(٧٣٣) يشمة الدهر ١٠٢٠ ١٠٩٢ .

(٧٣٦) الروشدين ١٠١٠ ١٠٢٠ .

(٧٣٥) ديوانه ص ٩٠٠ .

ومن الإمارات التي غنت بالعلم والأدب إمارة بني مكايل في بسابور ومن أشهر رجالها أبو محمد عبدالله بن إسماعيل الميكالي. قال الثعالبى: «هو أشهر وذكره كثير». وعلمه أكثر من أن يشه عليه. وله مع كرم حبه وبكائه شهرة - فضيلة علمه وأدبه. وكان من الكتابة والملافة بالمحل الأعلى وله من سائر المحاسن المذبح المعلى وكان يحفظ مئة ألف بيت للمستقدمين والمحدثين بهذا في محاضراته. ويحلقها في مكائباته وله شعر كتابي يشر إلى شرف قتله ١٣٨١.

وعرفت الإمارة الميزابية التي كانت تحك حرجان وطبرستان وماحولهما برعاية العلوم والأدب. ويعدّ قابوس بن وشمكير من أبرز رجالها ١٣٨٤. إذ كان معروفاً ببيانته وفصاحته وحسن كتابته. وقد زار البيروني وقدم له كتابه الآثار الثاقبة كما قدم له المعلى كتابه: المنهج. والتبصير والمعاينة

وتشتهر قلب خوارزم بكثرة مدرسه ووفرة علمائه وأدبائه ١٣٨٤. أمثال: الترمذى والمطرزى. والبيرونى. وأبو سينا. وأبي بكر الخوارزمى. وأبي محمد القاسم بن الحسين الخوارزمى. وأبي محمد عبدالله بن إبراهيم الرقائسى. الشاكى ورشد الدين اللوطاوى

وكانت إمارة المزيديين التي صمدت الحلة والبصرة والكوفة والبغداد وواسطاً والأسار وحدثة ومدة شأن كبير في الحركة الأدبية والعلمية في القرن العاشر للهجرة وقد برز فيها مجموعة من الشعراء والكتاب أمثال منصور بن ديسر وصدقا بن منصور بن دسر. ومحمد بن خليفة النمى. وعلى بن أفلح الثعالبى ١٣٩١

وزينى الأدب والعلم مكاناً مرموقاً في إمارة الحمدانيين (٣٧٧ - ٣٩٤ هـ) التي سيطرت على الموصل وديار بكر وحلب وحمص وحماة وأنطاكية ومذبح ومعرة النعمان وبعض الثغور. وقد جمع بلاط سيف الدولة محط جماعة كبيرة من المشركين والكتاب واللغويين والفلاسفة أمثال أبي الخليل النمى وأبي فراس الحمدانى. وأبي بكر السمويرى وأبي نائلة السعدى. والسرى الرضا. والولواء

(٣٩٤) بقيمة المعركة ٤١٧

(٣٩٧) ينظر معجم الأدباء ١: ٦٤٢ - ٦٤٩

(٣٩٨) الأدب العربي في العهد الخوارزمى ص ٦٩ - ٨٤

(٣٩٩) ينظر المعريفة. قسم العراق ١: ١٢٠ - ١٢٩. أدباء حلبون ص ٩ - ٦٧.

الدمشقي . والبيضاء . والنامي . واللامني . وكشاحم . والخالدين . وأبي علي
البحوي . وابن حني . وابن خالويه . وأبي الفرج الأزهري . وعبد الرحيم بن
زائدة . والفراسي (١٢٠١)

وقامت في مصر وثلاث دوله الاخشيديين (٣٠٣ - ٤٥٨) . وظهر فيها عدد من
الشعر والكتاب (١٧٠١) . من أبرزهم أبو القاسم أحمد بن محمد بن طاطلي .
وابراهيم بن عبد الله الجيزي اللعوي الاخباري . كاتب كافر . وصالح بن مؤنس .
وابن الحسن بن علي الأحمدي ...

وحكمت دولة الخاضعين مصر والثام بعد سابقتها الإخشيدية (٣٥٨ - ٥٦٦) .
وحظت العلوم والآداب في عهدها رعاية وعناية . وقد نفع عدد من ملوكها بنظم
الشعر والاحاديث فيه . أبرزهم المرند بن الله (١٣٠) . وكثر للشعره الذين اتصلوا بهم
ووسموا شعرهم بين أيديهم منازل رفيعة وحيات سنيه وأعطيات سخية . وقد رخت
كتب الآداب والمواجم والنسر بأسماء كثيرة من الآدباء الذين عاشروا هذه
الدوله (١٧٠١) . أمثال . الحسن بن علي بن وكيع التنبلي . وعلي بن عباد
الاسكندري . ومحمد بن قادوس . والحليم بن الجبال . والهدب بن الزبير
والرتبه بن الزبير . وأحمد محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقيق . وأبو الصلت .
أمية بن عبدالعزيز . وطلائع بن رزيك . وظافر الحداد ..

وازدهرت الحركة الفكرية في عصر الزنكيين الذين حكموا النوبخت وحلب
والاماكن التي كانت بيد احمدانيين (١٨٩ - ٥٧١ هـ) . فقد تجمعوا أهل العلم
والآداب ولا سيما نورانيين محمود وهو أعظم ملوكهم . فإنه كان لا يفتأ
يجتمع العلماء في مجلسه ويستشرف في أمور دينه ودنياه . ويحيطهم بهائيه
ورعايته . ويحيي لهم المناخ الملائم ليعيشهم وعملهم . ويُعد في نظر الدارسين أول
مشي . لدار الحديث في التاريخ الحديث في التاريخ الاسلامي (١٧١١) . ومن مشاهير

(٧١٠) ينظر . سيف الدولة الصماني أو ملكه السيف ودولة الأقاليم من ١٨١ - ١٩٧ . فتون
الفر في مجتمع العماليين من ١٩٥ - ١٧٨ . الفر في رحاب سيف الدولة الصماني من
٣٨ - ٤٩ .
(٧١١) ينظر . الآداب العربي في مصر من القحح الاسلامي الى نهاية العصر الأيوبي من ١٥٩ -
٣١٩ .

(٧١٢) طبع ديوانه بتحقيق محمد حسن الأعظمي .

(٧١٣) ينظر . مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ٢ - ١٧ .

(٧١٤) الدارس في تاريخ المدارس ١٠١ - ٩٩ .

الشعر، الذين حملوا خطولاه وعنونوا مدوناته أبو الحسن أحمد بن مسير
الطرابلسي ١٢٠١ ومحمد بن بشر القيرواني ١٢٠١

وسجد عمر الأيوبيين في مصر والشام (٦٦٧-٦٨١) نهضة علمية وأدبية كبيرة.
وكان موسى بنولتهم صلاح الدين الأيوبي يتدفق الشعر ويهترأه. وظهرت في
أسرته مجموعة من الشعراء وصلت إليها دولتهم أمثال الملك الأمجد محمد الدين
الأيوبي ١٢٠١. والملك الناصر داود بن عيسى الأيوبي ١٢٠١. والملك الظاهر الدين
عمر الأيوبي ١٢٠١. وقد تضام شعراء كثيرون من الشام ومصر والحرق واليمن
والحرب على مفضدة صلاح الدين ورب نفولاته في معارضة الفرنج وحولته في
جلاء المصنوع عن المواقع التي احتلها ولقد التي استأجوها ١٢٠١. ولا يحب حين
قال ابن الأثير: «وله يجمع بيت أحد من الملوك بعد سيف الدولة الحمداني
راجتمع بيته من الشعراء - رحمه الله - وراى على سيف الدولة في الجلاء والغسل
ونقطة ١٢٠١»

وسندت الحركة الأدبية في طلي الأمارة البكتكيسيا في أربيل في نهاية القرن
لأدب ومضاع العرب السبع للهجرة وبعد السلفان معظم الدين كوكبرى من
أبى رحلت عدة الأمارة. فله اهتم بالعلوم والآداب. وتخرج العارفين. وبذل فيه
بسخاء. وأنت له مدرسة. وانتجع مدينة أربيل في زعمه الكثرين. ولأكثره من
منازل من التوفيقين - طلائيا وأندلس - ألف شرف الدين أبو البركات الدار في
أحمد بن الشارح المعروف بابن السعوى الأربلي كذا كبيرا زعمه أحداث سنة

[١٢٨٤] ينظر: مقدمة شعره ٥ - ٢٩.

[١٢٨٩] ينظر: صدر الغزو الصليبي في شعر ابن القيرواني من ١٢٧ - ١٢٩. ومحمد بن نصر
القيرواني، حياته وشعره من ١٢٦ - ١٢٧.

[١٢٩٧] طبع: ديوانه بتحقيقنا سنة ١٩٨٩.

[١٢٩٨] كتيبت دراسة مطولة عنه وحفظت ديوانه الموسوم بـ (المواهب الجليلة في الغزاة
الناصرية).

[١٢٩٩] الهرقة، بداية شعراء الشام، من ٨٢ - ٩١.

[١٣٠٠] ينظر بحثنا: جهاد صلاح الدين الأيوبي، التاريخ والشعر، مجلة المورد، العدد ٤،
سنة ١٩٨٧.

[١٣٠١] زبدة العليب من تاريخ حلب ٢، ١٢٤.

شاعرة البلد التخاذل بين ورده من الامانة (١٣٣٠). وبكفي هذه الامارة وضرا لن يكون ابن خلكان صاحب كتاب ، وفيت الأيمان أحد أبنائها . ومن شعرها المشهورين مجد الدين أحمد بن ابراهيم الشافعي (١٣٣١). وعيسى بن سنجر الحاجري (١٣٣١). وابن الفطير الإربلي (١٣٣١). والصادق بهاء الدين علي بن عيسى المشي الإربلي (١٣٣١).

إن حكماء الذريعات والامارات - كما لاحظنا - بحون المعرفة ويتشرون العلماء والأدباء . ويتشرون قلوبهم اليهم ويحلوهم ويكثرون من احترامهم . ويبطلون في عطاءهم واكرامهم ولم يكن لهم الشعر مردحاً فقط في ظلال الحكماء . بل التليف والتصنيف أحبا وقد نعت أسماء كثيرة . نذكر منه على سبيل المثال أما منصور النعالي . وأبا العلاء النعري . والنخطيب البغدادي . وابن الأنباري . والباقرزي . وابن الجوزي . وأما ابن مفسر . ونساء الدين الأسماسي . والقاضي الهاضل . وابن شداد . والعكبري . والحضيب الشيرازي . وأبا الفضل الميداني . وأما القاسم الرمخشري . وأبا منصور الجواليقي . وأبا السعادات ابن الشجري . وأبا محمد القاسم بن علي الحريري . وابن عاكف . وأبا طاهر الطلي . ومحيي الدين البووي . وسيف الدين الأمدى . وناج الدين الكندي . وابن الحاجب النحوي . وأما شامة المقدسي . وتهاب الدين الشهورتي . ويقوت الحموي . وأما الأثير مجد الدين وعزالدين الدين وصبا الدين

ومن معالي الحركة الفكرية في هذا العصر كثرة المكتبات . والتدفق في إنشائها . واقتناء الكتب الكثيرة لبرائتها معها تلعب أثمانها وبعدها أوطانها . وتعتبر الأعداء على نفسها وتغلبها وجعلتها . ومن هذه المكتبات المشهورة مكتبة سيف الدولة الحمداني رحلت وكان الشاعر أبو بكر الحسوبري أمير عليها . ومكتبة أبي القاسم جعفر بن محمد بن حمدان في الموصل قبل الصفدي . - وكانت له في بيته دار علم . قد جعل فيها خزانة . فيها جميع العلوم . وقد على كل طالب علم . ولا يقع

(٢٥٩) وصل اليها الجزء الثاني منه فقط وطبع باسم « تاريخ ادب » في مجدين .

(٢٦٠) حقق ديوانه عبد الله محمد طه في رسالة جامعية بإشراف الدكتور عبد الوهاب الصرواني . أداب الموصل ١٩٨٥ .

(٢٦١) حقق ديوانه صاحب شؤون الزيد في رسالة جامعية بإشراف الدكتور بولس السامرائي . أداب بغداد ١٩٨٨ .

(٢٦٢) نشر ديوانه بتحقيقنا سنة ١٩٨٨ .

(٢٦٣) من كتبه المطبوعة ، رسالة الطيف ، وكشف الغم في معرفة الألفية . والشفرة الفخرية .

أحدًا من دخولها إذا جاءها . وإن كان معسراً أعطاه ورقاً . يفتحها كل يوم ويجلس فيها^{١٠٣١} . ومكتبة علي بن سوار من حاشية عضد الدولة في مدينة رام هرمز على شاطئ الخليج العربي . ومكتبة العزيز بالله الفاطمي في القاهرة وكانت تضم آلاف الكتب في شتى العلوم والمعارف . ومكتبة المدرسة النظامية . ومكتبة مدرسة المستنصرية في بغداد . ومكتبة الملك المعظم عيسى بن أبي بكر في دمشق . وكانت تحتوي كتباً نادرة وثمينة بعضها مخط مؤلفيها . وقد شاهدها ياقوت الحموي وأطلع على ثنائها . منها صحاح الجوهري . فقال : « ووقفت على نسخة للصحاح بخط الجوهري بدمشق عند الملك المعظم بن العادل بن أيوب صاحب دمشق . وقد كتبها سنة ١٣٣ ، ١٠٠٠٠٠ . وقال في موضع آخر عند ترجمته لأحمد بن أحمد العميدي المتوفي سنة ٤٣٣ هـ . « وله تصنيف في الأدب منها تنقيح البلاغة في عشر مجلدات . رأيته

بدمشق في خزنة الملك المعظم . خلد الله دولته . وعليه خطه وقد قرئ عليه في شعبان سنة ١٣١ هـ ١٧١١ » . ومن المكتبات الكبيرة في بلاد الشام . مكتبة حماد التي أنشأها الملك المنصور محمد بن عمر . وكان فيها من الكتب ما لا مريد عليه^{١٠٣٢} . وبقيت هذه المكتبة عامرة تنمو وتزداد إلى زمن الملك المؤيد إسماعيل بن علي الشهير بأبي الفداء . قيل أنها ما اجتمعت لغيره من سائر الفنون . فإنه اجتهد في جمعها من سائر البلاد شرقاً وغرباً^{١٠٣٣} .

ومن مظاهر الحركة الفكرية أيضاً كثرة المدارس التي أنشأها الخلفاء والملوك والأمراء والأثرياء . والاتفاق على طلبتها وأساتذتها . منها كانت خاصة لتدريس علم واحد كالحدیث أو النحو أو الفقه . ومنها عامة لتدريس جميع علوم اللغة العربية . ولم يمتنع ذلك من تدريس علوم أخرى إلى جانب المواد الأصلية كالطب والصيدلة والكعالة والهندسة والفلك والتاريخ والجغرافيا . وتعد المدرسة النظامية من أشهر المدارس آنذاك أنشأها في بغداد نظام الملك الذي سبق ذكره . ثم المدرسة المستنصرية

(٧٥٧) ينظر ملانكا (ابن حمدان الموصلی ٢٩٠ هـ - ٩٢٢ هـ) مجلة الجامعة . الموصل . العدد ٢ سنة ١٩٨١

(٧٥٨) معجم الأديباء ٢ ، ٩٧ .

(٧٥٩) معجم الأديباء ٦ ، ٩٣٨ .

(٧٦٠) فوات الوفيات ١ ، ١٢٠٦ .

(٧٦١) ثمرات الأورال ص ١٦٥ .

التي تبناها الخليفة المستنصر بالله . والنورية الكبرى التي أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في دمشق . وفيها قال الشاعر عرقلة الدمشقي (١٣١) .

ومدرسة مسيرس كل شيء ونفى في جمن علم ونسك
نفسوع ذكرها شرقاً وغرباً بنور الدين محمود بن زنكي

ولنورد الدين مدارس أخرى في الموصل وحلب واشتهرت المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي في القدس وهي عبر المدرسة الصلاحية التي أنشأها في القاهرة بجوار ضريح الامام الشافعي وقد معاهها السوطي بتاج المدارس . ومن مدارس دمشق المشهورة العزيزية التي أسسها الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي ثم أسسها أخوه الملك العزيز عثمان . ومن أشهر مدرسيها عبداللطيف بغداداي . وسيف الدين الأمانى شيخ المتكلمين في وقته . قال عنه ابن أبي أصيمة وكان إذا نزل وحل في المدرسة . وألقى الدرس والفقهاء عنده . يستجب الناس من حين كلامه في المناظرة والبحث . ولم يكن أحد يمانه في سائر العلوم (١٣٢) والأشرعية التي بناها الملك الأشرف موسى بن أبي بكر العادل ومن أشهر رجالها أبو شامة القدسي صاحب كتاب الروضتين . وفي أربيل اشتهرت المدرسة المنظيرية التي أنشأها مظفر الدين كوكجيري . ولم يكن حظ النساء بأقل من حظ الرجال في إنشاء المدارس مثل المدرسة الخاتونية في دمشق أسسها عصمة الدين بنت معين الدين أنروجه نور الدين محمود . ومدرسة الفردوس في حلب أنشأها مؤمنة خاتون بنت أبي بكر العادل ورثت فيها خلقاً من القراء والفقهاء وكتبت على حائط فنانها بعد السلسلة آيات من سورة الزخرف (١٣٣) . وبنت مؤمنة خاتون بنت الملك المظفر نفي الدين محمود مدرسة في حماة ووقفت عليها وقفاً جليلاً وكتب (١٣٤)

لقد كانت المدارس كثيرة لا يمكن ذكرها جميعاً (١٣٥) . ويستطيع الباحث أن يتف على أسماء منشئها والعلماء والأدباء الذين نرسوا فيها في كتاب . المدارس تاريخ المدارس . للتعميم .

(١٣١) ديوان عرقلة الكلبى ص ٧٠

(١٣٢) عيون الأنباء ٢ : ٩٨٨ .

(١٣٣) خطط الشام ٩ : ١٠٢ .

(١٣٤) خطط الشام ٦ : ٨٦ .

(١٣٥) ينظر بحثنا (التعليم في ظل المولتين الزنكية والأيوبيه) . مجلة آداب الراحمين .

العدد ٦ سنة ١٩٧٩ .

ومن المؤلفات التي نشرت نشر العلم والإقبال عليه ازدهار صناعة الورق في العالم الإسلامي وكانت بغداد ومصر من مراكز هذه الصناعة. ومن العلل من كان يسخ الكتب بعه ومن كان ينسخها لغيره بالأجرة وزدهر الوراقة. وحصل تجماع الكتب نواح "عللها والأدباء إلى الانقراض. وقد أوردت المصادر أخبارا كثيرة عن الوراقين. وأثارت أسماؤهم لاسعة تداولها هذه المهنة واتعمدها وسيلة العيش والاحتمال على المال. فذكر منهم: أبا سعيد السبراني (ت ٢٦٠ هـ) وكان لا يأكل إلا من كسبه يده. ولا يخرج من بيته إلى مجلس التحكم. ولا إلى مجلس التمرس كل يوم إلا بعد أن يسبح عشر ورقات. يأخذ آخرها عشرة دراهم. تكون قدر مؤونه ثم يخرج إلى مجلسه. ١٣٨١ وأما الفرج محمد بن اسحاق المشهور باسم النديم (ت ٣٨٥ هـ) وكان ورقا يبيع الكتب ١٣٨١. وهو صاحب كتاب الضمير. جمع فيه أسماء الكتب التي عرفت باللغة العربية حتى أواخر القرن الرابع للهجرة. وأما حيان التوحيدي (ت ٤١١ هـ) الذي قال عن نفسه: لقد استول على تحريف. وسكن مني بكد الرومان. إذ الحظ الذي لا استرزق مع صحة نظري. وتبيد خطي. وتزويق بحبي. وولاته من التصحيف والتحريف بمنزل. يسترزق تلميذ الذي يسبخ السبخ. ويسبخ الأصل والضرع ١٣٨١. ويعيش ابن محمد الأزري (ت ٥٥٥ هـ) وكان - كما يقول ياقوت - أديبا. في العربية. مليح الخط. سريع الكتابة. كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب. يحداد فلا يفوم من مجلسه حتى يكتب المنصب بطلب ويبيعه ١٣٨١. وموهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٥٠ هـ) وكان دقيقا في عمله كثير الخط. وخطه مرغوب فيه. يتنافس الناس في تحصيله. والمغالاة له ١٣٨١. والشيخ سعد بن علي الحظيري الوراق الملقب بدلال الكتب (ت ٥٦٠ هـ). وهو عالم حليل له مصنفات كثيرة وكان له دكان خاص في سوق الوراقين ١٣٨١. وصدقة بن العباس (ت ٥٧٢ هـ). وقد نسخ بخطه كثيرا للناس في

(٧٧٧) الباء الرواة ١: ٢١٢.

(٧٧٨) معجم الأدباء ٦: ٨٠٥.

(٧٧٩) معجم الأدباء ٥: ٢٨٤.

(٧٨٠) معجم الأدباء ٧: ٢٩٦.

(٧٨١) الباء الرواة ٢: ٢٢٤. لأهل طبقات المشايخ ١: ٢٠٥.

(٧٨٢) الفردية. اسم المزال ١: ٢٨٠.

سائر الفنون (١٣٨) وعني بن عبد الرحيم بن الحسن المعروف بأبي العصار (١٣٩) هـ). وكانت طريقته في النسخ حسنة والناس يتشامسون في حفظه ويغالون به. (١٣٩٠)

من نسخ الكتب وبيعها شملت مختلف العلوم الشرعية والعقلية والعنون والصناعات والطبيعات والرياضات والجغرافية والطب والأدوية والعقاقير والنبات والحيوان والمعارف والموسيقى والغناء والتصوير والنقش وسواها.

لقد بقي العالم الإسلامي متماكماً من الناحية الثقافية وإن كان منقسماً سياسياً في عصر البويهيين ثم السلاجقة. فالثقافة العربية كانت لغة أدباءهم ولغة أعلامهم في بلاط الأمراء على مختلف لغاتها وأجناسها. وسبب ذلك أنهم لم يضرخوا إلى اللغة العربية على أنها لغة غريبة فأتبعوا ترفيع لغتهم عن لغتهم. وتنتشر بشح من حكاهم ثم تزداد وتتلاشى عند ضعف نفوذهم. ولكن على أنها لغة ذلك الذين الجدد الذي أرضته العائلية من أهل تلك البلاد. لغة القرآن الكريم المعجز بأسلوبه ومعانيه معاً وثلاوته والاستماع إليه. ودراسته عبادة من العبادات. ولذا نجد اللغة العربية تنتشر بين الطبقات المتفجرة. وتعتبر لغة الكتابة. والأدب نظاماً وتراً بين جميع الأقوام (١٣٩١)

(١٣٩) ذيل طبقات السعديين ١، ٢٢٩.

(١٣٩٠) إنباء الرواة ١، ٢٩١.

(١٣٩١) ينظر تاريخ الفهر العربي للكفراوي ١، ٢٢.

الموضوعات الشعرية :

كثُر عند الشعراء . وغرر نجاحه . في العصر العباسي الثاني . وقد عاتقني ظل
 الخلافة في بغداد . أو في ظل الملوك والأمراء في الممالك وتدويلات التي قامت
 آنذاك في الشرق والعرب . وكانوا من أجناس متباينة وأقوام مختلفة تجمعهم اللغة
 العربية التي كانوا ياجلون به قلوبهم شعرا ونثرا

إن الأغراض الشعرية في هذا العصر غالباً ما كانت امتداداً لما هي عليه في العصور
 السابقة . ومن يرجع إلى المؤلفين الشعرية والكتب الأدبية يجد كفة المديح هي
 الراحة وكنية هي الانتفاة . ولعل ذلك يعود إلى كثرة المفاصل الذين سحروا
 شعرهم لكسب العال والجاه . حتى أن الكثيرين منهم في أواخر العصر العباسي
 اختصوا بالخطباء عرفوا بشعراء الديوان (١) كانوا يتقاضون أجوراً شهرية من الدولة
 وينالون عطفاً وعذاً من أئمة أنفسهم في مسائل كثيرة . ومثال على ذلك
 الشاعر أبو العباس عبد بن محمد الحمصي المعروف بـ . حيص يص . فإنه قال
 من المستضيء بأمر الله على أبيات مدحه بها حين تولى الخلافة ثلاث مئة دينار
 وخمسة وسبعة كبيرة . منها فونه : (٢)

أقول وقد تولى حـ مستضيء
 وقد كشف الظلام مستضيء
 وفاس الجود والمعروف حتى
 بلعنا نوى ما كنا نرعى
 ولانسى في هذا المجال دور حريق من رؤساء الدويلات آنذاك في احتذاب
 الشعراء وأيوأهم والانتفاة عليهم وتحفيزهم على نظم الشعر . مثل سيف الدولة
 الحمداني . فإنه سرب دنائير خاتمة المصلا . ورن كل دينار عشرة مثاقيل وعليه
 اسمه وصورة . فأمر يوماً لأبي الفرج البغدادي عشرة دنائير . فقال ارتجالاً .

(١) ينظر انجم المصنوع ٩ ، ٩٩ .

(٢) ديوانه ٢ ، ٩٢٩ . ولنظر الطريفة . قسم المراثي ١٠٠ ، ٢٩٠ .

بحسن بجمود الأمير في حرمه . مرتفع بين السعود والنجد .
أبدع من هذه الدناير الم يعمر قديماً في خاضر الذكر
فقد غدت باسمه وعورته في دهرنا عودة من السعديين .

فراة عشرة أخرى (١٧٨١) وكانت للمتنبي منزلة خاصة عند هذا الأمير . فقد
كان يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف ديناراً ثلاث قصائد بنشده إياها كل عام (١٧٨١)
ودفعت هذه التهمة أن تنشيء بديع الزمان مقامه سماها . العظمة الحمداية . .
صوّر فيها حود سيف الدولة ورمه لجلاله والمقر بين منه . (١٧٨١)

ومن الرجال البارزين المشهورين باكرام أرباب الفكر . صلاح الدين الأيوبي .
فإنه كان لا يرد غاصداً ولا بصداً وافداً . وقد تجسّع حوله عدد كبير من الشعراء .
يمدحونه ويشيرون منابه . وينشرون بطولاته . حتى نعتة أحدهم برب
الملاحم (١٧٨١) .

رب الملاحم لم يوزع مثله الك طعة قدمها في قديم الأعمار
من رام من كلى القلوب مرارة تحقق ماعيه ويكث ويغتر
وأشاد آخر بكرمه وكثرة عطائه . فقال . (١٧٨١)

محرمه أكشفه لوفوده والعلم مخمر الذوائب أنهد
أرض روص المكرمات أريضة وشرى بنوار الفضائل قفس
صبي بتسييد المعائم متعصب فيها ومن شاد البائر بتعصب
مستكث - جاباذ القلوب محنة إلى الكريم إلى القلوب معنيت
كشف فكيف الحادثات وراحة ترواخ للجنوى وقلت قلب
بك يا صلاح الدين يوسف أكتب ال مائي ورف المقتدر المجد
وأفعلت سواً للمدائح مريحا فيليه ألقاف الفضائل تخلت

إن الشعراء الملاحين يبالغون - في الغالب - في كرم العداوح وعطائه فيجملون
بده كالميت أو البحر مثل قول الأبيوردي في الوزير نظام الملك الحسن بن
علي (١٧٨١) :

(٧٧٨) شمة الدهر ١٠١ ٢٩

(٧٧٩) الصباح المنية عن حبيبة المتنبي ص ٢٩ .

(٧٨٠) تنظر مقامات بديع الزمان ص ١٥٨ .

(٧٨١) ديوان قتيان القاهوري ١٤٦ .

(٧٨٢) ديوان سيوط ابن المتناويسي ص ٢٩ .

(٧٨٣) ديوان الأبيوردي ١٠١ ٢٩ .

ويحدث من راحته الغمام إذا من نائلة الضباب
 أنتى في التـ ساحة مالم يدع لأهل السدى برا تمحب
 وقد شاد أبو المعري نية على أولئك الذين ينخدون من صناعة الشعر مجالا
 للتكيب. فقال : ومن بني أن يتكيب بهذا الفن . فقد أوع شربة في شرب ١٣١١
 غير ثقة على التوديع. بل هي مع في صاحب خديعة ١٣١١ ووقف . في الأبيات الآتية
 دافدا أولئك الشعراء المنكسر . وقال ١٣١١

لا حـــــــير في جزك الغشاء أنتى رحلا بأن كلامه حزن
 برجو فبمدح غير مرتقب ربا . وكلُّ مقالة إرلى
 شمرت بيوف الفول طائفة كذب وأفضل منهم الغزل

وتبع تمدح التوي في أواخر العصر العباسي ولعل سوء العناية الاجتماعية
 وتدور الأوضاع الاقتصادية وجشوم الخطم على البلاد من الأعداء الطامعين في الشرق
 والغرب كان وراء هذا انشوع ١٣١١ . فإن الشعراء توجهوا إلى الرموز طليين منه
 العون على دأصاتهم مثل قول الشيخ الزاهد الضير يحيى بن يوسف
 الضصري (١٣١١)

أشكو إليك وأنت تعلم فـه كادت لها العلم التلات تصدغ
 فبمن أنرك واصططك فأحزن أن شعبي عليك فعوض فضلك منغ
 سل حمر أعنك الكسيرة إنه له يبي في قوس التجلب منغ

ومن العون التقليدية في هذا العصر انهجاء إذ لم يسلم منه الملوك والأمراء
 والبرراء والفضاء والحجاب وكذب الديوان ... ومصدرة في الغالب الغض والكراهية
 والتحدر والخنافة . وقد حاول الشعراء في هذا الفن تجريد المهجورين من الفضائل
 والمجند . مثل قول أبي اسحاق إبراهيم بن عثمان الغزلي في هجاء أحد ملوك
 بلاد فارس واتهامه بالقوم والاحتياك والكذب والبخل (١٣١١)

(٧٨٤) [الفن ، القرية البالية .

(٧٨٥) [رسالة القفران ص ٤١١ .

(٧٨٦) [اللزوميات ٢ ، ١٦٢ .

(٧٨٧) [ينظر بحثنا [السالف النبوة في عصر الصروب الصليبية] مجلة أداب الراعيين ،
 العدد ٤ سنة ١٩٨١

(٧٨٨) [لغوات الوليات ١ ، ٢٠٤ .

(٧٨٩) [ديوان الغزلي ص ٢٦ لفظاً عن الحياة الأدبية في القام ص ١٠٦ .

رأيت يوماً قصوراً رجلاً
 على سرير كالشمس لأرسلت
 وهو عروس كالقمر مجتمعت
 إن لم تكن همة فإن له
 يفرح ما دام ضيقة وبنت
 يلهث القلب منه بالجوع وال
 فحدثته الاحتيال والكذب
 يعلوه من هيسجة ولا رغبت
 يكاذ من قسح حلقه يثب
 ههمة في حلالها ضخت
 من الخبز قمل الذوق يكتسب
 يفتوت في الساج منه يلهث

ولما شعراء أوغلووا في أحاجيهم في القبح والنفذ ورخص القول ونزى
 التكلد. ومن أكثره شراً وأقصرهم لساناً وأشده على الناس جرأة على بن محمد بن
 نصر بن منصور بن بشار. قال المسعودي: . . كان شاعراً لساناً مفضوعاً في الهجاء .
 ولم يلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير . وله هجاء في أبيه وأخوته وسائر
 أهل بيته . فمما قاله في أبيه :

بنى أبو جعفر داراً شهدها ومثله تحير الصور بناة
 فالجوع داخلها . والذل خارجها . وفي جوارحها يؤس وضراء
 ما يسمع العار تشريد حائطها . وليس داخلها خير ولا ملاءمة . (٢٠)

ومن المشهورين بالهجاء أيضاً الشاعر أبو الفتح الحسين بن الحسين المعروف
 بالواسطي . فإنه كان يخلق لحصونه قصصاً مليئة بالفاظ سخيفة ومعاني سوقية
 مرفولة وهو في نظر الثعالب . أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء . وكان في زمانه
 كابر الرومي في أوائه (١٣٠) . وقصائده في هذا الفن طويلة جداً . وقد بلغت أحداها
 مئة وأربعة وتسعين بيتاً . وكذلك اشتهر بالهجاء المقفع الملقب بالثقة أبو عبد الله
 محمد بن بختيار المعروف بالأبنة البغدادي (١٣١) . وشرف الدين محمد بن نصر
 المنصور بابر عيسى . فله أحاج كثيرة في شراف الناس وشرائهم (١٣٢) . ولم يتورع من
 نظم قصيدة منحطة سافلة تقبح النفس من سماع صورها سماعاً . بقراض
 الاعراض . .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك شعراء كباراً لم يعطوا للهجاء اهتماماً بالفن . لا
 يجد شيئاً ذا شأن في ديوان الطغرائي والارحاني والأبيوردي وطاهر الحداد والبهاء

(٢٠٠) مروج الذهب ٢٠٠ : ٢٠١

(٢٠١) تنبيه الدهر ٢٨١ : ٢٨٢

(٢٠٢) ينظر ديوانه ص ٧٦ - ٨١

(٢٠٣) الباب السابع في ديوانه كله ص ١٧٩ - ٢٢٨

زهير . ونزّه اخرون دواوينهم منه أمثال علي بن مقرب الغبوني . والشريف أبي الحسن علي بن الحسين الفقيلي . وأبي بكر أحمد بن سعيد الغساني المعروف السطالي . وأسامة بن منقذ . وابن الدهان الوصلي . وابن النبيه المصري ...

ولسوء الأوضاع الاقتصادية وندهور الحياة السياسية ولاسيما في القرن الرابع للهجرة . عاش كثير من الناس في شظف العيش . ينجرعون مرارة البؤس والحرمان والام الجوع والهوان . وقد لجأت فئة منهم - تحت وطأة الفقر - الى الاستعداد والاحتياط على امتراز الأموال بطريقة خاصة . يدعون أهل الكدية أو السابيين وظهر فيهم شعراء مجيدون مثل أبي الحسن عقيل بن محمد الملقب بالأحف العكبري . وصمير بن مهلهل المعروف بأبي ذلف الخرجي . كانوا يضيرون في شعرهم الحالة المريرة التي هم فيها . وتنقلهم من بلد الى آخر مشردين . يطوي بطونهم الجوع . هالعين بلا مكن . بلغة تثير العطف والشفقة وتستدر العون والمساعدة . مثل قول الأحف العكبري (١٣١) :

العنكبوت بذت بيتاً على وحن تأوي إليه ومالي مثله وطن
والغشاء لها من جنبها سكرٌ وليس لي مثلاً ألف ولا سكر (١٣١)

ويلعن القاريء في شعرهم استقداً ولاسيما لفئة الحاكمة التي ملأت حيوجاً بالمال والجواهر وتركزت الناس في فقر مدقع مثل قول العكبري (١٣٢) :

تري البغيان كالذهب المصفي تركب فوق أفعار الدواب (١٣٢)
وكبي منه جلتو مثل كفي أما هذا من الغنچ الفحاب ؟ .

إن الثورة على الواقع الاجتماعي في ذلك العصر دفع عدداً من الشعراء أن ينظموا قصائد . مظهرين فيها معاناتهم في محاربة الحالة المأساوية التي يمرّون بها من غفلة وضنك . مثل محمد بن عبد العزيز الوسي الذي دبح قصيدة طويلة تربو على أربعة بيت . شرح فيها الظروف العسيرة التي يتعرض لها في ظل القهر والحرمان (١٣٣)

(١٣١) يقيمه الدهر ٢ ، ١٢٢ .

(١٣٢) سكر ، زوجة .

(١٣٣) يقيمه الدهر ٢ ، ١٢٤ .

(١٣٤) اللز ، السير الذي في مؤخرة السرج .

(١٣٥) يقيمه الدهر ٢ ، ١٢٢ .

وظهر إلى جوار شعر الكندية . شعر هزلي عليل ماحن (١٣١) . نتيجة شيوخ البطالة . وحشو الفساد الاجتماعي والشرطي الخلفي في جانب من المجتمع آنذاك . فلم تنور طائفة من الشعراء من أن تخلع قناع العشمة والوقار وتلج باب السخف والدعارة . متخذة هذا اللون من الشعر وسيلة للارتقاء وكسب المال . فصاحت به أهل اللهو والقراع من الرؤساء والأغنياء . ولعل طريقة هذه الطائفة امتداد لطريقة أبي دلامة زيد بن الجون الذي غرّف بنوادره ومجونته زمن السعاج والمصور والمهدي (١٤٠) . وقد اشتهر بها في القرن الرابع أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج البغدادي . ومحمد بن عبد الله المعروف بابن سكرة الهاشمي . وفي القرن الخامس الشريف أبو بغلى محمد بن صالح المعروف بابن الهبارزة . وفي القرن السادس جبة الله بن الفضل المشهور بابن القطن . ولم يكن هؤلاء الشعراء مقتصرين في الموضوعات الشعرية الأخرى . ولكنهم تعلقوا على الدعابة والمكايهة والمجون . لأنه وجدوا فيها نغماً ورواجاً . وقد صرح بذلك ابن الحجاج . فقال (١٤١) .

لو جد شعري رأيت فيه كواكب الليل كيف نثري
وانما غزلت في سجون بيبي في المصائر أمري

ومن مظاهر الفساد الخلقي في طرف من المجتمع ذبوع الغزل بالفلان . الذي غرّف من قبل على يد أبي نواس ومن سار في ركبه . وقد لاحظ آدم متر هذه الظاهرة فقال : .. لاشك أن الغزل الذي قيل في التولّع من هوى الفلانة يعادل ما قيل في هوى النساء على الأقل (١٤٢) . ونحن لا نستبعد ما ذهب إليه أحد الباحثين من .. أن كثيراً من الشعراء قد استعملوا صمائر المذكر مع أنهم في الواقع كانوا يوجهون شعرهم إلى معشوقات لا إلى معشوقين (١٤٣) . أو أنهم كانوا ينظمونه نظراً (١٤٤) . مثل قول الشاعر صالح بن رشدين (١٤٥) :

(٧٩٩) ينظر الأدب في ظل بني هوي ص ٢٤٨ - ٢٩٠ . الشعر العربي في العراق وبلاد الشام ١٩٠٢ . عصر الدول والإمارات ص ٢٩٩ . الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص ٩٣٧ .

(٨٠١) ينظر أبو دلامة الرجل الطاهر والناقد السافر ص ٩٩ .

(٨٠١) هجته الدهر ٢٠٢ .

(٨٠٩) المضارة الإسلامية ١١٠٩ .

(٨٠٩) تاريخ الشعر العربي للكفراوي ٢٠٢ .

(٨٠٩) الحياة الأدبية في الشام ص ٩٩ .

(٨٠٩) هجته الدهر ٢٠٢ .

أنت أعظم شئسي إليه لك وأمر كبيرني دعا
وإذا شئت أن يرى عاشق مني طمعا
فلنرى من... مني ناظر... لك مني حشني توفعا

والى جانب الغزل بالذكر نجد الغري، شعراً في الموت. وقد جاء في مقطوعات وقصائده مثله. أو في مقدمته، بعض القصائد المدحية. ومن عبود هذه المقدمات ما قاله ابن الخياط الدمشقي (١٠١١).

خدا من جدا بعد امداد القلب فقد كاد ربهما يظير بلده
واباكيم ذاك التميم فبنة اذا من كان الواحد أير حظه
حليتي: لو أحببتنا لمعلمنا محلي الهوى من فخرم القلب صبه
ندكر والذكرى تنوق وفو الهوى يتوق ومن يعاقب به الخلد بصفه
تم يصف الحية وعدا حياً بذكر تزارعها ورضايها وزيارته لها ومكوثه عندها
بلغة رفيقه عذبة. وقد استحسن ابن خلكان هذه القصيدة وعدها من الغرر. وراى
أنه لو لم يكن للشاعر غيرها للكفاه ذلك (١٠١١).

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالغزل الرقيق البسيط المتك الأبدي محمد بن
الابوي. إذ بلغ فيه دروة نضجه الفني انشغاع بالذاتية والطبع الفريد (١٠١١). وحده
الدين الصايفي الاربلي الذي يمثل - كما يقول الدكتور شوقي صيف - مرحلة
جديدة للغزل بالبدويات الذي قرأناه عند النسيب والشرف الرضي ومهيار وكاف
الصايفي الصوعب عزله. ونحمله نمثلاً لغيره (١٠١١). مثل قوله (١٠١١):

نظمتي وإن لم أقف منها مازياً أعر إلى فاني خديلاً وصاحباً
وأنتقني من داره لاء غلة وأعي من الدما لقلبي مواهباً
أخف عليها من عيون وأحبابها واحد عنها حين تقبل حبيباً
وفي شعف لا يبرح الدهر قلداً زمانني اليه دلت عليه جذباً

(١٠١١) ديوانه ص ١٧٠.

(١٠١١) وفيات الأعيان ١٠١١.

(١٠١١) ينظر ديوانه بتطبيقاتنا. وبمك الدكتور مصطفى جواد وأقول شعراء الكرد في العربية
المجلة (الأمجد) مجلد الكتاب، المجلد ١٠١١ سنة ١٩٥٨.

(١٠١١) عصر الدول والامارات ص ٢٩١. وينظر بحثنا [حسام الدين الصايفي الاربلي، حياته
وغيره] مجلة ادب المستعصرية - العدد ١٠ سنة ١٩٨٥.

(١٠١١) ديوانه ص ١٧٠.

أَعَادَتْ سُلْمَى بِالتَّطْبِيعَةِ وَالْحَمْدِ أَيْضَكَ أَنْ تُهْدِي إِلَيْهَا لَمَعَاتِهَا
وَأَقْبَلْ لَوْ أَنَّ الْمَنَابِإَ بَكَفَّهَا كُؤُوسٌ وَأُضَاهَا لَطَائِلٌ مِثَارِبَا
أَجَلٌ نَظَرًا فِي وَجْهِهَا نَرَّ نَهْجَةً أُنْسَى قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ الْمَحَارِبَا
أَطْلَلْتُ مِنْ سُلْمَى مَدْبَلَا وَأَتَفَتِي خُلُوعًا إِلَّا لَأَمَلْتُ قُدْرَتِي طَالَمَا

بِإِنْ شَاعِرِيَةِ الْحَاجِرِي فِي الْغَزَلِ فَيُخَصِّصُ . تَرْفَعُهَا عَاطِفَةٌ صَادِقَةٌ . وَخَالِ خَدَبِ .
وَمِيدَانِ هَذَا الْغَزَلِ فِي الْحِزْمِ الْأَكْبَرِ مِنْ تَعَرُّهِ الدِّيَارِ الْحَضَارِيَّةِ . فَمَرَاهُ يَذْكُرُ - عَلَى
طَرِيقَةِ الشَّرِيفِ الرُّضَيِّ فِي حِجَازِيَّتِهِ . وَأَيْمَى الْمَظْهَرِ الْأَبْيُورْدِي فِي نَجْدِيَّتِهِ -
مِلَاحِبِ عَالِجٍ . وَرَمَالِ كَاتِلِمَةِ . وَالْعَذْبِ . وَحَاجِرِ . وَمَرَاغِ رُضْوَى وَالْعَذِيقِ .
وَهَاتِنَتِهِ الَّتِي تَسْكُنُ هَذِهِ الْمَوَاقِعَ أُنْتَبِخَ مِنَ الْمَاءِ الْفَرَاخِ . وَأَطْيَبَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ وَمَرَاغِ
وَحْتَهُ لَهَا دَائِمٌ بِلَا اعْطَافٍ . وَوُثِيقٌ بِلَا انْهِيَامٍ مَهْمَا كَلَّفَهُ ذَلِكَ مِنْ أَدَى وَيَحْتِ
وَقَامَ . لِأَنَّهُ أَلْفَهُ كَمَا يَتَلَوَّى التَّوَلَّدَ الرِّصَاعِ . وَيَعْنِي إِلَيْهَا حَتِيرٌ . تَتَلَوَّى إِلَى مَرَاغِ
جَنْبِهَا . ١٨١١

الْفَتْرَتَانِ إِنْهُنَّ التَّوَلَّدَتَا الرِّصَاعَ . وَقَدْ يَأْتِيَنَّ الرِّصَاعُ الْعِظَامَ
رَأْسًا كَمَا يَأْتِيَنَّ الْمَاءُ بِكَسَاتِ الْفَرَكَاتِ . وَحَبِيبَاتِ يَبْرُذُ مَعَى الْأَوَامِ
وَأَحْوَى إِلَيْكَ حَبِيبِ الْمَاءِ لَهْنٌ بِأَكْثَرِافٍ سَجْدَ غَرَامِ

وَدَخَ فِي هَذَا الْعَمْرِ لَوْ أَنَّ مِنَ الْعَمْرِ يُعَبَّرُ عَنْ صُورِ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْعَمَلِ الْمُتَقَيَّةِ
بَيْنَ الْمُحَلَّانِ وَالْأَسَدِ . يَنْطَلِقُ الشُّعْرَاءُ فِي الْمَدَائِبِ الْمَفْرُغَةِ وَالْمَحْرُورَةِ . وَبَعْدَ
عَلِيهِ الْمُفَضَّلَاتِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا كَسَدَهُ أَبُو فَرَّاسٍ التَّحْمِلَانِي إِلَى أَحِبِّهِ أَمِيرِ الْهَجَاءِ حَرْبِ
بِإِنْ سَعْدَ . ١٨١٢

حَلَفْتُ مِنَ الْعَجْدِ أَعْلَى مَكَانٍ . وَبِإِلَهِكَ اللَّهُ أَقْسَمِي الْأَمَانِي
هَذَا لَكَ لَا عَمَلُكَ الْعُلَى أَحْ لَا كَأَخْوَةِ هَذَا الرَّمَانِ
صَدُوكَ فِي الْبَعْدِ مِثْلَ الدُّنَى وَوَدَّكَ فِي الْقَلْبِ مِثْلَ الْفَتَنِ
كَمَدُوا اخْوَتَا دُنَى ذَا كَمَا كَمَيْتُ بِالْكَلَامِ الدَّجَانِي

وَأَمَّا نَسَقُ نَعْرِ الْبُشْكُوفِ الَّتِي عَزَّ بِهِ الشُّعْرَاءُ عَنْ مَشْكَالَتِهِمُ الْحَاضَةِ . وَلَا يَسِيحُ
قُودُ الْحَيَاةِ وَمِنْهَا . وَمَدَائِلُ الْعَنَانِ وَسُوءُ الْحَالِ الْاِقْتِمَادِيَّةِ . وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ
يَلْفِي الْمَوَدَّ عَلَى الرَّمَانِ وَيَدْعُو حَبِيبَهُ عَلَى الْمَدْحِ . مِثْلُ قَوْلِ ابْنِ بَيْتَانَ الْعَدَنِي ١٨١٣

(١٨١١) دِيوانه ص ٣٣١ .

(١٨١٢) دِيوانه ص ٣٩٧ .

(١٨١٣) دِيوانه ص ٣٩٧ .

ومن الأغراض الشعرية الواسعة في هذا العصر الرثاء . وبلا حظ ان الغامبي فيه
 لا تكاد تخرج عما تروح عليه الشعراء السابقون من ذكر مآثر الفقيده وما حالف من
 حزن ونسى في القلوب . وبعد أبو الحسن انتهت من الشعراء المميزين في الرثاء .
 فله أربع مراثيات في أبيه أبي الغضل تغني بالصدق المتزوج بالآلم الشديد . ولعل
 أكثرها شهرة قصيدته التي سمونها بقوله (١٠٠)

حكيم الله في البرية جاري	ما هذه الدنيا..... يا بدار خراب
طبع على كبري وأنت نريدها	صفوا من سبي الأقدار والاكار
ومكلف الأيام ضد طابعها	منطلت في الماء جدوة دار
والعيش يوم والية بفظة	والمرء بينهما حبال سري
هو صوامد كبد مجلا نكد	أعماركم سمر من الأعمار
ليس الزمان وإن حرقت مالم	خلق الزمان عداوة الأحرار

وقد زالت هذه القصيدة استبان أبي الغلاء المعري . وكان يستشهدا من يرد
 عليه . وقد استندعا التهامي نفسه دون ان يعرفه . فلما أشدها عرف انه التهامي .
 ونهد له بأنه شعر الشام . وعلل معرفته بالتهامي بقوله سمعت من القصيدة
 سمعا يدل على ان صاحبها بخلاف معاني أياها من غيره (١٠١) . وراعا أبي
 خلكان في غايه الحب (١٠٢)

ومن الملاحظ في هذا العصر رثاء العنكب ، والادباء والمكاه عليه بقصائد تصور
 خسارة الأمانة فيهم وخلو ساحة المعرفة منهم . ومن أوضح الأمثلة على ذلك مناقبه اس
 أبي خضينة في رثاء أبي الغلاء المعري (١٠٣)

العلم بعد أبي الغلاء مضى	والأرض خالية الجوانب بطنع
أردى وقد ملأ البلاد غرائب	تري كما تري النجوم الطلغ
وعجبت ان تسع المعوز قبره	ويضيئ بطن الأرض عنه الأومع
تسمرم الدنيا ويأتي بسعفه	أما ونست دمتله لاتسمع

(١٠٧) ديوانه ص ٤٧ .

(١٠٨) أوج الشعر ص ١٢٧ .

(١٠٩) وفيات الأعيان ٢ ، ٣٧٩ .

(١١٠) ديوان أبيه حسين ١ ، ٣٧٢ .

وكان رثاء أبطال الحروب الصليبية وتمجيد مآثرهم نصيب وافر من الشعر . ولا يبدأ في رثاء عماد الدين زنكي . ونور الدين محمود . وسلاح الدين يوسف بن أيوب وعمل قصيدة العماد لأصبهاني التي بلغت مئتين وأثنين وثلاثين بيتاً في رثاء صلاح الدين من أطول القصائد التي نظمت آنذاك . ومطلوها .

تعلّ الهدي وتلكم عه شدة والدهراء وتقلعت حذقة
 أنها قصيدة جيدة في رويها . فهي بحكي - في معرض الحزن والأسى - فتنة
 طلل عاش حياته كله في بطل وكفاح من أجل أصدق الحق وأصدق الدامل . ودفع
 الأذى عن الأملين ورفع الحيف عن المظلومين

بعد هذه الأهمية الموحزة في فنون الشعر نفق عد الشعر القومي . ووصف
 الطليعة وشعر التصوف . وقفة طويلة كما هو مخصوص عليه في معررات خطة
 الكتاب

الشعر القومي :

وقعت الثورة العنيفة بعد العز والرفعة والإيلاء والشم تحت نير الحكم
 البويهي ثم السلجوقي . واستولى الأعاجم على مقاليد السلطة . وأصبح بأيديهم الحال
 والشذ . وحدث الطمع بين بعض رجال العصر آنذاك . وأتطعتوا لأنفسهم أجراء من
 حم هذه الدولة وأقاموا عليها إمارات مستقلة . وتصاعدت ثورات شعبية حادثة على
 تفويض السلطان العربي الإسلامي . وقد هزت هذه الأحداث المريعة مذاهب الضمراء
 الشراء ودفعتهم إلى نظم شعر العصر عن الألم الذي أصابهم من جراء ذلك .

إن بؤادر الشعر المعبر عن الوعي القومي ظهر في قصائد الشعراء المطالبين أبي
 تمام وأبي عمادة البحرني . إذ نجد في شعر الأول أسماء عدد من القادة العرب الذين
 سطرروا أروع ملاحم البطولة والشجاعة والشهامة والفروية . أمثال الخليفة المعتمد
 بالله الذي نسي نداء المرأة العربية التي صرخت . وامعتصموا . وأبي ذؤيب المعجلي
 ومحمد بن حميد الطائي اللذين حاربا يابك الخرمي . وأبي سعيد محمد بن
 يوسف الخفري القائد المظهر الذي بلغ أسوار القسطنطينية . وخالد بن يزيد الطلل
 النهر الذي قاتل الروم ببسالة . وكذلك تنجل في شعر البحرني الروح العربية
 الأصلية والدواع عنها وعن قيمتها ومبادئها ورجالها . وتعد مثل هذا في شعر أبي

المر . ولا سيما مقالة في التخلية للمعتز . إذ - وجد فيه الشخصية المحبة إليه بما
انطوى عليه من شجاعة فذة وحكمة سياسية ذائفة وكراسات كثير من التأثيرين
والأحارجين (١٨٣٦)

إن التجربة التي أصابت الأمة لذلك . وصياح وحندتها . ونشئت ضلها . ودهاب
هيتها . آثار حبيطة الشعراء الغيورين . وكان أبو الطيب النسبي من أبرز هؤلاء
الشعراء . إذ نراه يتفنى بالمجد العربي . ويتوق أن يرى العرب سادة بلادهم .
وحاكمي ديارهم . وقد أشد شعرة الذي يعبر عن هذا الاحساس من خلال شخصية
سيد الدولة الحمداني الذي . رأى فيه رمز دولة العرب المفقودة .. والدرع الذي
يحمي البلاد العربية ضد دولة الروم الشرقية . ومداخلة له تعد في الذروة لا من
تعره وحده . بل من الشعر العربي عامة . فقد صور فيها وقائع وحروبه تعمويرا
تتبع فيه البهجة والاعتزاز بالعرب والعروبة (١٨٣٧) . مثل قوله (١٨٤١)

رفعت بك العرب العمد وصرت
أسباب فخرهم اليك وانما
ألسان أصلهم إلى عدائي
وقوله (١٨٣٧)

إذا العرب العرباء رايت سادحوها
فأنت فتاتها والمليدك الحلجاني
أطاعنك في أرواحها وتصرفت
بأمرك وانتفت عليك القتالي
وكان النسبي يرى أن أمته لم يستقيم أمرها وتستعيد مجدها التلي وأيام عزها
وفخارها المجد بلاد حكامها من غير أهلها (١٨٣٩) .

وانما الناس بالملوك وما
تفعل غروب ملوكها عجم
ومن الشعراء الذين يلجس في شعرهم الغيرة على قومهم أين بيته الممدي . إذ نراه
يتألم من سيطرة الأعاجم ولا سيما في قصيدته التي يقول في مطلعها (١٨٤١)

(٨٣٢) شعراء العصر . القسم الثاني . ص ١٦٤

(٨٣٩) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢٠٦

(٨٣٤) شرح ديوان المتنبي ٢ : ٤٢٩

(٨٣٥) شرح ديوان المتنبي ٢ : ٩٥

(٨٣٦) العرب العرباء . القديسة العالمة . وإزات . اختيرت وجررت . الصالح . السيد .

(٨٣٧) شرح ديوان المتنبي ٢ : ٢٢٠

(٨٣٨) ديوانه ١ : ٢٥٤

أعذر قومــــي والزماخ تــــ. علوي وذلك خطت في الزمان عظيم

وانتهر في هذا الميدان أحد الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان الشهير بأبن
جوس فها هو ذا ينتظم اليوم الذي تتخلص فيه الدمار من الدخلاء . يقول (١٢٩)

يوم لعرك لم نزل أخبارة مسمومة من منجد أو منتهم
عرت به حرب البلاد كمرها دثاقيد يوم مفكك زائدا (١٣٠)

وكان الشاعر الأمير شهاب الدين أبو الفوارس حمد بن محمد المعروف بجبر
يبرر بذلك حداً قومياً صادف وهو في كثير من شعره بخرص قومه ويسبهمه
للذود عن الجمي ويدعوهم إلى التكاتف والتعاضد لمحاربة الخصوم والتخلص منهم
مثل قوله معظماً أهله بني دارم .

بني دارم إن لم تغبروا فدموا عدائكم يوم الخربة بالخمر
فإن الخري والمخرب حشر لأعد ولا يلبث قوموا فقتلوا خرا (١٣١)
ربطت بأطراف النوى حبالكم وخيل الهدى في كل مائة جري
إذا منتم شر حرب وقودها صوب الفواصي البقي والأسل السمر
فتمت لكم إن ترجعوه حبيده نواحف من الزرع بالبحر البحر (١٣٢)

ودافع أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردت الأموي عن قومه وأراد لهم العر
والرفعة . والمظفر والمعة . وقال (١٣٣)

أطلس العز ولو عرفت على حواشي عواشي الزمخ
دميرة رغاء وطرد مدم تعاضت منه عدوى الجراح
وبمزاج في أبت أخرى دالة يدافع عن أحداث قومه سرمد (١٣٤)

دافع عن أحاسنكم بفسادك غداً ألتحق في تالته بفسوف
وله أخبرها رعد في والكم وإن كان مدم ولا به التذليل
ولكن نمرقي من عرية بدل ما ذو ليدود الخضر

(١٢٩) ديوانه ١٩ ص ٥٧٤ .

(١٣٠) ديوانه ١٩ ص ٦٧٠ .

(١٣١) حيزت من العبارة . حبت . الانصوبة ، مجتم الخطايا . وأراد هنا الموضع

(١٣٢) لواطف ، أي تسير الوجيف . وهو شرب من الصير السريع ، حب الروح ، بعد الحرب
المفرقة . النعم ، الأمل

(١٣٣) ديوان الأبيوردت ١٩ ص ٦٧٤

(١٣٤) نفسه ١٠ ص ٤٣٠

وبلغ الايوردي النعمة في الشعر القومي في قصيدته التي نظمها اثر المدبحة التي
اقتربها الافرج في القدس سنة ١٩٢٢ للهجرة . ومطلعها (١٣٨)

مزحنا دماء بالدموع السواجم قد بنى منا غرضة للفراجيم
انطلق الشاعر صحنه المدوية من اصاقي قلبه المكتوي بذار العزى والامى على
ماحل القدس الشريف . وما اصاب من سكن في حياها . وزراه يشعذ العزائم
ويستنهض اتهم . ويشير الحافظ . ويعذر الناس من وقائع ادهى واعظم . ومصلك
لنكى واجسم . ان هم نستكنوا الى اذعة والراحة . وجعوا الى السلم . وحلدوا الى
السكينة . ونسطلوا بصل العيش الرعيد . دور الالتفات الى هبوات الغرب .

فانها بنى الاسلام . ان وراءكم وقائع ينفق الضرا بالذام (١٣٩)
التهوية في ضل امر وعبطه وعيش كنوز الخصلة ناعم (١٤٠)
وكعب تدام العين ملء حفوظها على هبوات ايقظت كل نائم

وكشف الشاعر صورة دائمة . مؤثرة ومثيرة . لجلب انتباه الناس الى الخطر الذي
ينتظرهم . والبلاء الذي سيداعهم . والمذلة التي ستنتابهم ان هم لم يهبوا بعدادهم
وعُددهم الى انقاذ القدس من العنة الجافية . ولات ساعة مندم

وتلك حروب من يغث عن غارها تيسل يفرج بعدها بن نادم

استعار الى الجهاد وتحريض على اقتحام غدار هذه الحروب الاجتماعية . وعده
اتحلف عنها طلدا للسلامة . لان الحرب الاجتماعية تقاوم بمثلها . والاغليات الامة .
ونزل البلاء في كل من يكسر عن القتال

ويطير اشاعر من حديث الظلم . والتهيب من الظالم . والميل الى السكون .
ومعة ذلك . ويكرر دعوته الى القيام بغارة شعراء . تعاضدها العزيمة والنيات .
ويساندها الايمان بالحق . وتوازرها الكرامة والمرة . عذرة تعطى الانداع درسا .
وتحملهم بمصون على اصابعهم بدماء . ويقولون لينا لم ذات الى هذه الديار ولم
بفعل تلك الاعمال التي تارها الانسانية .

(٨٢٥) قصيدة ٩ ، ١٤٩

(٨٢٦) ايها ، لغة الى هبوات بمعنى يمد . الضرا ، المرتفعات . الناسم ، جمع عنسم وهو خلف
اليحير .

(٨٢٧) التهوية ، هو الراس من التعاس . القبطة ، المسرة بالنعمة وحسن احوال . التوار ، زهرة
الخير .

دعونا لكم ، والحرب ترونو ملوحةً لينا بألحاظ السُور الفخام
 نراقصنا فمينا غارةً عربيةً تطيلُ عليها المودُ عى الآبام
 وثأله ابن الخياط التمشي على ضياع القدس . مهوى أئدة المسلمين ، وقبلتهم
 الأولى . ومرى الرسول محمد بن عبدالله . صلى الله عليه وسلم . ونظم قصيدة تم
 على تأثر عتيق . وأعمال شديد . وهو - على ما يبدو - متأثر بقصيدة الأبيوردي
 التي سبق ذكرها . قال فيها (ص) .

أنوماً على مثلِ هذ الصفاة ؟ وهزلأ . وقد أصبح الأمر جدأ ؟
 وكيف تنامون عمن أعينكم وتزأتم . فأسهرتموهن جقدا ؟
 ومنها .

فكم من فتاة بهم أصبحت ندو من الخوف نحراً وخدا
 وأنم عوانيسه ما أن غرق بن خراً ولا دقن بالليل بردا ؟
 تكاذ عليهن من حيفة تدوب وتثلف خزاناً ووجدا
 فحاسوا على دينكم والحريم معامة من لا يرى الصوت فقدا

إنه أنكر على المسلمين النوم الهانئ . وشهاب الحرب يلعب . والنخس لا يهجع .
 وصور الحالة النفسية آنذاك أصدق تصوير وأدق . فالفتيات يلطنن خدودهن على ما
 دهاهن . ويضربن على صدورهن من خوف ما سيداههن . والأمهات أصابهن الذهول
 من الواقع الذي أصبح فيه . فحرم من راحة اليال . واطمئنان النفس . لأنهن
 يخشين على أولادهن من الملب والهتك والهوان .

وحرض الشاعر في قصيدته على النهوض والاستبسال لمواجهة الأعداء . وقطف
 رؤوسهم . وحصدوا من الأراضي التي دقوا فيها أوتاد خيامهم . وأقاموا عليها
 مستعمراتهم .

فدونكم ظفراً عاجلاً لكم جاعلاً سائر الأرض مهذا
 لقد أينعت رؤوس الفرنج فلا تغفلوها قطافاً وحصدا
 وفي عصر الحروب الصليبية في مصر والشام برز مجموعة من الشعراء تغنوا
 بأمجاده السابقة . وأظهروا مكانة العرب الأوائل وفنونهم وشهامتهم وغيرتهم على
 شرفهم وأرضهم ١٨٩١ . منهم الوزير المصري طلائع بن رزيك الذي حارب الصليبيين

(٨٩٨) ديوان ابن الخياط التمشي ص ١٨٢

(٨٩٩) لثة لسانج لكثرة في بحثنا (القدس في شهر القرن السادس للهجرة) . مجلة المورد .
 العدد الأول ، سنة ١٩٨٢ .

وأوقع فيهم خائراً فادحة . وكان يتألم أن تكون ديار العرب بيد الغاصبين من الفرنج . مثل قوله (١٨٠٦) .

والغزب أقتل داء بهلكون به أن تملك الحكم في أعانتها غنم

وصف الطبيعة :

الوصف من الموضوعات الشعرية الهامة التي عالجها الشعراء منذ عصر ما قبل الإسلام . وأخذ يتطور بمرور الزمن . حيث اتسع أفقه . وكثرت أشكاله وألوانه . وقد وصل في العصر العباسي الثاني مرحلة مزدهرة . شمل الإنسان والحيوان والنبات . وجميع مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية . وتناول الأدوات العلمية والكتابية . والآلات الحربية والقتالية ..

لقد حظيت الطبيعة بنصيب وافر من الشعر . إذ وصف الشعراء السحاب والمطر والأنهار والبرك والرياح والأزهار والأشجار والثمار والليل والأفلاك . والمأكول والمشارب . والمور والتصور . والفرس والأثاث وأدوات الزينة وسواها . وغير مثال للطبيعة الزاهية برياضها وأزهارها البهية وثمارها الشهية نجدها في قصيدة ابن وكيع التنبسي (١٨١) .

أغز عن بهجة الدهر الأغز
أبدى لنا فضل الربيع منظراً
وشياً ولكن حائكة صائفة
عابسة طرف السحاب فائسني
فالأرض في زي عروس قوتها
وشى حلوة في الثرى صوانه
أما ترى الورد كعدي كاعب
كأنما الخمر عليه نفضت
أخجله الرجس إذ جالدة
قال له . العين وما الخد لها
مافا الذي يرجى لخيد بهج

واتم الروض لنا عن الزهر
بمثله نفضت الجلب البش
لا لابتدال اللبس لكن للنتظر
عشفا له يبكي بأجمان المطر
من أدمع القطر بشار من ندر
حتى إذا مل من الطين فنثر
راودها . فامتعت به - ذكر
صباغها أو هي منه تفتنض
فأحمر من فوط حياء وخفر
موازناً في غسطن قنر وخسفر
فتحسن صاحبه أعمى البصر

(١٨٠) ديوان طلائع بن زهك ص ١٢٤ .

(١٨١) ابن وكيع التنبسي قاهر الزهر والفر ص ٧٥ .

فحضر من خضه إن ظهرت رالحق لا يذوق يوما إلى ظهر
وانظر إلى الدارج في بهجة بلوح في أنوار هنيك الشحر
منزل دالير دالير أحمر أو كمشيق حُرطت منه أكر ١٨٥١
وانظر إلى الصنوبر في ميدان يرون أن النظم من حيث نظراً ١٨٥٢
كجوهه راحة نيف أنواره أنطبه لك نظار فاستر

ويترن نالير بعد هذه الأبيات في بقية صولة وبلغة هالة مأتوة بصف
أنوار كثيرة من الأهرار والأنوار دلتونها السعية ونظمتها للقاريه في ثوب مشرق
بهين نظوب له الشمس وينشرح له النمار

له يترن الشعراء فأكفه إلا وصعوه وصفه دفيقا وشوفا تشيات لطيفة بلو
تشكلها ولونها وطعمها كالأرجح والفرجل والكسرى والرمال والنداح والغص
ومثل عن ذلك أرحورة أبي العيس المشرق في الشمس ١٨٥١

أما ترى العنفس ياحل الأده مشطاً أكرم بهنيك الشط
متنظر الهبات من غير تقب كآلهما صادق من الذهب
قد صانها صانها بلا نعب

وانتعر شعراء مظر الأنهار والتداول والحيرات وحبر المياه وأنباها
وصفوها أحياناً مع سوء القصر الجبل في اللبني العداية قال أبو منصور
التعالي . وقد كثروا في وصف القمر على الماء .. وأحياناً سمعت فيه - على
كثرت - قول العاصي الوخي .

أحياناً دجلة والاعلى فتصوب وتبدل في أفق السماء مغرب
فكانها فيه بسط أزرق وكأنه فيها طرار مذهب ١٨٥١

وانتعر الشعراء بمظهر التاج . ونفسوا في وصفه . وفي بيان جمال حاته الكروية
البيضاء الشبه بالؤلؤ المتصور على بسط الأرض . منه أبو بكر الصنوبري ١٨٥١

(٨٤٩) القطار ، الذهب . الأكر ، الكرات

(٨٤٩) النطور ، نبات جميل طيب الرائحة . وله زهر مختلف . بهمنه الهوى وصفه أسقر .

(٨٤٤) عتبة الدهر ١٠٠١

(٨٤٤) عتبة الدهر ١٠٠١

(٨٤٩) عنه الدكتور سيد فوال أول من لقنى بالشطح . ينظر ، شعر الطبيعة في الأدب العربي

هذا البنفسج . هذا الياسمين . وذا الـ تسرين . ذا موسن في الحسن مشهور
تظلل تنشر فيه الشب لؤلؤها فالأرض ضاحكة . والطير سرور
تبارك الله ما أحلى الربيع فلا تنغرز فقائسة بالنضيب مغرور

وكان حظ الدور والتصوير كثيراً في أوصاف الشعراء . فلهم فيه صور فنية رائعة .
وتشبيهات دقيقة بارعة . نعل على ذوق رفيع وخيال خصب . وقد أورد الشعالي بصغ
عشرة قصيدة (١٤١) سماها بـ ، الداربات ، نغنى فيها الشعراء بالدار النخعة التي
شيدها الصاحب بن عباد . منهم أبو العباس القسي . وأبو سعيد الرستمي . وأبو
الحسن النجرجاني . وأبو القاسم الزعزعي . وأبو القاسم بن أبي العلاء . وأبو محمد
بن المنجم . وأبو العلاء الأسدي . وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن المعلى . وأبو
عيسى بن المنجم . وأبو الحسن الغويري ... وعلق على الهواء النضيب والماء الجاري
في ممرات هذه الدار والمناظر الجميلة التي ورد ذكرها في قصيدة أبي سعيد
الرستمي بقوله ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتي . . منها الأبيات الآتية ،

هواة كأيام الهوى فزط رقة وقد فقد العشاق فيها الموادلا
وصاء على الرضاض يجري كأنه صفائح يثر قد سبكن جنودا
كلن بها من شبة الجري جنة فقد ألبسهن الرياح ملابلا

وللأندلس الشاخسة التي خلفتها الأمم البائدة نصيب في شعر الوصف . ومن أجمل
ماورد في ذلك قصيدة للأرجاني في وصف تماثيل منحوتة راما في سفح جبل بالقرب
من مدينة يقال لها غرميسين . منها (١٤٢) :

رأينا عجيباً - والزمان عجيب -
تماثيل في صخر نجبت كأنها
يرينك من تحت الحوادث أوجها
وقاموا على الأقدام لا يسمعونهم
عليهم ثياب لسن مجتات لايسر
تعجب منها كيف جر لثها
وقد شخصت لناظريين بوادياً
كما نصف الأعضاء يوماً غلائل
رجالاً - ولكن ماله من قلوب
بنو زمن لم يلف فيه أريب
بها من تصارييف الزمان شعوب
مدى الدهر من طول القيام لغوب
ولكن من الصخر النجيب محبوب
ذبول لهم أم كيف ذر جيوب
صبور لهم من تحنها وجنوب
إذا كان فيها للرياح هبوب

(١٤٢) قطعة الشعر ١٤٧ - ١٤٨ .

(١٤٣) ديوان الأرجاني ١٤٠ : ١٤١ .

لم يترك الشعراء شيئاً وقع بصرهم عليه إلا وصفوه وتعاطفوا معه وشاركوه بمشاعرهم وأحاسيسهم . مثل الشعمة التي تناولوها بشعر رقيق ينم على صدق في التعبير . كما نرى ذلك عند السري الرفاء . والصنوبري وأبي العلاء المعري . والطبراني . والأرجاني والحنين بن أسد الفارسي الذي قال فيها : (١٠٠٠)

ونديبة لي في الظلام وحيدة مثلي مجاهدة كمثل جهادي
فاللون لومي والدموع كدمعي والقلب قلبي والسهاد سعادي
لا فرق فيما بيننا لو لم يكن لهما خفيًا وهو منها بادي

لم يكتف الشعراء بوصف الطبيعة الساكنة بمظاهرها المختلفة . بل اتفخوا إلى الطبيعة الحية أيضاً ووصفوا ما وقع بصرهم عليه من حيوانات وطيور وحشرات مثل الحصان . والناقة . والكلب . والذئب . والأسد . والفهد . والفيل . والثور . والسمك . والديك . والبيضاء . والصقر . والنمل . والنحل . والبعوض . والبرغوث ولعل أحرق ما نلاحظه في هذا اللون من الوصف « الفيليات » . وهي قصائد اتفقت في الوزن وهو « مجزوء الكامل » والقافية وهي « الدال » . تضاهي مجموعة من الشعراء على نظمها (١٠٠٩) منها قصيدة أبي الحسن الجوهري التي تناولت الفيل ووصفت جميع أعضائه وصفاً ظريفاً منها الآيات الآتية .

يزمن بخرطوم كمش	بل الصولجان يرد زفا
مبتمرد كالأفيموا	ن تلمذه الرميسضاء منا
لو كس راقصة كسي	حر إلى السندمان وجدا
وكانه بوق نحر	كة لتنفخ فيه جدا
أدناه مروحان أم	سندا إلى الفوديس غندا
عينا غائران ضي	سنا لجمع الضوء غندا

الشعر الصولي

نما التصوف وتطور بعد أن غرس مبادئه أئمة كبار . مثل ذي النون المصري (ت ٢٤٥) الذي فسّر اشارات المتصوفة وتحدث عن احوالهم ومقاماتهم . وقد عدّه ابن قفري بردي رأس الطريقة الصوفية بمصر . (١٠٣١) وهو القائل (١٠٣١)

(١٠٣١) ديوان الأرجاني ١٠١ ، ١٠٢

(١٠٣١) الحسن بن أسد الفارسي . حياته والصياغة من شعره ص ٨١ .

(١٠٣١) هدية الدهر ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(١٠٣٢) النجوم الزاهرة ٢ ، ٢٢٠ .

(١٠٣٢) حلية الاولياء ٩ ، ٢٤٩ .

حب الخبيث في الدنيا بأن لهم مع ربهم سبباً يقضي إلى —
 فوهم حوصمهم في الأرض سارية نعم. وأرواحهم تخذل في الخبيث
 لهم على حيلة معه تمسكهم إذا تصرعت بالاعتق والفرغ
 بارت بارت انت الله لعمري متى أراك حوز غير محتب.

ار سبل الرواية عند دي النون هو الحلو والتذكر المخرج والمحب. ورؤية الله
 تتأ بالقلب عن طريق المحب. والرواية الغريبة هذه لا تعدى القرب من الله والانس
 به لأنه يعانى عن من يحبط به شيء، أو أن يحذر دأماً لو عدوا. وإن تراه غير أو
 ينفه. وهذا لأنه تعالى عن الانس. ١٥٥١

ومن روى المتصوفة في العراق الحرث بن أسيد المحاسبي (ت ٢٦٢). وبعده
 كثره. الرعاية لحقوق الله. و... تنوهم. من أهم الكتب التي تناولت الأخلاق
 ونظير النص ١٥٥١. ويأتي بعد المحاسبي الرضى النسطري (ت ٢٥١). خيخ المتصوفة
 في بغداد وأمامهم في وقته. وقد عرف بالبالغة في رتبة النفس ومجاهدتها. وهو
 القائل: من خاف الله خافه كل شيء. ١٥٥١. ومثل: كيف أنت؟ فأنت
 قول: ١٥٥٢.

مر لم يبت والمحب حلو فؤاده لم يدر كيف تعدت الأكلان
 والخبر من المتصوفة يحيى بن معاذ الوارثي (ت ٢٥٨). وهو أول من حاض
 الناس في التصوف ١٥٥١. ومن أقواله: من أحصى بطنه إلى الله انتحت يساع
 الحكمة من قلبه وجرت على لسانه ١٥٥١. وقول في الحب: ١٥٥٢.

نفس المحب إلى الحبيب بطلع وفؤاده من حبه ينشيط في
 عر الحبيب إذا خلا في ليله. حبيبته يشكو اليه ويصرغ
 ويقوم في المحراب يشكو به والقلب منه إلى الفحة يصرغ

(١٥٥١) حلية الأولياء ٩، ٢٨٨. ونظير: القدر الصوفي ص ٢٩
 (١٥٥١) طبع الأول بتحقيق عبد العظيم محمود. وطه عبد الياسي سرور. نشره دار الكتب
 الحديثة بالقاهرة ومكتبة المتن ببيروت. وحلق الثاني أرتو أهردي وطبع في القاهرة
 سنة ١٩٩٧.

(١٥٥١) طبقات الصوفية ص ٢٧

(١٥٥١) حلية الأولياء ١، ١١٩

(١٥٥١) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٢٠

(١٥٥١) حلية الأولياء ١، ١٢٠

(١٥٥١) نفسه ١، ٦٦

وعرف أبو حمزة محمد بن ابراهيم البغدادي (١٠٨٩) بالتصوف قتل به الخطيب البغدادي . كان أستاذ البغداديين . وأول من تكلم ببغداد في صفة تذكر . وجمع الهمزة . والمجدة . والنون . واللام . له يسعة في الكلام بها على رؤوس الناس ببغداد أحد . (١٠٨١) وقد ظهرت التباكير الأولى للسور نحو الاعتقاد في شعره سن مرة . أيمرغ الحب في شيء . سوى محبوبه . عدلاً . لا . انه بلائ ذلك . وسرور مصطف . وأوحاش متصفة . لا يعرفها إلا من . شرها . وأنشد

للاقي الاقي تحوه دون غيري وكل بلاء عند لاقه أوجع (١٠٨١)

وأخذت معه الديبوق ومداوؤه تنصح يوماً بعد آخر . وأردت عدد التصوفة وكثر م ريسوه . منهم أبو الحسن ثوري (١٠٩٥) والخليفة البغدادي (١٠٩٠) . وسجود الجواهر (١٠٩٣) . وأبو الفيت الحبي بن منصور (١٠٩٠) . وأبو علي الترونداري (١٠٩٢) . وأبو بكر الشبي (١٠٩٩)

كان العلاج مثلاً المندوب المذنب يرى ان شره القدره لايت احراره الا بجرع عدهم الايام . وأن العلاقة الحقيقية بين الله والانس هي علاقة الحب ليس عدا . ومن اجل ذلك خلق الله الانسان على صورته . وبه على ذلك يمكن لهذا المخلوق ان يحد في عه حقيقته المصورة لانيته التي طبعها الله فيه . اذا هو نقى نفسه وطهرها . وبلغ بها أقصى درجات المعرفة من حب الله . (١٠٨١) وكل يرد أن في الله له حديده فطرية تحرك المخلوق للمقا التحلي . وتحرك التحلي تحب المخلوق . يستأرها . جوهر الحركة في هذا الكون . (١٠٩١) وقد قتل مملوكاً من ربه انبي أكرهه عدهم السرعة وله بحيرتها ولايد مثله اعتداده في التحول والابتداء . (١٠٩١) مثل قوله (١٠٨١)

أر من أعوى . ومن أعوى أر . . . حسن روحان حلتها بدنا
حسن . مد كذا على الله الهوى . . . تصرف الامم الى السداس
فانما استمرت على استمرت . . . وقد استمرت له . . .

(١٠٩٦) تاريخ بغداد ١٠٩٦ .

(١٠٩٧) تاريخ بغداد ١٠٩٧ .

(١٠٩٨) القهر الصوفي ص ٨١ .

(١٠٩٩) العلاج موضوعاً ص ١٨ .

(١١٠٠) ينظر كتابه . الطوايين ص ١٩٩ . وينظر تاريخ عتصوفة بغداد ٧٠ - ٧٩ .

(١١٠١) ديوان العلاج ص ١١ .

«لَيْسَ الْكَلْبُ عَنِ قَعْنَبٍ» فَو تَرَا لَدَى تَفَرُّقٍ بَيْنَهُمَا
 رَوْحُهُ رَوْحِي وَرَوْحِي رَوْحُهُ مِنْ رَأَى رَوْحِي حَلَّتْ بَدَنِي^١

وكأن أبو بكر التلمذ رموز العلاج وصديقه وفريقه في مزار المجاهدة
 والرياضة والسرك . وهذا هو ذا يلتقي معه في مقطوعة متارعة بينهما . وهي ١٣١١

بموضع النظر من نظري ويا مكان الرأ من خاطري
 يا حكمة الكل أننى كنها أحب من بعضي ومن سائري
 تراك ترشى لفظي قلبي معانق في مسخطى طامري
 مولد خير من مستوحش يهرب من فـ... فرالى ففسر
 بسرى وما يدري وأساره ترى كـ... جـ... سارق السار
 كسبرعا أوفى له وعنه عنى دقيق الغايض الغابر
 في لجـ... بحر تفكر تجري به لطائف من قدرة التقدر

إن تردد رجال الدين لم يقض على الحركة الصوفية . بل بقيت رائجة عند
 طائفة من الناس . وظهرت كتب كثيرة في عقائدهم وأخبارهم . مثل كتاب
 . تلخيص المراج الطوسي (ت ١٢٧٨) . وكتاب . التعرف لذهب أهل التصوف .
 للكلاماذي (ت ٢٨٠) . وكتاب . قوت القلوب . لأبي طالب المكي (ت ١٢٨٩)
 وكتاب . حلية الأولياء . لأبي يعقوب الأصماني (ت ١٢٤٠) .

إن إضافة الحب ولواعج الشوق واليهام . ماززة بشكل واضح في أغلب الشعر
 الصوفي . وكانت المرأة عند المتصوفة امرأة موحية دأ على الحب الأنهى ذلك الحب
 الذي أنكره علماء الشريعة . لأنه في رأيهم يختص بالله بخلقته . وقد اشتهر به
 الكثيرون أمثال أبي الحسن النوري . وأبي منصور الحلاج . وأبي العباس أحمد بن
 سهل بن عطاء (ت ٣٠٩) . وأبي علي الروضباري . وأحمد بن محمد بن موسى
 المشهور بأبي التمر (ت ٥٢٧) . وأبي علي التلمذاني (ت ٥٩٦) . وشهاب
 الدين يحيى بن حبش الشيرازي الملقب بالشيخ المقتول (ت ٦٨٧) . وقد عبر هذا
 الأخير بشعر حافل بالثنويجات والرموز الغريبة عن نظرية . الاشتراق . التي تذهب
 إلى . أن الله نور الأنوار . ومصدر جميع الكائنات . فمن نوره خرجت أنوار أخرى

هي عماد العالم المادي والروحي . والعقول المارقة نبت الآ وحذبت من هذه الأنوار
تحرك الأفلاك وتشرف عليها . (١٠٣) ولعل قصيدته العالية التي تداولها الصوفيون في
أروقتهم من أجمل شعر الذي عبر به عن شوقه وحبيه وحالات وجدّه وهواجس
نفسه . منها قوله . (١٠٤)

أبداً تدرجني السجككم الأرواح وقلوب أهلي ودلائكم تشعنا فككم ورحمتنا للماشقين تكلموا بالرأ ان ياحوا تداح دماؤهم وإذا هم كنوا تحدث عنهم وددت شواهد لنفسم عنهم خضع الجناح لكم . وليس عليكم فالي لفاكم نفسه مشنوفة عودوا نور الوصل في غني الجفا	ووصالككم ريد حارسها والروح والى ليد لسفاسكم ترواح سفر المحبة . واليهوى ففاح وكذا دماء العائفين سماح عند الوفاة المدع الحاج (١٠٥) فيها المشكل أمرهم ايضاح للص في خفض الجناح جناح (١٠٦) والى رضاكم طريقة طماح (١٠٧) فأهجر ليل والوصل صباح
---	--

وقد تطهر شعر الحب الالهي وبلغ الذروة في النصوص والازدهار في مطلع القرن
السابع للهجرة وزعمه في الأدب العربي أبو حفص عمر بن القارص (١٦٣) الذي
الذي سدرس شعره بالتفصيل في ترجمته . وكذلك اشتهر محبي الدين بر عربي
ات (١٦٤) بالشعر الفليء بشرق المتصوفة وحبيبهم وعرامهم ووجدتهم . مثل
قوله . (١٠٨)

سلام على سلمي ومن حل بالحب وماذا بلبيها ان ترد تحية سروا وظلام الليل أرخي سدوله احاطت به الاشواق صونا وأرصدت	وحو لثلي رقة ان يلما بلينا . ولكن لا احتكام على الدم فقلت لها صبا غريبا مشا له رانقات النل أين يما
---	---

(١٠٧) هياكل النور ص ٢٨ . ٢٩ . ٣٠ .

(١٠٨) معجم الألفاظ ٧ . ٢٨٠

(١٠٩) في رواية اخرى . الصباح

(١١٠) الصباح . بضم الجيم . الالم

(١١١) في رواية اخرى . ملاحظة بدلاً من معتلة

(١١٢) ترجمان الاسوال ص ٩٤ .

فأبدت، تبارها، وأومض دارق، فله نور من شوق الخلد، مهما
وقالت، أما يكفيه أني بقلبه يذهني في كل وقت أما أرا،

لقد عبر التصوفة عن مواجهته وأحواله بشعر يفصح بتقاطع الحزن
وتعابيرهم. وقد أشار محيي الدين من عربي إلى هذا الأمر. فقال في مقدمة كتابه
ترجمان الاشواق: «ما برأت مكة سنة خمس مئة وثمان وتسعين» استحدث الله
تعالى تنبيد هذه الأرواق. وشرحت ماظمة بمكة المشرقة من الآيات العربية في
مرآة المتعاري في رحب وتعبان ورمضان أشهر بها إلى معارف ربابية. وأنوار الهية.
وأشراق روحانية. وعلوم عقلية. وتنبيهات شرعية. وحفلة العبارة عن ذلك بلسان
العزل والتشبيب لتعشق النفوس بهذه التعبيرات فتقوم الدواعي على الاصغاء إليها.
وهو لأن كل أدب طريف. وروحاني لطيف. (١٣١)

وتجدر الإشارة إلى أن الحمرة عند المتصوفة كانت من رموز الوجد الصوفي
والحب الإلهي. وقد وصلت إليها نماذج حمرة كثيرة. قرأ منها أبيات أبي مدين
الشماني (ت ٥١٤ هـ) من قصيدة طويلة (١٣٢)

أرأها لنا سرفاً ونج حرجها عنا
وغير لنا فلوقت قد طاب اسمها
عرفنا بها كل الوجود وتم برل
هي الخمر لم تعرف بكرم يخضها
مشعقة بكو الوجود جمالها
حضرنا فيها عند دور كؤوسها
وأبدت لنا في كل شيء إشارة
ولم نطق الأفهام بتعبير كسها
نصحتك لا تقصد سور ذات حاشها
موانعنا منا حظوظ نفوسنا
نحلت ذنونا واختصت بمظاهر
وما البكون إلا مظهر لجمالها
عنحو أدنى لا يرى المراج مذ كذا
لأن إليها قد رحلنا بها عنا
إلى أن بها كل المعارف أنكون
ولم يحلها راح، ولم تعرف الذن
وفي كل شيء من لطافتها معنى
وعدا كذا لأحصر ولا غنا
وما اعتجت إلا بأعنا عنا
ولكنها لأدت بالظاهرا الحسن
فمن وجد الأعلى فلا يطلب الأدنى
فل قطعت عنا إليها توصلنا
وجلث فما أغنى ودقت فما أغنى
أرنا به في كل شيء بدا حنا

(١٣١) ترجمان الاشواق ص ٧ - ١٠

(١٣٢) الرمز القمري عند الصوفية ص ٢٥٩.

أَنَّ هَذِهِ الْخِمْرَةَ الَّتِي انْتَشَى بِهَا لَيْسَتْ الْحِمْرَةُ الْمَعْصُورَةُ مِنْ كَرَمِ الْعَبِّ الَّتِي تَصْرَعُ الْإِنْسَانَ . بَلْ هِيَ الْخِمْرَةُ الْأَلَوِيَّةُ الَّتِي تُسَاعِدُهُ فِي رُؤْيَا نُورِ الْحَقِّ

كأن النصوصة يؤثرون الإشارة على العبارة . ويعتمدون على التلميح دون التصريح . متراً لحقائقهم وكتباً لأسرارهم . وعبرة على هذه الحقائق : ١٧٨١ لذلك لا يمكن فهم العاصم ومصطلحاتهم التي لها مدلولات خاصة إلا بالرجوع إلى كتب النصوص مثل الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوزن القشيري (١٦٥) . واصطلاحات الصوفية لمحيي الدين بن عربي . واصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق بن حمدان الدين الكاشي (١٦٣) .

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن فريقاً من المتصوفة انحرفوا عن طريق الصواب ووجدت الأوهام والخرافات والأساطير بينهم . وقد أبرى كثير من العلماء بالرد عليهم وأظهر أسطانتهم وتفنيد أقوالهم وبين مدعيهم . منهم الأمام المغربي (ت ٥١٥) وأبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي المشهور بابن الجوزي (ت ٥٩٧) . وكان أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الأنباري (ت ٥٧٧) يميل إلى التصوف وبند الخرافات والشعوذات . ومن جميل شعره في هذا المجال قوله (١)

ذوق الفؤاد بما فيه من الخلق ليس التصوف بالتنيس والبحر
 بل التصوف صفو القلب من كثر ورؤية الصفو فيه أعظم الحر
 ووصي نفسي على أدنى مطامعها وعن مطامعها في الخلق بالخلق
 وترك دعوى بمعي فيه حثته فكيف دعوى بلا معي ولا خلق

(٨٨١) يتظر، السهروردي، ص ٤٩. ويبحث الدكتور محمد مصطفى طليح (كنوز في رموز) الشهور في الكتاب الفلكاري، محسن الدين بن عربي في الأذكار المنوية الشامية لخلوة

1994, 1995, 1996, 1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 26

١٠٨٩ (١٠٨٩) ١٠٨٩

أبو الطيب المتنبي

٢٠٢ - ٢٥٤ هـ

لم يحظ شاعر من شعراء العرب بالاهتمام والدراسة قديماً وحديثاً بقدر ما حظي به أبو الطيب المتنبي . ولعل شهرته في مملكة الشعر جاءت من جودة نظمه الذي يسحر القاري، ويجعله متقاداً له في رضى وإعجاب . يضاف الى ذلك ، أنه ينطق عن خواطر الناس . كما قال القاضي الفاضل (١٨٣)

سيرته :

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي . أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي (١٨١) وجعفي الذي ينسب اليه هو جعفي بن سعد المشيرة من مذبح من كهلان من قحطان . فهو من أصل عربي قحطاني . خالص النسب أباً وأماً .

فتح أبو الطيب عينيه على الدنيا سنة ٢٠٢ للهجرة في حي كندة بالكوفة . وهو حينئذ نزل المهاجرون من العرب الذين نزحوا أيام الفتح الى هذه البقاع . وهم من أصل يمني فسموا منازلهم الجديدة بأسماء منازلهم الاولى للذكرى والحين (١٨٤) وظن من لا تحقيق اعنده أن المتنبي من قبيلة كندة . وفي شعره ذكريات في هذا الحي وكان مفارقاً له . قال يحن اليه .

أنتى السُّكُونُ وحسبهمونا ووالدنى وكندة والشبيعا (١٨٦)

كان المتنبي فقيراً شياً . قيل ان ابيه كان يسمى هيدناً . وكان سقاء بالكوفة يستني على بعيره . وقد هذا الأب العين على مؤس الحياة . ولا نعرف شيئاً عن والدته . ولعلها ماتت في حياته . ولكن حدثه لأمه وهي عريّة عُفْطَانِيَة كانت من النساء الصالحات سميت على تربيته وتنشئته والاحفاد به .

(١٨٦) الوهم المعلوم ص ٥٢

(١٨٧) وفیات الأعيان ١ : ١٩٠

(١٨٨) المتنبي للكوفى ص ٢٩

(١٨٩) شرح ديوان المتنبي ١ : ١٢٩ . والأسماء المذكورة في البيت هي أماكن في الكوفة سميت بأسماء القبائل كانوا يسكنونها

شارك المتنبى في الرثاء بمجموعة قصائد . ولعل من أجلها وأكثرها إثارة مرثيتين . أولاهما في جدته التي غابت بترتيبه . وأطْلَكَ بِعَظْفِهَا وَحَنَانِهَا . بعد وفاة أمه وهو حدث صغير . والثانية في خولة المعروفة بسبب الناس أغت سيف الدولة لما كانت عليه من صفات حميدة . ولما لها من فضل وإحسان مع أهلها على المتنبى مدة إقامته بحلب . لقد رثاها وفاة . لأنها كانت تُشَلُّ الفَتَاةَ المَريَّةَ الأَصِيلَةَ المعروفة بكرمها ونبلها وإبائها . بخلاف من ذهب إلى أنه كان يحبها ويعشفها . (١٣٨)

كان المتنبى يحب جدته وهي تحبه . وحينما فارقتها تَأَلَّمَتْ وَجَزَعَتْ وَكَادَتْ أَنْ تَبْأَسَ بعد طول الفِيقَةِ . فكتب إليها كتاباً فرحت به وأكثت على تقبيله حتى أصابتها الحمى من فرط السُورِ فماتت . وكان لهذه العادثة أثر كبير في نفسه . دفعته إلى نظم قصيدة تطفح بالحزن والأسى على فقيدته . منها قوله (١٣٩) .

لَكَ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةٌ شَوْقٌ غَيْرُ مُلْجَعِهَا وَضَمَا
أَحْرُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمُؤَاوَاةِ التَّرَابِ وَمَا ضَمَا
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كَلَانَا تَكَلُّلَ صَاحِبِهِ قَدَمَا
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْجَةٍ فَصَلَّتْ سُرُوراً بِمِىْ فَضَتْ بِهَا غَمَا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّورُ فَرَأَيْتُ أَخَذَ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ يَمْدَهَا نَشَا

أما قصيدته في خولة فهي تعبر عن عاطفة صادقة . وحزن عميق . وألم شديد . وقد استلها بمطلع رائع وجميل هو أقرب إلى المديح منه إلى الرثاء (١٤٠) .

يا أخت خير أبح يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

وفي القصيدة بيتان يستشهد بهما كثيراً في مواقف الحزن حتى سار سيرة الأمثال في حياة المتنبى نفسه كما يقول الدكتور طه حسين (١٤١) .

(١٣٨) انظر أسماء هؤلاء الباحثين في كتاب . الفهرست وكتاب سيف الدولة الصفاة ص ٣٢ . ٣٣ .
(١٣٩) شرح ديوان المتنبى ١٩ : ٣٦٤ .

(١٤٠) نفسه ١ : ٦٦ .

(١٤١) مع المتنبى ص ٩١٢ .

طوى الجزيرة حتى جاني، خيرَ فزعتُ فيه بأمانى إلى المكذب
حتى إذا لم يدعَ له صدقةُ أملاً شرفتُ بالذمِّع حتى كاد يشرقَ بهي
ونراة يعزّي سيف الدولة ويُسّيه ، فتى القتيان - بفقيده الغالية التي كانت فخر
القنات الماجدات . فهي من الكواكب بطلين المجد والعقل والسود بحلاف النواتي
يشتم المدة واللمو واللعب :

أرى العراق طويلاً الليل مذ نعبت فكيف ليّل فتى القتيان في حطب
يظنُّ أن قواي غير ملتعب وأنّ دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والنفساء والأدب
وهما في العقل والمجد نائبة وهم أترابها في اللهو واللعب
وإن تكن خلقت أنثى لقد خلقت كريهة غير أنثى العقل واللعب

وتحذر الإشارة إلى أن السنيي وثى أخت سيف الدولة المشرقي قبل وفاة خولة
بشائية أحوال بقصيدة مطلعها (١٠٠) :

إن يكن ضرّ ذي الرزية فضلاً تَكُنْ الأفضيل الأعزُّ الأجلُّ
وضمن هذه المرأة . كسائر مراتبه الأخرى . نظرات شاقة وخطرات قيمة مثل
قوله :

أله السعير يشحّ ونبات غدا وألماً بمن السمر، ولي
أبداً تسسستر ما نهت الدُّر يا هذا ليت جودها كان بحلا

غزله :

انصرف العنبي منذ مطلق شبابه إلى طلب المجد والمولى . والانشغال بمشكلات
قومه الذين عاشوا تحت وطأة الظلم والقهر . ولم يلتفت إلى الغانيات ولم يجعل
بمعاشرتهن والتمول بهن . وقد وضح اسم نفسه فقال (١٠١) :

(٩٩٥) شرح ديوان السنيي ١٠٢ ، ٩٦ .

(٩٩٦) نفسه ١٠١ ، ٩٦١ .

لولا القلي لم تجب بي ما أجوب بها وجنا حرق ولا حرذاك فيسودا (١٣٨)
 وكان أطيب من سيفي ممانقة أفساة رونقه الغيب الأماليد (١٣٩)
 لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيئا تميمه عين ولا جين

ومع ذلك نجد له غزلا رقيقا غفواً . ولا سيما في مطالع فصائده . وقد ذهب بعض الباحثين - كما ذكرنا سابقاً - إلى أنه كان يحب حولة أخت سيف الدولة . وعرفى تغذيرةً ظناً لا يستند إلى دليل ثابت ومقنع . وأعل قدرته الممانقة في التحلث بلغة العشق والغزل هو الذي دفع هؤلاء الباحثين إلى القول بأنه كان محباً عاشقاً . مثل قوله في صباه في مطلع قصيدة يمدح بها أبا المنتصر شجاع بن محمد الأزدي (١٣٩) :

رُق على أرق ومثلي يرق وجوى يريد وعبرة تترقرق
 جهد الشباة أن تكون كما أرى عين مسهدة وقلمت يخدمق
 ما لاح برق أو ترتم طائر إلا انشعبت ولي مؤاذ شديق
 جربت من نار الهوى ما تطعي نار الغضى وتكل عا تحرق
 وعدلت أهل العشق حتى ذقت فعميت كيف يموت من لا يشق

وكان ذوق العنسي بدويًا . يميل إلى الجمال البدوي الطبيعي البعيد عن المهرجة والافتعال والزينة المصطنعة المعقونة . مثل قوله (١٤٠) :

ما أوجه الحضر المستحذات به كأوجه البدويات الزعابيبا (١٤١)
 حُر الحصاره مجلوب بنظرية وفي البداة حُر غير مجلوب (١٤٢)

(١٣٧) الوجناء - الناقة الصلبة القديمة . الحرق - الضامرة . الجرداد - الفرس الصغيرة القهر . التيمود - الطويلة الضيق .

(١٣٨) الفه - جمع فيماء - وهي المتحنية ليناً . الأماليد - التناجات المسقوطة القامات . يقول - لولا طلب القلي لم أخطر مصانقة السيف وأعدل عن النساء الصان اللواتي وهجن رونقه في بياض البهرة .

(١٣٩) شرح ديوان الشنبي ١ : ٤٧٧ .

(١٤٠) فسه ١ : ١١٦ .

(١٤١) الرهايب ١ : جمع رهوبة . وهي المرأة الطويلة المستلبة .

(١٤٢) يقول - إن حسن أهل الحضارة مكلف مجلوب بالعميلة والعلاج . أما حسن البدويات فهو خلقة . لا يحرق التكلف والصن المجلوب بالاستحيال .

لم يكن أبو الطيب المشبي مكثرًا في الوصف . وقد جاء به في مطالع القصائد أو في ثنائياها ، فإنه وصف نفسه في تعاليها وشموخها وطموحها ، ووصف أخلاق الناس وطبائعهم ، وبعض مظاهر الطبيعة ، والوفائع والحروب التي شاهدها مع سيف الدولة .

إن حظ الطبيعة قليل في شعره ، مع إنه عاش في أجواء جميلة . فله أبيات في وصف بحيرة طبرية ذات الماء الهادي ، والغور الناعم^(١) . وكذلك وصف شعب بوزان الذي يقع في أحضان الطبيعة الساحرة ، فها هو ذا يصف نافط قطرات الندى من أغصان الأشجار عن أعراف الجبل وهو سائر في هذا الشعب وكأنها خثات جمان بدیعة . وظلال هذه الأشجار دنية حر الشمس ما خلا أقباس من الضياء تطالعه كالذنانير وتكفها لا تُسكك باليد . ويحمره منظر الثمار المتدلية الجنية وصوت الصياح المناسبة على الحصى الذي يشبه صوت العلي في معاصم الحبان^(٢) .

غصونا تنفض الأغصان فيها	على أعرافها مثل الجحان
فمرت وقد حجب الشمس عني	وجئت من الضياء بما كفاني
وألقى الشرق منها في ثيابي	دنابراً تضر من الجبان
لها تمر تشير إليك منها	بأشربة وقمم بلا ألوان
وأموءة تصل بها حصاها	صليل الخلي في أيدي الفوان

ومن جارع وصفه الذي تناقلته الكتب الأدبية وصف العمى التي شجها بالعشاء الحناء التي لا تخلف مواعيد زيارتها في الليل^(٣) .

وزائرني كأن بها حياة	فسلميس تروز إلا في الظلام
بذلت لها المطاري والحشايا	فعلقتها وباتت في عظامي
كأن الصبح بطرفها فتجري	منامغشها بأربعة حمام
أرقب وقتها من غير شوق	مراقبة المشوق الممنهم
ويسمصدق وعدّها والصدق شر	إذا ألقاك في الكرب العظام

(١٤٣) (شرح ديوان المتنبي ٢ ، ٣٧٩ .

(١٤٤) (شرح ديوان المتنبي ٩ ، ٤٨٢ .

(١٤٥) (شرح ديوان المتنبي ٩ ، ٤٨٠ .

أما الوثائق والعروض فكانت بارعة في وصفها. مجيئاً في تصويرها ونقلها
لقاري (١٩١١). مثل قوله في وصف الفرسان الشجعان الذين تراهم قليلين في عددهم .
كثيرين عند لقاء الأعداء: (١٩١١) .

أطلب حقي بالقنا وشايخ كأنهم من طول ما التماوتوا
تقل إذا لا فوا خفاي إذا ذعوا كثير إذا شدوا قليل إذا غدوا
وانظر إلى هذا الجو الرائع الذي أبدع المتنبي في تصويره في لوحة كاملة تشمل
الغيب والسبع والنفس (١٩١١)

أولك يجرؤن السحيد كأنهم سوا بحباد ما لهم قوائم
إذا برقوا لم تعرف البحر منهم ثيابهم من مثلها والعمائم
خيمت شرق الأرض والغرب زحفة وفي أذن الجوزاء مع زمار

فخره :

كان المتنبي معتدا بنفسه . محورا . لا يظلمه رأسه لأحد مهما كانت
مراته . ويلاحظ القاري: بوضوح هذه الظاهرة في شعره . ولا سيما في مديحه . كما
لا يقل أنه سائل دليل أو محروم هو أقل منه قدرا . وقد ذهب أحد الباحثين إلى
أنه . كان ناقعا على الناس . لأنه يحب نفسه . ولذا كان يصور نفسه دائما بصورة
المحسود المعبود . والناس من حوله حدة ظالمون أقزام يقهقون أنفسهم في
مواكب العدا (١٩١١) . . ولعل هذه النقمة - كما يرى - متأثرة نتيجة ابتكائه في
الحصول على مطالبه التي كان يسعى من أجلها ولم ينلها . إضافة إلى أنه كان يرى
أناسا لا يضاهونه في شخصيته وعلمه ومؤهلاته فد أخذوا مواقع متميزة في الحياة لا
تليق به .

افتخر المتنبي بنفسه كثيرا مثل قوله (١٩١١)

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسى فخرت لا بجدودي
إن أكن متجبا فغضب عجب لم يحذ فوق نفسه من مزيد

(١٩١٦) ينظر فصل «شعر العرب عند المتنبي» في كتاب شعر العرب في أدب العرب ص ٢٦٢-٢٦٩ .

(١٩١٦) شرح ديوان المتنبي ١ : ٢٢٧ .

(١٩١٨) شرح ديوان المتنبي ١ : ٢٢٩ .

(١٩١٩) الشعر العربي بين الجسد والتطور ص ١٤٢ .

(١٩١٠) شرح ديوان المتنبي ١ : ٢٠٨ .

واقترع بملو حمته ورفعة مكانته (١٣١١) :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تفتح بما دون النجوم
فطعم الموت في امر صغير كطعم الموت في امر عظيم
وتباضي بعلومه وادبه (١٣١٤) :

أنا الذي نظرت الأعمى أنه أدبي وأسعدت كلمائي من به صمة
أنا مل- جنوبي عن شواردها ويهر الخلق جزاء ويخضعه
وأشد بقوته وحلادته وكثرة صبره (١٣١٥) :

أطاعني خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما فولي كذا ومعني الضبر
وأشجع مني كل يوم سلاستي وما ثنتت إلا وفي نفسها أمر
تعرست بالأفك حتى تركتها تقول أدات الموت أم دعر الدعر

لقد كثر زهوه . وأسرف في التحدث عن نفسه . واشدد غروره وتعاليه وشعوره
بالمعظمة والقوة . حتى أنه قال مخاطباً سيف الدولة (١٣١٦) :

وما إذا إلا سمهري حملته فزبر معروفذا ورابع مبددا
وما الدهر إلا من روة فلاندي إذا قلت شعرا أصبح الدهر مئدا
فأربه من لايسر مشرا وعنى به من لايفي مفردا

أحزني إذا أنتذت شعرا فأنعا به شاعري أنك المدحون مرؤدا
ودع كل صوة غير صوتي فأنني أنا الصالح- المكحي والآخر الضدى
حكمه :

عاصر المتنبي فترة حربية من حياة امتنا في النصف الأول من القرن الرابع
الهجرة . وقد اكتسب تجربة طويلة من مشاهدته للناس وتأمله في الأحداث .
وكانت حيلة تلك التجربة . أن جانب ثقافته العميقة . حكما بليغة عذب على
الإناسة حتى قيل : «ماجتمع الشبان يتحدثون إلا كان المتنبي بينهما» .

(١٣١) شرح ديوان المتنبي ١٩ : ٢٥٥

(١٣٢) نقضه ١٢ : ٣٨٠

(١٣٣) نقضه ١١ : ٩٥٢

(١٣٤) نقضه ١١ : ٩٩٢ .

جاءت حكمه ضمن النقصائد ملاحمة مع معانيها . لا يعمل القارئ بأنها غريبة أو دغيلة . بل يراها ركائز جيدة تدعم معانيه وتفكره . واليك من أبياته التي أبرها مجرى الاستال في الحكم والاخلاق والشرسة ١٠٠١

أمر مكاني في الدنيا سرخ حبيب وخير حبيب في القرآن كتاب
وقوله .

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا
وقوله .

ومن يك ذا فم مريع، جذواً، الله القزلا

خليفك انت لامر قلت جلبي وار كثر التجدد والى الكلام
قوله .

ومن انصاف الايات قوله ١٩٨١.

عصائب قوم عند قوم فوائد
أدوا عظم المطلوب قل المساعد
أنا الفريق فما خوفي من البلاء
نير النكحل في العنين كالنكحل

وتجدر الإشارة الى ان الشيء لم يكن فيلسوفاً. وانما له نظرات عميقة وحكيمة
عظمها في اسلاك متينة وجذابة. اما ماذهب اليه ابو علي محمد بن الحسن
لحاتمي ان حكمه كلها مقتسة من ارسطو. فانما لانكر تأثره بهذا الفيلسوف في
حكمه التي تربت الى اللغة العربية عن طريق الترجمة. ولكننا لانستطيع ان
نجرد الحكم كلها منه. فهو ليس فقط له تعاريف الخاصة وقد تلقى مجموعة
من هذه التعاريف مع تعاريف الاخرين

(٩٨) ينظر شرح ديوان الفقيه، ج ٢، ص ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨.

(٩٨٦) ينظم شرح «ديوان الخليلي» ١: ١٦٩، ١٨٤، ٢: ٧، ٣: ٧٢.

يعدُّ أبو الطَّيِّب المتنبِّي من فحول الشعراء . وفرسان البيان . الذين أُنجزتْهم الأمة العربية . شغل الباحثين والنقاد في عصره وبعده . وصدق ابن رشيق في قوله : « ملأ أدنبا . وشغل الناس »^(١٧١) . ولا عجب حين قال المتنبِّي (١٧٢) :

وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول مع المرء أسئلة العشر

إنه حقاً ترك دوياً . وخلق ضجةً . وأكبر شاهد على ذلك وفرة خروج ديوانه . وكثرة الدراسات والبحوث التي كتبت في سيرته وشعره بين مادح وقادح . وحسب قول أبي منصور الثعالبي : « ليس اليوم مجادلُ الفرس . أمر بشعر أبي الطَّيِّب من مجادلِ الإنس . ولا تقلامُ كتاب الرِّسائل . أجرى به من اتسَن الخطباء في المحافل . ولا لحون المغنين والقوالين . اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت الكتب في تفسيره . وحلَّ مشكلاً وعويصه . وكثرت الدفاتر على ذكر جیده وعونه »^(١٧٣) . وتفرقوا فرقاً في مدحه والقُدح فيه والنُّضج^(١٧٤) عنه . والتمصب له عليه . وذلك أول دليلٍ دُرٍّ على وفور فضله . وتقدم قدمه . وتعرده عن أهل زمانه . بذلك رقباب القوافي . ورقى المعاني . والكامل من عدت مقطعاته . والسعيد من خبث هفواته . وما زالت الأملاك تهجي وتمدح^(١٧٥) .

كان المتنبِّي ذكياً قطعاً ذا ثقافة عالية^(١٧٦) . استطاع أن يجمع في شعره بين الصفة والطبع . وأن يوفق بين الاحساس والخيال . وأن يوائم بين العلم والتجربة . ويلائم في أغلب شعره بين الطبع والتخلص والخاتمة . ومن أظهر مزايا شعره الشرح والتوليد . والميل إلى الأسلوب الخطابي . والبالغة التي تخرج أحياناً إلى السخيليات . قال ابن رشيق القيرواني : « فإذا صرحت إلى أبي الطَّيِّب صرت إلى أكثر الناس غلواً . وابتعدن فيه هفةً . حتى لو قدر ما خلجى منه بيتاً واحداً . وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عليه غنى . وله في غيره منبوحة . كقوله .

(١٧١) (٩٥٧) : ١ .

(١٧٢) (شرح ديوان المتنبِّي ١ : ٢٥٩) .

(١٧٣) (المهن . المقروجات من النساء) .

(١٧٤) (النضج عنه . أراد الدفاع عنه) .

(١٧٥) (ينيمة الدهر ١ : ١٢٧) .

(١٧٦) (ينظر : ثقافة المتنبِّي وأثرها في شعره ص ٥٥ - ٣٦٧) .

يترتقن من فمي رشقات من فيه احلى من التوحيد

وان كان له في هذا تأويل ومخرج بجعله التوحيد غاية المثل في التحلوة فيه .
وقوله :

اذا قلته ثم يتبع من وصوله جدار معلّى او خباء مطب

فما وجه الخباء المطب بعد الجدار الكثيف ؟ بينا هو في الشريا صار في الشرى !
وانما اراد الحاضرة والبادية (١٣٣) .

ومن مميزات شعره التماسك الشديد . والترابط الوثيق . وتسلسل الافكار
وتناسقها وتأيدها بالحجج المنطقية والبراهين العقلية . مثل قوله معانياً سيف
الدولة (١٣٤) :

يا أعداء الناس الا في معانتي هيك الحصان وانت الحصن والحكم
أعينها نظرات مستك صادقة أن تحسن الشعم قيمن شحمه وزم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا لسوت عند الانوار والعلم

ويلاحظ انه كان يميل احياناً الى التعقيد . واستخدام الالفاظ الغريبة . والتصرف
في اللغة . واستعمال مصطلحات المطلق والفلسفة . واخذ معاني السابقين وصاغها
باسلوبه الخاص (١٣٥) . واللعب بالالفاظ مثل قوله مخاطباً كافوراً الاخشبي (١٣٦) :

جري العلف الا هيك انك واحد وانك ليس ذباب والنفوك ذباب
وانك ان قويست ضعف فارى ذباباً ولم يخطي فقال ذباب

اما موسيقى شعره فكان رائعا . وقد جاء ذلك من اختياره الجيد للاوزان
والقوافي وملاءمتها للالفاظ والمعاني . الى جانب استخدام بعض الالوان البديعية مثل
التصريح والجناس وحسن التقسيم ... فمن شواهد الجناس قوله (١٣٧) :

(١٣٣) الصفحة ٢٠٢ .

(١٣٤) ينظر ديوان المقتضب ٣٠٠٢

(١٣٥) ينظر الفصل الذي طبعه القماني بعنوان « سمر من سرقات المقتضب » في كتابه
بشيرة القمر ١٠١ - ١٥٤ . و « سرقات المقتضب » في كتاب الوسيلة للمرجاني ص
٩٦٦ - ٩٦٧ .

(١٣٦) شرح ديوان المقتضب ١٢٩ .

(١٣٧) شرح ديوان المقتضب ٤١٨ .

مَنْعَةً مِّنْ رَّوْحٍ

يَكْلَفُ لِعِطْرِ الرِّقْعِ

ومن سياتر العدد قوله (١٣٨) .

والخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

أبو فراس الحمداني

٢٢٠ - ٢٥٧ هـ

كانت مملكة الحمدانيين تمتد بين الموصل وحلب وديار بكر، ومن أقر رجائها أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان الشهور بسيف الدولة. انتشر - إلى جانب انتصاراته - سمواً على الروم - بحب العلم والآداب - قال الثعالبى : لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر ١٩٨١ - وذكر الغزولي أنه قد : أجمع له ما لم يجتمع لغيره من الملوك كان خطيبه ابن نباتة الفارسي . ومعلمه ابن خالويه . ومطربه الفارابي . وطباخه كشاحم . وحزان كنية الخاندقان والصنوبري . ومطأحه المنسي واللامي والأواء الدمشقي والبيضاء والسلمي وابن نباتة السعدي والصنوبري وغير ذلك ١٩٨٢ . وقد ضمت الأسرة الحمدانية مجموعة من الشعراء الجيدين . وفي مقدمتهم الأمير الفارس الشاعر الحارث بن سعيد بن حمدان المعروف بأبي فراس

سيرته :

الحارث بن سعيد بن حمدان . نزلت عليه كنيته : أبو فراس . وهي كنية الأجداد . حتى كان لا يعرف إلا بها . ولد في مدينة الموصل سنة ٢٢٠ للهجرة . ولم يحظ برعاية أبه : لأنه قُتل سنة ٢٢٢ للهجرة وكان والياً على الموصل من قبل العليفة المقتدر . وترعى في بلاط ابن عمه سيف الدولة أمير حلب تربيةً صالحة فيها علم وأدب وفروسيّة . وكانت أمه إلى حواره تنظر إليه بعطفها وحضانها

عاش في بلاط الإمارة بحلب . معزاً مكرماً . يستند على خبرة الأجداد . ويتدرب على أساليب العروبة وعنون القتال على يد فرسان مهرة . وكان سيف الدولة يعجب جداً بصحاحن أبي فراس . ويميره بالأكرام على سائر قومه . ويصططعه لنفسه . ويوظفه في غزواته . ويتخلفه على أعماله ١٩٨١ . وحينما أُنشئ ساعده وقوي عوده اتحيث نفسه وهو في السادسة عشرة من عمره إلى النطع للإمارة .

(٢٢٠) هجيرة الدهر : ٢٧٠

(٢٢٠) مطالع البدر : ١٧٦

(٢٢٠) هجيرة الدهر : ٢٨

فقلده سيف الدولة . بعد أن اطمأن الى قدرته في القيادة والادارة . منبج وحران واعمالهما جميعاً ١٧١١ واخذ يمدح ابن عمه بعد هذا الأمر ويشيد بعائته . مثل قوله : ١٧١١

وأصبح فمعلته في كرسي أمر وقد أصبحت منبجاً اليه
وأعجل فضله : ابدأ . أما وحسبى أن أكون له غلاماً
وأعطني . على الدهر . الذملاً وأراني كيف أكتب المعالي
وأبشأني ففتت به البرايا ورباني ففتت به الأناما
وزاد الله تميمه دوا

تعددت مظاهر حياة أبي فراس بعد توليه الحكم . فراه تارة يفارح البيزنطيين وينود الديار من جهاتهم . وتارة أخرى يلهو ويتصيد أو يجلس مع الادياء ويجاورهم ويشاند معهم الأشعار . ويروي أنه وقع في الأسر سنة ٣٥١ للهجرة في أثناء خروجه للصيد . أذا التقى بابن أخت ملك الروم الذي خرج في ألفا فارس الى نواحي صبيح وكان أبو فراس مع سبعين فارساً فسببت بينهما معركة غير متكافئة في العدد والعدد . كانت الغلبة للحصوم . بعد أن ألحق أبو فراس الجراح فيهم . ثم أسراً ١٧١١ وقد أشار الى ذلك في أول قصيدة قالها في الأسر : ١٧١١

ولا كنت ألقى ألف زرقاً عيونها بسمعي فبهم كل أشام . أنكد
يقولون . جئت عادة ماعرفتها شديد على لسان مالم يعود
قفلت : أما والله لا قل قائل شهدت له في الحرب الأمان مشهد
ونسكن سالفها . فانا سمنية هي الظن . أو بنين عر سوطه
نقل بعد أسره الى سجن في . حرشة . . وكانت جراحه تؤذي به . فكتب الى امه . وهي ملاده الاول . مايداني من الام وأحزان ١٧١١

[١٧١] زبدة الصلح ١١٩ . ١

[١٧٢] ديوانه ص ٣٦٧

[١٧٣] ينظر ديوان الشاعر ١١٩ . ١ . لهارب الامم ١١٩ . ١ . الكامل لابن الاثير ١١٩ . ١ . زبدة

الصلح ١١٩ . ١ .

[١٧٤] ديوانه ص ٨٥ .

[١٧٥] ديوانه ص ٣٢٢ .

مصابي حليل. والعزاة جميل. وطني بئن الله سوف يدبيل
جراح. تعامها الأمانة. مخوفة. وسقما. باد منها ودحبل
وأسر أفاسيه. وليسل نجومه. أرى كل شيء. غيرهن. يزول
تطول بي الساعات. وهي قصيرة. وفي كــــل دعر لاسرك طول
ثقل عليه السجن. ويزج به الشوق. واحله الألم. ولايسا بعد أن وضعوه في
مكان ضيق وألبسوه الثياب الخشنه. فكتب الى سيف الدولة قصيدة يدوم من كلماتها
أنه يعاتبه. (١٣١).

ابن المعالي. التي عرفت بها. تقولها نائما وتغفلها.
يا واسع الدار. كيف توسلتها. ونحس في صحرة تزلزلها.
يااعم الثوب. كيف تبدلت. ثيابا الصفوف ماثلها.
ياراكب العجل. لو بشرت لنا. نحمل أقيادا وننقلها.
رايت في الفتر أوجها كرمت. فارق فسيك الجمال اجعلها.
قد أفر الدهر في محاسنها. تشرفت بها تارة وتسجهنثها.

وتم فداؤه بعد أربعة أعوام شداد. ولا نظرو الاطباء في فك أسره كان يعود الى
تغير قلب سيف الدولة عليه كما ذهب بعض الباحثين (١٣١). بل السبب أن الروم
كانوا يحتجزون عددا كبيرا من أسرى المسلمين. ولم يكن بمقدور سيف الدولة أن
يقدمهم جميعا لصيق مايبده من مال. ولم يرد أن يفك أسر أبي فراس مع فئة
قليلة دون ذلك العدد الهائل وحينما توفر لديه المال الكافي سنة ٣٥٥ للهجرة تمت
الفداه (١٣١). وكان من بين الأسرى أبو فراس. ومحمد بن ناصر الدولة.
والقاضي أبو الهيثم عبدالرحمن بن القاضي أبي حصي.

عاد أبو فراس الى حلب ليمش بين أهله وذويه. وقد عرف من كان معه ومن
كان عليه. وشادت الأقدار أن يتوفى سيف الدولة بعد سنة من هذه العودة أي في
أوائل سنة ٣٥١ للهجرة. فأخذ أبو فراس يطالب بالامارة. مدخل حصص وأقام بها
بصرف امورها مما أوعر عليه صهر ابن اخته أبي المعالي بن سيف الدولة. فلوفد له
حيثا حاصره حتى قتل قرب حصص سنة ٣٥٧ للهجرة.

(٩٧٧) ١٤٧٧ هـ (٩٧٧) ١٤٧٧ هـ

(٩٧٨) ١٤٧٨ هـ (٩٧٨) ١٤٧٨ هـ

(٩٧٩) ١٤٧٩ هـ (٩٧٩) ١٤٧٩ هـ

فراس الحمداني لداكتور عبدالحليل حسن عيدالمهدي ص ١١٩.

تعره .

وصل اليها ديوان أبي فراس وشرحه برواية معلمه أبي عبد الله الحسين بن خالويه ، والفارسي في هذا الديوان بتقل بين الفخر والحكمة ، والمدبح ، والراء ، والغزل ، والوصف ... وهو في أغلبها نحيبٌ مدح . يجمع بين السهولة والحزنة والحلاوة .

كان لقومه محباً عظيماً في الآثار الحميدة والسجدا بالنبيّة التي حادته تيم العتوة والفروسية والنضال ، وهم كما قال (١٨٠) .

لنزل خلق الأندلس لحو كلس ومزمار وطرد حذرة مدحور ونود
عبد بن محمد بن بنو حسان الأجد كلس أو كلس أو الحود

عاش في كنف ابن عمه الفارس المقدم سيف الدولة . وتعلم في شبابه فنون القتال وضروب المحادثة والمصالحة . وقد بالغ حين جعل حاتم الأطلح في قومه من الرماح واليوف (١٨١) .

وبحق أناس . يعلم الله أننا إذا جمع الذهب الفضة شكائهم
إذا ولي المولود منا فأنما إل أمّة والبيض الزواني تحالمة

ويكثر من الافتخار بنفسه . ومكائنه بين قومه . في قرى أنصوف ومحاربة الاعفاء . ضرباً باليوف (١٨٢) .

على فتيات هذا النحي عني
ألمت أمّكم . لذوي . ظلاً
ألمت أمهم بالضييف عينا
متى ما يبن من أحلم كتابي
وموت في مقام العز أنهي
يقولن ما رأين وما سمعة
ألمت أمهم . لنقوم . خفنة
ألمت أمهم في الحرب أهله (١٨٣)
ألمت بين الأعنة والأنة
أو العز من عيش بمهنة (١٨٤)

(١٨٠) | ديوانه ص ٢٧

(١٨١) | ديوانه ص ٢٨٦

(١٨٢) | ديوانه ص ٢٩٢

(١٨٣) | اللهجة ، الطعام الذي يتعطّل به قبل المضغ

(١٨٤) | المهنة ، الاستعانة بالذي

إن شعره أنتودة في الفتوة والعروبة والاقدام . ولا عجب حين يسعته ابن شرف
القبروني بفارس الميدان وصاحب الفريب والطعان ١٣٨١ . ويسعيه الدكتور زكي
الحلبي شاعر القرحان وفارس الشعر ، ١٣٨١ .

ومما يلاحظ أن ضرره في المالب يأتي معزوجة بمدح الذي خضعت لقومه
وآثاره . ولأهمية الهدام كيف الدولة الذي مات الناس سياسة ورياسة وجوداً
ومطلوبة وفروسة . مثل قوله ١٥٥٥

ولم يلبس عليه القعدة بكل أرض.
 إذا التفتت عليّ برة قومي
 يخفوا بها إلى القنارات طود
 أشد البسة فارس من حين وأن أبزوا
 لييب القولة السقذخ المبعثي
 لمسحرف الدولة تحركهم المرحي

لقد أصبح الشعر عنده عنصراً من عناصر الفروسيّة أو محمراً مكملاً لها. فلا غرابة حين نجد له الجملة ترمي إلى شعره في موافقة الحزن والامس واللوعة. مثل قوله في رثاء ابن عمه أبي وائل تغلب بن داود ١٩٨١:

ما أن أبدا بك إليه . ولكنكم
دعنا إلى سبيل الهدى والعلو
أرى المعاني . إذ هي نعمة
الأذى البائل والمعارض البـ
كل ابن عمي أن عرا حادس

ويجد لغة العروسية أسما في بزمه الذي شغل حيرا جاززا في ديوانه . مما هو ذا
يحبل للهور خيولا مفيرة . وقت هي كتب الغرام . وسوقا هي رسائله ولواظمه .
وسوما هي الفافله . ويصور مواقع الحب كثيرة التتلى دون ان يشرب سب أو

چهارم: رفع ۱۹۹

(٩٨٨) : ١٩٨٨م بالکلام من ٩٨

١١٩ | نظر الحبيب إلى أديب العرب ص ٢٥٠

(۹۸۷) دیوانہ سے ہے

(2004)؛ فتظار ابو طراس الصمد الى دكتور النعمان الكاظمي ص 184

١٠٠٠ (١٠٠٠)

[٩٩-١] وهو أنه في ٢٦٨، ويتظر أبو فراس الصيني لندكتور النحاس القاضي في ٢٧٣.

كأن ابنة القيس في أخواتها
وهبت سلوى . ثم جئت أيوماً
هواناً غربت خربت الخيل والقنا
أغررت على قلبي بخيل من الهوى
بأسهم نعط . لم تركب نصالها
وقائع قلبي انح في كيرة
لأصيحني كل الشهام مصيبة
حذوت تراعيها الطبانة الخواذل (١٣٣)
ومن حذوت مارمت القنا والقنايل (١٣٤)
لنا كئت والبائرات رسائل
نطارد عنهن الخواذل المعازل
ولسيف لعظ . ماجلثها الصباقل
ولم يشتهر سيف . ولا هز ذابل
وأنت لي الرامي وكنتي مقاتل

ولابي فراس شعر في الوصف . وهو قليل . لم يأت فيه بشيء جديد . من ذلك قوله . وقد جلس في بستان يدع بأشجاره وأزهاره . ولما صافى في ترك جميلة نهب عليه الرياح فتحملاه شهباً بعذبات المروع (١٣٥)

أنظر إلى زهر الربيع
وإذا الرياح جرت على
جوت على ميض الصفا
وإذا في ترك اليبديع
في الغمام وفي الرجوع
لح بيمنا خلق المروع

ولعل روميته التي نظمها حينما كان أسيراً من أوجود الشعر الذي اتحف به الأدب العربي وهي . لباب شعراء وصفوه إنتاجه (١٣٦) حتى قال بلاشير . وقصائد الرومات ممتازة ببساطتها . وجزالتها وبالعاطفة الانسانية التي تسودها . وهي التي جعلت أبا فراس سيد شعراء العاطفة الانسانية وليس في عصره محسب . بل في كافة عصور الأدب العربي (١٣٧) وقد تنوعت ألحانه الرقيقة التي شدا بها في ليله بين الفخر والحماسة والحنين إلى الأهل والأصحاب والشكوى والرضا والغزل واتحكمة ولعل أجمل رومية تحمل دفق العاطفة وفيها المدامر قصيدته التي يقول في مطلعها: (١٣٨)

أراك عصي الدرع شيمتك الضبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

(١٣٦) البذول . المطبوعة المختلفة عن سواها المنفردة عن القطيع .

(١٣٧) القتال . الواحد القنبل والقنبلة . العاطفة من الناس أو الخيل .

(١٣٨) ديوانه ص ١٨٩

(١٣٩) في الادب الصليبي ص ٢٩٩ .

(١٤٠) الايام الشعر ص ٢٨٩

(١٤١) ديوانه ص ١٥٧

ومنها .

سيزكرني قومي اذا جد حنهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر
هان عشت فالطعن الذي يرفونه وتلك الفتا والبيض والضمر الشعر
وان مت فالاسان لا بد ميت وان طالبت الايام وانفج العز
ولو سد غيري ماسدت اكعوا بها وما كان يغلو الشيز تو تغق الشعر
وبعن اناس لا توسط عندنا لنا الصدر دور العالمين لو القز
نمون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحناء لم يغلها المهر
أعز بهي الدنيا وأعلى ذوي العلى وأكرم من فوق التراب ولا هجر

انها صادرة عن معاناة صادقة . ترفدها تجربة شعورية مريرة . متباعدة من فؤاد
مكلولوم ونفس هدها الحزن . وانها كها الألم . وتقر البعد الكرى عن عيني صاحبها .
كما يقول في رومية أخرى (١٣٣)

أبيت كاني للصبابة صاحب وللمنيوم مديان الحليط مجانب
وكم من حزين مثل حزني وواله ولكنني وحدي الحزين المراقب
ولست ملوما ان بكيتك من دمي اذ قعدت عني الدموع السواكب

نقد أحاطت بروميانه مشاعر وأحاسيس نابغة من الحالة المتألمة التي عاشها
تحت وطأة الألم . وغاب الأسر . ومرارة الإغتراب . في خلال الأعوام الأربعة التي
قضاها مضمداً بين جدران السجن .

ان شعر أبي فراس - علي العموم - وجداني يتم بالعذوبة والسر وقوة التأثير
في المتلقي . وحسبنا قول أبي مضر الثعالبي : . وشعره مشهور . سائر بين الحسن
والحدودة . والسهولة والجزالة . والعذوبة والفضابة . والحلاوة والمنة . ومعه رواء
الطبع وسعة الطرف . وعزة الملك . وله تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عدالله
ابن اقمتر . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز . (١٣٤)

ونختتم هذه الترجمة الموجزة بقول الدكتور زكي مبارك : . أبو فراس الوتر
الحنان الذي خلد على الدهر سجد الألم ومجد الأبين . أبو فراس الذي أبكى كل
عين . وأحزن كل قلب . وشغل كل بال . أبو فراس الأسد الذي استعذب الدمع بعد
الزفير . وعلمته الليالي كيف تعصف الخطوب بأحلام الرجال (١٣٥) .

(١٣٣) دهراته ص ٢٥

(١٣٤) هجعة الدهر ١٠٦

(١٣٥) المواقفة بين الشعراء ص ٢٠٤

أبو بكر الصنوبري

٢٢٤ - ٤ هـ

اشتهر كثير من الشعراء في أدبنا العربي بلون من ألوان الأدب أو بشكل من أشكاله . مثل أبي نواس في خمريته وأبي العتاهية في زهديته . وأبو فراس في روميته . والشريف الرضي في حجازياته . والصنوبري في روضياته .

سيرته :

هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مزار الصفي^(١) . يكنى أبا بكر . وفد عليه نسبة « الصنوبري » . زعم هو نفسه أن جده ، كان صاحب بيت حكمة من بيوت حكم الأمون فجرت له بين يديه مناظرة . فاستحسن كلامه وحذو مزاجه وقال له : « إنك صنوبري الشكل » . يريد بذلك المذكاء وحذو المزاج^(٢) . وقيل : أنه لقب به إشارة إلى صورته القزوينية التي تشبه نمرة شجرة الصنوبر^(٣) . ورواه بعض بهذا اللقب في شعره قائلاً : (١٠٤)

إذا غريباً إلى الصنوبر لم تقم إلى حامل من الخشب
لأجل إلى باسق الفروع علا ملبساً في أرومة الخشب
أما أنه إلى قبيلة نضبة العربية المشهورة فقد افترض به فقال (١٠٦) .

لو تم بكر لي في دؤابة خندب نسب سوى الأدب كثر عريها
أو لست أطولها مروءة في القلى وأمدها في المـ كرمات عروفا
نحن الذين نمت لنا أيلانا مجداً يحور نؤاة العبوة (١٠٧)

(١٠٠) (تهذيب تاريخ ابن عسك ١ ، ٤٤٦ ، الوافي بالوفيات ٧ ، ٣٧٩ ، قواف الوفيات ١ ، ١٢٦) .

(١٠١) (ديوان الصنوبري ص ٤) .

(١٠٢) (الصنوبرية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ ، ٣٦٩ تاريخ الأدب العربي) .

الصابي الثاني ص ٢٤٧ .

(١٠٣) (ديوان الصنوبري ٤٤٦) .

(١٠٤) (ديوان الصنوبري ص ١٠٤) .

(١٠٥) (العيوني ، كوكب مضى بهيال الثريا في ناحية الضيال) .

نفذنى الدلاء بمنازل متراكم
فلم اذا دلمسوا للحرب مرقوا
هلم الابداء بسيفوفهم تميزقا
فعدوا غريفا يقتلون اذا هم
راموا المروى وبأسرون هربقا

ولقد الصوبري في أنطاكيا . ونشأ وكبر في حلب . ولم نشر المصادر الى سنة ولادته وإلى طبيعة النشأة التي تلقاها . ولكن القاري يستدل من مراجعة شعره انه كان عارفاً بعلوم اللغة العربية وأدائها معرفة جيدة ومنقحة . وقد شهد الذين ترجموا له بشوقه في ميدان المعرفة . قال أحدهم . كان إماماً بارعاً في الأدب فصيحاً مفوهاً (١) .

أجاد نظم الشعر وأحسن إنشاده . وأخذ يتنقل بين المدن القريبة مثل دمشق والموصل وحمص وطرابلس والرققة .. ويقدم شعره بين يدي أمرائها وكبار رجائها ثم يعود الى حلب . وقد تعرف على سيف الدولة في الموصل قبل تأسيس دولته في حلب (٢٠٩) ومدحه بشعره وأجاد بطونته حينما كان يشارك الروم مع الجيش الذي يذهب لحماية العمور ورد كيد المعتدين على اديار الاسلامية

وعندما نولى سيف الدولة حلب . قرب اليه الشعراء وأكرمهم . وكان الصوبري واحداً منهم . اذا اتخذ نديماً من أخلص ندائه . وجعله أميناً على مكتبته في قصره عاش الصوبري في سر ونعيم في قصر ضيق يحيط به بستان كبير فيه انواع الأتجار والأزهار والرياحين . وكانت له صلات كثيرة وصدقات وثيقة مع عدد من العلماء والأدباء . مثل الشاعر كشاحم . والعالم اللغوي على بن سليمان بن الأختصر الصنبر

وتوفي سنة ٢٢٤ للهجرة وقد ناهز الستين (١٠٠٠) .

شعره :

كان الصوبري مكثراً في نظم الشعر . وقد عُي به انكثيرون وهو على قيد الحياة ورووه عنه . منهم تلميذه الشاعر أبو العباس الضمري وعنه رواه القاضي أبو

(١-١) النجوم الزاهرة ٢ / ٢٨٧ .

(١-٢) صف الطبيعة في شعر الصوبري . فوز أحمد طوقان . مجلة مجمع اللغة العربية

بدمشق . م ٤٤ / ٢ / ١٧٩ .

(١-٣) العصر العباسي الثاني ص ٢٥٢ . القصر في رحاب سيف الدولة الحمصاني ص ١٠٦ .

عمر عثمان بن عبدالله الطرسوسي (١٧٨٤). واهتم به معاصره أبو بكر الصولي فجمعه ورتبه حسب الحروف الهجائية في مثنى ورقة ١٧٠١. ولم يصل من هذا الديوان إلا جزء يشتمل على شعره من قافية الرأى حتى القاف. وأضاف اليه محققه تكملة للشعر الذي وجدته في المصادر المخطوطة والطبوعة. ثم قام باحثان آخران بصنع تكملة له ونشراها في كتاب مستقل ١٣٨١.

اتصل الصنوبري بكثير من رجال عصره، وحصلهم بمديحه. وإنتاج فضله ونوالهم. وكان معجباً بسيف الدولة وشجاعته وشهامته وقوة إرادته وحسن بلائه في محاربة الروم مثل قوله ١٣٥١،

تركبت الروم . بمعضهم قنيل يصحح دما وبمعضهم أسير
ولما طار بأبك أمسي فيمضهم هموا هزعا كما تهفو الطيور
فسقد ماثوا وما قسروا ولكسن كأن بيوتهم لهم قسور
لسيف الدولة السيف الذي له سنايا في يرازيسه رؤس

هذه الأبيات كما يلاحظ خلت من التجديد والابتكار. وهي واضحة المعنى. سهلة الالفاظ. تتلائم مع القافية ذات الجرس المعتاد. ومن الذين مدحهم بكثرة. وأُسِّع عليهم هالة من الحلاوة والمظمة أبو الحسين علي بن محمد بن حمزة الهاشمي. وكان موسراً له ضياع يتوسطها قصر جميل تحف به الرياض البديعة في مكان يسمى، فارث. وكان الصنوبري يزوره بين حين وآخر ويجالسه ويتنعم معه بأطيار الحياة وينال رفته. ويقدم بين يديه شعره. مثل قوله من قصيدة عبثية تجاوزت سبعين بيتاً ١٣٥١.

يومَ بغارث غمسه لا يدفع يومَ أُنْزِلُ من الزمان مُلْغ
جالث فيه أبا الحين بمجلس خلق الزبيع على راية تُخلع
جملساؤه فيه هزبر ضيف وعصمفر ضار وأغلب ألوع

(١٣٤٩) ينظر ديوان الصنوبري ص ١٨٧ هامش ٢

(١٣٥٠) الفهرست ص ٣٢٩ .

(١٣٦١) . حقق الديوان وصنع له لكيفة الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٧٠) . أما التتمة فهي من صنع لطفي السفال ودرية الطليب (حلب ١٩٧١) .

(١٣٦٣) ديوان الصنوبري ص ٧٤ .

(١٣٦٣) ديوان الصنوبري ص ٩٢٤ .

فخلعت فيه جذار نهر لم يكن في غيره من قبل ذلك يخلع
 وأخذ الرثاء مكاناً كبيراً في ديوانه . ولا سيما في سنة . ليل : التي رثاها
 بقصائد ومقطوعات تلمح بالحزن والأسى وتمتليء بالبكاء والأنين يستبكي فيها
 كل شيء حتى الطيور (١٣٤)

سأبكي . ما أبكي الضعيف . ينسب بحر من دمعي بل بحور
 ألت أحق أن أبكي عليها أيا نكتب الطيور على الطيور

وكانت ليلي هذه ابنة الوحيدة . ولذلك كان مصابه فيها كبيراً . وقد زُين قبة
 قبرها بباب قسريس بطلب بأبيات من نظمه يتجلى فيها الألم العميق الصادق . إذ
 جعل على كل جانب من جوانب القبة ستة بيتين (١٣٥) من ذلك قوله .

أنس الله وحششك رحمة الله وأخذت
 أنبت في صحبة البلى أحسن الله صعبتك

وكل من مرهف الجرح بارعاً في التصير عن خوالج به . فمن جميل غزله الذي
 صوّز فيه شوقه وحينه قوله في الأبيات الآتية . ويلاحظ القاري فيها تفننه بالصورة
 ومزجها بالوان لطيفة في تشكيل جزئياتها (١٣٦) .

تزايد ملأنى . فقد جاوز الحد . وكان الهوى نزجاً فصار الهوى جذاً
 وقد كسّ جذداً ثم أوحى الهوى وهذا الهوى مارال يستوحى الجلدا
 فلا تعجبي من غلب ضعفك قوتي حكم من غلب في الهوى غلبت أدا
 غلبت على قلبي فصرنت أحق بي وأملك لي مني فصرنت لكم عبدا
 جرى خبثكم مجرى حياي ففقدكم كفقد حياي . لا رأيت لكم فقد

وله شعر في وصف الخمرة يقترب بالعمق . وقد مضى فيه على سنن معاصريه من
 الاكثار من التشبيهات . وذكر أوصاف السفة ومماثلهم وجمال حيواتهم وأثرهم في
 نفوس الشاربين . ويبدو أنه قد أفلح عن ذلك في وقت مبكر . وربما كان موت ابنته
 ليلى أثر في ترك اللذة والهوى والشرب . إذ نراه يقول (١٣٧) .

(١٣٤) ديوان الصنوبري ص ٦٤ .

(١٣٥) ديوان الصنوبري ص ٥٦ . وينظر تهذيب ابن حاكم ١ : ٤٦٩ . اعلام النبلاء بتاريخ

حلب الفهيد ١ : ٦٤ .

(١٣٦) ديوان الصنوبري ص ٥٣٣ .

(١٣٧) ديوان الصنوبري ص ٢٥٨ .

كَيْفَ أُجِيبُ الْغَيْبُ جَدًّا فَمَنْ حُبِّي الْغَيْبُ يُبْعِثُنِي
مَلَأْتُ رِضَاءَهُ لِي شَرَابًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . لَحْمَتُ الْأَرْضِ
وَيَنْتَقِلُ إِلَى نَظْمِ أَشْعَارٍ فِي الرَّهْرِ . يَدْعُو فِيهَا إِلَى نَبْذِ الْمَعَاصِي وَالْكَفِّ عَنِ الْآثَامِ .
وَيَدْعُو إِلَى التَّوَجُّهِ نَحْوَ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ وَالسُّبُوكِ الْمَلِيسِ . مِثْلُ قَوْلِهِ (١٠٠٥) :

فَأَكْثَرُ مَا اسْتَطَعْتُ الْعِلْمَ . إِنِّي رَأَيْتُ الْحِلْمَ مِنْ كَرَمِ الْمَطْبَاعِ
وَلَا تَعْمَلُ إِذَا حَاطَتْ أَمْرًا تَنْلُ مَا زُفْتُ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَاعِ
وَمَا لَمْ تَسْتَطِيعْ فَعَدُّ عَنْهُ وَأَوْضِعْ فِي سَبِيلِ الْمَحْتَطَاعِ
هَزْزُكَ مَوْفٍ تَدْرُكُهُ جَمِيعًا وَلَوْ أَوْضَعْنِي بِأَهْوَاءِ السُّبْحَانِ
فَلَا تَنْسَبِغُ أَخَاسِفُهُ وَدَغَمُهُ وَكُنْ لِلْحَرِّ دَهْرُكُذَا تَسْبِغِ

أَنَّ شُهْرَةَ الصُّنُوبِيِّ مَا جَاءَتْهُ إِلَّا مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي خَصَّ بِهِ الطَّبِيعَةُ . حَتَّى
ضُرِبَ الْمِثْلُ بِرُوصِيَّاتِهِ . وَحَقًّا كَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ مُتَّفِقًا بِطَبِيعَةِ وَوَصْفِ الرِّبَاضِ فِي
الرَّبِيعِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَغْشُ لِهَذَا الْمَوْضِعِ مَعِيشَةَ الصُّنُوبِيِّ وَلَا اتَّخَذَتْهُ بَسْتَانًا يَرْرِعُ فِيهِ
الْوُرُودُ وَالرِّيَاحِينُ وَالْأَزْهَارُ . وَيَتَعَهَّدُهَا تَعَهَّدَ الْمَحِبِّ الْوَامِنِ كَمَا صَنَعَ الصُّنُوبِيُّ . هُوَ
بَعَثَ شَاعِرَ الطَّبِيعَةِ . عَاشَ بِتَقْضَى حَيَاةِهِ وَرُوحِهِ مِنْهَا . وَأَصْعًا لِحَدَائِثِهَا وَسَائِغِهَا
وَرِيَاضِهَا . حَتَّى لَبِصَحَ ذَلِكَ كُلُّ شَغْلِهِ وَكُلُّ وَكْدِهِ مِنْ حَيَاتِهِ (١٠٠٦) . وَتَذَلُّكَ عَذَّةُ أَدَمَ
مِنْ أَوَّلِ شَاعِرِ الطَّبِيعَةِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ (١٠٠٧) .

لَقَدْ هَامَ بِطَبِيعَةِ . وَانْحَدَبَ إِلَيْهَا . وَتَعَاطَفَ مَعَهَا . وَتَجَلَّوْا مَعَهَا نَحْوًا
وَجَدَانِيًّا . وَامْتَرَجَ بِهَا حَتَّى أَصْحَحَ جِزْمًا مُتَعَاكِدًا مِنْهَا . وَقَدْ لَمَسَ ذَلِكَ صَدِيقَهُ
الْحَكِيمُ كُتَّابُجِمَ . وَدَالَ لَهُ (١٠٠٨) :

فَالْهَيْتُكَ بِسِسْتَانٍ مِمِّسِكَ ذَاتَ السَّيْسَانِ وَالرُّهْرِ
وَمَا شَبَّهْتَ لَدَا خَلِيلِهِ وَهِيَ مِمِّسُكَ دَارَ وَمِمِّسُ قَطْرِ
وَمَا جَدَّ بِهَا مِمِّسُ غُرْسٍ وَمِمِّسُ حَرْثٍ وَمِمِّسُ بَفْرِ
وَنَارَنَسِجٍ وَرِيَّاسِجَانٍ حَنْبِي طَيِّبَ النَّشْرِ

(١٠٠٨) دِيوَانُ الصُّنُوبِيِّ ص ٣٢٢ .

[١٠٠٩] التَّوَجُّهُ إِلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ . الْمَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الثَّانِي ص ٣٢٢ .

[١٠١٠] الْخُطَابَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْقُرُونِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ ص ٦٢٠ .

[١٠١١] دِيوَانُ كُتَّابُجِمَ ص ٣٢٩ .

كان موبعا بالريبع ، ينتظره بشوق ولهفة ، لأنه يرضي حاسته البصرية المفتونة باستجلاء الألوان ، النهمة الى النور والثور ، كما يرضي أذنه التي تظربها أصوات الطبيعة يغنيها التمغري والفاخته ... أكثر مما يظربها المود والطنبور ، وكما يرضي أنفه الذي يمتلي به أريج الربيع فلا يجد معنى للمك من بعده ولا للمكافور وكما يرضي بعد ذلك كل نفسه فتطمئن اليه (١٧٧١) ، مثل قوله (١٧٧٢) .

يارب قومى الآن ويحك فانظري
كانت محارن وجهها معجوبة
ورد بدا يحكي التحدود وترجس
والزرق شبة عاكر مصطفية
والسود تحبب العيون غوايا
وكان احداهن من نفع الضيا
والنهر قد غرقت ارواح الضيا
لو كنت املك للرياض صيانة

ما لربى قد اظهرت إعجابها
فالآن قد كشف الربيع حجابها
يحكي العيون اذ رأت أجابها
قد فوقت عن فجا ثنائها
قد شمرت عن سونها الثوابها
حوة تلاعب مؤهلا لرابها
طربا وجرت فوقية أهداسها
يوما لا وطني اللام ترابها

ان لوحاته في الرياض الناضرة جميلة وبهية تتحذب الرائي وتحره ، لأنها مرسومة بيد ماهرة تعرف كيف تشكل بين الألوان وتستجيبها واليك الأبيات الالية وهي تعطيك مجموعة من الأزهار في تشكيل لطيف بين أقحوان ، وسوس وشقيق ، وبنار ، وأنريون ، وترجس ، وخيري ، وسرين ، وورد ، وباسمين ، وعزاسى ، وقصوم (١٧٧٤) .

أقحوان وسوس وشقيق يسوق
وبهار يسبحنى وأنريون
ل عسبون ترنو اليها عيون
ل عسبون ترنو اليها عيون
مرق فيه الخيري والنرين
رقي ، غنى في جوه الشمين
ه وذا الوردة فسيمه والياسمين
ه وذا الوردة فسيمه والياسمين

وبدا الدرجس البديع كأمتا
ما ترى جانب الهنى وقد اش
صاخ فيه الهزاز ناخ به الفم
فلها غيصومته وخزاما

(١٧٧١) شعر الطبيعة في الادب العربي ص ٩٠ .

(١٧٧٢) ديوان الصنوبري ص ٤٤ .

(١٧٧٤) ديوان الصنوبري ص ٤٤ .

وحظيت المياه متمثلة في السحاب والأنهار والعدرا والسواقي والجداول والبرك . بتصيب كبير من شعر الصوبري . فيها هو ذا يصف بركة وصفاً جعلاً يذكرنا فيها بأبيات أبي عبادة البحتري في وصف بركة التوكل . وقد حاله التوفيق في عرض صورتها ١٢٠٠ .

بقى جنباً منك دمنفة	بطلني الرقوة اذا ما عفاك
ميا دينة يطهفن الزياض	واحاشه ييهن البرق
تري الريح تنسج بر مائه	دروعا مضامفة او شبك
كان الزجاج عليها اذ يرب	وماء الطحين بها قد لبك
هو الجو من رفة غير ار	مكان الطيور يطير الشمسك
وقد نظم الزهر نظم الحوم	فمفترق النظم او مشبك
كما درج الماء من الضبا	ودبح وجه السماء الحبك

وفتح الصوبري الباب للشراء في وصف الثلج والتغني بجمال منظره . ولا سيما حينما يتقاط على الأرض كاللؤلؤ النور أو القطر المصوف . وهذا ما أكده الدكتور سيد نوفل بقوله . . . ويعد الصوبري أول من تغني بالثلج وبدائعه ١٢١٠ . مثل قوله ١٢١٠ .

نعالى الله خالقي كمدل شيء	بقدرته وبأري كل نفس
لقد أضحى جميع الأرض تجري	كواكبته بسعة لا تحس
ألم تر كيف قد لبست زياها	من الثلج المصاع أي لسر
سباباً لا تزال تذبذب ليلها	إذا الأيدي عرض لها بلعس
كان المعين مما بست منه	على أرجائها أنداف بوس

نالت التلجيات إعجاب شعراء العراق وكان الوزير العس بن محمد المهدي في بغداد ينشر في محاله قصائد الصوبري وينسج على منوالها ١٢١٠ .

(١٢٠٠) ديوان الصوبري ص ١٢١ .

(١٢١٠) شعر الطبيعة في الأدب العربي ص ٢١٥ . وينظر فتون الشعر في مجتمع العداليين ص ٢١٠ . الجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري ص ٢١٠ .

(١٢٢٠) ديوان الصوبري ص ١٢٢ .

(١٢٣٠) المضادة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص ١٢٣ . وينظر أبيات المهدي في وصف الثلج في نهاية الدهر ١٢٣٠ ص ٢٢٨ .

لقد كان الصنوبري متدفقاً في عطائه الشمري بأسلوب واضح جلي . لا يسهره ولا غموض . وكانت الألفاظ والمعاني متناسقة عنده إلى جانب توافقهما مع الموسيقى . وكثيراً ما يستعين بالتشبيهات والاستعارات في تحسين صوره وتوضيحها مع استخدام المحسنات البديعية ولا سيما اليماس .

السري الرفاء

١ - ٣٦٢ هـ

في ظل الدولة العباسية التي سطت نفوذها على العراق وبلاء فارس وما وراء النهر حتى حدود الصين شرقاً . وبلاذ الشام والجزيرة وجزء من شمال أفريقيا غرباً . برزت مدن كثيرة لا تقل شأناً عن بغداد . وأصبح لها دور بارز في معالي العمران والثقافة . وبومها الداني والفاسي للتعليم في ظلالها والتزود بزيادة المعرفة من مدارسها ومن فطن فيها من العلماء والادباء . والموصل إحدى هذه المدن التي انجبت نخباً طيبة من العلماء الفضلاء . والادباء الاجلاء . منهم ادبنا السري الرفاء .

سيرته :

هو السري بن أحمد بن السري الكندي يكنى ابا الحسن . ويعرف بالسري الرفاء . لأنه كان يرفو الثياب ويطرزها في صباه ١٣١١ . وقد اشار الى هذه المهنة في شعره . فقال : (١)

وكنيت الابرأ فبعضاً مدحني مائة وجهي واشعاري
فأصبح الزرق بسها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

وهو عربي من قبيلة كندة المشهورة . وقد افتخر بها في شعره (٢) . ولد في مدينة الموصل في الحقبة الأولى من القرن الرابع للهجرة . وتعلم الفقه والكتابة في الكتابات . ثم درس القرآن الكريم والحديث الشريف وشيئاً من النحو واللغة والادب . وحسبما اشتغل في أحد دكاكين الرفاثين لم ينقطع عن التعلم والتفكير وحضور مجالس العلماء والادباء والافادة منهم . وكان ينظم النظم لطائفة الكتب وحفظ الشعر حتى برز شاعراً متمكناً من ناحية القريض .

وجد السري الرفاء نفسه عربياً بين الذين يزاولون مهنته . وانها لا تدبر عليه لئال الكفاي لحيته . فبدأ يحقرها . واخيراً تركها واحترف مهنة صيد السمك . وله

(١-٢٩) بقيمة الدهر ٢٠٢ - وفيات الاعيان ٢٠٩ ، ٢٤٩

(١-٣٠) ديوانه ٢٠٢ ، ٢٤٩

(١-٣١) ينظر ديوانه ٢٢٤ ، ٢٢٤

أبيات من قصيدة يشير فيها الى الشبكة التي كان يستخدمها وهي غنيقة بالية
غيراً (١٣٣٦).

وشاحب السببة والايضا
أفنى به الغدوم الى الغضا
أعبر يحوي الرزق من غيراء
كأنها علف لمة الرزاء
فأقبلت تملأ عين الرائي
أبيض مثل الفضة البيضاء
أشعث مائى العهد بالرخاء
فوجهه المضحك والهواء (١٣٣٦)
خفيفة لتقبيلة الأرجاء
كلضها نخط سنان لقا
بكمال صافي النسن والأحشاء
لو كذراع الكاعب الحشاء

ويبدو ان هذه القصة أيضاً لم تجده نداء. فاعتزلها. وانصرف الى الشعر بمدح
ويتكسب به. وكانت اول صلتة بناصر الدولة وأولاده من الامراء الحمدانيين في
الموصل. وذل منهم العطايا والهدايا. ولكن سرعان ما حصد الشاعران الموصليان
الاخوان ابو بكر محمد. وابو عثمان سعيد. انا هاشم الغاتديان. واحذا بكيدان
له ويوغران صدور مدحجية. وافلحا في سعيهما المقيت حيث قطعت عنه العونة
وسامت حالته. واضطر الى مغادرة الموصل الى حلب هرباً من شر هذين الخصمين. قال
ابو منصور التتالي. « ولم يزل في ضحك من العيش الى ان خرج الى حلب.
وانصل بسيف الدولة. واستكثر من المدح. فطلع سغدة بعد الأقول. وبعد صيته
بعد الخمول. وخس موقع شعره عند الامراء من بنى حمدان ورؤساء الشام (١٣٣٦).

لم تدم ايام التميم طويلاً في حلب. حيث تبعه الغاتديان. واحذا يشعلان نار
الحقد والكراهية عليه. واستطاعا بما أوتيا من لباقة وحن منادمة من تقليل شأنه
عند سيف الدولة وابعادته عن مجلسه وحرمانه من كرمه. وقد اشار في قصيدة له الى
ذلك. فقال (١٣٣٦).

علام حرمتني انشاد شعري
ولي فيك التي ثلني القواني
نقص عن مذاها الریح جزياً
لذيك وقد تـشـادة الانام
اذا ذكرت ويطرخ الكلام
وتعجز عن مواقعها النعام

(١٣٣٦) هـ ١٠٣٣

(١٣٣٦) هـ ١٠٣٣. الفصحى. وقيل هو خولها.

(١٣٣٦) هـ ١٠٣٣. هشة الدهر ١١٩.

(١٣٣٦) هـ ١٠٣٣.

تألمت خشناً شاد وجاد فحسب بها الضحايا والمدام
لك النغم التي جلت ولكن ذووي منك والقرب السمام
وتشريع النقيام أراد منك ملوك الصغافين له قيام
واحدخاري اذا خبرت مدحاً لستمسح ماأخبر والسلام
لم ينفع هذا العتاب على نفور الأمير منه ومنعه من انشاد شعره بين يديه .
وبقي في حلب مجابهاً خصمه اتخاذه بين بالهجاه . ولكن وجد نفسه في آخر الأمر
في حرج . فخرج الى بغداد في اواخر سنة ٢٩٩ للهجرة .

اتصل في بغداد بكبار رجال الدولة مثل الوزير الحسن بن محمد الملهي
والكاتب ابي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي . واصبح في رغد من العيش . ولم
يكن يعلم ما تخبئه له الايام من ترور . اذ جاءه نأ مقدم اتخاذه بين الى بغداد
واتصالهما بالوزير الملهي . وقد حققا نواياهما . حيث نجحا في ايماده عن هذا
الوزير وعن كبار كتابه .

عاش بعد ذلك فقيراً يئساً لا يستطيع دفع ايجار داره (١٣١١) . والتجأ الى مهنة
الوراق . واخذ ينسخ الكتب وبيعها ويقتات من ريعها الى ان افرخته المية سنة ٢٩٢
للهجرة (١٣١١) وترك من بعده ديواناً شعرياً . وكتاب . المعجب والمحجوب والمشموم
والشروب . وكتاباً آخر باسم . الدبرة . لم يصل اليها

شعره :

كان السري الرفاء شاعراً محيذاً . قال ابن النديم . . السري بن احمد الكندي
من اهل الموصل . شاعر مطبوع . . عمل شعره قبل موته نحو ثلاث مئة ورقة . ثم
زاد بعد ذلك . وقد عمله بعض المحدثين الادباء على الحروف (١٣٨١) . لقد كثرت
نسخ ديوانه بين الايدي آنذاك . لانه كان ينسخه بنعه وبيعه . عندما افتقر في
ايامه الاخيرة في بغداد (١٣٨١)

(١٠٣٦) تاريخ بغداد ٩ ، ١٩٤

(١٠٣٧) المنظوم ١٢٠٧ ، معجم الادباء ٦ ، ٢٢٩

(١٠٣٨) القهرست ص ٢٤١

(١٠٣٩) ينظر تاريخ بغداد ٩ ، ١٩٤

طرق الموضوعات الشعرية المعروفة من مديح وعجاء ورثاء وغزل ووصف وفخر وعتاب واعتذار وحكمة . وقد اجاد في جميعها وقال احباب الدارسين . قال ابو منصور الشعالي : « السري وما ادراك من السري » صاحب سر الشعر . الجامع بين نظم عقود الذر . والنث في عقد الشعر . ولله دره ما أعذب بعره . وأصفى فطره وأعجب أمره (١٧١) . وقال فيه ابو هلال العسكري : « وليس فيمن تأخر من الشائير اصفى الفاظاً مع الجزالة والسهولة وأكثرم تعود الشعر منه » (١٧٢) .

نظم السري الرثاء شعراً كثيراً في المديح . وقد افرغ في كثير منه جل طاقته الغنية . كما يستطيع أن يجاري الشعراء المذاهين الكبار امثال ابي الطيب المتبي . وابي العباس النامي . وابن نباتة السعدي . وابي الفرج البغدادي . والمولوي النمطي . فيها هو ذا يشارك الشعراء في مدح سيف الدولة الحمداني . مطهراً دوره البغدادي في حماية تربة الوطن . ومبيناً كفاحه في مواجهة الروم (١٧٣) .

يفتى الفراغ فينشئ ومماثة في غرب منضله وفي جلبابه كالطيب آثار اللؤلؤ فبيته في لبدتيه وفي ثياب انيابه سئت ملوك الروم أن حياتها ومماثها في عمده وعقابيه في كل عام غزوة يقص بها ونظراً له وينال من اربابه لوفى فدا شعبهم بمرمر ينسي القضا الرجب يلى شعبه كالطود لا يثنيه عن منمئج حدى يدكف رقابة سرقابه نرجسي التمنون جيلده محزومة بالحرزم او يحدى الردى بركايبه

بهذا الألوب الفخم يعظم فارسه الشجاع . ويعطي من شأنه . ويجعله كالطود الأشم في الصمود والمقاومة . ونجد في ديوانه مدائح للأمراء الحمدانيين الآخرين وكذلك لتخصيات كثيرة في حلب والموصل وبغداد . وهو في جميعها يشيد بجلودهم وكرمهم وحيد صفاتهم كما ينال رضاهم ثم عطانهم

وحينما شق طريقة الى رحاب المعجذ عن طريق الشعر الجيد نافسه الكثيرون وانقلب بعضهم الى خصوم يعادونه . ويستغصون من فيسته وينفضون من قدره . مثل

(١٧٠) رسالة الدهر ٩ ، ١١٧ .

(١٧١) ديوان المتبي ١٢ ، ١٧ .

(١٧٢) ديوانه ١ ، ٣٧٦ .

الحالدين . وأبي العباس الثامي . وعلي بن العصب الملحي . وإليك الايات
الآتية في هجاء الحالدين بعدما سمع انهما متوجهان الى بغداد . مخفراً إيهما من
عقبة الرجوع الى المعاداة (١٢٢)

اني نبتت على السواء إليكما فتأقبا لتعادح العنتاب
نبتت مجانيق الهجاء وإن رأت لكما ضؤولة منصبي ونصاب
فإذا أصابكما غضاب سهامها غرت مدى الأيام غَيْرَ غضاب
فلتلتعنكما سعائم مطقي ولتفرقنكما سيول شعابي
ولأضربنكما على ما خيلت بصوارم للشعر غير نوابي
فأريكما الدنيا به مسغبرة حتى تظنّ اليوم يوم ضباب

وله شعر لطيف في الغزل . صور فيه وجهه وهيامه بلغة رفيقة شذاعة تهرّ السامع
بمعانيها السامية . مثل قوله في الايات الآتية التي ملأها ياقوت الحموي من غرر
شعره الكفرني . وقد جاءت في مطلع قصيدة مدح بها أبا الهجاء خرب بن سعيد بن
جبدان (١٢١)

بلاني الحب فيك بما بلاني فشتني أن تفيض غرور شاني
أبيت السليل مرتقباً أناحي بصدق الوجد كاذبة الأمانبي
فتشهد لي على الأرق الثريا ويعلم ما أجر المصروفان
ومذهبة الخلود بمجلىلنا مفضضة الشفور بكسحوان
سفنا الله من ربك ريساً وحبانا بأوجهك تحمان
تصرف طاعتني عن نهاني دموع فيك تلعي من لحاني
ولم أجهل نصيحتة ولكر جنون الحب أحل في حناني

وشارك في شعر الرثاء . وهو له يأت فيه بجديد . بل قلد القداس في معانيهم
وصورهم . ولعل أجود ما قال في هذا المجال قصيدة في رثاء قوم من بني شيان
ضلوا وكان فيهم صديق مخلص له يكس أبا الفضل . وكان الوقت شديد الحر فلما
قربت أعانهم حلات السماء بوابل مدرار من المطر (١٢٠) .

(١٢٩) هـ رثاه ١ : ١٢٩

(١٢٨) هـ رثاه ٢ : ٢١١ . صميم الأدهاء ٤ : ٢٢٨ .

(١٢٥) هـ رثاه ٢ : ٢٠٠ .

أباً الفضل غلتك الخطوب ولم يكن
فأصبحت مسلوب القمص وطالما
وحولك من بكر بن وانلر فتية
أصابهم ريب الزمان وأما
كلهم في الليل ركب تحيروا
تلقاهم سر الهجير برفقة
وانحى الحيا في غير حين أوانه
كان السماء استمرت لصاحبهم

وبلغ في شعر الوصف ذروة نظمه . إذ أبدع في وصف الطبيعة وما فيها من مناظر
خلابة . وأجاد في تصوير مظاهر الحياة آنذاك . وأحسن في تناول الأطعمة والأشربة
ووصفها . ونستطيع القول . إنه أحد التمرزين . شأنه في ذلك شأن الآخرين
المشهورين في هذا الفن مثل التصويري وكشاجم . ولعل في قول أحد الباحثين
مبالغة . إنه أعظم وصافي القرن الرابع إن لم يكن أعظمهم (١٩٧١) .

كان معجباً بشعر أبي نواس . مفتوناً به . وقد عثر عن ذلك في وصف الهلال
حين بنا في كبد السماء الزرقاء . مشهاً به طرف الطوق الجميل في عنق الفتاة
الحصاء (١٩٧١) :

ألا غداً لي بباطنية وكاس
ورق هنيئ براسيق وطاس
وذاكرني بشعر أبي نواس
على روض كشعر أبي نواس
ونسيم مرهفات البرق فيه
عوار والزياض بدد كونه . . .
ولاح لنا الهلال كسطر طوق
على لبائت زرقاء اللباس

إنه كثيراً ما يشبه مظاهر الحسن والجمال في الطبيعة بالحساوات اللواتي يبهرن
الناظرين بمفاتهن وزنتهن . مثل قوله في تصوير لطيف لسطر الثلج (١٩٧١) :

(١٩٦٩) (المرى الرقاد . يوسف أمين الصير . ص ٤٩ .

(١٩٧٧) (ديوانه ٢ . ص ٣٧٧ .

(١٩٧٨) (ديوانه ٣ . ص ٥٥٩ .

كأن ذُرَا القصب نسر منه خلى الكافور ربّات الحجال
 نلّأت الرّبي لـ غـلاها كأن على الرّبي أثواب الـ
 تجول العير فيها وهي فيه كتهب الخيل رخن بلا جلال

وكان يهوى الأماكن القريبة من الأنهار . ولذلك كثر وصفه للأحياء التي تحيط
 بها كالأشجار والأزهار والثمار . أو التي تقوم عليها كتحور والدواليب . أو التي
 تحري فيها كالسن والتوارب . واستاز بلون طريف آخر يتصل بالأنهار وهو وصف
 المسك . فإنه كأن يَكُرُّ لـ صيد مسروراً مع طلوع المحر . ويتشعّ بمنظر الطبيعة
 الساحر . واليك اللوحة الآتية التي تُكشّف بك عن صياد ماهر يلتقي شباكه في النهر
 ويستخرج ممكاً شبيهاً بالمندى أو بصغار الغنابير ١٢٨ .

قد اعتدي نشوان من خمير الكرى أحبّ يردّي على يرد الثرى
 واتضح حنن بين أحشاء الدجى والريح كالراج زأى عنها القذى
 يـ رـياها على زهر الرّبي بذلت أحداق تـرى ما لا يرى
 ملاقة ما تُـجـتـ لـ شـر تـدى تريك ضعفاً ظاهراً وهو غوى
 وجده تحببها العين يـلى غبراء كالذرع تفسفها الضا
 نـعـوم في أبيض كالآل صفا ترسب في أحشائه صغر الحشا
 فتعـنـي مـه بأحشاء ملا تضحك عن مثل صغيرات الشدى
 كأنه هـا عـفـد لآل قد وفى يومض فيها كالخام المنتصى

وتجدر الإشارة في هذه الدرّة الموجزة إلى شعراء الذي نظمهم شوقاً وحنيناً إلى
 الموصل . فهو أسما النظر في القصائد التي خصصها لهذا الغرض لرأيانها تتدفق
 بمواطف جياشة . مما يدل على تعلقه الشديد بمسقط رأسه ومرجع صباه ومرج
 شبابه . ووفاته للمدينة التي درج في أكتافها وشم عبير المطر الفواح من الخروج
 والحدائق التي تحيط بها . ونختار للغاري الآيات الآتية التي تعبّر بصدق وحرارة
 عن ألمه لمراق مرله الأول ١٢٩ .

(١٢٨) : ديوانه ١ ، ص ٢٨٩ .

(١٢٩) : ديوانه ٢ ، ص ٢٥٦ .

لا أرجز الذمغ إن هفت سواكبة والنفس قد بعدت منها أمانها
 حتى ربي الموصل الزهراء من يلك جود من الغيث يحكي جود أهلها
 الندب العيش فيها أم أنوح على أيامها أم أعزى عن ليلاتها
 أرض يحن إليها من يفارقها ويحمد العيش فيها من يذانيها
 ميثاة طيبة الأسفار ضاحكة نكاد تهتز نجبا من نواحيها
 تشق دجلة أنوار الزياض بها مثل الضفيرة مصقولة حواشيها
 لا أملك الضبر عنها أن تأبث ولو غوصت عن جلها الدنيا وما فيها

لقد جازت قصائده في الحنين إلى الموصل حزينة باكية . مصونة بأحسن أسلوب وأجوده . وقد عدها أحد الباحثين « صورة ناطقة بأبداع ما أنتجه الشاعر وألمع ما دبجته قريحته » (١٠٠٥) .

والى جانب ما ذكرنا من أغراض نجد له شعراً في الثعاب والاعتذار والاخوانيات والحكم . وهو في جميعها لا يهبط عن المستوى الذي شاعدهناه في النصوص الشعرية السابقة .

إن شعر السري الرفاء على العموم يجري مع الطبع . وبير في طريق سهل منبسط لا أثر للتعقيد والاتواء فيه . وخياله خصب وواسع أشبه بكبار السمرام . ولا سيما في ميدان الوصف . ولغته سليمة وفصيحة . وصنعتة الغنية مقبولة تعجب القاري . ولعل قوله الآتي مصداق لطبيعة شعره (١٠٠٦) :

فهو مثل المدام بين صغاه وبهراء ونفحة ومناق
 منطلق ينجل الربيع إذا حل ل عليه الشحات عقد النطاق
 عري في روائح الشيسج والقب صوم منه والشب والنطاق (١٠٠٦)
 سائل من شعاب وجرة ثاور بيس أجراعها وبيسن السراق
 فهو ما شئت من هدير قروم وهو ما شئت من حين يباقي

(١٠٠٦) النسيم ، الأرض السهلة . ولعل الرابية الطيبة .

(١٠٠٧) السري الرفاء . لادكتور حبيب حسين الحسني . ص ٣٦٥ .

(١٠٠٨) ديوانه ١ ، ٩٩٧ .

(١٠٠٩) المربع والقيصوم والثلاث والطبال ، لياالات معروفة بناحية الصحار

الشريف الرضي

٢٥٩ - ٤٠٦ هـ

القرن الرابع للهجرة - على الرغم من اضطراب الأحوال السياسية فيه بعد دخول
الويبيين العراق - حافظ بالحركات العلمية في شتى نواحي المعرفة . زاهر بعدد
كبير من العلماء والادباء والعقهاء . زاهر بالمكتبات التي تقع بالكتب في مختلف
فنون العلم والأدب والتاريخ والطب والفلسفة .. حتى إن الشريف الرضي الذي
سنترجم له في الصفحات الآتية كانت له دار سماها دار العلم . هباً لها كل مستلزما
الدراسة وأساب الراحة .

سيرته

هو أبو الحسن . الشريف الأجل . الملقب بالرضي . محمد بن الحسين بن
موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن
محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه . وأمه
السيدة فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الذي يرجع نسبه إلى الإمام
علي رضي الله عنه

ولد في بغداد بجوارب الكرخ سنة ٢٥٩ للهجرة ١٠٠٠ . ونشأ في بيت علم وشرف .
وفي بيئة علمية وأدبية . وقد توجه منذ الصغر مع أخيه الشريف المرتضى نحو التعلم
والتنقيب . وتعلم على أساتذة أجلاء كثيرين في مختلف العلوم ١٠٠٢ . من ابراهيم أبو
سعيد السمرقي النحوي المشهور . وأبو الفتح عثمان بن جني اللغوي النحوي . وأبو
علي الحسن بن أحمد النحوي . وأبو اسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري النحوي
المالكي . ومحمد بن عمران المرزباني . والشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن
محمد المعروف بابي المعلم . وابن نباتة الفارقي

ثبت الشريف الرضي عالماً شاعراً . طموحاً إلى المجد . شراعاً إلى الغنى . والفارسي
في نعره يلهم ذلك بوصح مثل قوله ١٠٠٤ :

(١٠٥٦) السجود من انقضاء من ٢٥٤ .

(١٠٥٦) الفهرست ٤ ، ١٨٢ - ١٨٤ . الحاشية في شعر الشريف الرضي ٨٢ - ٨٩ .

(١٠٥٧) ديوانه ١ ، ٩٤٩ .

لا ضم فسلسى بر كوكب الفضل يوماً ولا بسل يدي الشـ
 إن لم أسلسها باستراط كما شئت على بيض الظبا واقتراح
 نفور مسسها بالسلباب الذي يخنى الأمانى نبلة والضرخ
 لا بد أن أركبها صعبة وقاحة تـحـت غلام وقاخ

ولعله كان ينفي الرئاسة لينفذ أثمة من السقوط في الهاوية ولا سيما بعد أن هان
 أمر الخلفاء العباسيين وأصبحوا لعبة بيد الأعاجم . ها هو ذا يصرح بعل فمه عن
 بيته فيقول (١١٨١) .

أخطبها بحد الشريف فعلاً إذا لم يغن قول أو خطاب
 وأخذها وإن زعمت أنوف مغالبة وإن ذلت رقاب
 وإن مقام مثلي في الأعادي مقام البدر تبخه الكلاب
 رموني بالعبوب منغفات وقد علموا بأنني لا أعاب

كان الشريف الرضي الى جانب ما يحمله من ابااء وعزة وشيم . موصوفاً بالعمّة
 والورع والتدين . ووصف أيضاً بالعمود والحدب على قومه ومن اتصل به من
 الناس (١١٨١) . وسيت مكانته . وعنت منزلته عند الخاصة والعامة . وقد أمر بهاء
 الدولة البويهى أن تكون مخاطباته بعنوان . الشريف الأجل . ثم خلع عليه لقب
 الرضي . وشغل منصب نقابة الطالبين . وانتظر في المطالب . وإمارة الحج . والنظر
 في أمور المساجد بمدينة السلام

عاصر الشريف الرضي ثلاثة خلفاء : المطيع لله والطائع لله والقادر بالله .
 قضى من عصره أربع سنوات في عهد المطيع . وثمانية عشر عاماً في ظل الطائع .
 وخمسة وعشرين عاماً من مدة حكم القادر . وكان في عهد المطيع طفلاً . أما في عهد
 الطائع (٣٢٣ - ٣٢٨ هـ) فكان شاباً يافعاً . وكانت علاقته به طيبة ولا سيما بعد
 أن أطلق سراح والده من السجن الذي وضعه فيه بعد النبوة تنفيذاً لخطته في القضاء
 على من يخشى بأسهم على ملكه . وحينما جاء القادر الى الخلافة لم تقطع صلته
 بدار الخلافة . بل قدّم مديحه لهذا الخليفة وكسب رضاه . وكانت له صلات ببعض
 الأمراء والوزراء بحكم مكانته في أسرته . فمن الأمراء شرف النبوة وبهاء الدولة
 البويهيين . ومن الوزراء صاحب بن عباد . وعبد العزيز بن يوسف

(١١٨١) ١٠٨١ هـ ١٠٩٧ .

(١١٨١) ١٠٨١ هـ ١٠٩٧ . شرح نهج البلاغة ١٠٩٧ .

وكان الشريف الرضي - على كثرة مشاعته - دؤوباً في التأليف والتصنيف وقد ترك أثراً جليلاً وقيمة ١٨٠٠ من أهمها: حقائق التأويل في مشابه التنزيل، وتلخيص البيان عن مجازات القرآن، ومجازات الأنار النبوية، وخصائص الأئمة، ونهج البلاغة، وديوان شعره.

توفي الشريف الرضي يوم الأحد السادس من شهر المحرم سنة ٤٠٦ للهجرة، ورثاه ثلاثة شعراء كبار: الشريف المرتضى، وأبو القاسم الحسين بن علي، ومهيار الديلمي.

شعره:

كان الشريف الرضي شاعراً فصيحاً، كما كان كاتباً مترسلاً، وإماماً في النحو واللغة والتفسير. قال الشعر بعد أن جاوز العشرين من مني عمره بقليل كما ذكر الثعالبي (١٧٨). واستمر في نظم طيلة حياته. وكانت آخر قصيدة له في رثاء صديقه أحمد بن علي البشي في شبان سنة ٤٠٥ للهجرة. أي قبل وفاته بعدة أشهر وقد صنع ديوانه أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم الخيري (ت ٤٧٦ هـ) مرتباً على الأغراض. فجعل باباً للمدح، وباباً للافتخار وشكوى الزمان، وباباً للمراثي، وباباً للنسيب، وباباً للفتن المتنوعة، ورتب القصائد في داخل كل باب على القوافي حسب حروف الهجاء. وقد عدل من جاء بعد أبي حكيم إلى ترتيب الديوان كله حسب حروف الهجاء.

أخذ المديح قطعاً وقرأ من شعره. خصصه للكثيرين من أفراد أسرته وأصدقائه. وأرباب السلطة وأصحاب السلطان. وقد جاهد بعضه خالياً من الصدق. وإن ظهر في إطار فخم مجمل يحلّي الألفاظ. وقد اعترف الرضي نفسه بأنه كان يهذب خواطره في مدح اللذام. فتأني المعاني مطلقاً بنوب الصدق. ولمنه فعل ذلك دريعة من أدنى المتسلطين على الحكم آنذاك (١٧٨١).

أعذب في مدح اللذام خواطري فأصدق في حسن المعاني. وأكذب

(١٧٨٠) ينظر الطبري ١: ١٨٦ - ١٩٠. الشريف الرضي وجمهوره النحوية ٦٦ - ٩٨.

(١٧٨١) غشيمة الدهر ١: ١٤٩.

(١٧٨٢) ديوانه ١: ٦٦٩.

مدح الشريف الرضي من الخلفاء الطائفة لله والقادر بالله . ومن بني بويه
تترف الدولة وبهاء الدولة . ومن الوزراء أبا منصور محمد بن الحسن بن صالح .
وأبا علي الحسن بن محمد بن أبي الزمان . وأبا سعيد بن خلف . والصاحب بن
عباد ومواهم . ومن أصدق مدائحه وأخلصها ما قاله في أبيه الحسين . وخاله أحمد
بن الحسين وفي صديفيه الحميريين أبي اسحاق الصابي . وأبي الحسن أحمد بن
علي البتي الكاتب

إن أكبر حادثة أثرت في نفسه أبلغ الأثر سجن أبيه في بلاد فارس (٣٦٦-٣٧٥ هـ)
ومصادرة أملاكه . فراح يمدح هذا الأب بقصائد كثيرة . وهي تنقسم الى ثلاث
طوائف : الطائفة الاولى في التوبيخ لأبيه وهو سجين . والطائفة الثانية في تهنئة أبيه
بالخلاص ورد أملاكه اليه . وطائفة الثالثة في تهنئته بالأعباد بعد أن لان الزمان .
وتكلم طائفة من هذه الاشعار خصائص : فالطائفة الاولى تصور الحزن والجزع
والتفجع . والثانية يعلب عليها الإنفتاح والإنشراح . والثالثة تخلع على أبيه رداء
الملوك . فهو يدخل عليه في كل عيد بقصيدة كما يصنع الشعراء في تحية الخلفاء
والملوك (١) . وكانت أول قصيدة قالها في مدح أبيه مطلعها : (٢)

نصافي المعالي . والرمان معانداً ونهض بالأمال . والجد فاعداً

تقع القصيدة في ثمانية وسبعين بيتاً . وهي - وإن كان الرضي في أول نظمها
للشعر - جيدة في عرض معاناة الألم والغربة بعد غياب والده . وقد تحدث في بعض
أبياتها حديث الحكماء .

ينال الفتى من دهره قدر نفسه وتأتي على قدر الرجال المكابذ
فدى لك يا مجد المعالي وبأسها ففعال جبار شجعتنا الحقايد
فما تركت منك الصوارم والقنا ولا أخذت منك الحسن الخرائد
خزلت ولكن عازلت عن السدى وجودك في جيد الفلن لك شاهد
وحيدا أطلق مراحة وراح المجن . ووصل الى بغداد . رآه وخفق قلبه .
وانهلت دماعه فرحاً وقاله بقصيدة تشع بالسرور . منها قوله (٣)

(١) ينظر عبقريه الشريف الرضي ١٠٦٢

(٢) ١٠٦٦ (١٠٦٦) ديوانه ١٠٦٦

(٣) ١٠٦٥ (١٠٦٥) ديوانه ١٠٦٥

مازال منك على المناصب مقام عظيم ويوم نصيب
 هيوم حاكم فيه انخطيب ويوم لسانك فيه الخطيب
 طلبت لنفسك . فاطللت لنا من العز . ان المحامي طلبت
 وان كنت رتبتك عن تحية فان الملا السينا حبيب
 وما نحن أنت . وكل الى دعاه القلي طرب مستجيب

انه يريد جله آية طريقاً الى . العز . يريد نصيبه الخاص منه . لأن عز الأب
 ليس ملكاً للابن . وقوله . وما نحن أنت . وهو في السابعة عشرة من عمره يدل
 على نحو من الشعور بالاستقلال الذاتي يحسن بنا أن لا نغفل (١٨٨) .

أن شحبه الرضى يارزة في مدائح . تظهر شامخة آية . تطلب العز والرفعة .
 مثل قوله من خميدة في مدح صاحب بن عباد . (١٨٩)

فاني رايت اليف أنصر للفتى اذا قال قولاً ماضياً أو نوعاً
 أرى بين نيل العز والذل ساعة من الطمي تقتاد الوشيخ المقعد
 فمن أحرقه نعمة مات عاجزاً ومن قدعته نعمة مات سدا
 اذا كان وإقدام الفتى ضائراً له فما الجذ مطلوباً ولا العز مفتدى

ان فخره بنفسه . وزهوه بمقامه وشعره وشجاعته وفروسيته ومضاء عزه وقوة
 ارادته . كثير في شعره . ولعل قصيدته الحمالية الآتية خير دليل على ذلك .
 ومطلوها : (١٩٠)

نهتم مثل عوالي الرماح الى الوغى قبل نعوم الطباخ
 فوارس مالوا انسى بالقسا وصافحوا اعراضهم بالضاغ
 ومنها .

وخطبة يضحك منها الردى عرلة تبري القوم بري القداخ
 صبرت نفسي عند أهوالها وقلت : من هبوتها لا يرماخ
 بعافتي نال القلي فاشت . أو بطل ذات الردى فمراخ

(١٩١) ينظر الفرياق الرندي للدكتور احسان عباس ص ٧٧

(١٩٢) ديوانه ١ . ٢٨١

(١٩٣) ديوانه ١ . ٢٨٢

وقد أحسن الدكتور زكي مبارك في قوله : « أن هذا القصيد خليق بأن يكون شديد الفتوة العربية . وأمل لأن يحفظه جميع الشبان في سائر البلاد العربية . فهو جذوة من الفتوة . وقنس من الرجولة . وشهاب من العزم المصمم الذي يطيح المصاعب والأحوال » (١٩١٠).

كان الشريف الرضي يمتاز بقومه ويعجز بأرومتهم (٢٠٠) . ويريد لهم السمو والمقام الرفيع . وينفي نفسه . الثقتى العربي . . كما ورد في المقطوعة الآتية (١٩١١)

أني لأكرم نفسي أن يقال جنى على الفتى العربي انغرد الغرب
أني على شغفي بالحب معتذر من أن يقال شجاع فله الوصب
إنا معاشرك لا تبلى مطارفنا إلا وهن لطلاب الندى سلت

أنه يريد من الفرد العربي أن يكون شجاعاً ماضياً مثل سيفه كي لا ينكره
الاجناد الذين عرفوا بالشهامة والاقدام والنيل والغيرة (١٩٣١).

إذا عربي لم يكن مثل سيفه مصاة على الاعتداء أكره الجؤ
وترى الشريف الرضي - وإن كان نزاعاً إلى الحد - يصبو إلى الجمال . ويتنزل
بالمرأة الحسنة بقلب رقيق . قال الباخري : « له شعر إذا افتخر به أدرك من المجد
أقاصيه . وعقد بالجم نواصيه . وإذا نسب انتسب الرقة إلى نسيبه . وفاز بالقدح
المدلى من نصيبه » (١٩٣١) .

أن غزله الحيل المتمثل بتضالده المعروفة بالبحازيات (٢٠٠) في غاية الرقة
والمدونة . « قالها في أماكن لا يحل فيها الترف ولا الفسق . وقالها وهو تقيب
الأشراف وأمام الحج . لكنه نفى بها عن فحش صدر اضطربت فيه العواطف .
وجأش بها ويعورناتها فعا استطاع لها كتماناً . فأرسلها ترائيم تحلّت بصفاء الروح
وسمو العاطفة . فتفر له معاصروه هذقه للجمال واشادته بصوت نفسه ولوعات
هواه » (٢٠٠) .

(٢٠٠) عبقريّة الشريف الرضي ١٩١٠

(٢٠٠) ينظر الاختراپ فی حیاة وقرم الشريف الرضي ص ٢٩ - ٨٧ .

(٢٠١) ديوانه ١٩٠١

(٢٠٢) ديوانه ١٩٠١

(٢٠٣) دمية القصر ١٩١١

(٢٠٤) ينظر الشريف الرضي . دراسات في أفكاره الآلوية ص ٩ - ٢٩ .

(٢٠٥) في موكب الخالدين ص ٩٩ .

أن غزله يمتاز بسو العاطفة والوقار والعفة . إلى جانب جمال الانسياب وحلاوة الموسيقى - في أغلب الأحيان - وهو من أقرب فئوته إلى البساطة البدوية التي تتجلى في شعر العذريين وعشاق الاغراب . رجالاً ونساء . وفيه نفحة من نضارتهم في الحب إلى التراجع ومعاهد الصبوات (١٣٦١) . وقد سار غزله بين عشاق الادب وحفظوه وردنوه في محافلهم ومنشدياتهم . ومن يدع قصائده الكافية التي عارضها كثير من الشعراء (١٣٦٦) وهي (١٣٨١)

يا طيبة البان قومي في خيالكه
لله عندك مبدول لشاربهم
فبت لنا من رياح الغدير رائحة
ثم اتبيننا اذا ما غزنا كطربت
سهم اصاب وراميه بذي سلم
وعدا لعينيك عندي ماوفيت به
حكمت لحاظك ما في الريم من تلج
كلن طرفك يوم الجزع بخبرنا
أنت النعيم لقلبي والعذاب له
عدي رسائل شوق لت اذكركا
سقى منى وليالي الخيف ما شربت
اذ ينقضي كل ذي دبر وعاطلة
لما غدا الشرب يعطو بين أرجلنا
هامت بك العين لم تنع سوالك هوى
ليهنك اليوم أن القلب مرعك
وليس يرويك إلا مدمني الالك
بعد الرقاد عرفناها بريك
على الرجال . نعللنا بذكراك
من بالعراق . لقد أعدت مرماك
يا قرب ما كذبت عيني عينك
يوم اللقاء فكان العسل للحاكي
بما طوى عنك من أساء فتلاك
فما أمرك في قلبي وأحوالك
لولا الرقيب لقد بلعها عاك
من السفام وحشاها وحشاك
منا . ويجتمع المشكو والشاكي
ما كان فيه غريم القلب الأك
من علم البين أن القلب يهواك

وكان الشريف الرضي من الشعراء الجيدين في فن الرثاء . المنحسين في اظهار اللوعة والأس على الراحلين . قال الثعالبي . « ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه » (١٣٦١) . وسماه الدكتور محمد عبدالغنى حسن - شاعر الدموع (١٣٥١) . وعقد الدكتور احسان عباس فصلاً عن رثائه بعنوان « الناحية الشكل » (١٣٦٥) ومن ينظر في ديوانه يجد كمية المراثي كبيرة . وهي في رثاء أهل

(١٣٦٦) الشريف الرضي للدكتور احسان عباس ص ٣٢٥

(١٣٧٧) ينظر الوافي بالوفيات ٢ : ٣٧٨ . لهرس ابن خيرة ص ٢٩٤

(١٣٧٨) ديوانه ٢ : ١٠٦

(١٣٧٩) هدية الدهر ١ : ٢٢٩

(١٣٨٠) الشريف الرضي للدكتور محمد عبدالغنى حسن ، ص ٢٠

(١٣٨١) الشريف الرضي للدكتور احسان عباس ص ١٤٣ - ٢٢٢

بيته . ورثاه الاصدقاء والرؤساء والملوك . وتعدُّ مراثيه ألامه من المراثي الحارة التي تفيض بالعمور الصادق . وتجبر عن نفس مجروحة . وثبتت في القلب حزناً وتجعل القاري . يشاركه في مصابه الأليم . ونورد هنا الأبيات الأولى منها (١٣٥١) :

أبكيتك لو تقع الغليل بكائي وأقول لو ذهب المقال بدائي
وأعود بالصبر الجميل تعزياً لو كان بالصبر الجميل عزائي
طوراً تكثيرني الدموع وتارة أوي إلى أكرومني وحيائي
كم عيرة موهنتها أنا ملسي وترثها مشجلاً بردائي
ما كنت لأخز في فداك رغبة لو كان يرجع ميت بفناء
لو كان يدفع ذا التحلم بقوة لتكسب غضب وراء لوائسي

وكثيراً ما يمر في مراثيه عن ألامه وهوميه . ويرسل في ثاياتها حكماً وأمثالاً تدل على نظرات عميقة في الحياة . مثل قوله من قصيدة يعزي فيها الخليفة عن عمر ابن اسحاق من المقتدر سنة ٣٧٧ للهجرة (١٣٥٢) :

ولا ترج أن تعطى من العيش كثرة فكل مقام في الزمان قسلي
وس نظرت الدنيا بعين حقيقة درى أن ظلاً لم يزل سيروي
إذا لم يكن عقل الغنى عون صبره فليس إلى حس العزاء مبيل
وإن جهل الاقتدار والدمر عاقل فأضغ شيء في الرجال تقول
وموت الغنى خير له من حياته إذا جاور الأيام . وهو دليل

وهكذا كان الشريف الرضي . متمكناً من ناصية القريض . في كل أغراضه . تراه يجيد عرض فكرته في بناء سليم . وأسلوب رشيق . وطرح شيق . وبحسن التوازن والتقابل بين الألفاظ والعبارات . كما يحسن لبيان التشبهات والصور في مواضعها وتجلى في شعره روح البداوة معزوجة بروح الحضارة . ولا عجب حين يضع شعره في موازاة شعر العزدي وجبرير في قوله (١٣٥٣) :

(١٣٥٢) : ديوانه ٢ : ٢٩١

(١٣٥٣) : ديوانه ١ : ٢٩١

أبو العلاء المغربي

٣٦٢ - ٤٤٩ هـ

سيرته :

هو أبو العلاء ^(١) بن عبدالله بن سليمان . ولد يوم الجمعة لثلاث ايام مضت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦٢ الهجرة سمرة النعمان القريبة من حلب . من أسرة عربية يرجع نسبها الى قبيلة تنوخ اليمنية . قال ابن المنير : « وتنوخ اكثر العرب مناقب وحباً » ومن أعظمها معاصر وأديباً . فبهذه الخطباء العظام . والبلغاء الشعراء (٢) . وكانت أمه بنت محمد بن سبيكة من بيت مشهور من بيوتات حلب .

كانت أسرته مليئة بالأمجاد من قضاء وحكام ورجال ثروة . فأبوه من العلماء وجده وأبو جده تولوا قضاء القضاة . وبقي القضاء في بني ابيه الى أن دخلها الفرنج سنة ٥٩٢ للهجرة . وكان له أخوان شاعران هما أبو الهيثم عبدالواحد . وأبو المنجد محمد . وأورد ياقوت الحموي أسماء الشعراء المشهورين من أبناء أسرته مع نماذج من شعرهم (٣) .

حرم أبو العلاء من نعمة البصر وهو في الرابعة من عمره بعد إصابته بمرض الجدري وكانت لهذه النعمة اثر كبير في فكره وسلوكه طيلة أيام عمره . وقد أشار في إحدى رسائله الى عمه . فقال : « وقد علم الله ان سمعي ثقيل . وبصري عن الابصار قليل . فحسي علي وأنا ابن أربع . لا أفترق بين البازل والريح . ثم تولت محني . فأثبته شخصي العود المنجني » (٤) .

كان والده المعلم الاول له . إذ رسم له طريق الدرس وتحصيل العلم . وأقرأه القرآن . وعلمه النحو واللغة والأدب . ثم تتلمذ على جماعة من علماء المعرة مثل أبي بكر محمد بن مسعود المحوي ويحيى بن مسعر التنوخي . وانتقل الى حلب وبها اخواته من آل سبيكة من أصحاب الثراء والسناء . فالتقى بمحمد بن عبدالله بن سعد المحوي راوية أبي الطبيب المنبجي . والتقى بتلاميذ ابن خالويه وابن جني واستمع الى ما كانوا يرددون من علوم في اللغة والأدب والحرف . وكذلك اتصل

(١) الاتصال والمغربي ص ٤٨٩ (ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء) .

(٢) معجم الادباء ١ : ١٦٤ - ١٦٩ .

(٣) معجم الادباء ١ : ١٦٨ . البازي ، البشير في تاسع منه . الويع ، الفضيل .

بتلاميذ الفارابي وتلقف منهم علوماً في الفلسفة وبعد عشر سنوات من إقامته بحلب ينهل من موارد المعرفة انتقل إلى أنطاكية واتصل بعلمائها وثرثرت على مكتباتها. ثم بارحها إلى اللاذقية واستمع فيها إلى الذين كانوا يتدارسون العلوم الدينية والعارف الفلسفية. ومنها عاد إلى مسقط رأسه معزة النعمان.

ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره قام برحلة إلى بغداد في أواخر سنة ٢٩٨ للهجرة ودخلها في أوائل سنة ٣٩٩ للهجرة وأقام فيها سنة وسبعة أشهر ليستزيد من طلب العلم ويستكثر من شيوخه على عادة رجال عصره ويستمد عن الحالة السياسية التي كانت عليها الشام آنذاك وبعد أن حقق غايته في مراجعة خزائن الكتب ومشاهدة العلماء والادباء قرر العودة إلى معزة النعمان. ١٠٨١- ولعل عسر اليد. لأنه كان أليفاً لا يقبل معونة من أحد إضافة إلى ما وصل إليه من عسر مرض أمه. عجل في هذه العودة أنفاً ما يرويه باقوت الحموي لأن ليد شريف المرتضى أهانه وأمر بطرده من مجلسه فلا يطعن إلى صحته. ١٠٨٢- وتنقل هنا ما قاله المعري في رسالته إلى حاله من الكرام البغداديين له وحزنهم على فراقه. ورعاية الله شاملة لأن عرفته ببغداد. فلقد أهدوني بحسن المعاملة. وأثنوا علي في الغيبة. وأكرموني دون النظر والطفة. ولما أئسوا تشميري للرحيل. وأحسوا شأني للظن أظهروا كسوف بال. وقالوا من جميل كل مقال. وتلقفوا من الأسف ببرق تشيب. ودرجت عيون الشياخ شيب. وقال في ختام رسالة أخرى. ويحسن الله جزاء البغداديين. فلقد وصفوني بما لا أستحق. وشهدوا لي بالفضيلة على غير عاد. وعرضوا علي أموالهم عرض الجذ. فصادقوني غير حذر بالصفات. ولا هش إلى معروف الأقوام. ورحلت وهم لرحيلي كارهون. وحسبي الله وعليه يتوكل المتوكلون. ١٠٨٣.

اختار بعد عودته العزلة إلا عن تلاميذه وقاصديه. وسمى نفسه «رهين الحسبين». أي النعمان ونزوم البيت. وقال في ذلك: (١٠٨٤)

أراني في اثنتان من سجوني فلا تسأل عن النبأ النبئت (١٠٨٥)
لعقدي باخري. ونزوم بيئي ونزوم النفس في الجبد الخيئت

(١٠٨٩) ينظر: دار السلام في حياة أبي العلاء ص ٩٨

(١٠٩٠) ينظر: مصمم الادباء ١٠١، ١٦٩

(١٠٩١) رسائل أبي العلاء المعري ١٠١، ٩٠٢، ٣٦٩

(١٠٩٢) اللزومات ١٠١، ٢٤٩

(١٠٩٣) التبيين: الظهير وهو أيضاً من بيت الغراب، المخرجه ولبت من السر، بحث عنه.

وبذلك أضاف سحناً ثالثاً . وهو الحياة ذاتها أي كون نفسه محبوباً في جسده
ويبدو أن صدقه وصراحته خلقاً له مشكلات واستغزا الكثيرين من حصاده لرميه
بالتهم وتحريض الناس عليه . لذا أثر المزة والاعتكاف في منزله (١٠١١).

لبث تسعاً وأربعين سنة في محبته بمعزة النعمان . لم يعادله إلا مرة واحدة لم
تكرر . حين حمله قومه على الخروج ليشع لهم لدى أمد الدولة صالح بن مرداس
صاحب حلب وكان قد خرج إلى المعزة ليحمد حركة عصيان من أهلها (١٠١٢).

جلس في داره على طريقة الفلاسفة المتخفين . منحرفاً إلى التأليف والتصنيف
والترسب . قال ابن العديم : « وما زالت حرمة أبي العلاء في علاء . وبحر فضله
مورداً للوزراء والأمراء . وما علمت أن وزيراً مذكوراً . وفاصلاً مشهوراً . مر بمعزة
النعمان في ذلك العصر والزمان إلا وقصده واستفاد منه . أو طلب شيئاً من
تصنيفه . أو كتب عنه » (١٠١٣).

وطال به العمر . وناء بالثقل الشيخوخة . ووهن جسده . وتحالفت أعضاؤه . فما
عاد يستطيع النهوض إلا بمعاونة سواء . وعجز عن القيام للصلاة فانما يصلبها
قاعداً (١٠١٤) وفي شهر ربيع الأول سنة ٤٤٩ للهجرة حيث تلك الجذوة تاركاً وصيته .
أن تكتب على قبره :

هذا جناة أبي علي وما جيت على أحد

وشيعوه إلى مثواه الأخير في حشد غير من أهل العلم والأدب . وراثه أربعة
وثمانون شاعراً (١٠١٥).

أثاره :

كان أبو العلاء عالماً جليلاً وأديباً فاضلاً . ذكر ابن العديم من قرأ عليه وروى
عنه من العلماء والأدباء والحدثيين . وقال معقياً على اسمائهم : « هؤلاء كلهم أئمة
وقضاة وعلماء أئمة . وأدباء رواة وحفاظ ثقات . رووا عن أبي العلاء وكسوا عنه .

(١٠١١) ينظر : الفكر الديني عند أبي العلاء المغربي ص ٩٦

(١٠١٢) كنز التنزيل في كتاب : مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ١٧٥ - ١٧٦

(١٠١٣) الانصاف والتعري ص ٥٦٥

(١٠١٤) مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ٢٧٠

(١٠١٥) مصمم الأديب ١ : ١٧١ .

واخذوا العلم واستفادوا منه . ثم يذكره أحد مهم بطرير . ولم ينسب حديثه الى
ضعف ولا وهن (١٠٩١)

ان مصنفات أبي العلاء كثيرة ونافعة . قال ابن فضل الله العمري : « انني وقعت
على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان . أبي العلاء احمد بن عبد الله بن
سليمان المري . فوجدتها مشحونة بالمصاحبة والبيان . مودعة فمونا من الفوائد
الحسان . محتوية على أنواع الآداب . مشتملة من علوم العرب على الخالص
واللباب . لا يجد الطامع فيها سقطة . ولا يترك الكاشح فيها غلطة » (١٠٩١) . وقد
أحسن أحد الباحثين المعاصرين في الأناضول بأسماء كتبه ورسائله (١٠٩٢) . وأليك القليوب
منها . رسالة الصاهل والشاحج . رسالة الهناء . رسالة الغفران . رسالة ابن الخارح .
رسالة الاخرسير . رسالة الثلاثكة . رسائل أبي العلاء المري . رسالة في تمزية أبي
علي الرجال . رجز النابح . عبت الوليد . الفصول والغايات . ملفي السيل . سقط
الزند . اللزوميات . الدررعات . شرح ديوان ابن أبي حصية ...

شعره :

عرف أبو العلاء بحدة الذكاء . وقوة الحافظة . وتوفد الخاطر . وكثرة الحفظ .
وسرعة البديهة . قال ابن العديم : « كان أبو العلاء على غاية من الذكاء والحفظ
قيل له . لم بلغت هذه الرتبة في العلم ؟ فقال . ما سمعت شيئاً إلا وحفظته . وما
حفظت شيئاً فليت » (١٠٩٣) . ويروي عن الشاعر أبي الحسن علي بن مأمون المصيصي
انه قال : « لقيت بمعرة النعمان عجياً من العجب : رأيت أعشى شاعراً ظريفاً .
يلعب بالشطرنج والترند . ويدخل في كل فن من العدد والهندس . يكنى أبا
العلاء » (١٠٩٤)

كان أبو العلاء موهوباً منذ الصغر . يروي انه نظم اشعر وهو في الحادية عشرة
من عمره ونيف على الثمانين وماسلاه . وقد تورع شعره في « سقط الزند » و
« اللزوميات » و « الدررعات » . ويعد سقط الزند ديوان شعره . واللزوميات ديوان

(١٠٩١) الانصاف والتصري ص ٩٠

(١٠٩٢) مسائل الانصار : ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء (ص ٢١٨)

(١٠٩٣) كتاب مصادر دراسة أبي العلاء المري ٩٩٧ - ٩١٥ .

(١٠٩٤) الانصاف والتصري ص ٩١

(١٠٩٥) نشبة هشة الدهر ٤١٩

فلسفته وحكمته . أما الدرعيات فهي قصائد في وصف الدرع . ولعله رمز بها إلى ماكان يترتب على قومه من وقاية أنفسهم من الأعداء ، ١٩١١ .

إن شعره في سقط الزند يمثل نتاجه في سني شبابه وأيام قوته وفيه قصائد صا نظمها أيام اعتكافه في منزله بمعرة النعمان وأرسل به إلى بعض أصدقائه ببغداد . وقد ساء سقط الزند تشبهاً بالشعر الذي يتطاول من الزند . وفي هذا الديوان أغلب موضوعات الشعر المعروفة ماعدا الهجاء والعبث والجون والخمر والفحل بالذكر . وهي أغراض كانت شائعة في عصره . ولكن أخلاقه وسلوكه وتربيته سعت من النظم فيها .

أما لزومياته فأكثرها مقطوعات نظمها بعد عودته من بغداد ، ١٩٠١ ، تناول فيها تحديث عن مشكلات الحياة وانتقاداتها . وبث فيها آراءه الخاصة . وانطباعاته الشخصية . وتأملاته الذاتية . ونظراته الفلسفية في الكون والعمران . وقد سميت بالزوميات لأنه ألزم نفسه بأربع كلف : التزم في قوافيها حرفاً لايلزم قبل حرف الروي . ونظم حروف المعجم كلها مرتبة . واستوفى في كل حرف الحركات الثلاث والموقف . ورُتب الأوزان في كل فصل من فصولها على ترتيب الدوائر والبحور عند العروضيين .

إن القاري في ديوانه ، سقط الزند ، يحذ شعراً في المديح . وهو قليل لا يشكل غرضاً بارزاً . لم يخره للتكسب وطلب التجاه . بل العكس من ذلك . فإنه انتقد الشعراء المتكسبين الذين يلهتون وراء المصفاة . وعد مدحهم كذراً ورياء . فقال : (١١٢٧)

لاخير في جزل العطاء . أنى رجلاً بأن كلامه جزل
يرجو . فيمدح غير مرتقب ربا . وكفى مقالته ازل (١٣٨)
شهرت ميواف القول طائفة كذب . وأفضل منهم الجزل

ويحتل الرثاء مكانة بارزة في شعره . وهو يتسم بالصدق والحزن العميق . كما نلاحظ ذلك في رثاء والدته . كانت توفيت قبل قدومه من العراق بعدة يسيرة . فإنه

(١١٩) ينظر ، النقد الاجتماعي في آثار أبي الفداء المغربي ص ١٩٨ - ٢٠٧ .

(١٢٥) ينظر ، المغربي وجوانب من اللزوميات ص ٦٤ ، المغربي ذلك المجهول ص ٨٩ - ١٠٩ .

(١١٦) اللزوميات ٩ ، ٢٧٨ وينظر إلى نقده للمتكسبين من الشعراء في : رسالة القرآن ص ٤١١ .

(١٢٧) الأزل ، الكذب .

يشعر بحاجة إليها. ويرى نفسه كالرضيع لم يصحبها ولم يتمتع بحياتها على الرغم من أنها مضت وهو كهل. ويتمنى لقاءها. ويتساءل عن ذلك اللقاء. ومضى يتم: (١٧٤).

مضت وقد اكتهلت فغلت أني رضيع ما بلغت مدى التبطام
فباركسب المسنون. أما رسول بسلخ روحها أرح السلام
سألت. متى اللقاء؟ فقيل حتى يقوم الهامدون من الزحام (١٧٥)
فليت أذن يوم الحشر نادى فأجبت الزمان إلى الزمان (١٧٦)

وقد سبق لأبي العلاء أن فجع بوفاة والده فزناه بقصيدة تطفح بالأسى
والأنس. مثل قوله. وهو يحمل الحزن في فؤاده ويطوى المرة جانباً (١٧٦).

همل أنت أن مديت رصك سامع نبأ ابنك المنجوع. بل عبدك اتقى (١٧٧)
سأبكي أنا غنى ابن ورفاه بهجة وإن كان ما يعبه ضد الذي أعني
وأحمل فيك الحزن حياً. فان أمت وألقك. لم أملك طريقاً إلى الحزن
وبعدك لا يهوى القوافي مرة وإن كان في وصل السرور فلا ينهي (١٧٨)

ونجد في شعره فخراً. ولا سيما بتضد وبمواجه العلمية. وخير شاهد على ذلك
قصيدته اللامية المشهورة التي يقول في مطلعها (١٧٩).

ألا في سبيل النجى ما أنا فاعل عفاف وأقدام وحزم ونائل
وفيها يقول مفاخر متحدثاً

وقد مر ذكرى في البلاد فمن لهم ياخذ. شمس صوؤها متكامل
نهم المألوف بعض ما أنا مصرع ويشغل رضوى دون ما أنا حامل
وأي. وإن كنت الأخير زمانة لأب. بما لم تستطع الأوائل
وأغور. ولو أن الصباح صورته وأرى ولو أن الظلام جعائل

(١٧٨) سقط الزند ص ٤٩

(١٧٩) الزحام. القيود

(١٨٠) الأملين. المولان. أجهشت. فرغت إلى غيرها. أي اجتمعت الظلام البالية واللايات

(١٨١) سقط الزند ص ٤٧

(١٨٢) عبد القن. المبدع المعالي الصبغة

(١٨٣) يعني. وهو عليه بعدم الهناء والسرور.

(١٨٤) سقط الزند ص ٤٩.

وَأَسَى جَوَادَ لَمْ يَحْدِلْ لِحَامَةً وَنَظَرُ بَشَارَةٍ أَغْضَلَتْهُ انْصِبَاقُ
وَأَزَى كَانَ فِي لَمَسِ الْعَفَى شَرْفٌ لَهُ فَمَا الْيُفَى إِلَّا غَدَاةُ وَالْحَمَائِلُ
وَلَمْ يَمُتْ لَمْ يَرْضَ لَهَا كُفَّةً مَنَزَلِي عَلَى أَتْنَى بَيْنَ السَّكَائِنِ نَزَلُ
لَدَى مَوْطِنٍ بِشَتَاةٍ كُلُّ سَيِّدٍ وَيَقْصُرُ عَنِ إِدْرَاكِهِ انْتِفَاوُلُ

ولم يتخلف أبو العلاء - وإن كان ضريباً - عن الوصف فله شعر رائع بشارك
فيه بأحاسيس بعض مظاهر الطبيعة الجميلة . ويتعامل معها بكل جوارحه .
ويرزها في صور مرئية تنهر الناظر وتعجبه . مثل قوله وهو يشكو بذكريات ليلة
طريفة (١٣٣١)

رَبِّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الضُّحَى فِي الْحَمَى بَنَى وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الظُّلُمَانِ
قَدْ رَكُنْنَا فِيهِ إِلَى اللَّهِوَمَا وَقَبَّ السَّجْسَمِ وَقَفَّةَ الْحَيْرَانِ
وَكَأَنِّي مَا قُلْتُ وَتَبَسَّرَ طَعْلُ وَشَلَبَ السَّطْلَمَاءِ فِي عَيْنِ الْفَوَانِ .
نَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الرَّدَى جَ عَلَسَ سَهْمُهَا فَلَا تُكْ مِنْ جَسْمَانِ
عَرِبَ النَّوْمُ عَنْ جَفَوْنِي فِيهَا هَرَبَ الْأَمْنُ عَنْ غَوَاةِ الْجَانِ
وَكَأَنَّ السَّهْلَ بِسُوءِ السُّرْيَا فَهُمَا لِلدَّوَاغِ مَمْتَسِكَانِ
وَسَهْلٌ كَوَجَةِ الْحَبِّ فِي اللَّوْ نَ وَقَبَّ الْحَبِّ فِي الْعَقْفَانِ
يُسْرُغُ اللَّحْمُ فِي اسْمَرَارٍ كَمَا تَمَرُّ رَغَى فِي التَّلْمِيحِ مَقْدَلَةُ الْفَضِيحَانِ

وشارك أبو العلاء في شعر الغزل . وقد استأثر بعضه بقصائد كاملة . ولا نعلم من
أخباره ما ينم عن حبه لامرأة ما . وليس في آثاره إشارة من قرب أو بعد . إلى أنه عاش
التجربة حياً في الواقع المادي . ولعل أن يكون غزله من الشعر الرمزي الذي يخفي
 وراء ظاهره لفظه دلالة متخورة على أمنيات تعلق بها في شبابه الطامع . كأن تكون
هذه الحبيبة رمزاً إلى الدنيا . أو إلى المجد . أو إلى نعمة الحمر التي حرم منها (١٣٣٢) ..
مثل قوله (١٣٣٣)

حَتَّى مِنْ أَحَلِّ أَهْلِي الدِّيَارِ وَابِكَ هَذَا لَا التُّوْبَى وَالْأَحْجَارِ
هِيَ قَالَتْ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ رَأْسِي وَأَرَادَتْ تَسْلِسَ... سَكْرًا وَازْوَارًا
أَنَا بَدَرٌ وَقَدْ بَدَا الضُّبْحُ فِي رَأْيِ سَكْرًا وَالضُّبْحُ بِطَرَفِ الْأَقْمَارِ
لَسْتُ بَدْرًا وَإِنَّمَا أَتَيْتُ شَمْسَ لَا تُرَى فِي الدَّجَى . وَتَسْلِسُ نَهَارًا

(١٣٣٤) سقط الزند ص ٩٤ .

(١٣٣٦) ينظر : مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ٩٧ - ٩٨ .

(١٣٣٧) سقط الزند ص ٩٧ .

ولا بد من الإشارة إلى أن شيخ التمرة نظر في شؤون الناس وأمر المجتمع
 إنذاك . وقد أفضى مضجعه كذا أفضى مضجع المتنبي من قبل الوضع السياسي التدهور
 وغياب السلطة عن أصحابها الشرعيين . وقد ربط أحد الباحثين بين أمال المتنبي
 وأمالي المعري في قوله : « والتنبي كان جباراً تام الرجولة . وأبو العلاء كان كفيف
 الحمر . فأفقدته هذه العلة عن السير في السبل الذي طرقة لمتنبي لبلوغ أمانيه . وإن
 كانت افراسي البعيدة والأوطار الكبيرة هي هي عند كليهما . وليس ذلك بغريب في
 عصر كان الناس فيه في حاشية إلى « رجل » . بل الأصح إلى « رجل عربي » صحيح
 العروبة . يدرأ عن الإسلام الفرس والروم والديلم ١٣٨١

لقد كانت لأبي العلاء رغبة صادقة في إصلاح المجتمع وفيما حكم عادل مطهر
 من الظلم . والعدوان . ينصرف القائلون على شؤون الرعية بعقل راجح . وما هو
 ذا شأن! ١٣٨١ :

منى يقوم إمام يستقيذ لنا قنطرة العدل أجيالاً وغيظاناً
 ويقول ١٣٨٢ :

يرتجى الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتبة الحمراء ١٣٨٢
 كذب الظن لا إمام سوى الـ عقل مشيراً في صبحه والمساء
 ويغضب من أولئك الذين يسمون الناس بغير عقل ١٣٨١ :

يسوسون الأمور بغير عقل فـ يستنفذ أمرهم وينتقل ، حاشية
 فلق من الحياة وأنى منى ومن ومن رئاسة غمامة

لقد كان أبو العلاء يعتزُّ بالعقل . ونحكّمه في كل مشكلة . ويرجع إليه في كل
 معضلة . ويتمنى أن يعيش الناس سعداء بعيدين عن الأذى ١٣٨١ :

ما أحسن الأرض لو كانت بغير أذى ونحن فيها . نذكر الله . مكان

(١١٨٨) المتنبي والمعري ، إبراهيم ناجي ، الهلال لسنة ١٩٤٨ ، ص ٩٩٩ .

(١١٨٩) القزوينيات ٢ ، ٥٧ .

(١١٩٠) القزوينيات ١ ، ٦٦ .

(١١٩١) الكتبية الحمراء ، التي لا يصح فيها صوت لكثرة الجلبة

(١١٩٢) القزوينيات ٣ ، ٩٥ .

(١١٩٣) القزوينيات ٢ ، ٥٠ .

إليه أراد مجتمعهم الخير والسعادة والعدل والأمن. والتعود على الجهد والصلال.
ولذلك كثر شعره في النقد الاجتماعي الذي هو إليه أبو الطيب نفسه (١٣١).

وكلمة جبره غولها إن نظمه صورة واضحة لحياته وتطلعاته. رسمها بصوفي
ومائة ومراحة. ونعرد قبل العزلة لنتمثل بلفظ المرء قريب من شعر الشعراء
الباقيين الموحدين في الصياغة والسيق والمصورة الشعرية. ولا عجب من يهون
أبى حجر. ونعزده في المدح والغرل والثرة التي في خط المرء في نهاية الجودة.
وما في نوره ولا يتره فستوسط (١٣٢).

أما شعره في عزلة التمثال بالزوميات الذي تناول فيه موضوعات عامة تمتلئ
بقول إنسي لذلك يغلب عليه تنصيص ويغترق إلى الهيبة العلية. وهو صعل
الأنسب كثير تغريب. والشاذ من الألفاظ محشو بالمصطلحات العلمية والاشارة
إلى أشخاص أو أحداث تاريخية. وقد انتقد صريفته عبد الله بن محمد بن سعيد بن
سنان الخفاجي فقال: «وليس بمعتز ناسخ إذا نظم على هذا الفن لأجل ما أورد
عنه ما لا يلزمه شيء من بيوت القوافي» لأنه إنما فعل ذلك طوعاً وإختياراً من
غير إكراه ولا إكراه. ونحو ترديد الكلام الحسن على أهل الطرق وأقرب السوي.
وليس له حاجة إلى التكلف المنطرح. وإن ادعى عباً قائلة أن متعة ذلك وتعا من
به في نفسه (١٣٣). ومن التعريض للمحدثين الذين وجهوا نقداً للزوميات الدكتور
توفي حبيب (١٣٤). إن أبا العلاء لم يكن يعني بتحويل شعره وتحويله في
الزوميات. فهو لا يعطيه الهمة الكافية لتفصيل والاندماج والتشقيج. له التلخيص
والتمسيق. فخرج شعره مهلهلاً ضعيف السج ليس فيه شيء من حكمة التعبير ولا
جمال التصوير إلا في العلون الأقل. وليس عما قدمه هو كل الآيات. فهذا حبيب
آخر ربما كان أحد من السوي. وهو الطريقة التي أخرج بها أبو العلاء
زومياته أو بعبارة أدق للغاية التي أوردتها لزومياته. فقد كان - فيما يظهر -
يريد أن يخرجها في شكل خطاب وعظ وإرشاد. بقول في مقدمتها: «إنها تمجيد
لله الذي شرف من التمجيد ووضع العن في كل جيد. وسعياً تذكري للناشين
ونبيه ليرفقه التفاني وتحرير من الدنيا» فهو ينادي بها إلى الوعظ. وهي لذلك
تعليلية بما تعللها به أسباب الوعظ من التذكير بالمل. ومن أجل ذلك كنا نذكر

(١٣٢) ينظر مع أبي العلاء في مجلد من ١٥١.

(١٣٣) تعريف القدماء بأبي العلاء من ٢١٥.

(١٣٤) من القصيدة من ١٢٢.

حين فراءت التروميت ملن وسلم شديد لأن الشاعر يتفقن سن أفكار يمدنية
أها وبميد وفد أخرجها في أكلوب راه . ليس فيه جمال فني ولا طرافة فنية إلا
قايلا ١٠٧١٠ .

سبط ابن التعاويذي

٥١٩ - ٥٨٤ هـ

كانت للعلاقة العرسية هيته وعمره بعد انته - الحكة الساجدي في العراق سنة ٥١٧ للهجرة. وأظهر حياء، عصاة لتعيش لأدب في حلقه وراح سوجه في عهده. وسر شعراء كثيرون أحادوا في النظم. وأعلن من أشهره أبو العباس سعد بن محمد المعروف بحض بصر. وأبو عدالله محمد بن بختبار المعروف بالأبنة الفخاري وأبو العباس محمد بن علي المعروف بابن عبد الواسط النجفي. وأبو الفتح محمد ابن عدالله بن عدالله المشهور بسبط ابن التعاويذي.

سيرته :

أبو الفتح محمد بن غيدالله بن عدالله عرف بسبط ابن التعاويذي نسبة إلى جده لأمه أبي محمد البراك بن البرك بن علي بن نصر السراج النجفري المراء. المعروف بابن التعاويذي (١٣٠٠) والتعويذ الحروز. وأعلن أباه كـ بوقور ويكتب التعويذ.

ولد في بغداد يوم الاثنين من رجب سنة ٥١٩ للهجرة. وأبى في حجر جده المذكور وتكفله بالرعية. وانتد على خطه "عبد والعرفه" فأرسله إلى الكتب. و أصبح يافعا أخذ يتردد على علماء عصره ليتزود بعلوم اللغة العربية والأدب. حتى استطاع أن يجمع بين الكتابة والشعر.

واصل أستاذه راجعا والوزراء والأكابر الأمان. أمثال الخليفة المستنجد بالله. وأباه الخليفة المتقي، بأمر الله. وحفيدة الخليفة "أبو عبد الله" ومن الوزراء القاسم الدين بنهم ومدحه أبو القاسم بن الدين يحيى بن محمد بن هبة. وعبد الدين أبو الفرج محمد بن عدالله بن عبد الله بن الخضر بن رئيس كروان. وله مدح في البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي ووزير المشهور القاضي الفضل.

انتقل سبط ابن التعاويذي كاتب في ديوان المظفر في بغداد والحاج. ويسمى أن هذه الوجبة كانت أروعها وتعبه إذ نراه شغلي معكم جاء في قوله (١٣٩).

(١٣٩٨) ينظر الخريدة، قسم العراقي، ٢، ١٩، ٢٠، وفيات الأعيان، ١، ١٩٩.
(١٣٩٩) ديوانه من ٩٢٢.

كم نلغ الألاء في خدمة
وبلى حظي ما أنجلي مبخلة
في كل يوم عر رات
كأنني من حره وأضع
أعزرت فيها صفة العذر
وغرس مدحي بعد - بتمر
إلى مكان شايح مفسر
أعذر رجلتي على عجز

ولما وجد نفسه في طينك من العيش . وأن مهنته لاتصل لمنطلقات الحياة . اتصل
بديوان الخلافة وأصبح أحد شعرائه المرحبين ، ١٣٠٠ : أنه رات شهري حله كحال
مجموعة من الشعراء انذاك عرفوا باسم شعراء الديوان العريض أو شعراء ديوان
تخلافة . . . كانوا يحضرون في الأعياد ولدت أيام الفنون إلى الديوان المذكور
فينشدون قصائدهم بحب مراتهم ١٣٠١ . وبقي رثيه يجري عليه نم النسي أن
ينقل باسم أولاده . ولما وجدته قد استأثروا به سأل الخليفة الكرندي لله أن
يخذ له مبلغا آخر بثمان مئة جتة وشرح الأبواب في قصيده له بها
الآيات الآتية ١٣٠٢ :

نقلت رمعي حبلاني ولد
خبرت في شعبي وما أنا في تحت
وقلت هذا حنني يكون نكم
واحد لسوء مني عما تركوا
فبني والله ما صحت فأض
فإن أردتكم أمرا يزول بكم
فانتعوا لي ربحاً أعود على
نلت شهد ما حبيت أنتع
لابل أصبح لأولاد مبيتني
فما أطعوا أمرني ولا سمعوا
نبتني عليه ولا يدي تقع
رث نفسي وشي ما سمعوا
الخصم من بيتي ويرتفع
ضنك معاني به فأنع

استجاب الخليفة إلى طلبه . وأتم عليه المال الكافي لعيشه وفي السنوات
الأخيرة من حياته فقد بصره وعسى ولم يدره إلى أن أدرته لثبة سنة ٥٨٤ للهجرة .
شعره :

ترك سط بن التمازدي بعد وفاته كتابا بعنوان العجب والجناب . لم
يصل إلينا وديوان شعريا جمعه بنفسه قبل أن يموت . ولقد نجد مقدمة لطيفة
يشهد بها الخليفة في الكتابة . ورثه عن أربعة أبواب . وما نظمه منه النسي
سأله . الزيادات وطلب من النسي "الديوان أن يلغوه به . وقد حقق هذا

- (١٣٠٢) ينظر أسماء الكثيرين منهم في : الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى
سقوط بغداد ص ٨٩ - ٩١ . وينظر : الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص ٨٩ .
(١٣٠٣) سبط ابن التعاويذي (مسكوني) ص ٥٠ .
(١٣٠٤) ديوانه ص ٩٧٣ .

الديوان المشرق الانكليزي مرخيوث وصعبه عام ١٩٠٣. عن سبختين جمع بينهما ولم يكن أميناً في عمله. فنتمزف فيه جذواً وتقديماً وتأخيراً. وأفضل ذكر لاختلاف الروايات. ووقع له شيء غير قليل من التحريف والتسحيب (١٣٣).

كان سبط ابن التتلاويدي شاعراً طبعاً في سلك الشعر وحكمه. وقد أقر له التتلامي بالمفضل والتقدم (١٣٤). قال ابن خلكان. كان شاعر وفه. له بكن فيه مثله جميع شعره بين جملة الألفاظ وعذوبتها وورقة المعاني ودقتها. وهو في غاية الحسن والحلاوة. وهذا اعتقده لم يكن قاص سنتي سنة من شعره. ولا واحدين من يقع على جدا الفضل. وإن ذلك يختلف بميل الطبع. والله القائل

واللهي فيما يعتقده من مذهب (١٣٥)

وهذا الحكم. وإن كان فيه شيء من القسوة - جيد. فإن سبط ابن التتلاويدي شاعر متين من ناحية التقيض. وشعره رصين الأسلوب متين الدبيحة. واضح المعنى. غير مفرط في القسوة. قال محقق ديوانه. والمرجو من الفارسي الكريم ألا يجمع النظر في الزلات. بل يثبته إلى ما في الشعر من التحرك. وفي هذا الديوان من مدحة رافعة للشعر وأرجوحة شاذجة للصدر. ومن أفضحية جنازة للأعراس وشكرية مصيبة للأعراس ومروية مبكية للمعزون وقطعة مختلفة للقنوق. فإن القصيد كأنه مرأياً يظهر فيها أسرار قلوب وخدائهم الخطوب. وتكاد تعيد الأموال وتجمعهم ذوي حواء وتظهر من غير سلف نصب عين من حلف متى يشترك فيما كان يدأخله من لفة وثقلت عند فديف ثوقت. ويتعهدهم في الشراء والصرف عند اختلاف الشؤون ويسمع حديثهم دا الشجون (١٣٦).

أخرف سبط ابن التتلاويدي أنساب موضوعات الشعر المعروفة من مدح وهجاء ورثاء وعمل وتشكوى ووصف وأحوالات. وقد أخذ المديح القسط الأوفر من شعره. ست فيه حتى اهتمامه بمحامد رصينا ميب في العاطفة ومعانيه وأول خليفة مدحه كان المستند بالله. إذ أراد يظفي عليه هالة من العظمة والحلاوة والبالع في كرمه وحجته يقول (١٣٧).

(١٣٣) (١) انظر: مقدمة الطبراني ١٠٦، ١٠٧.

(١٣٤) (٢) مضار الحقائق ص ٩، معجم الأديان ١٧، ٢٠، تاريخ دول الإسلام ١، ١٢٤. شذرات الذهب ١، ٢٨٢.

(١٣٥) (٣) وفيات الأعيان ١، ٢٦٦.

(١٣٦) (٤) مقدمة الديوان ص ٩.

(١٣٧) (٥) ديوانه ص ١٢٨.

كرمنا الخرس من حن
 بعزنا العبدني وبتقنا تعزنا
 حواء نانا بكنا سندا
 قرب السؤل وسد شوق
 ورس العداج وخافنا تعزنا
 هبنا الخوارد حن الخرس
 سافر قشوقا ويعلو تعزنا

وبعد هذا انجدنا المصحح والله اعلم ان ٥٦٦ هـ انقرب من سنة الجلاء
 المتدني، ومرت لك ورتق علاقتك به. وقدم بين يدنا مجموعة من المداخلة اثرنا فيها
 لندعنا ونلهمه وسيرة على مدخل الأمور وما سر لك في زمانه من صوح
 وعود مدبر في حداث الجلاء العبدنا وقد نسى في إحداث العبدنا من نفس
 حوته في نفس العبدنا.

اقرب تنكرنا من حن
 وبعنا العبدنا وسندا
 ونجوي في فاسي حننا
 دعوتنا غدا مسبح حننا
 لبعنا العبدنا وسندا
 ما ملكتنا نحن العبدنا
 من حننا وسندا
 نفس حننا كنية حننا

وحده بعد العبدنا. والله اعلم ان ٥٦٦ هـ سنة انه سر الخرس لك. وهو اخذ
 حننا العبدنا من حننا في أواخر عتيدنا. أعزنا للعبدنا مكنها وسندنا وحده
 سدا الأنا سندا العبدنا ٥٦٦ هـ. وهذا حننا من ان العبدنا. كبر عدد من عتيدنا
 مدخلنا وور سرح سدا في ١٥٠١

اسرع انه حننا العبدنا وكبر العبدنا إلا في غدا حننا

وكبر في مدخلنا من حننا خير مسطحة وسندنا. وجودنا تدكيرة
 في حننا سندا عتيدنا وقوة إرادنا وسندنا العبدنا في إقرب العبدنا ونعدنا
 وسندنا العبدنا العبدنا وسندنا العبدنا وسندنا العبدنا من قنندنا طولنا ١٥٠١

(١٩٩٨) ديوانه ص ١

(١٩٩٩) ينظر بحث الدكتور مصطفى جواد (القاصر لدين الله) في كتاب: (التراث العربي)،

(١٩٩٠) ديوانه ص ١٧٩

(١٩٩١) ديوانه ص ١٧٤

حاتم مؤيد الرائي والبط
 مؤيد البيض والأستاذ في
 طائفة الرعايا المدحج
 ورأيت ما كان من حدة
 من فتوح الشجعان المشجع
 واقبلت من الأعداء والأحوجيا
 ق جمعة والسعد والسعد
 روع ظم ماء الطمان والسعد
 رائي ونودي الكسبي والسعد
 سحر يروي عن حدة السعد
 رات ببخ القبي وسد السعد
 ت لذكابي والمرحفات المذكور

وكانت معارضة النصارى ضد الفرنج في عهد هذا الخليفة على أشدها في ديار الشام
 بقيادة لاجه صلاح الدين الأيوبي . وكان لسط بن التومين موقف مشرف في
 مؤازرة هذا البطر بقضائه حملية يدعو فيها إلى اتصال شافة الأعداء الأرقين
 وصددهم من دفع التماسيد العزرة وألبه القدس الشريف . وقد تحقق في حياته
 فتح هذه المدينة وعودتها إلى أسماها العزرة سنة ٥٩٣ للهجرة . واليك الأبيات
 التي من قصيدة به (١٩٢)

عذرت أعي النعمي بين مجدل
 أو حارب شافق عليه سرحه الز
 وديح بلاد الزور ملك بعزة
 وأحد رجلا ظلك دد حصة
 حتى يرى للمشرفة مطعة
 فأنعمون أو ظفرت سمجهم
 فلست كركناك أمة تحور على
 لفي الحفاه وحالف يشرف
 رض المعدل وأبن ملك الحروب
 للسعد فيها رائد لا يكذب
 ودواؤة سعد الشفاه دد
 الطمان من ملك الذم والمشر
 مسد حوت جريعة لا توفد
 معدتها حديا كد يحو الأث

وكان عدد الذين الكاتب مد بقا وسد محط لسط ابن التومين تعرف
 عليه حينها كان يعمل في العراق . ولما انتقل إلى الشام واشتغل في دولة نور لدين
 محمود بن محمد الدين ركني ت في دولة صلاح الدين الأيوبي لم يسر حده
 الخداه والصحية . ولحق برأسه وفقد له زوجة في كاه النعمي خريفة
 السعد وجريفة النعمي . وعن طريقة عرف سعد صلاح الدين والقاضي
 الفضل من مديحة القاضي "فانزل" "شوه" "لعله" "رفع" في تدبير الكتابة
 دولة (١٩٣)

(١٩٢) دولة من ٩٤
 (١٩٣) دولة من ٩٤

وكانت ما عدا ذلك كثيرة
 تسود يوم لزوم أفلاطونية
 رسائل كالتصنيف ثم برقيها
 سواريا في البحر والنهر أو
 يمس في "لادانز أنبأها" كالتصنيف
 طلائع الفصح والشمس
 عن فطيم الهندية "بشر
 خري وبيت م... بها على دفر
 شوردا في التبر واتحمر
 كالتصنيف "الملك لادان... بري

إن مدوحى سبط ابن التلاويدي كثيرون قدم من أديهم أو بعث إليهم .
 أجود شعره ولا يتبع الجدل هذا المذكور جميعا (١٩٩١) .

ولم يسل سبط ابن التلاويدي من الهجاء مع إند نشأ في بيت يهود
 الرهد والتفاني والتفاني مرة كان يكره شعراء المخاضين الذين يبيعون ماء وجههم
 رخيصاً في أبواب المدوحين . ويتبع عليه تكوت على المفاد والمقاييس كما هو
 في قصيدته التي يقول في أولها (١٩٩١) .

يا قنن... شعرا
 يا شعرا يا شعرا
 إلى ما من شعوركم
 وكم... شعوركم
 فيكم فسي دو محبة
 من اللؤلؤ الشعيرة
 على فداها فبغضية
 وله... شعوركم

من الشعراء الذين هجوا الأبي البغدادي . وابن المعتز الهنسي ومن الوزراء
 شرف الدين أبو جعفر محمد بن أبي الفتح المعروف بابن الجلاب . وجعلوه أجدا
 يكون لأدبهم وأخر كما نرى في هجاء رجب بدعي ابن الرزيش ويشبهه باليهود في
 حبش ونومها وعذرها (١٩٩١) .

وأنت... شعرا
 مع... شعرا
 عبر... شعرا
 ما... شعرا
 حلف... شعرا
 وكل... شعرا
 ولا... شعرا
 فلا... شعرا

(١٩٩١) ينظر سبط ابن التلاويدي (سكوني) ص ٩٩ - ١٠٠ . وسبط ابن التلاويدي

(الأول) ص ١٤٢ - ١٤٩ .

(١٩٩٢) ديوانه ص ٩٦١

(١٩٩٣) ديوانه ص ٢٩٩

ولبط ابن البدوي قصائد ومقطوعات في الزنا، تدور على حرب عميق ولا سيما
 المراثي التي قالها في أهله ودويه وأقاربه. من مراثيه المعروفة قصيدته في زنا جده
 لأمه الشيخ الزاهد أبي محمد المارك بن المارك. وقد افتتحها بمطلع فيه شيء من
 الحكمة (١١٧٧) :

لكل منظر من الدهر أمد لا والدأ ينهي الزاد ولا ولد
 ومنها :

إن كنت في نوب الغنى فإني حدثك في نوب يحول وكمد
 لوحدتي وهي الزوال كثرة يقاة الجار وقاة العدد
 ملك لا راحة قل موقعي وكمد أحس والد على ولد

ومن مراثيه التي تعبس بالحسرة والآسى قصيدته في زنا ابن أخته. وكان يحبه
 ويأبى بمداغته منها قوله (١١٨١) :

كأنك نورذ أبي رثا تبت أراقه عن كتب
 أشوق كالنجم نضيا فدا ملأت عيني من حبي غرب
 كما نحلي البدر من دونه سحرا غزاة ترحل الحبيب
 وبلي عليه ما بلغت لحي من ولا قبيت منه أرب
 أبا علي كد لي مؤنسا عدالتي فيك أدي الرث

ويعتق بط ابن البدوي بنوع رقيق للحب. أظهر لوعده واشواقه في أحب
 من التجميلات في تشكيلين وحركاتهن. وقد جعل هذا الشعر منفلا قائما بذاته أو
 في مقدمات القصائد مثل قوله من زجورة تحاورت شائبي يذا (١١٧٩) :

فبت هذه المخلخل والحوار كنها بدو السوء الذي
 جئت عن المعدي وتكرار نشرق من مطالع أفروز
 علفتها في حانة الخمر خلعت في العدا بها عذاري
 ما أغشى المسومة والوقار وله أول منهنك الأم تر

(١١٦٧) ديوانه ص ١٢١

(١١٦٨) ديوانه ص ٩٨

(١١٦٩) ديوانه ص ٢٢٩

وفي شمره شكوى مصروحة بالآله ولا سيما بعد ان تجاوز الحسين من العمر
 وفقد نور عيونه ولازم داره . مثل قوله يصف حاله التي الى اليها ويتحيز على ايام
 شبابه التي قضاه في الجوارح والشرائح (١٢٨٠)

بـالـكـ من نـبـال حـدا	بـالـجـلـة مـمـكـر
ظـلـامـة لا يـنـجـدـي	وـصـحـة لا يـفـر
ما فـي حـيـه مـعـه	لـذي حـدة وطر
عـائـرـي كـتـيـي	فـي كـر يـت حـجـر
لا تـعـيـنـي لـحـاجـتي	وـفـي الـتـلـي عـر
أـيـسـر تـشـبـهـا	وـالـهـوى وـالـأـسـر
أـجـرـيـت عـطـيـي	أـيـسـر دـهـبـي عـطـر
أـجـر يـنـي لـي الأـلـس	مـسـتـهـيـن وـالتـدـكـر

وكثر عنده العذاب معزج بالشكوى . ولعل أثر العمى كان شديداً على مزاجه
 وسلوكه . إذ أن . كما البصر في حد ذاته يحق منكملة قد حده ترمي به في حومة
 من ركاب الغد انصبه واحب لا يتصعق ان يتقلب عليه الا كل مؤمن شجاع .
 وهي عند الذين ولدوا مكعوفين اندمنا عند هؤلاء الذين ضروا وهم كثر هؤلاء
 الآخرون تكون للحياة في اذنه وعقله مدور بالهة بتحمسها ويلتمسون منها
 الوحى الصادق الدقيق في اكثر الاحوال . وقد عرف التاريخ عدداً من اشعراء
 لعضد المكعوفين (١٢٨١) وكان سبط ابن التعاويذي من الشعراء الذين حرروا البصر في
 احريات اصداره وظهر اثره في شعره . فهاهو ذا يعاتب بشعر يسيل رقة وغزوبة
 صديقه اما العنوج ابن عثي المازن على اواخر عن الزيادة التي امتد ان يؤديها
 بين حين وآخر (١٢٨٢)

قد فـانـيـت مـنك حـط عـيـي	فـلا تـعـيـي فـي حـظ عـيـي
كـذـت اذ مـأـشـي حـسـيـة	أـنـجـدـي بـالـبـكـة دـمـعـي
مـن لـي بـه حـطـه حـسـون	أـبـكـي بـه طـقـتي وـوـعـي
عـلى أـلـس مـأـنـوا وـكـنـوا	أـخـري لـيـومـي ضـرـي وـعـي

(١٢٨٠) ديوانه ص ١٨٢

(١٢٨١) الشعر والفهراد المذكور مصطفى الحكمة ص ١٠٤ .

(١٢٨٢) ديوانه ص ٢٦١ .

فلبيت شعري رائي حكيم
 سؤلت بعد الوصال هجري
 باليمن عسلي والي شرع
 عمدا وبعد العطاء منعي
 أرك عن جفوة وقد طبع
 للشوق من حرمة ولوع
 فلما أرا يزور في سرب
 من لم يور في الحياء ربي

وظهرت في شعره مسحة من الحزن واليأس . بعد أن دبت الهزال في بدنه .
 ورمى الصدق في أخته . وأخذت الأعيام تقص من سعيه وشأفه . وبدأ ذلك
 جليا في الشعر الذي يصفه في الزهد والويع والارشاد الذي وجهه للناس لعلهم
 يتحذرون العرة والعظا قبل فوات الأوان واغتراب راحة الرجل من ديار الفناء مثل
 قوله (١٧٢) .

على من الماضي إن يطغى
 أني دار زمني على زلوا
 ع . ش . هـ الأجدث وانبرك
 أو سبيلى لثردى ملكوا
 ملكو الخبايا فما دفع تم
 حوت ما حاروا وما ملكوا
 فلكات مناهم نوتها
 برجل طرا فملكوا
 صحكوا سينا فعدوا نسي
 ومثلها للزمان يد
 ومكان ذلك الفجحات
 يا حاء الحاء بين دهرها
 معلى سبها في دم دنا
 من مرورها ثبها له
 وهو في دنيا مدهم مياث
 من حالات الرزق ثبان
 لاهب والعمز منتهك
 سيد الآراء صده هيمان
 فف قديلا قد بلغنا مدى
 نلتك ما دنا من غفرتك

إن تعهد كذا لأخفا . فرب الماخذ في آية عليه صراط . ولغا
 فسبحه . وهو يفتي مناه . وقد أترك العصفى ذلك فعلى . كان شعرا
 مطبق على الألفاظ عذب الكلام . منه التراكب . وه يكن عنوانه على
 المعنى (١٧٣) .

(١٧٢) ديوانه ص ٢٩٠ .

(١٧٣) نكت الهميان ص ٣٤٩ .

عمر بن الفارص

٥٧٦ هـ - ٦٢٢ هـ

اندفع العرنج نحو الشرق طمعا في خيراته ووافر ثرواته بموجات متتابعة وفترات متقاربة منذ قرنين من الزمان ابتداء من سنة ١٦٢ للهجرة واحتلوا أحراراً عزيزة من الوطن الغالي . ولا سيما القدس الشريف . وفرا الناجون إلى أفك من الحرب الفرس التي وقعت آنذاك . وتفرغوا إليه أن يدفع عنهم الكروب الشديدة . ويحسر السجالي البلبا الصفيقة . وتوزع الشعراء إلى فريقين . ذهب فريق إلى الأعراب عن دخلك النفوس وكوامر الاقدار والاهصح عز ضراوة الاحداث وجسامة الاهوال والكوارث بقصائد عامرة . منها قصيدة الامام العزالي (ت ٤١٥ هـ) التي مطلعها (١٣٣٦) :

لثمة أودت بالهيج يارث فعجل بالفرج

وقصيدة يوسف بن محمد التوروني المعروف بابن النحوي (ت ٥٠٣ هـ) المشهورة بالمرجة ومطلعها^(١٣٣٧) :

اشتد زعم شعرجي فم أذر ليك بنبج

وذهب فريق آخر إلى انتزع بالرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . والثول لديه . والتعلق باعتابه أن يزيل عنه الاحزان العائمة . ويرد الأمس والسعة إلى نفوسهم الهائبة . ويبلغ به أبواب الرحمة الواسعة إلى ساحات الرضا السعدية

وقد كانت الحادثة الاقتصادية الصعبة في الطبقات الدنيا من التمتع والويلات التي رافقت الحروب الصليبية التي وقعت على ارض الشام ومصر ثم الهجرات التترية التي اجتاحت العراق دلهما كبرا لانتجاع الكثيرين إلى الله والملاذبة والاصواء تحت رحمته . وذهب بعضهم إلى اعتزال الحياة بما فيها من لذة ونعيم والترقاد بوجه الله به على عبادة .

وخويت تحركة الصوفية والدعوة إليها . وظهر فيها رجال كبار مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ) وأبي الفتوح يحيى بن سبش السهروردي (ت ٥٨٦ هـ) وشهاب الدين أبي محمد عمر بن محمد السهروردي (ت ٦٣٨ هـ) وأبي العز

(١١٤٥) الدرر الغوالي من اشعار الامام العزالي ص ٩

(١١٥٦) مطمح السعادة ١٩ ١٤٤

علي بن عبد الله الشاذلي (ت ٦٥٩ هـ) وجلال الدين محمد بن الحسين الرومي (ت ٦٧٢ هـ) .. وكان أبو حنيفة عمر بن الغارض واحداً من هؤلاء المشهورين .

سيرته :

هو الشاعر المصوفي الشهير عمر بن علي بن مرشد . النحوي الاصل . المصري المولد والشاة والوفاة المشهور بابن الغارض . يكنى أبا القاس وأباً حمص . ويلقب شرف الدين . وسلطان العاشقين . وسلطان الحبيب

ولد في القاهرة في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦ للهجرة ١١٨٧ . في بيت دين وورع وحلق وعلم . كان أبوه عملاً درس على ابن عسكرو وغيره . وقدم من حماة الى القاهرة . واقام بها . وصار يثبت العروض للنساء على الرجال بين أيدي الحكام . ومن هنا كانت تسمية الغارض . ثم ولي نيابة الحكم للعلاء العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي . وعرض عليه محب قاضي القضاة فامسح . واستقال عن نيابة الحكم . وائر العزلة والانتطاع الى العبادة في الجامع الأزهر .

درس ابن الغارض علوم اللغة العربية والشريعة على أبيه وعلى العلماء الذين كانوا يفتنون حلقات الدرس في الجامع الأزهر . وكانت تفسر عصره موجة من التصوف . فذكر بها وترشد وسلك مسلك الصوفية في التقشف ومجاهدة النفس والخلوة بمتنهد والتعب .

زار الحجارة واتصل بصناع الوحي والالهام . وحاور مكة زهاء خمسة عشر عاماً . تجرد فيها للذكر والتضرع والابتهال . ثم عاد الى القاهرة . واقام بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر . وهي القاعة التي اقام فيها أبوه من قبل . وكان الجميع بقدرته ويجلبونه حتى صاحب مصر الملك الكامل محمد بن أبي بكر العادل . اذا كان ينزل لزيارته والاستئناس بمجالسته والاستماع الى تعبه . وساعده على الظفر بهجة الناس مانحة الله من جمال الخلق والخلق وما سار على المسيرة الناس من شعره

وعاد مرة ثانية الى الحجارة ولكنه لم يمكث فيها كثيراً . فإنه أدى مناسك الحج وأسمع بالشيخ أبي حمص عمر بن محمد التهرودي . من انطبأ التصوف بالعراق في زمانه . ثم عاد الى القاهرة وجلس في مكتبة بالجامع الأزهر مكرماً معززاً من

الثاني عامة . وكان يقصده الفقهاء والخوفيون وكاثير الدولة . ونعني على هذه الحالة
 أني أن توفي بالجامع الأزهر بخاصة الخطبة في اليوم الثاني من جمادى الأولى سنة
 ١٢٢ للهجرة ودفن بالمعروفة بسبع حس المعظمة ١٢٢.

شعره :

حظي ديوان ابن الغرير بأصنام السخ والشرح والفسير والدارسين فعالمه
 من مكدلة مرهوعة في محلة الشعر المصوفي . ولعل من أشهر شرح هذا الديوان التبيح
 حس البوريني التوفي سنة ١٢٤ للهجرة . وقد تناول في شرحه طاهر الألفاظ وما
 يؤخذ منها من الغني . والتبيح عبدالمعني الدائلي التوفي سنة ١٢٣ للهجرة الذي
 شرح الديوان على ضوء المصطلحات الصوفية .

بحوي الديوان أني جالب القصائد واللفظونات المضمومة على الأوزان العربية
 المعروفة واحداً ونلتين دويماً . وموالياً واحدة .

برع ابن الغرير في نظم الشعر براعة كبيرة وفائقة . جعلت لداي يطلبونه
 ويتذوقون عليه . ومصدر هذه البراعة والجودة شاعريته وخفة طبعه وحس صياغة
 وأغلب هذا الشعر في الحب الإلهي . استخدم فيه لغة العشق والفرام والتهيم . وهي
 لغة استمدتها من ألباب الشعر العذري الذي عني بتصوير المعنى في الحب . ومعنى
 ذلك أن ابن الغرير عبر عن حبه الإلهي بلغة الحب الانساني حارياً في ذلك على
 طريقة الصوفية في الإشارة إلى مواعده والتلويع لاذواقهم ومعانيهم من خلال
 ألباب مستعارة من الشعر الغرامي ١٢٨١ . وتكتف هذه النزعة الغنائية الأبيات
 الآتية التي أجدت حظاً كبيراً من الرقة والألحان ١٢٨٢

قلبي يحدثنني بأنك متسلمي روجي عدائك عرفت أن لم تعرف
 لم أقصر حق هوائك إن كنت الذي لم أقصر به أسى ومثلي من يعني ١٢٨١
 دلي سوى روجي وبذلك معه في حب من بهواه ليس بمصرف
 فليس رصت بها فقد أسعفتني رغبة المعنى إذا لم نعرف
 بأداعي طيب المدام وما نعي ثوب انتقام به ووجدني التلاف

(١٢٨٨) ينظر ، الكواكب الصبابة في توليب الزهارة ص ٢٠٠ . تحفة الاحباب وبغية الطلاب ص

٢٨٩ .

(١٢٨٩) شعر عمر بن القارظ ، دراسة في فن الشعر الصوفي ص ١١٩

(١٢٩٠) ديوانه ص ١٥١

(١٢٩١) الضمى الأولي ، الثاني ، الموت

عظما على رقبتي . وما أبقيت لي
 فلو جئت بأقوال الوصال معاطني
 وألست بجوم الليل هل زار الكفر
 لأعزو أن نحت غمض بدويها
 بالأهل وذوي انتم علي ومن
 عودوا لما كنتم عليه من الوفا
 لاتحبوني في الهوى متصدع
 من جسمي الخفى وقلبي المندف
 والصبر من والفة مسؤفي
 حمي وكيف يزور من لم يعرف
 عرسني وسخت بالله موج الذرف
 رداكم بالأهل وذوي قد كفي
 كرما وأني ذلك أهل الوفي
 كلني بكم خلق بغير تكاف

والقصيدة طويلة يسير فيها على هذا السجع في اظهار النوع والمغازاة والشفق الى الحبيب بلغة رقيقة تنساب الى القلوب يسير ومهولة تستمدح من وحي الحب العذري .

وتحولت الخمرة في الشعر الصوفي كما تحول الغزل "عذري" الى رمز عرفاني على مآكار الصوفية ينزلون من وجد بالظر والخمرة في شعر ابن الفارض رمز على المحرقة الآلية بوصفها ازية قديمة منزعة عن العطل مجردة عن حدود الزمان والمكان . وهذه المحبة في الاسرار العرفانية هي التي بواسطتها ظهرت الاشياء وتحلت الحقائق وأشرق الاكوان . وهي الخمرة الازلية التي تربتها الارواح الجردة فاشتت واخذها المكر واستخفها نظرب قبل أن يخلق العالم (١٣١٠) على حد قوله في ميسر (١٣١٢) .

تربدا على ذكر الحبيب مداعة سكرنا بها من قبل أن يخلق النكر
 لها النذر كأنى وهي تسمى يديرها هلالا وكم يسو اذا مزجت نجم (١٣١٤)
 ولولا شذاها ما همدت لحانها ولولا شذاها ما تصورنا نوحا (١٣١٥)
 ولم يبق منها الشعر غير حشاة كآل خفاها في صدور النهر كتم (١٣١٦)
 فإن ذكرت في الحبي أصبح اهله نشاوى ولا عار عليهم ولا رثم

(١٣١٢) انزاع المقرري عند الصوفية ص ٣٦٦ .

(١٣١٣) ديوانه ص ١٤٠ .

(١٣١٤) لها البدر كاس ، يبره ان اقامها مستدير كالبحر ، وهي شمس ، اي صافية كالفضة .

هلال ، اي غلام كالهلال في رشاقتة . كم يبدو اذا مزجت نجم ، اي يبدو من الطفايح التي ثقبه النجوم .

(١٣١٥) شذاها ، طيب والحقها ، شذاها ، نورها . ما تصورنا النوح ، ما عطرنا على بال .

(١٣١٦) حشاة ، بقية روح ، خفاها ، سهل خفاها . في صدور النهر ، اي في صدور اهل العقول .

ومن بين أحسن المذاهب تصادفت ولم يبق منها في الحقيقة إلا شيء
والخطر يوماً على خاطر امرئ أقامت به الأفراح وأرحل النهج

لقد غمر عي حبه وولاه وهيامه بصور تنى من التغيرات التي استعارها من شعراء
الحب العذري وشعرنا الحمراء المشهورين . وقد لقب بسلطان العاشقين لقوله (١٣٨١) :

يَحْتَرُّ الْعَشَقُونَ تَحْتَ لَوَائِي وَجَمِيعُ بِلَاحِ تَحْتِ لَوَاكَا
وقوله (١٣٨٢) :

سَحَبٌ حَقِي أَيْدِ الْعَتَقِ مِنْ قَلْبِي وَأَهْلُ الْهَوَى جُنْدِي وَحَكَمِي عَلَى الْكُلِّ
وَكُلِّ مَنْ يَهْوَى قَلْبِي أَمَامَهُ وَأَسَى سَرَى مِنْ قَلْبِي رَامِعُ الْعَدَلِ
وَأَسَى فِي الْهَوَى حَقُّ أَحَدٍ مِثْلَهُ وَمَنْ لَمْ يُفْقَهُ الْهَوَى فَهُوَ فِي حَقِّ

المرحوم ابن الفارض ينحط إلى دائرة الحبس . فهو حب صاف من قيود المادة .
فقد حاصره نفسه من كل جوانبها وأقبل على حبيبته آندي يحل به العدل انطلق في
نفسه صورة العذرية . ومن أحسن خصائص هذا الحبيب كل ما في الكون من أيات
الحق والخير والجمال (١٣٨٣) والرسول محمد . صلى الله عليه وسلم . أيد من أيات
الحق والخير والجمال ينتمى بكل كمال . ويعوق العالين بحسن خلقه وجنتته . ولذلك
تنشق إليه ابن الفارض وحن إليه وخطبه بلغة المثلثين المولمين بحشواتهم . مثل
قوله (١٣٨٤) :

أَلَا فِي مَبِيلِ الْعَبْدِ حَالِي وَمَا عَسَى
أَخْتَمَ مَوَازِي وَهُوَ بَعْضِي مَا الَّذِي
وَجَدْتُ بِكُمْ وَجْداً قَوْيَ كَرُّ عَاشِقٍ
بِرِّي أَعْطَيْتَنِي مِنْ أَعْظَمِ التَّوَقُّعِ ضَعْفَ مَا
بكم أن الإلهي لو فريتم أحبتي (١٣٨٥)
بصركم أن تشعروا بجمالني (١٣٨٦)
لو احتملنا من علة المدح كنت (١٣٨٧)
بعضي تومي أو بضعتي لفتوتي (١٣٨٨)

(١٣٨٧) ديوانه ص ١٦٩

(١٣٨٨) ديوانه ص ١٧٩

(١٣٨٩) الأدب في العصر الأيوبي ص ٢٤٠

(١٣٩٠) ديوانه ص ٢٦

(١٣٩١) يقول : لو دريتم بحالي وما حسرت أن ألقى من حبيكم فرحشوني

(١٣٩٢) يقول : أن وجهه . أي حب العبد . لكل . أي لخطبه . قرى كل عاشق عن لحمل لقل

(١٣٩٣) يقول : أن اعطاه انعموا شوق عظيم هو عطف مالي بفضته من العرف إلى النور وما في

ضعفه من الاشتباه إلى القوة .

وقد اتهم ابن الفارض بتأدية مبدأ الحلول والابحاد . أو وحدة الوجود .
وكلاهما شيان متقاربان . واحتدم الجدل والفتنة بين المؤيدي له والمتعصين
عليه .^{١٣٠٠} فمن أقواله التي تكررها عليه

وإذا سألتك لى أراك حقيقة فاسمع . ولا تجعل جوابي . لى ترى
دافع الموربني عنه في هذا البيت قال . لى في هذا البيت تلعباً الى قصة
موسى حيث طلب من ربه الرؤية . فأجيب . بلى نرتي . ول مراد الشاعر الرؤية
في الآخرة بدليل قوله . وإذا . فإن اذا نزل على الزمان المنقول .^{١٣٠١} ومن أكثر
قصائده التي بار حولها الجدل المثالية الكبرى التي تعرف بـ (نظم الشوك) وهي في
واحد وساتين وسبع مئة بيت . قال احمد التياحشي . وقد تصفحت ديوان عمر بن
العارض وانعمت النظر في تانيته الكبرى على وجه الخصوص هل نجد بيتاً يعطي
معنى الحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود صراحة .^(١٣٠٢)

ومما يشير الاتقاء ان يجد القزى في ديوانه تسعة عشر لغزاً شعرياً الى جانب
تعدد المصوفي . وبدوا انه لم ينس نصيبه من التلية البرقة والرياضة المذهنية مع
جلالة أحواله في نظم الاغمار والأحاجي . وهي - في الغالب - تعتمد على التصحيف
والتحريف والتقديم والتأخير والحذف والقاب في حروف الكلمات . مثل قوله
ملغزاً في صفر .^{١٣٠٣}

سالم طير اذا نظفت بحرف هـ . مبداء كان ماضي فقله .^(١٣٠٤)
وإذا مقلبه . فهو مغلى . طربا ان اخذت تغزي بحله .^(١٣٠٥)
وقوله ملغزاً في ليف .^(١٣٠٦)

ب اسمائه من البت . اذا ما قلبوه وحدة حيوان .^{١٣٠٧}
وإذا ما خيفت شتيه حاشا بداه . كت واحد انباراً .^{١٣٠٨}

١ (١٣٠٨) يظهر يدافع الزهر في وقائع الدهور ١٣٨٠٢ .

٢ (١٣٠٩) دهراته من ٨٨ .

٣ (١٣١٠) الادب المصوفي في مصر في القرن السابع الهجري من ١٠٥ .

٤ (١٣١١) دهراته من ٩٢ .

٥ (١٣١٢) اراد ان اول حرف من سفر هو الصاد . وصاد قبل ماخر من الصيد

٦ (١٣١٣) اي اذا قلبته مكر حصل منه رقص . وهو ما اصله حين الطرب

٧ (١٣١٤) دهراته من ٩٤ .

٨ (١٣١٥) اي اذا قلبت ليف حصل منه قيل .

٩ (١٣١٦) اي جعلت للشيء وهما الياء والقاء باد وفيها صار ليقا . وهو وصف الانسان مضاد حلال

ان شعر ابن الفارض - وإن لم يخل من الصنعة - محبب متناغم في الأسجاع .
 فيه نزوع الى التيسير والزينة وشغف بالصور البيانية والمعنات الابدعية . ولا ننكر
 انه يوفق كثيراً بفضل هذه الصور والمعنات الى سكب شعره في صيغة رشيقة
 جذابة . مثل قوله في الايات الالنية (١٣٧١) :

أبّر ذكرى من أهوى ولو سلام فإن احاديث الحبيب ثماني
 ليشهد سعي من أحب وإن نأى بطيف ملازم لا يطيف منام
 بروحي من التفت روعي بحبا فحان جسمي قبل يوم جماعي
 أصلي فأشد حين اتلو بذكرها وأطرب في الحراب وهي اماني
 لروح بقلب بالضباية هائم وأغمر — طرف بالسسكابة هام

وهناك وسائل أخرى يعمد اليها في سبيل ابداع شعره واحتراجه بصورة مثيرة ومؤثرة
 منها . حسن انتخاب الكلام الرقيق المنجم . والجمع بين الالفاظ التي ينسج معها
 النطق . اذ تتألف فيها أصوات مخارج الحروف . ومنها اختيار الأوزان التي تتلاءم
 مع العواطف والمعاني . فنساب الى النفس انسياً (١٣٨١) . مثل قوله (١٣٨١) :

بالهل ودي هل لراحي وصلكم طمع فبينهم بالة استرواحا
 مذ غتم عن ناظري لي لئة ملأت نواحي أرض مصر نواحا
 واذا ذكرتكم أمبل كأنني من طيب ذكركم نقيت الراحا
 واذا دعت الي تناسي عهدكم ألفت أحشائي بذاك شحا
 سنيا لأيام مضت مع جيرة كانت ليالينا بهم أفراحا
 حيث الجمى وطني وسكان النضا مكنت ووردي الماء فيه مباحا
 وأهبلت أربي وظل نخيل طربى ورملة واديسيه مزاحا
 واهأ على ذاك الزمان وطيبه أيام كنت من القلوب مزاحا
 فمأ بمكة والقام ومن أثنى الـ بيت الحرام ملجأ نباحا
 مارنعت ربح الضيا شيع الربي إلا وأهدت منكم أرواحا

ولعل هذا الشعر وأمثاله في ديوانه دفع الدارين القدامى الى نعته سيد شعراء
 عصره . ووصف نظميه باللطافة والظرافة (١٣٨١) .

(١٣٨٢) ديوانه ص ١٦٦

(١٣٨٦) شعر ابن الفارض عن خلال الشعر ص ١٦٦ .

(١٣٨٨) ديوانه ص ١٦٦ .

(١٣٨٩) ينظر : الآداب الصوفية في مصر في القرن السابع الهجري ص ٩١ .

النشر

تمهيد :

كانت الكتابة في العصر العباسي الأول - كما مرّ بنا - بقاء - تتبع أسلوب الصفاء والبهر والسهولة والبعد عن الصنعة واختيار الألفاظ العذبة الموثقة كما يلاحظ في كتابات ابن المقفع . وسهل بن هارون . وعمرو بن مسعدة . وأحمد بن يوسف الكاتب . ومحمد بن عبد الملك الزيات . وإبراهيم بن العباس الوصلی ومواعم . ثم جاء أسلوب الجاحظ . وهو لطيف مشرق . يحتمل بجمال العبارة وبلاغتها وورعائها . ويعنى بتنطيع الكلام الى فقر كثيرة مرسلة أو مسجوعة . ويميل الى الاستطراد واستيفاء المعنى واستقصاء أجزائه . ومن أشياع هذه الطريقة فيما بعد أبو حيان التوحيدى . وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي . وأبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني .

ومما تكاد تصل الى القرن الرابع للهجرة حتى نرى ميل الكتابة عند فريق من الكتاب الى ايثار جانب اللفظ على جانب المعنى . والاحياز الى الصنعة . والرغبة في التزييق . والاستعانة بالمحسنات اللفظية والمعنوية . والاكتثار من الاستشهاد بالقرآن والحديث وأطاييب الشعر ومختار الأمثال . والتوسع في الشرح والاستدلال . والاكتثار من الأختلة والتشبهات والاستعارات . ومن أشهر رجال هذه الطريقة : ابن العميد . والصاحب بن عباد . وأبو اسحاق الصائبي . وبديع الزمان الهمداني . وأبو بكر الخوارزمي . وقابوس بن وشمكير . وقاسم بن علي الحريري . ويحيى بن سلامة الحصكفي ..

وأخذت الكتابة في القرن الخامس ثم السادس تفرق في الصنعة . وتسكنثر من التنميق . وتشتأثر بقط أوفر من المحسنات البديعة . ولا سيما التورية والجناس . وتستوهم ما في المعجم العربي من الألفاظ الصعبة . وكان على رأس هذه الطريقة سعد ابن علي الحظيري . والقاضي الفاضل . وعلاء الدين الكاتب الأصبهاني .

تطور المجتمع في العصر العباسي الثاني تطوراً كبيراً وأخذ بأبواب الفنون والأدب. والترف في أطر الحياة المختلفة. وقد أحدث المؤرخون عن مدح انكسار لذلك. والإقبال الشديد على التحلل. من ذلك ما يرويه أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة. الفقيه عن محمد بن الحارث أنه قال حين استدعاء الخليفة الواثق إلى قصره. «أضيت إلى دار مبروكة الصالح فلما انبطحت بالوشي النور بالذهب. ثم أجلس إلى رواق أرضة وحيطانه منبسة بمثل ذلك. وإذا الواثق في صدره على سرير مرصع بالذهب وعليه ثياب منسوجة بالذهب. وإلى جانبه عريضة جارية. عليها مثل أياته وفي حجره»^{١٠١} «عود» ويروى أن الخليفة القادر بالله كان يقصر شجرة من الخشب رتبها ألف درهم. وكانت تقوم وسط بركة مدورة صافية الماء. وكان لها ثمانية عشر غصناً. على كل غصن الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومصصعة. وكان بها ورق مختلف الألوان. وكانت تتمايل في أوقات لها فتتحرك هذا الوراق وتطفئ الطيور وتهب^{١٠٢}.

ودخل الثاني والتريز الأدب شعراً ونثراً، فجعل التعراء شعراً، كسرود الغضب، وكشعلل والمعاظ، والديراج والوشى، وأعاد ذلك ١٠٠٠، وكذلك التكرار، ولا سيما الذين يعملون في الدواوين، إنهم زينوا شعرهم وحملوه بحلي المدح، حتى أصبحوا لا يرى منهم إلا ما يدور من لا يتخذ السجع وسيلة في تدريج كتابته، وتنهت.

وكان الملاحين على الإمرات والندوبات انذاك دور فعال في تشييط الكذابة واجتذاب كثر الكذاب الى محاسنهم ومجاهدتهم ودعوتهم واعطاهم سلطات واسعة . فوجد عند المويهيين ابن المعبد والفاضل بن عطاء . وعند البامانيين علي بن محمد الإسكافي . وعند الزياريين نجدة أميراً من أمرائها وهو قابوس بن وشكير . وعند الخوارزميين أباً بكر الخوارزمي . وعند الغزنويين أباً الفتح علي بن محمد السبكي . وكان هؤلاء الكذاب يشاققون في أئزاز كتاباتهم بأجمل مظهر . وأحسن دعاية . وأبدع صوغاً . وأعطوا صورة مؤشاة بغفون البدع وضروب الخيال

(۱۹۸۸) | الألفاني | ۱۹۸۸

(۱۹۸۹) [۲۰۰۶] وینگر، تارویچ و بنیاد ۱-۴

(١١٩) البيان والتبيين: ١، ١٩٢.

وكلما يتقدم الزمن نجد الشعر يزداد ولوفاً بعبود السمعة وأغلال التعقيد . كما نشاهد في كتابات أبي العلاء المعري . ولا سيما في رسالة الفخران وكتاب الفصول والفتايب . ويزداد التعقيد على يد انقاسم بن علي الحريري (ت ٥٢٦ هـ) صاحب المقامات المشهورة التي يقول في مقدمتها : . . . أنشأت على ما غلبه من قريحة جارية . وفطنة خادمة . وروية ناضجة . وعمود ناضجة . حزين مقامة تحتوي على جد القول وهزله . ورفيق اللفظ وجرونه . وغرر البيان ودرره . وخلق الأدب ونواذره الى ما وسختها به من الآيات . ومحاسن الكنايات . ورصنه فيها من الأمثال العربية . والطلائف الأدبية . والأراجي النحوية . والفتاوى اللغوية ... (١٨٠) . .

وبغ التعقيد والتعقيد غايته في القرن السادس للهجرة . ونعز من أشهر المؤلفين في ذلك يحيى بن سلامة الخصامي (ت ٥٥١ هـ) الذي أكثر من الجباس بأنواعه المختلفة الى برتب الصور المعقدة . مثل قوله في التجسس المنعكس وكل كلمة مشتقة من أختها . . النفس يعقود التفرع حالية . ولعمود التعمد حائلة . ومن الودائع المعجزة مائلة . والى الدواعي المزعجة مائلة . وفي بخار الحمد راسية . وفي رحاب المدح سائرة . تجمج الى مواصلة القمر . وتتعجم عن مصولة القمر . لتكف بإطار الأمل . وتفك بإطار الألم . جهل كامل يسمى . ومالك يعين . ومقتصد يدس . ومتصدق يدين . فالرغبة من الشهب . من الغربة في الشبه . رغبة من قصد دالاهام . مواقع الشهاب الهام . وورد شرومة الإههام . لظلمة الإلهام . وتعرض لعان دقت عن الألهام . ورقفت فترقت عن الأوهام (١٨١) .

ومن أهتم بالصنعة وابتغ فيها في القرن السادس للهجرة أيضاً القاضي الفاضل وعبدالدين المكتوب الأصبهاني . وكانا ينهاريان في مضمار الاشياء الديواني في دولة صلاح الدين الأيوبي . وسوف نعود لكل واحد منهما منيفاً ترجعاً لسيرته وطريقته كتابته .

اتجاه الشرل :

في الصعوبات السابقة يت طريقة الصنعة والتعقيد في الكتابة . أبعثت الإنشاء انخري عن أصله وجعله الفني . وقد شاعت بين الكثيرين من كتاب العراق والشرق ووصل تأثيرها الى الشام ومصر والمغرب العربي

(١١٩٦) مقامات الحريري ص ٦٢ .

(١١٩٢) غريدة القصر وجريدة العصر . قسم شعراء الشام . ٢ . ٩٩٧ .

وتمدى طريقة الصنعة والتعقيد ومال عنها فريق من الكتاب. عرفت طريقتهم بالأسلوب المرسل الذي يعنى باللفظ والمعنى على السواء ولا يفرط بأحد انطريهين على حساب الطرف الآخر. ويأخذ صروباً من البيان والديع على سبيل الاتفاق لا سبيل التعمد والتكلف والتقص. وقد أرسى قواعد هذه الطريقة وأشاعها الكتاب العربي الكبير أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. وجاء بعده كتاب آخرون ساروا على هديه. واقتدوا بآثاره. ولعل من أشهرهم. ابن قتيبة. وأبا هلال العسكري. وأبا بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني. وأبا حيان التوحيدي وهو أشهرهم وعند القاهر الجرجاني.. ومن أبرز مزايا طريقة هؤلاء الكتاب وضوح الألفاظ وسهولتها. وقصاحة العبارات ورصانتها وبعدها عن الركة والاستدال. والموازنة بين الألفاظ والمعاني. وربط الأفكار وتنظيمها في سياق جميل. وديباجة مشرقة بلا حشو ولا فضول. والاستناد الى القواعد المنهجية. كصحة التقيد. وتحرير اللفظ وترتيب العظم. وتقريب المراد. ومعرفة الوصل والفصل. وتوخي الزمان والمكان. ومجانبة العسف والاستكراه (١٣٣١) ..

أبو الفضل بن العميد

١ - ٢٦٠ هـ

كان القرن الرابع للهجرة - على الرغم من اضطراب الأحوال السياسية - عصراً حافلاً بالمعركات العلمية في شتى نواحي المعرفة - زائراً بطائفة كبيرة من العلماء والأدباء والعقلاء ورجال اللغة والبيان ، وكان ابن العميد واحداً من مشهوري الإنشاء العربي آنذاك . وقد عثد الدكتور زكي مبارك سيد كتاب اللغة العربية في القرن الرابع (١٩٨١) .

سيرته :

هو أبو الفضل - محمد بن الحسين - الملقب بابن العميد . من بيت فضل وصدارة . كان أبوه أبو عبدالله الحسين بن محمد كاتباً مشهوراً في خراسان . تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر . وكانت له رسائل ، لا تقتصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل (١٨٧١) . ولقب بالشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان ولقب بالعميد على عادة أهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم .

ولد ابن العميد في أواخر القرن الثالث للهجرة . وترعى في حو علمي وأدبي . تتلمذ على الكثيرين من علماء عصره أسهم اسمه محمد بن علي بن سعيد (١٣٨٠) . وقيل أنه أخذ العلم في بغداد . ولذلك كان يعجب برجالها وحضارتها (١٣٨١) . وأصبح - أكتب أهل عصره . وأحفظهم للغة والغريب . وأكثرهم توسعاً في النحو والعروض واعتناء إلى الاشتقاق والاستعارات . وأعزهم بشعراء الجاهلية والإسلام . وأدراهم بتأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه . وأبصرهم باختلاف فقه الأئمة . وأنفذهم سماعاً في الهندسة والمنطق وعلوم النفس والالهيات (١٣٨٢) .

(١١٩٢) الشعر الفصحى في القرن الرابع ١ ، ٢ ، ٩٣٥ .

(١١٩٦) هبة الدهر ٢ ، ١٤٩ .

(١١٩٥) الفهرست ص ٩٠٠ .

(١١٩٩) أسماء البيان ص ٥٠٢ .

(١١٩٧) الشعر الفصحى في القرن الرابع ١ ، ٢ ، ٩٣٥ .

تقلد ابن العميد وزارة ركن الدولة سنة ٢٢٨ للهجرة . وكان حديراً بها إذ استطاع ببساطة وكيافته أن يسطر الأعصا ويذلل تقدير الناس من الغدابة والعدامة . وأصبح محطه عامراً بالقيمين والوافدين . وكان معاصروه يسمونه . الجاحظ الثاني . لسعة ثقافته وكثرة معارفه . ودعى بالأستاذ الرئيس لجمعه بين الأمانة والأدب . ولقب أيضاً بلسان الشرق ١٢٨١ . وقد أشاد به المؤرخ الشهير أبو علي بن مسكويه وكان فيضاً على خزانة كتبه ووصفه بقوله : « قليل الكلام . نادر الحديث . لا إذا شئ ووجد من يفهم عنه : فإنه حينئذ يسطر فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره . مع عبارة فسيحة . وألفاظ متغيرة . ومعدل دقيقة . لا يتعجب فيها ولا يتلطم . وكان رحمه الله لعين عشرة . وطهارة أخلاقه . ونزاهة نفسه . إذا دخل إليه أديب أو عالم منفرد بفن سكت له وأصغى إليه . واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه إلا قدر ما يفهم به ما يورد عليه » ١٢٨١ .

وكان ابن العميد يحنني : بالشعراء ويكرمهم . وحبته فخر أن يكون المتبني واحداً من هؤلاء الشعراء . يقول فيه ١٢٨١ .

من مَنَعَ الأعراب أني بعدها شاهدت رسل ليس ولا سكترا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متمسكاً فنيذراً متحضرًا
ولقبني كل الغاضلين كالمنا رد الإله سفوهم والأعتر
ومدحه الشاعر ابن نانة السعدي بضميدة طويلة حين ورد عليه بالرأي منها
بقوله (١٢٨١) :

جرت صفات أخلاقه صفو الشيبك من الضصار
فد... سكنت... معها رقت موا... نسبية بأعواج السبحار
وكان نسمة حديته... نسمة السخرامسي والسبحار
تمسكتهم... السخرامسي... ن فرخسباً بالمسبحار

لقد كان هو والصاحب بن عباد والوزير الحسن بن محمد المهدي يتنافون في احتذاب الأدباء ومناذمتهم في مجالهم ومكائنتهم في غياهم قال ابن حلكان عن

(١٢٨٨) امرأه البيضاء ص ٥٢ .

(١٢٩٩) قجارب الأمم ٢ ، ٢٧٧ .

(١٣٠٠) شرح ديوان المصنعي ١ ، ٣٦٩ .

(١٣٠١) ديوان ابن قباقة السعدي ٢ ، ٤٩٩ .

ابن العميد - وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشامية . ومدحوه بأحسن المديح . (١٣٠٠)

ضل ابن العميد ورياً ثلاثاً وثلاثين سنة . وتوفي سنة ٢٨٠ هـ بالرقي . وقيل سجنه . وكان يعتاده القونج نارة والقرس أخرى . تسلمه هذه الى هذه . وقال لسائل سأله : أيهما أصعب عليك وأشق ؟ قال : اذا عارضني القرس فكأنني ببر فكيف سح بضمي . وادعني القونج وددت لو استبدلت القرس عنه . ويقال : انه رأى أكراراً في بستان يأكل خبزاً يبصل ولبس . وقد أعرس منه . فقال : وددت لو كنت كهذا الأكرار . أكل ما شئت . (١٣٠١)

ذكر الذين ترجموا لابن العميد من المؤلفات : ديوان رسائله . وكتاب المذهب في البلاغات . ومجموع شعره .

فته الإنشائي :

أشد كل من ترجم لاس العميد ببلاغته . فمن القدامى أبو منصور الثعالبي . قال : . «أوجد العصر في الكتابة ... يضرب به القتل في البلاغة . وينتهي اليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة مع غنى الترخيل وجزالة الألفاظ وسلاستها . الى براعة المعاني ونفاستها» (١٣٠٢) ومن الدارسين الحديثين الدكتور زكي مبارك . قال : . «كان ابن العميد اماماً لكتاب القرن الرابع . ومانطقاً له أدخل في فروع الكتابة ما أدخله عبد الحميد . ولكنه يضار بعبارة عجيبة . هي اعزاز القلم وروحه الى أشرف المخرجات . فلما حين قرأ شعره بعد أنفساً أمام عظمة عقلية يحرق لها الجبانة ساحدين . وهو حين يكتب لا يبطئك عنه . كما كان يعمل معاصروه . وإنما يبطئك بقلبه وروحه وعقله بحيث تبدو كل كلمة من كلماته وكأنها قلب يخفق أو روح يتحرك . فليست الكتابة عند ابن العميد زخرفاً برافاً ظهر به ولا ثروة لغوية يكثر بها الكتاب . ولكن الكتابة عنده ثورة عقلية أو وجدانية يرسم بها كما يرسم البركاني بأقباس الهلاك . وقد يرق فتجرب شعره نجوى حيين في هدأة الليل . وهو في رفته وجرائته . وغضبه وجدانه . عبقري لا يبعث يرجع الحديث المقاد . وإنما يبعث بأبداع الرأي المصائب والقول الرصين» (١٣٠٣)

(١٣٠٢) وفيات الأعيان ١ : ٢٤٠ .

(١٣٠٣) وفيات الأعيان ١ : ٢٤٠ .

(١٣٠٤) بحية الدهر ١ : ١٥٨ .

(١٣٠٥) انتشار الفنى في القرن الرابع ١ : ٩٤٥ .

ان القولين السابقين لا يعلمان - كما نرى - من شيء من الاطراء والاعجاب ،
فالتمائل في كتابات ابن العميد التي وصلت الينا بجدها قد أخذت بفسط وافر من
المصنعة التي أنفقت كاهل الإنشاء العربي . يقول الدكتور شوقي ضيف ، كان ابن
العميد يسجع في كتاباته . ولكن ليس هذا ما يلفتنا عنده . انما الذي يلفتنا حقاً هو
أن مذهب التصنيع تماثل على يديه في الصورة التي كانت تنظره منذ القرن
الثاني . ونقصد السجع من جهة والاحتكام الى البديع فيما ينشئه الكاتب من جهة
أخرى . ومن أجل ذلك اذا قلنا ، ان ابن العميد هو أستاذ مذهب التصنيع بالمعنى
الدقيق لهذه الكلمة لم نبعد ، لأنه أول كاتب - فيما نعرف - احتكم الى السجع في
كتابته . كما احتكم الى البديع من جناس وطباق وتصوير . وقد هياه لذلك أنه كان
ذا عين تصويرية . بل لقد كان ذا شغف بفن التصوير نفسه (١٧١) . وغير رسالة له
تستدل منها على ولعه بالسجع وعنايته بالبديع ، التي كتبها الى ابن بلكا عند
استصائه على ركن الدولة . كتابي وأما مترجخ بين طمع فيك . وبأس منك .
واقبال عليك . واعراض عنك . فانك تبدل بسابق حرمة . وتمت بسالع خدمة .
أيسرهما يوجب رعاية . ويفتضي محافظة وعناية . ثم تشفعهما بعادث غلول
وخيانة (١٧٢) . وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يحيط أعمالك . ويمحق
كل ما يرمي لك . لا جرم أني وقفت بين ميل اليك . وميل عليك . أقدم رجلاً
لصداك . وأؤخر أخرى عن قصدك . وأبسط بدأ لاصطلامك (١٧٣) واجتياحك . وأنني
ثانية لاشيائك واستصلاحك . وأتوقف عن امتثال بعض الأمور فيك . ضاً بالنعمه
عندك . ومناقسة في الصنيعه لديك . وتأميلاً لفيأتك وانصرافك . ورجاء لمراجعتك
وانعطافك . فقد يعرب العقل ثم يؤوب . ويمزب (١٧٤) اللب ثم يشوب . ويذهب
الحزب ثم يعود . ويعبأ العزم ثم يصلح . ويضاع الرأي ثم يستدرك . ويسكر المره
ثم يصحو ويكسر الماء ثم يصو . وكل صيفه الى رخاء . وكل غمرة فالى
إعلاء ... (١٧٥)

(١٧٠) الفن ومناهجه في الشعر العربي ص ٦٩ .

(١٧١) الفلول ، الفيات في المال وغيره .

(١٧٢) اصطلامك ، استصالك .

(١٧٣) ضاً ، ههنا .

(١٧٤) الفيات ، الرجوع .

(١٧٥) يقرب ، يذهب . ينكس .

(١٧٦) يعرب ، يهد . يفسد .

(١٧٧) بقية الدهر ، ٣ ، ١٧٢ .

والرسالة تسير الى نهايتها على هذا النمط. تتحلّى بالجناس والطباق. وتشكّله على السجع في نهايات فقراتها. وتوازن بين كل لفظة وفقرتها في العبارتين المتجاورتين.

ونرى ابن العميد أحياناً معتمداً في صنعه. يمزج السجع بغير السجع فيأتي أسلوبه لطيفاً مقبولاً. مثل قوله في شهر رمضان. «أشكر الله أن يعرّفني بركته. ويقلّبي الحير في باقي أيامه وخاتمته. وأرغب اليه في أن يعزّب عليّ العلكة ذوّرة. ويغضّر سيره. ويخفّف حركته. ويعجّل نهضته. وينقص مسافة فلكه ودالّته. ويزيل الطول عن ساعاته. ويردّ عليّ غرّة شوال. فهي أسمى الثمر عندّي. وأقربها إليّ» وينطلق بدرة. ويريني الأبدى غتطيةً هلاله بشر. ويسمعي النعي لشهر رمضان. ويعرض عليّ هلاله أخفى من النحر. وأظلم من الكفر. وأنحف من مجنون بني عامر. وأمل من سير الهجر. واستغفر الله جلّ وجهه ما قلت أن كرهه. واستمعني من توفّقي لما يلته. وأسأله صفحاً يفضّه. وغفواً يوسعّه. انه يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور» (١٠٠).

ولابن العميد حكم وأمثال استخرجها العارفون من رسائله. منها، الرثاء لأبيلج الأ يتدرج وقدرب. ولا تدرك إلا بتجشم كلفة ونصب رأس المال خير من المريح. والأصل أولى بالعناية من الفرع. المرء أشبه شيء برماه. وصفة كل زمان منسقة من سجايا سلطانه. قد يذل المرء ماله في اصلاح أعدائه. فكيف يذل الهائل من حفظ أوليائه. المرح والهزل بايان اذا فتاح لم يفلح الا بعد العسر. من أسر داه. وكرم قضاة. بعد عليه أن يتل من عتله. وتبل من عتله. خير القول بالعتله جدّة. وأهالك هزله. اجنب سلطان الهوى. وشيطان الميل (١٠١).

من كل ما سبق يتبين أن كتابات ابن العميد تقوم على الأسس كبيرين. أولهما السجع. وكان السجع معروفاً من قبله في الدواوين العباسية منذ أول القرن الرابع للهجرة. والأساس الثاني لم يكن متبعاً قبله. وهو استخدام المحات البدئية مع السجع. فالسجع وحده لا يكفي. بل لابد أن تُضاف اليه الاستعارة أو الجناس أو الطباق وما الى ذلك من محات البديع وثلاثيته (١٠٢).

(١٠١) [زهر الأوتاب ١٠٢٨.]

(١٠٢) [ينظر، مقدمة لأدھر ١٠٢، معاهد التتبع ١٠١، ١٢٠، أسرار البياني ص ٩٦.]

(١٠٣) [ينظر، حصر الدول والإمارات ص ٦٥٩.]

أبو حيان التوحيدي

٩ - ٤١٤ هـ

نوابغ المفكر العربي كثيرون . من علماء وأدباء وفلاسفة وفقهاء ومفكرين ومحدثين . وقد كانت بغداد عاصمة الدولة العباسية من أكثر المدن الإسلامية ازدهاراً بالمفكرين والمبدعين في صنوف المعرفة المختلفة . وقد صدق آدم مقرر في قوله :... إن جميع الحركات الروحية في مملكة الإسلام كانت تتلاطم أمواجها في بغداد وكان فيها لجميع المذاهب أنصار . ١٣٥١ . وبعد أبو حيان التوحيدي مثلاً جيناً لأوائل المفكرين والمبدعين الذين رفضوا الملكية العربية بتأليف قيمة ونافعة للأجداد اللاحقة

سيرته :

لم يترجم القدامى لأبي حيان ترجمة وافية لسيرته . وقد أكد ذلك ياقوت الحميري فقتر . ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ولا سمحه في ضمن خطاب . وهذا من التعجب العجائب . ١٠٨١ .

ولد علي بن محمد بن العباس التوحيدي في بغداد حوالي سنة ٣٨٠ أو ٣٨١ للهجرة على وجه التقريب ١٣٥٠ . ويكنى أبا حيان . ويلقب بالتوحيدي . نسبة إلى نوع من التمر المعروف باسم . التوحيد . كان أبوه يبيعه ١٣٥١ . وقبل التوحيدي نسبة إلى المعتزلة لأنهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد . ١٠٨١ .

تعلم القراءة والكتابة في صغره . ولما شئت تعلم على "علم يعجب منه عا" . واتصل بكبير العلماء ودرس بين أيديهم من أشهرهم "عالم الكبير والنحوي المشهور أبو سعيد السيرافي . وعلى بن عيسى الرضائي . وهو من أئمة اللغة والأدب . والقاضي أبو محمد أحمد بن بشر المروزي أحد أئمة اللغة أمداك . وأبو بكر محمد بن

(١٦٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١٣٥١ .

(١٦٦) معجم الأدباء ٢٨١٠٥ .

(١٦٦) ينظر : أبو حيان التوحيدي أدب الفلاسفة وفلاسوف الأدباء ص ٢٢ . أبو حيان التوحيد للدكتور أحمد محمد الصولي ٢٢٠١ . أبو حيان التوحيدي للدكتور إبراهيم الخليلي ص ١٢ .

(١٦٦) وفيات الأعيان ١١٩٠٥ . بغية الوعاة ١٩٠٢٦ .

(١٦٦) لسان الميزان ٣٠٠٢٦ .

علي الغضال الشاشي . وهو فحدث ولغوي وشاعر . والقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا التهرتاني الفقيه الأديب الشاعر . وأبو محمد جعفر الخادمي أحد رؤساء الصوفية . وأبو الحسين محمد بن أحمد بن أسماعيل المشهور بعلم الكلام والوعظ ودرس الفلسفة والمنطق على عاتقين كبيرين هما : أبو بكر يحيى بن عدي وأبو سليمان محمد بن طاهر المنطقي البجائي وهكذا كتب ثقافة موسوعية من علماء عصره المشهورين

وكانت جبهة الورافة التي مارسها وهي تقوم على النسخ والنقل والتصحيح . قد عرفت على أهميات الكتب في مختلف فنون المعرفة . ويبدو أن جدواها آنذاك كانت قليلة . ولذلك قال : « لقد استولي على الحرف . وتمكن مني نكد الزمان . إلى الحد الذي لا استرقي مع صحة نقلي . وتقييد خطي وتزويق نسخي وسلاط من التصحيف والتحريف . بثل ما يسترزي المليد . اندي . بسخ النسخ وينسخ الأصل والفرع » (١٣٢٦)

لم يكن أبو حيان محضوطاً في صلاته مع كبار رجال عصره . ولم ينسب في ذلك اعتداده بعلمه وأدبه وصراحته واختلافه جمعهم في العقيدة والرأي . فقد يراه الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المصلي من بغداد متهماً بإيهام بالزندقة وذهب إلى حرمانه واتخذ دامن العيب وتكده له بجد عده منارصيه ويريد به . ففارقة إلى الري حيث التقى بالمشايخ بن عباد . ولم ينل حظوه لديه فعاد به بعد مكوث دام ثلاثة أعوام إلى بغداد . وأشار إلى ذلك بقوله . « إني فارقته بأية مدة سبعين وثلاث مئة راجعاً إلى مدينة السلام بغير زاد . ولا راحلة . ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد . (١٣٣٠) وعلى أثر ذلك ألف كتابه . مثالب الوزيرين . دار فيه أعنف ثورة على ابن العيب والضايق . بن عباد .

وكان حظه موافقاً مع أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير خصم الدولة من عصر الدولة (١٣٧٥ هـ) إذ دال إكرامه وعطفه . وأطلق لسانه في مدحه والثناء عليه . وأصبح لديه ومسيره يلتقي معه في الليل فيقتنر عليه ما يطيب له أو يدله الوزير عما يدور له من فكرة فيجيبه بعلم جدير بغير ذلّ منها كذاته . الأماح والمؤامحة . وال في وصفه . قد شاهدت ناداً في السمر والحضر . صفاراً وكاراً ووساط . قد شاهدت من يدين بالمعد . ويتحلى بالخود . ويرندي بالمعوق .

(١٣٢٦) معجم الأدباء ١ : ٢٨٦ .

(١٣٢٧) معجم الأدباء ١ : ٢٨٦ .

وَيُنَازِرُ بِالْعِلْمِ . وَيُعْطِي بِالْخِرَافِ . وَيَفْرَحُ بِالْأَصْبَافِ . وَيَصِلُ الْإِسْعَافُ بِالْإِسْعَافِ .
وَالْإِتْدَافُ بِالْإِتْدَافِ . غَيْرُكَ وَاللَّهُ أَنْتَ تَهْبِطُ الدَّرَجُ وَالْدِينَارُ . وَكَأَنَّكَ غَضَانُ
عَلَيْهِمَا . وَتَطْعَمُ الصَّائِرَ وَالْوَارِدَ كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَحْفَلَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا . تَمَّ تَجَاوُزُ الذَّهَبِ
وَالْفُضَّةِ إِلَى الثَّيَابِ الْعَزِيزَةِ . وَالخَلْعِ النَّفِيسَةِ . وَالخَيْلِ الْعِثَاقِ . وَالْمَرَكَاتِ الْثَقَلِ .
وَالْفُلْمَانِ وَالْجَوَارِي حَتَّى الْكُتُبِ وَالِدَفَاتِرِ وَمَا يَصْنُ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ (١٧٢٦) . وَلَمْ تَدَمْ
الرَّاحَةُ لِلنَّفْسِ لِأَبِي حَيَّانَ فِي ظِلِّ هَذَا الْوَزِيرِ . فَإِنَّهُ قُتِلَ سَنَةَ ٣٧٥ لِلْهَجْرَةِ وَفَقَدَ
بِذَلِكَ مَعِينًا لَهُ . وَخَشِيَ أَنْ يَلَاحِظَهُ أَعْوَارُ الْوَزِيرِ الْجَدِيدِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
يُوسُفَ . فَاتَرَ الْإِحْتِفَاءَ عَنِ الْأَنْظَارِ . وَهَرَبَ إِلَى شِيرَازٍ حَيْثُ رَاحَ يَشْرُدُ عَلَى
الْمُصَوِّفَةِ وَيُعِيشُ مَعَهُمْ . وَيَبْدُو أَنَّهُ عَاشَ فِي قَفَرٍ تَدِيدٍ خَاصَّةٍ بَعْدَ شَيْخُوخَتِهِ بِدَلِيلِ
قَوْلِهِ . فَقَدْ أَسِيتُ غَرِيبَ الْحَالِ . غَرِيبَ اللَّفْظِ . غَرِيبَ الْبَحْلَةِ . غَرِيبَ الْخَلْقِ .
فَتَأْتِي بِالْوَحْشَةِ . قَانِعًا بِالْوُجْدَةِ . مَعْتَادًا لِلصَّبَاتِ مَلَازِمًا لِلْحَبِيرَةِ . مُحْتَمِلًا لِللَّذَى
يَتَأَسَّأُنْ جَمِيعَ مَنْ تَرَى . مُتَوَقِّعًا لِمَا لَا يَدُ مِنْ حُلُولِهِ . فَشَمَسَ الْعَمَرَ عَلَى شَعَا .
وَعَادَ الْحَيَاةَ إِلَى نَصُوبِ . وَنَجَمَ الْعَيْشَ إِلَى أَقْوَالِ . وَطَلَّ الثَّلَاثَ إِلَى قُلُوصِ (١٧٢٧) وَأَصَابَهُ
الْيَأْسُ وَخِيَمَ عَلَيْهِ التَّنَوُّطُ فَقَالَ . فَقَدْ كَلَّ الْبَصَرُ . وَانْعَقَدَ اللِّسَانُ . وَجَدَّ الْخَاطِرُ .
وَذَهَبَ الْبَيَّانُ . وَمَلَكَ الْوَسْوَاسُ . وَغَلَبَ الْيَأْسُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ (١٧٢٨) .

وَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ قُوَّةَ الْحَيَاةِ . وَلَمْ نَقْضِ كُنْهَ التَّيِّ أَمْنَى الْعَمَرِ مِنْ أَجْلِهَا تَعْمُغَةٌ وَتَرْدُ
عَنْ شَطَفِ الْعَيْشِ وَبَنَدِ الْأَيَّامِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ غَضَبٍ وَمَرْقَهَا ثُمَّ أَسْرَفَهَا . وَفَدَّ
كَتَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو حَلَالٍ عَلَى بَنِ مُحَمَّدٍ رِسَالَةً يُعَانِيهِ عَلَى صَنِيعِهِ . وَيَعْرِفُهُ قَسَحَ مَا
اعْتَمَدَ مِنَ الْفِعْلِ وَشَيْعِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ رِسَالَةً حَافِيَةً بِمَثَرٍ فِيهَا عَنْ فِعْلَتِهِ
وَيُزِيرُ فِي الْوَقْتِ تَنَسُّهَ سَبَبِ اقْتِدَائِهِ عَلَى إِتْلَافِ كُنْهٍ وَحَرْفَهَا . مِنْهَا قَوْلُهُ .

وَصَلَ بَعْدَ الْكِبَرَةِ وَالْعَجْزِ أَمَلٌ فِي حَيَاةٍ لَذِيذَةٍ . أَوْ رَجَاءٌ لِحَالٍ جَدِيدَةٍ . عَلَى
أَنِّي لَوْ عَلِمْتُ فِي أَيِّ حَالٍ . غَلَبَ عَلَيَّ مَا قَعَلْتَهُ . وَعِنْدَ أَيِّ مَرَضٍ . وَعَلَى أَيْةٍ لَمَسَرَةٍ
مُخَافَةٍ . لَعَرَفْتُ مِنْ غَيْرِي أَصْعَافَ مَا أُنْدِيته . وَاحْتَجَجْتُ لِي بِأَكْثَرِ مَا نَشَرْتَهُ
وَطَوَيْتَهُ (١٧٢٩) .

(١٧٢٦) الْأَنْفَاجُ وَالْمَوَاسِمَةُ ٢ - ٣٣٣ .

(١٧٢٧) الصَّغَاةُ وَالْمَعَاذُ ٥٧ ص ٧ .

(١٧٢٨) مَسْمُومُ الْأَوْبَادِ ٢ - ٢٩١ .

(١٧٢٩) مَسْمُومُ الْأَوْبَادِ ٢ - ٢٨٨ - ٢٩١ .

كان التوحيدي معتزلياً يأخذ نفسه بسلوك الصوفية ، والغريب أنه لم يتزوج
وبكُون أسرة لنفسه يعيش في ظلالها . ففي حيناً تتنازع الوحدة والمعرفة الى
جانب اليأس والشقاء والعجز والمرض الى أن أدركته المنية سنة ١١٢ للهجرة
بشيراز ١٠٣٨١ .

كتبه :

إن آثار أبي حيان كثيرة ، وقد جعلها طبعة للنشر في أواخر حياته . وما سلم
منها كان بأيدي الناس . قال السيوطي : « قلعُ النسخ الموجودة الآن من
تصانيفه كُتِبَ عنه في حياته . وخرجت عنه قبل حرقها ١٣١٥ » وكتبه نافعة
ومفيدة وقد غُزِرَ آدم من عن أعجابه بها فقال : « لم يكتب في النثر العربي بعد
أبي حيان ما هو أسهل وأقوى وأشدّ تعبيراً عن شخصية صاحبه ما كتب أبو
حيان ١٠٣٨١ » . واليك كتبه ورسائله المطبوعة فقط :

- ١ - الاشارات الالهية والانفاس الروحانية ، وهو كتاب صوفي . يضم مجموعة من
المواعظ والاوراد الصوفية .
- ٢ - بصائر القدماء ورسائل الحكماء (البصائر والذخائر) . وهو كتاب ضخم يحوي
كثيراً من العلوم والآداب سلك فيه طريقة الجاحظ في الاستقصاء والاستطراد
ومزج الجدل بالهزل .
- ٣ - الامتاع والموانسة . وهو كتاب كبير يتضمن أحداث شتى في قضايا أدبية
ونوعية وفلسفية وعلمية وزُعم على أربعين ليلة .
- ٤ - ثلاث رسائل . وهي : رسالة الامامة . ورسالة الحياة . ورسالة في علم الكتابة .
- ٥ - رسالة في بيان ثمرات العلوم . وهي في سبع صفحات مطبوعة بذييل كتاب
الصداقة والصديق المطبوع في القاهرة .
- ٦ - رسالة في أخبار الصوفية . ذكرها ياقوت العموي في معجم الأدباء .
- ٧ - الصداقة والصديق . جمع فيه ما قبل شعراً ونثراً في العشرة والمواخاة والائتفة
وما يلحق بها . وهو كتاب لطيف يدل على اختيار موقع ونوق أدبي رائع .
- ٨ - مثالب الوزيرين (اخلاق الوزيرين) . أظهر فيه مثالب ومعايب الوزيرين
أبي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد . وتناول فيه أيضاً قضايا عامة

(١٢٩٨) ينظر أبو حيان التوحيدي لأبراهيم الكيلاني ص ٩٤ - ٩٦ .

(١٢٩٩) بقية الوعظ ٢ : ١٩٠ .

(١٣٠٠) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٤٩٩ .

ومثيرة عن الحياة الثقافية والفكرية في القرن الرابع للهجرة

٩- المقابلات - يحتوي على ١٠٠ مقابلات، تبحث كل مقابلة في موضوع مستقل، وأغلبها تتناول بالخدمة والكنسوف.

١٠- الهواميل والخواص: ويدور في موضوعات أدبية واجتماعية وفلسفية وأخلاقية ومسبة ونقدية

أهميته في الكتابة:

أبو حيان التوحيدي كتب كبير وموسوعي تناول أغلب علوم عصره وأدبه. فربما وتحليلاً وتوجهاً ونقداً وتعليقاً. وهي - في عمومها - تعطي انطباعات جيدة عن ثقافة الكاتب الحاذق والأديب الألمعي. وقد لخص التوحيدي نفسه هذه الثقافة فقال: «يجب على الكاتب أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته. وأن يعرف كثيراً من السنة والأخبار والسير. حافظاً لكثير من الرسائل والكتب. وأن يكون منساب الألفاظ. متشاكلاً المعاني. متشابه الخط. دكياً. عارفاً بما يحتاج إليه. خبيراً بالعلمي والسياسي. مصلحاً بعبء الكتابة. له يد في السواد. وصدق العذاب. وأن يكون له يد في عمل النمر. نظيف التوب لطيف المركب. طريف الغلام. لائق النواز. حاذ السكين. حبيب الكلام. حبيب الأقلام. متودداً إلى الناس مخالطهم. غير متكبر عليهم ولا منتقص منهم. دامت الأخلاق. رهيقي العواشي. نزيه الأطراف. عذب السجاني. حسن المحاضرة. مزيح النادرة. غير قف. ولا متعجرف. ولا متكلف. للألفاظ الفريفة. ولا متعسف للغة الموبصة» (١٠٠).

إن أهم ما يلاحظه القارئ في النص السابق أنه يريد من الكاتب أن يكون عالمه الثقافة. واسع المعرفة. حافظاً لكثير من العلوم والآداب. خبيراً بمسائل الكتابة وطرائق التعبير الجيدة والمبسورة. عارفاً بدقائق الأساليب الرائعة وقادراً عليها

كان أبو حيان يحطو حشو المحاذف في أسلوبه. ويتعلم على مدرسته البليغة التي أقام فواعدها في التفرير الشافي والثبات للهجرة. ولقد أطراه في مؤلفاته جميعاً. فقال عن كنهه إنها: «لدر السير والمؤلؤ المطير. وعن رسائله إنها: «الأهوار العنصرة».

والرياض الزاهرة . وعن كلامه : انه الخمر الصرف والسحر الحلال . وعن ذاته ، انه حبيب القلوب . ومراج الأرواح . وشيخ الأدب . وحجة العرب ١٣٣١

ان أميز خصائص أسلوب أبي حيان في الكشاية : التماسب بين الألفاظ والمعاني . وحسن الربط بين الأفكار . والحد عن التعميد والتضيق . وخير ما يمثل مذهبه قوله :

« علياً بالطلع النظيف . والمأخذ القريب . والسمع الملائم . واللفظ الموثق . والثانيب الغلو . والسبوط الغالبية . والموالاة المقبولة في النصح . الخالبة للقلب . العالبة بالروح . الزائدة في العقل . الشعلة للفرجة . الموقوفة على فصل الأدب . الدالة على غزارة المفترق ١٣٣١ » . وقال أيضاً : « والمرك كانه أن تكون ملاطفاً لطيفك الجيد . ومسترسلاً في يد العقل البارح . ومعتمداً على رفق الألفاظ . وشريف الأغراض مع جزولة في معرض سهولة ورقة في حلاوة بيان . مع مجابية المحتجب . وكراهة المستكره . وركنه الذي يؤمل عليه . وكهفه الذي يأوي إليه أن يكون السجع في الكلام كالملاح في الطعام . فإنه حتى ظفر منه بمقدار الرتبة . وحسب الكفاية . حلا منظره . ويزر بهلوه . وسطح نوره . ومتى زاد على المقدار ضارح كلام النساء والكهنة من العرب . أو كلام المستعربين من العجم .. فاقصد أيذك الله تعالى أن تكون كالتصايف الذي يصبب النبر فيسكبه . ثم يصوغه . ثم ينقشه . ثم يسوقه . ثم يزينه . ثم يعرضه » ١٣٣١

لقد غنى أبو حيان بالمعاني كما غنى بالالفاظ ولم يفرط بالبلاغة العربية التي تطلب جمال العبارة ووضوح الدلالة . وقد أصاب الدكتور شوقي ضيف إذ قال فيه : « وكانت المكتبة العربية قد ألفت بكنوزها بين يديه في أثناء وراثة ونسخه . فزاع أسلوب الجاحظ وأديه . إذ راه يوازن موازنة دقيقة بين الأداء الصوتي والمعاني . مستخدماً أسلوب الأردواج الذي تحرف به . وقد يتخلله في الحين البعيد بعد الحين السجع . ولكن دون التزامه ودون الإكثار منه . فاستقر هذا الأسلوب في نفس أبي حيان وأصبح جزءاً لا يتجزأ من أدبه وكتابات . وبلغ فيه ذروة من الجمال الصوتي نعمها لا تقل جمالاً وروعة عن نظيرتها عند الجاحظ . وهو يتسع اتساعاً واضحاً في أسلوبه بالترادف وما ينشع من التنطيع الصوتي . » ١٣٣١ .

(١٣٣١) ينظر : أبو حيان التوحيدي . الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ص ٢٤٨

(١٣٣٢) الامتاع والموانسة ١ ، ٩٤ .

(١٣٣٤) البصائر والمخاطر ١ ، ٣٩٩

(١٣٣٥) تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، ص ١٧١ ماريات ص ٩٩٦ .

إن لأبي حيان طبعاً دافقاً وفكراً شاملاً. لم يتخذ السجع أسلوباً إلا في كتاب واحد من كتبه وهو الاشارات الالهية. أما في سائر ترملة فقد لزم الأسلوب المتوازن على طريقة الجاحظ (١٣٣١). فمن الأسلوب المسجوع إليك الفقرات الآتية من مناجاة صوفية. « يا حافظ الأسرار. يا سبيل الأستار. يا واهب الأعمار. يا منشيء الأحبار. يا مولج الليل في النهار. يا معلن في الأعيار. يا غداري الأشرار. يا منقذ الأبرار من النار والعار. غد علينا بصبحك عن زلأتنا. وأنفثا عند تنابع نزعائنا. وخط رحلتنا معك في اختلاف سكراتنا وصحواتنا وكن. لنا وإن لم نكن لأنفسنا. لأنك أولنا. وإذا خفنا منك. فامزج خوفنا منك برجائنا فيك. وإذا غلب علينا بأسنا منك قتلقة بالأمل فيك. بشرنا عند توجعنا بحوك بالوصول إليك. متناً بالنظر إلى نور وجهك. أسخ علينا نعمتك بما وهبت لنا من توحيدك. ولا تهجرنا بعد وسلك. ولا تبعدنا بعد قُربك. ولا تكربنا بعد روحك. قد عادينا أعداءك فيك. فلا تشمتهم بنا لتقصيرنا في حقك. ووالينا أصفاءك لك فلا توحشنا منهم لسهونا عن واجبك (١٣٣٧) ».

ومن أسلوبه الذي لم يتقيد بالسجع تأخذ جزءاً من القيلة الثامنة من كتابه الإمتاع والمؤانسة. « قال ابن سعدان. فصل حديثك. .. بحدث أصحابنا الشعراء. صف لي جماعتهم. واذكر لي بضاعتهم. وما خض كل واحد منهم

قلت. لست من الشعر والشعراء في شيء. وأكره أن أخطو على دحض (١٣٣٨) واحتج غير محض.

قال. دح هذا القول. فما خضنا في شيء إلى هذا الوقت إلا على غاية ما كان في النفس. ونهاية ما أفاد من الأنس. فكان من الوصف.

أما السلام (١٣٣٩). فهو حلل الكلام. مُشَقَّ النظام. كأنما ينبع عن ثغر الفمَام. حَمِيءُ الشَّرْقَةِ. لطيفُ الأخذ. واسع المذهب. لطيف المغارس. جميل الملايس. لكلامه لُبَّةٌ (١٣٤٠) بالقلب. وبعث بالروح. وبرز على الكبد.

(١٣٣٦) يظهر. ملامح النشر السياسي من ٢٤٢ - ٢٥٥.

(١٣٣٧) الاشارات الالهية ١١١.

(١٣٣٨) دحض. مزلة ومزلة للامام.

(١٣٣٩) السلامي. أبو الحسن محمد بن عبد الله. شاعر من اهل العراق. عربي الأصل. وقد بلغه سنة ٣٣٩ هـ وقوفي سنة ٣٩٩ هـ.

(١٣٤٠) لبطة. لعل والتصاق.

وأما العائني^(١٠٠١)، فحليظ اللفظ، كثير المقدر، يحب أن يكون بدويًا فخا، وهو لم ينته خضريًا، غزير المبحوط، جامع بين النظم والنثر على شأيه بينهما في الجفوة، وقلة السلامة، والبعد عن الملوك، بادي العورة فيما يقول، لكأنما يسر ما يخفي، ويكثر ما يهني له نكرة في القول إذا أفاق منها خبز^(١٠٠٢)، وإذا خبز نبر^(١٠٠٣)، يتناول شاخصًا، فيتضاد متقابًا، إذا ضحك فهو مهين، وإذا كذب فهو مشين.

وأما ابن خليات^(١٠٠٤)، فمجنون الشعر، متفاوت اللفظ، قليل البديع، واسع العبيلة، كثير الزوق^(١٠٠٥)، قصير الرشاء^(١٠٠٦)، كثير المشاء غزوة فقا^(١٠٠٧)، ونقفة نعا^(١٠٠٨).

وأما الغالغ^(١٠٠٩)، فأديب الشعر، صحيح الشحت، كثير البديع، مستوي الطريقة، منشأ الصناعة، بعيد من طغرة المتحيز قريب من فرصة المتخير، كان ذو الكفايتين^(١٠١٠)، يقدمه بالزري، ويقبله على النثر والطبي.

وأما منكويه^(١٠١١)، فحليظ اللفظ، رطب الأطراف، رقيق الحواشي، سهل السأخذ، قليل السك، بطيئة الشك، مشهور المعاني، كثير اتوائني، شديدة التوقي، ضعيف الترقى، يرذ أكثر مما يصدز، ويتناول جاهدة ثم يقصر، ويظير بعيداً ويثنى قريباً ويسقي من قبل أن يفرس، ويستخ من قبل أن يمي، وله بعد ذلك ماخذ كشور من الفلسفة، وثلاث في الخدمة، وقياس برسوم الندامة، وسنة في الخل، وغرائب من الكذب، وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء.

(١٠٠١) العائني، أبو علي محمد بن الحسين، الكاتب الطولي البغدادي المتوفى سنة ٩٨٨ هـ.

(١٠٠٢) خمر، أصيب بالضرار، وهو ألم في الرأس وسداح يفتك بالسكر، والكلام هنا على طريق الاستعارة.

(١٠٠٣) نبر، صبر أو لم يبال ما صنع ولم يهتم.

(١٠٠٤) أبو القاسم علي بن جليات من شعراء البيتية ١٠٤٠ هـ.

(١٠٠٥) الزوق، الزهنة.

(١٠٠٦) الرشاء، العليل الذي وصل الدلو إلى فميه به في البشر.

(١٠٠٧) الفقا، يفتح القوق، الرواح.

(١٠٠٨) الغالغ، أبو علي الحسن بن علي من شعراء البغداد، ذكره الثعالبي في ربيعة الدهر ١٠٩٠ هـ.

(١٠٠٩) ذو الكفايتين، أبو الفضل محمد بن الحسين، الملقب بابن الصبيد المتوفى سنة ٩٦٠ هـ.

للهجرة، وله سبقت ترجمته في هذا الكتاب.

(١٠١٠) أبو علي أحمد بن محمد منكويه، أديب ومؤرخ، كان قواماً على خزائن كتب ابن

الصبيد ثم على خزائن كتب عمه الدولة، ثم اختص بيهام الدولة وعظم عنده، توفي سنة ٤٣٦ هـ.

وأما ابن نباتة (١٠٠٠)، فشاعر الوقت، لا يذفع ما أقول إلا حاسد أو جاهل. لو عاينته. قد لحق عصابة سيف النوبة. وغذا معهم وورائهم. خسر الخسر على مثال سكان البادية. لطيف الانتماء بهم. حفي المصالح في واديه. ظاهر الإطلال على واديه. هنا مع شعبة من الجنون وطائفة من التوسل.

وأما ابن الجراح (١٠٠٠). فليس من هذه الزمرة بشيء؛ لأنه سخي الطريقة. بعيد من الجد. قريع في الهزل. ليس للعقل من شعره مثال. ولا له في قرصه مثال. على أنه قريع اللفظ. سهل الكلام. وسائلة نائية بالوفار عن عادته التجارية في الخسر. وهو شريك ابن سكرة في هذه الغرامة. وإذا جد أقص. وإذا هزل حكى الأقمى (١٠٠٠).

من النص السابق استدلُّ أن أما حيان كان مطلعاً على الحركة الأدبية في زمانه اطلاعاً واسعاً. عارفاً باقتدار الأدباء، ومنازلهم. ولذلك وضع نتائج التكثيرين منهم في ميزان نقد بلغة واضحة وأسلوب مشرق جذاب. قال حسن السندوي في مقدمة كتاب المقاييس، «وكان من خصائصه احتذاء الجاحظ في التنغيز في كل شيء». مطبوعاً على ذلك إلى الحد الأقصى غير أنه أولع بوضع الأحاديث والأسعار. ووقائع التاريخ في الصورة الروائية. فلا يكتفي بإيراد الحادث على ما عُرف ونقله الرواة. بل يعرض له ويرسل ضيقاً مديراً من فائض بلاغته. وذاخر بيانه. وإذا هو قصة ذات وقائع وأشخاص وأبطال. تروع إذا مثلت. وتروق إذا فوئت. وتملك المشاعر والقلوب إذا استمعت. ومع ما يدخله عليها من أصاغ. وما يطلبها به من ألوان. فهو لا يمدو في النتيجة أن يمثل الحقيقة في أصدق مظاهرها. فهو الكاتب القصصي الماهر الذي أهدته لنا الأعصار الأول (١٠٠٠).

ونختم ترجمته بقول ياقوت الحموي: «كان مفتشاً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة. وكان جاحظاً يسلك في تصانيفه مسلكه. ويشتهي أن يستظم في ملكه. فهو شيخ في الصوفية. وفيلسوف الأدباء. وأديب الفلاسفة» (١٠٠٠).

(١٢٤١) ابن نباتة المصري: عبد العزيز بن محمد بن نباتة، شاعر عربي، له مناقح في سيف الدولة الحميداني، توفي سنة ٤٠٥ هـ وله ديوان مطبوع.

(١٢٤٢) ابن السباج: أبو عبد الله الحسين بن أحمد، شاعر، ما جاز من شعراء بغداد في القرن الرابع للهجرة. يضرب به المثل في السطو والمعاذلة والأعاجي. توفي سنة ٤٤١ للهجرة.

(١٢٤٣) المناجح والمؤانسة ١٢٤٠ - ١٢٤٧.

(١٢٤٤) المقاييس ص ١٧.

(١٢٤٥) معجم الأدباء ٤: ٢٨٠.

المقامات

المعنى اللغوي والاصطلاحي

قال ابن منظور، المقامة، بالفتح، المجلس، والجماعة من الناس (١٣٣١). وكلا المعنيين يجدهما في شعر ما قبل الإسلام. إذ جاءت بمعنى المجلس في قول زهير بن أبي سلمى،

وفيه مقامات حسان وجوههم وأندية يتأبها القول والفعل (١٣٣١)

ووردت بمعنى الجماعة من الناس التي يضمها المجلس في قول لبيد،

ومفامة غلب الرقاب كأنهم من لدى طرقة الخصير قيام (١٣٣١)

والمجلس في الغالب تدور فيه احاديث للمسامرة، وقد كانت للعرب قبل الإسلام مجالس سر يتحدثون فيها بقصص الجن والحيوان ويتحدثون بالمواعظ والأمثال (١٣٣١). وتتقدم في العصر الإسلامي فحد الكلمة لتعمل بمعنى المجلس يقوم فيه شخص بين يدي خليفة أو غيره ويتحدث واعظاً. وبذلك يدخل في معناه الحديث الذي يصاحبه، ثم تقدم أكثر من ذلك فنجدها لتعمل بمعنى المحاضرة (١٣٣١). وقد عقد ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) فصلاً في كتابه عيون الأخبار بعنوان، مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك، أورد فيها عشر مقامات. وهي مواعظ يقف فيها الراوي أمام الخليفة لتصحح وأرشده. من أبرزها مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز، ومقام الأوزاعي بين يدي المنصور، ومقام

(١٣٣٩) لسان العرب ١٦، ٢٩٨.

(١٣٤٧) قال الأعظم الفنثري، المقامات المجالس، سميت بذلك لأن الرجل كان يقوم في المجلس فيصغر على الغير ويصلح بين الناس. وأراد بالمقامات أهلها ولذلك قال = حسان وجوههم = والأندية = جمع ندى، وهو المجلس والمقدمات. وقوله = يتأبها القول والفعل = أي = يلتصق فيها الجميل من القول ويصل به (شعر زهير بن أبي سلمى ص ٢٨).

(١٣٥٨) شرح ديوان لبيد ص ٢٩٠، القصير، الملك

(١٣٥٩) ينظر، فن المقامات بين الشرق والغرب ص ٦

(١٣٦٠) المقامة، للدكتور هادي حنيف ص ٧

صالح بن عبد الجليل بن يدي المهدي (١٣٣١هـ). وورد ذكرها عند ابن عبد ربه (ت ٢٢٨هـ) في كتابه العقد الفريد بعنوان «مقامات العباد عند الخلفاء...» من أبرزها مقام ابن السكك عند الرشيد (١٣٣١هـ).

نخلص مما تقدم أن المقامات كانت تفتى - قبل أن تتخذ مدلولها الاصطلاحي - بأحداث بالصح والارشاد والوعظ والتفويج الخلفي، وللاستدلال على ذلك نأخذ جزءاً قصيراً من مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور، «بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: اللهم اني اشكو اليك ظهور البني والعباد في الارض. وما يحول بين الحق وأهله من الطمع، فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعو - فصلّي الرجل ركعتين، واستلم الركن، وأقبل مع الرسول، فسلم عليه بالخلافة. فقال المنصور، ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البني والعباد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مامعي بالمرضى (١٣٣١هـ)، قال: ياأمير المؤمنين ان اقتنتي على نفسي انبائك بالامور من اصولها، والا احتجرت منك واقتصرت على نفسي فيها لمي شاغل، فقال: انت امن على نفسك قتل، فقال: ان الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ماظهر من البني والعباد لانت، قال: ويحك وكيف يدخلني الطمع، والصفراء والبيضاء في قنصتي، والحلو والحامض عندي! قال: وهل دخل احد من الطمع ما دخلك! ان الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين واموالهم، فأغفلت امورهم، واهتممت بجمع اموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من البغى والاجور وابواباً من الحديد وجعبة معهم السلاح ثم سجنك فيها عنهم، وبعثت عمالك في جباية الاموال وجمعوا وقويتهم بالرجال والسلاح والكرام (١٣٣١هـ)، وأمرت بالآ يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سبتهم، ولم تأمر بايصال المظلوم والا الملهوف ولا الجائع اتعاري ولا الضعيف العتير... فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود في العذاب الانيم.. هل يعني عنك ما تحدثت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب، فبكى المنصور وقال: باليسنى لم أخلق... (١٣٣١هـ).

(١٣٣١هـ) حيون الاخبار ٢، ٣٣٢ - ٣٤٤ -

(١٣٣١هـ) العقد الفريد ٢، ١٤٨ - ١٦٤

(١٣٣٢هـ) اوجعني، اوجعني والني

(١٣٣٤هـ) الفرج، الفرج

(١٣٣٤هـ) حيون الاخبار ٢، ٣٣٢ - العقد الفريد ٢، ١٤٨ -

وأصبحت المقامة فيما بعد مصطلحاً أدبياً تطلق على نوع من الكتابة العبية على شكل القصص منسقة في الفاظها وأسلوبها . فيها شيء من الحوار ، وتعتمد في الغالب على راوٍ واحد وبطل أديب متحايٍل . يراد بها وصف حالة نفسية . أو معارفة أدبية . أو مسألة دينية . أو قضية علمية .. وتنطوي على ثوب من ألوان النقد . أو التهكم والسخرية . أو التصحيح والتفويج . أو الثورة . ويعمد بديع الزمان أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء .

نشأتها .

اختلف الذين أرحوا لئلاب من المحدثين وتضاربت آراؤهم في تعيين مبتدع المقامات إذا تجد رأياً يقول . إن أبا عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) هو المصنف الأول للمقامات في رسالته . التبريع التدوير . أو في رسالته « صناعات القول » . ويدعم رأي ثلث إلى أن أبا بكر محمد بن الحسين الأزدي (ت ٣٢٦ هـ) هو مبتكرها والسابق لها . استناداً إلى نص أورده الحصري القيرواني في زهر الآداب يشير فيه إلى أن بديع الزمان عارض ابن دريد في أحاديثه الأربعين .. وثالث الآراء يقول . إن المبكر الأول لها هو أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٠ هـ) أشاع بديع الزمان . ورابع الآراء يرى أن أبا حيان التوحيدي (ت ٤٦٤ هـ) ابتدعها وأنشأها ١٣١١ ... وإذا احتكنا إلى القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة (ت ٥١٦ هـ) نجد يقول « قد جرى بعض أندية الأدب التي ركزت في هذا العصر ريحاً . وخبث مصابيح . ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان . وغلامه حمدان . رحمه الله تعالى . فأشار من إشارته خنكم . وطاعته غم . إلى أن أنشئ مقامات أتت فيها نلو البديع . وإن لم يدرك الظالم ١٣٥١ شأو الضليع ١٣٥١ » ليت دعوته نلية المطيع . وبذلك في مطارعتة جهد المستطيع . وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة . وهطبة خامدة . وروية ناضية . وهوموم ناصية . خمسين مقامة ١٣٥١ . ويقول القلقشندي : « أعلم أن أول من من فتح باب عمل المقامات .

(١٣٦٦) انظر القاسم هذه الآراء في بحث الدكتور محسن خياش (مقامات بديع الزمان

الصفاني المنشور في مجلة الطلبة الأدبية . العدد ٦ سنة ١٩٦٧ .

(١٣٦٧) الظالم . السائل عن الطريق القديم . الذي يختر في مهوف

(١٣٦٨) الضليع . السمين القوي . والملاحة . قوة الاصلاح .

(١٣٦٩) مقامات الحريري ص ١١

غلامه الدهر . وإمام الأدب . اتدبع الهمداني . فعمل مقاماته المشهورة المسبوبة إليه . وهي في غاية من البلاغة . وعلو الرتبة في الصنعة (١٠١١) .

وخلاصة القول شئنا أن يدبغ الرمان كان أديباً عالماً . مثقفاً ثقافة كبيرة متنوعة أغلب الكتابات التي أنشأها السابقون . وفكرة المقامات بصيغتها وشكلها المعروف هو صاحبها . ويعود له الفضل في إعطائها المعنى الاصطلاحي بين الفنون الشعرية في الأدب العربي .

أصحاب المقامات :

انتشرت مقامات بديع الزمان انتشاراً واسعاً بين الشرق والغرب (١٣٠١) . وأقبل الكتاب على قراءتها وتدبج المقامات على هديها وإن اختلفت في الأساليب والمضامين . وقد أشار بلاشير إلى ستة وسبعين كاتباً من كتاب المقامات . منهم ستة ورد ذكرهم من يدبغ الزمان إلى الحريري (١٣٣١) . وهم :

- ١ - أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني المتوفى سنة ٣٥٨ هـ .
- ٢ - أبو الإصبع عبد العزيز بن تمام العراقي .
- ٣ - أبو نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بأبن نهاية السعدي المتوفى سنة ٤٠٥ هـ .
- ٤ - أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .
- ٥ - أبو النصر عبد الله بن محمد بن الحسين بن داود بن نائيا المتوفى سنة ٤٨٥ هـ .
- ٦ - أبو حميد محمد بن محمد القزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .
- ٧ - أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ (١٣٣١) .

(١٣٧٠) أصبح الأعشى في صناعة الإنشا ١١٤ ، ١١٥ .

(١٣٧١) ينظر : فن المقامات بين العراق والمغرب ص ١٢٧ - ١٢٩ . تاريخ الأدب الإسلامي عصر الطوائف والمرتبطين ص ٢٠٢ - ٢٢٦ .

(١٣٧٢) المقامة ، بلاشير - المشرق عدد ٤٧ سنة ١٩٥٢ ، وينظر : بدعيات الزمان ص ١٢٩ - ١٣٧ . رأى في المقامات ص ٢٢ - ٢٤ .

(١٣٧٣) ينظر إلى أصحاب المقامات بعد الحريري في كتاب فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٢٦ - ١٢٧ .

سأت الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعد القرن الثالث للهجرة . ولا سيما بعد ضعف مركز الخليفة . وسيطرة الأعاجم على شؤون الدولة ومراقبتها العامة . وتغشي الظلم الى جانب الثغر والعوز . وأصبح الكثيرون في المجتمع آنذاك منهم علماء ولدياء في ضيق وحرج حتى اضطر بعضهم الى الاختيال والتحامق والاستجداء (١٣١١) . وقد سرُ بدع الزمان هذا الواقع المرير والوضع المزري حير تصوير بلطوب تظفي عليه روح الدعاية والسرغ والمكاهة والاضحاك على شأن راو اسمه عيسى بن هشام ومحتشك ذكي في صورة شحاذ يدعى أبا الفتح الاسكندري

والى جانب الموضوع الذي يصور المجتمع في فقره وبؤسه وحرمانه من الحرية والعيش العزيز الكريم . نجد موضوعات تأخذ طابعاً ثقافياً من ذلك مقامات في النقد الأدبي (١٣٠٠) مثل : العراقية . والشعرية . والقريضة . ومنها دينية وعظمية في النصيح والإرشاد واتباع الخلق القويمة والطريق المستقيم مثل : الأهوازية . والوعظية . ومنها وصفية تتناول العادات والطبائع والمآكل والمشارب (١٣٠٠) والحيوانات والعمى ...

وإذا أعينا النظر في مقامات الحريري نجد أيضاً الكدبة تلازم بطلها أبا زيد السروجي الذي يروي خبره الحارث بن هشام . وإذا كنا قد لاحظنا أن بدع الرمان عرض أبا الفتح الاسكندري واعطاً وناصحاً العباد الى مافيه صلاحهم في مقامتين . فإن الحريري عرض أبا زيد السروجي واعطاً في عشر مقامات ولعل أطرف مانراه في المقامة الثانية عشرة . الأدعية التي يرجو فيها من الله أن يرجمه وينقده من الباغين والطاغين والجائرين . اللهم يامحبى الرغبات . ويا دافع الآفات . ويا وافي المغفلات . ويا كريم المكافاة . ويا موبل القعاة صل على محمد خاتم أنبيائك . وبلغ أنبيائك . وعلى مصاييح أسرته . ومفاتيح نصرته . وأعدني من نزعات الشياطين . ونزوات السلاطين . واعنات الباغين . ومعاناة الطامعين . ومعاداة العادين . وعدوان المعادين . وغلب المغالين . وسلب السالين . وحيل المحتالين .

(١٣٧٤) ينظر بحث الدكتور صفاء خلوصي (أدب المقامات أو الفن القصصي المجمع) مجلة المعلم الجديد (العدد الأول لسنة ١٩٩٢) .

(١٣٧٥) ينظر بحث الدكتور محمد قاسم مصطفى (النقد الأدبي في مقامات بدع الزمان الهشامي) مجلة السوردة العدد ٢ . سنة ١٩٨٤ .

(١٣٧٦) ينظر بحث سبيع صادق (بغداد من خلال المقامات) مجلة السوردة . العدد ٤ سنة ١٩٧٤ .

وعُيِّلَ المعتالين . وأجرني الله من جود المجاورين . ومجاورة الجائرين . وكُنْ
عني أَكْبُ الضَّائمين . وأخرجني من ظلمات الظالمين . وأدخلني برحمتك في
عبادك الصالحين . اللهم أحرمني بعينك . ودعوتك . واخصني بأمنك . ومنك .
وتولني باختيارك وحبرك . ولا تكن لي كلامة غيرك ١٣٨١ وخب لي عافية غير
عافية ١٣٨٢ . وأرزقني رزاقاً غير واهية واكفني مخاضئ الألام ١٣٨٣ . واكفني بغواشي
الألام ١٣٨٤ . ولا تنظر بي أظفار الأعداء . إنك سمع الدعاء ١٣٨٥ .

إن الطابع الديني القائم على التوجيه والإرشاد وإصلاح النفوس من الشرور
والآثام . قد أصبح سمة بارزة عند الكثيرين الذين جاؤوا بعد التحرير . مثل الإمام
محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) . وأبي العرج عبد الرحمن بن علي بن
الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ... وتوجد الإشارة إلى أن المقامات عند بعض الكتاب تغيرت
طريقة تناول العرض فيها عما وضعه السابقون . ولا سيما بديع الزمان الهمداني
والحريري إذ تخلصت من الرواية واكتفت بالحكاية وقد عبر بعض من هذه
المقامات عن الأحداث الكبيرة والولايات والمصائب التي ابتليت بها الأمة العربية .
مثل ما فعله التتري زحفهم على المشرق ولا سيما على العراق وديار الشام . إذ نرى
الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني (ت ٦٩٧ هـ)
ينشئ مقامة طويلة بعنوان : « مقامة في قواعد بغداد في الدولة
العباسية » (١٠٢) تصف بأسلوب حزين الوقائع الدامية والمجازر الرهيبة التي انتابت
بغداد بعد مقتل آخر خليفة عباسي المتعصم بالله سنة ٦٥٦ للهجرة تنقل منها
المقرات الآتية . « وأفتها بلدة خالية . وأمة جالية . ودمنة جائلة . ومحنة جائمة .
وقصوراً خاوية . وعراضاً باكية . قد رحل عنها سكانها . وبان عنها قطانها . ونزفوا
في البلاد . ونزلوا بكل وإد . وقصورها المشيدة مهدومة . ومساوئها مسلوقة مهدومة .
موحشة لعقد قطانها . باكية بلسار الحال على سكانها . عظام المقام بالية . تسعى

(١٠٧٧) لا تكن لي كلامة غيرك . لا تدعني إلى حفظ غيرك

(١٠٧٨) خير عافية . خير دارمة .

(١٠٧٩) الألام . القلة والضيق .

(١٢٨٠) أكتفي . أحفظني في كنفك . المرفأني . ما يقطي به الهيم مثل غاشية العرج .

١٢٩١ . التعم .

(١٢٨١) مقامات الحريري ص ١٢ .

(١٢٨٢) حلقها كورنكس هواء . وطبعها بمطبعة الأرفاد ببغداد سنة ١٩٦٦ . ثم أعاد طبعها في

مطبعة المورد . المبد الرابع الخامس عن بغداد سنة ١٩٧٩

لقد أقرّ الحريري في مقدمة مقاماته بقوله : أنها ، تحتوي على جد القول
ومزله ، ورتيق اللفظ وجزله . وغرر البيان ودرره . وملح الأدب ونواره . إلى
ماوشحها به من الآيات ومحاسن الكنايات . ورضعته فيها من الأمثال العربية .
واللطائف الأدبية . والأحاجي النحوية . والفتاوى اللغوية . والرسائل المبكرة .
والخطب المحبّرة . والمواعظ المبكية . والأضاحيك الملهية (1881) أن هذه الأمور ساقها
في مقاماته يتمكن واقتدار وبالملوب محكم رصين فيه حيوية نافذة . ومرد هذه
الحيوية كما يرى الدكتور شوقي ضيف : إلى هذا الثوب المتوهج من الجع . الذي
لا نجد فيه نقصاً . فقد فضله وقطعه ووشاه خوق رفيع . كان يعرف كيف يضع
الكلمة بجوار الكلمة . وكيف يشتد اللفظة إلى أختها وكأنه عازف فيشار (1881) .

وجاء بعد الحريري كتاب كثيرون . دمجوا مقامات في موضوعات متنوعة دينية
 واجتماعية وأدبية . وحاولوا أن يظهروا فيها براعتهم الأسلوبية والبلاغية . ولكنهم لم
يلحقوا به ولا برائده بديع الزمان الهمداني . وبقوا في دائرة التقليد إلا ما نذر
منهم ولذلك لم تأخذ مقاماتهم الشهرة والانتشار في الأوساط الأدبية وبقيت بين
معطولة ومضوعة بعيدة عن أيدي النارسين (1881) .

(١٢٨٩) : مقامات الحريري ص ١٩

(١٢٨٧) : المقامة للدكتور شوقي ضيف ص ٦٩

(١٢٨٨) : تظهر المقامات التي ألحقها بعد الحريري في كتاب : فن المقامات بين المغرب والمغرب ص

١٢٨ - ١٢٩ .

بديع الزمان الهمذاني

٢٥٨ - ٣٩٨ هـ

لم تنتكسر الثقافة في القرن الرابع للهجرة بانتكاس الخلافة بمعجزها وعجزها وأجبتها. بل جفى بريقها وغاب. وظلت البيئات العلمية والأدبية مزدهرة بالعلماء والأدباء. حتى قال أحدهم: إن هذا العصر يستحق أن يسمى زبدة الخصب (١٧٨). إنه حقاً عصر علم وأدب وشعر ومقامات وتآليف وفلسفة. ومن أراد التأكد من ذلك فليراجع أحد الكتب التي تناولت هذا العصر. وهو كتاب يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي ويرى العدد الكبير من أرباب القلم. أحدهم بديع الزمان الهمذاني. رائد المقامات.

سيرته

هو أبو الفضل. أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد. ويعرف ببديع الزمان. ولا نعرف كيف نال هذا اللقب (١٧٩). وربما يكون من صنعه أو ضاع أبي منصور الثعالبي الذي عاصره وترجم له (١٨٠). فقال: «هو أحمد بن الحسين بديع الزمان». ومعجزة همذان (١٨١).

ولد في همذان في الثالث عشر من جمادى الآخرة. سنة ٢٥٨ للهجرة. من أسرة يصل نسبها إلى بني هضر. وقد صرح بذلك فقال: «أبي عبد الشيخ. واسمي أحمد. وهمذان المولود. وتقلب المولد. ومنصر المجتهد» (١٨٢). ولم يكتف بذكر نسبه العربي. بل انتصر للعرب في كتاباته. فقال في رسالة إلى الشيخ الرئيس أبي عامر عدنان بن محمد: «نحن أئمة الله بقاء الشيخ. إذا تعذلتنا في فضل العرب على العجم وعلى سائر الأمم. أردنا بالفضل ما لحاظت به الجدوة. ولم نتكبر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابس. وأنعم منها مطاعم. وأكثر ذخائر. وأبسط معالك. وأعز ساكن. ولكننا نقول: العرب أوفى وأوفر. وأوفى وأوفر. وأنكى وأنكر. وأعلى وأعلم. وأحلى وأحلم. وأقوى وأقوم. وأبلى وأبلغ. وأشجى وأشجع. وأسمى وأسمح. وأعطى وأعطف. وأطلى وأطف (١٨٣). وأحصى وأحصف. وأنقى وأنق. ولا يسكر ذلك إلا»

(١٧٨) بديع الزمان الهمذاني، عارون حيوة، ص ١٤.

(١٧٩) قال الدكتور طه حسين: «إن اسمه لا يعرفه الناس، وإنما يعرفونه بطلبه إلى»

أطلقه عليه معاصروه». الفن ومذاهبه في الفكر العربي، ص ٢٤٠.

(١٨٠) ينظر: مقامات بديع الزمان على أحاديث ابن دريد، ص ١٦.

(١٨١) هجعة الدهر ٤، ٩٥٦.

(١٨٢) رسالة أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص ٤.

(١٨٣) أطل، الطلاء، الجبهة. يقال رشع الله طلائه أي جبهته.

وَقَبَحٌ وَتَجَ ١٣٨١ . وَلَا يَجْعُذُهُ إِلَّا نَحْلٌ نَمْرًا ١٣٨٢ . . . ١٣٨١٤ .

نشأ في همدان . وتعلم فيها الفراءة والكتابة . وكان أخوه محمد بن الحسين مفتي البلدة ١٣٨١ . وتلمذ على العلماء والأدياء . منهم أبو الحسين أحمد بن فارس الأديب الكبير واللغوي المشهور . صاحب المجلد في اللغة ١٣٨١ . وأبو بكر محمد بن اتحسين العراء . وعيسى بن هشام اللغوي الاخيرى . وكان بديع الزمان ذكياً . قوي المعالجة . قال الثعالبي . . كان يشتد القصيدة التي لم يسمها قط - وهي أكثر من خمسين بيتاً - فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها . لا يخرم حرفاً ولا يخل بمعنى . وينظر في الأربعة والخسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهدها عن ظهر قلبه هدناً . ويسردها سرناً . وهذه حاله في الكتب الوردية عليه ١٣٨١ . ويعلق أحد الباحثين على هذا القول . فيقول . « انها مبالغات نسبوا مثلها الى المتنبي . والمعري . وأبي تمام . وهي عندي الى الحكايات أقرب منها الى التاريخ الرصين . فليست الأذهان دفاتر . ولا آلات تصوير شمسية . حتى تحفظ . وتلتقط آثار الأدياء كما هي ١٣٨١ .

خرج بديع الزمان من همدان سنة ٣٨٠ للهجرة طلباً للعلم والجاه والشهرة . فقصده صاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) وبقي عنده زمناً في أصبهان المشهورة بجمال طبيعتها . وكانت آنذاك تعج بالأدباء والعلماء من أيتائها والوافدين عليها . وقد عطاها الدكتور مصطفى جواد معقلاً للأدب العربي ١٣٨١ . وبعد تزوجه بشمار صاحب بن عباد وحسن الثارة . ارتحل الى جرجان . وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكتافهم ١٣٨١ . ثم تركها . وشرح سبب تركها في رسالة كتبها الى أبي نصر ابن المرزيان ١٣٨١ . فجهاد الى نيسابور سنة ٣٨٢ للهجرة . . وكان ثواب الرثابة والصنارة فيها معقوداً لأسرة بني ميكال . وهي أسرة علم وأدب وعفا .

(١٣٩٥) ولحق . الحسين .

(١٣٩٦) لفر . حلقه .

(١٣٩٧) رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمداني ص ١٩٩ .

(١٣٩٨) معجم الأدياء ١ : ٩٥ .

(١٣٩٩) ينظر . المقامات من ابن فارس الى بديع الزمان الهمداني ص ٩ .

(١٤٠٠) طبعة الدهر ٤ : ٩٥٦ .

(١٤٠١) بديع الزمان الهمداني . مازن عبود . ص ١٧ .

(١٤٠٢) ينظر بحث الدكتور مصطفى جواد في أصبهان معقل الادب العربي في ايران مجلة المجمع

العلمي العراقي . المجلد العاشر . ١٣٩٩ . ص ٦٩ - ٩٥ .

(١٤٠٣) طبعة الدهر ٤ : ٩٥٧ .

(١٤٠٤) رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمداني ص ٩٣ .

وكان أفرادها يُلَقَّبون بالأمراء . وكانوا يشجعون الأدب ويصلون الشعراء (١٣٨) .
 وألغى . من عاش من هذه الأسرة في القرن الرابع للهجرة الأمير أحمد بن علي بن
 ميكال والأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن ميكال . وكان هذا الأخير كاتباً
 شاعراً شبه الثعالبي وابن العبد والصاحب بن عباد وأبي اسحاق الصاهي وابن
 المعتز وأبي فراس من الشعراء (١٣٩) .

وكان بديع الزمان قبل وصوله إلى نيسابور قد سلب قطاع الطريق من الأعراب
 ما كان له من مال وأمتعة وأصبح معدماً . وخطب أبا بكر الخوارزمي (١٤٠) :
 هـ الشيخ عصره في علوم اللغة والبلاغة وأيام العرب وأمثالها يهده الرسالة . أنا لقرب
 الأستاذ أطال الله بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح للقاءه
 (كما انتفض العصور بللغة الفطر) ومن الامتراج بولائه (كما التقب الصهباء والبارد
 العذب) ومن الابتهاج بمرآه (كما اهتر تحت الياح الغصن الرطب) فكيف نشاط
 الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبي العراق وخراسان . بل ما بين عتبتي
 نيسابور وجرجان . وكيف اهتزازه لحبيب في برودة خصال . وجلدة خصال .

رث الثمائل منهج الأنوب بكرت عليه مبرة الأعراب

وهو أبوه الله ولي انعامه بانقاذ غلامه إلى مستقري . لأفضي إليه بسري . أن شاء
 الله تعالى (١٤١) . ولم يحسن الخوارزمي لقاءه . وحصلت بينهما نفرة وجفوة
 وقطيعة . تحولت فيما بعد إلى عداوة . وحدثت بينهما أمام جدد من الناس معركة
 أدبية حامية . خرج عنها بديع الزمان ظافراً وانحسر الخوارزمي مغلولاً (١٤٢) .

ترك بديع الزمان نيسابور إلى سجستان . وكان أميرها آنذاك الأديب خلف بن
 أحمد . ولقى حفاوة وتقديراً منه وأهدى إليه مقاماته وعدجه بقصيدة مطلقها (١٤٣) .

سماه الأجي . مانهذه الحندق النجل أصر الأجي حال وجيد الضحي عطل
 لك الله من عزم أجوب جيوبه كأنني في أجفان عين الرزدي كحل

(١٣٨) بديع الزمان الهذلي . الدكتور مصطفى الفكرة . ص ٥٥ .

(١٣٩) تنظر : رسالة المهر ١٠٩٠ ص ٢٤٤ .

(١٤٠) رسائل أبي الطاهر بديع الزمان الهذلي ص ٨٢ .

(١٤١) تنظر المناظرة في رسائل البديع ص ١٧ . ومعجم الأدباء ١٠١٠ ص ١٠١ .

(١٤٢) ديوان بديع الزمان ص ٦٥ .

وكان البديع يحب الشعر . ويرغب في الارتحال . إذ نراه يذهب شرقاً الى غزة عاصمة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي . الذي كان يهوى لقاء الأدباء والعلماء . ويشجعهم على البقاء عنده وبعد إقامة قصيرة في كنف هذا السلطان توجه الى هراة وألقى فيها نصا الترحال . وتزوج من ابنة أبي علي الحسين بن محمد الخنساني أحد فضلا هذه المدينة . فاطمأنث نفسه . وحسن حاله . وطلب له المقام وأفتنى مالا وضيعاً . وعاش عبثة راضية . وأنجب أولاداً . وفي سنة ٣٩٨ للهجرة لبى نداء ربه . وهو في الأربعين من عمره .

أقاربه :

- ١ - كان بديع الزمان شاعراً وناثراً على السواء . وقد ترك لنا الآثار الآتية :
 - ١ - ديوان شعره . وهو مطبوع . والقاري فيه يجدد لا يتخلى - كما هو الحال في نثره - عن الجناس والسجع والازدواج والميمية والأحاجي
 - ٢ - رسائله . وهي مطبوعة . تناول فيها موضوعات كثيرة من مدح . وهجاء . وعتاب . واعتذار . وعزاء وشكوى . ونهضة . ووصف . واستعطاف ...
 - ٣ - مقاماته . وهي مطبوعة . وعددها اثنتان وخمسون مقامة .

نثره وأسلوبه :

حاج بديع الزمان ووجد أمامه الصنعة قد قطعت شوطاً كبيراً في ميدان النثر العربي . على يد كتاب كبار أمثال . ابن الصبغ . والصاحب بن عباد . وأبي بكر الخوارزمي . صار على خطاهم وأيدى جدارة فائقة وقدرة عالية في هذه الصنعة بحيث فاقهم في الشهرة ولا سيما في مقاماته .

لقد تربت الصنعة الى نثره . وتجاوزت أحياناً الحد المسمول في التزام السجع . والتشبيهات . والاستعارات . والكنايات . والمحسنات اللفظية والمعنوية . والرمز والتلميح . والاشارات . والميل الى التعميب والتعقيد . روى النعالي في يتيبته أنه . كان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتديء بأخر سطر منه ثم فُلم جزاً الى الأول . وبخبرجه كأحسن شيء وأملجه . ويؤشخ القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من انشائه . فيقرأ من النظم والشر . ويروي من النثر والنظم . ويعطي القوافي الكثيرة فيجمل بها الأبيات الرتيقة . وتقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف على ريسق لا يبلعه . ونفس

لا يقطعها (١٣٠). وقد أقرّ البديع في مناظرته مع أبي بكر الخوارزمي أنه يستطيع أن يقترح عليه أربع مئة صنف في الترسل، ثم يستطرده ليصف بعض هذه الأصناف فيقول: أنه يستطيع أن يكتب كتاباً يقرأ منه جوابه، أو كتاباً يقرأ من آخره إلى أوله، أو كتاباً إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتاباً، فإن عكست مسطوره مغالطة كان جواباً، أو كتاباً لا يوجد فيه حرف منفصل من راء يتقدم الكلمة أو دان يتفصل عنها، أو كتاباً خالياً من الألف واللام، أو كتاباً خالياً من الحروف المتوالمات، أو كتاباً أول مسطوره كلها ميم وآخرها جيم، أو كتاباً إذا قرئ معرجاً وسرد معوجاً كان شعراً، أو كتاباً إذا فُسر على وجه كان مدحاً وإذا فُسر على وجه كان قدحاً (١٣١). ومع هذا الاعتراف بالتعقيد نجد له رسائل تنتم بلغة واضحة ذات ألفاظ موسيقية عذبة لها وقع حسن في الأذن.

ومما يلاحظ في نشره كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأمثال، والحكم، والأبيات الشعرية من نظمه أو من نظم شعراء آخرين، وأحياناً يصعب في هذا الاستشهاد كما نرى في رسالته إلى أبي جعفر الميكالي انتهى ضمنها ستة وثلاثين بيتاً في الوقت الذي لم تتعد الرسالة بضعة وعشرين سطراً، وإلى جانب الشعر في هذه الرسالة نجد حكماً وأمثالاً، مثل قوله، وبئذ الموجود غاية الجود، وبعض الحمية آخر المجهود، وماش خير من لاش، ووجود ماقل خير من عدم ماجل، وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب، وحمار هو خير من فرس ليس، وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم، وزيت خير من لبث، وما كان أجود من لو كان، وقد قبل عصفور في الكف خير من كركم في الجو، ولأن تقطف خير من أن تعف، ومن لم يجد الحميم رعى الهشيم، ومن لم يحسن صهيلاً نهق، ومن لم يجد ماء يصم (١٣٢).

وأشتهرت مقاماته أكثر من رسائله، وهي قائمة على التكدية باستثناء ثلاث عشرة معامة تتناول أقرضاً شتى في المديح والوصف والنفذ والأدب والأنغاز والوعظ والحجاج في المذاهب وأحوال الزمان والفكاهة

(١٣٠) هتيمه الدهر ١٤، ٢٥٦.

(١٣١) رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمناني ص ٥٠، وينظر الفخر ومقامه في النثر العربي ص ٢٤٥.

(١٣٢) رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمناني ص ٦٠ - ٦١.

والمقامات أرحب من رسائله معني . وألطف مني . وأخف صنعة . وأكثر فكاهة . وأوفر مرحاً وضحكاً . قال الدكتور زكي . مبارك : « إن مقامات بديع الزمان تحفة من تحف النثر الفني في القرن الرابع . وقد أردنا أن نطيل بها الطواف ليعرف إليها القاري . فقد كان مفهوماً عند كثير من الناس أنها الأعياب لفظة ليس فيها من المعاني ما يستحق الدرس . ولكننا بعد مواجهتها مرة ومرة رأينا فيها من أمارات العقل والذكاء ورفعة الروح ما يوجب الإعجاب . وكنا نحفظها في الحداثة . غير أننا لم نكن ندرك حظها كما تثلث لنا في هذه الأيام » (١٣٣)

تقوم أحداث المقامات على كاهل رجلين استدعما بديع الزمان . الأول الراوي عيسى بن هشام والثاني البطل القاهر أبو الفتح الاسكندري . وأحياناً يقفل عن هذا البطل كما هو الحال في المقامات الثلاث : البغدادية . والنهيدي . والغيلانية .

إن أسلوب البديع في المقامات مسجوع منسق . يعتمد على الصنعة . إذ نراه يتكلم على التشبيهات . والاستعارات . والكنايات . وضروب النحسات البديعية ولا سيما الجنس والطباق . ويكثر من الجمل الاعتراضية . والترادف في اللغة للمعنى الواحد . والاستشهاد بالشعر . فلا تغلو مقامه من أبيات . لا تغفل عن بيتين . من نظمه أو من نظم الشعراء الأقدمين . وكذلك الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف . مثال ذلك البيتال الآتيان (١٣٤)

حتى إذا جُرْتُ بلادَ البدى إلى حمى الذين نقصت الوجيب
فقلتُ إذ لاحَ شعارُ الهدى (نصرَ من الله وفتحَ قريبُ)

ومثل قوله . « أزارتني ورفقة وليعة فأجبت إليها للحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى دراع لقبلت » (١٣٥) . ويلاحظ . أحياناً إلى الأمثال اما مقبسة واما مبتكرة مثل قوله في المقامة الجاحظية .
. يقوم لكل عمل رجال . ولكل مقام مقال . ولكل دار مكان . ولكل زمان جاحظ (١٣٦)

(١٣١٩) النثر الفني في القرن الرابع ١ : ٣٣٧ .

(١٣١٩) مقامات بديع الزمان ، المقامة القروينية ص ٩٧ .

(١٣١٩) مقامات بديع الزمان ص ٨٤ .

(١٣١٩) نفسه ص ٨٦ .

والبديع أديب طريف ، وكاتب طريف ، وفنان موهوب ، وخصي ملهم . يقدم مقاماته بأسلوب محكم تطلعه روح فكهة مرحة . وقد اخترنا للقارئ القامة البغدادية ليقف على طبيعة هذا الأسلوب في إيراد المشاهد الغريبة وربطها ببراعة مع بعضها وصولاً إلى نتيجة لطيفة ترق لها القلوب ، « حدثني عيسى بن هشام ، قال ، انتهيت الأزاد ، (٣٣١) وأنا يخبذ ، وليس معي عقد ، على نقية (٣٣٢) . فخرجت أنتهز محالة حتى أخلني الكرخ ، فإذا أنا بسوادي (٣٣٣) يسوق بالعهد حمارة . ويظرف بالعهد أزارة . فقلت ، ظفرنا والله بصيد ، وحيالك الله أبا زيد ، من أين أقبلت ؟ وأين برئت ؟ ومتى وأين ؟ وفلم ألي أنيبت . فقال ، السوادي ، لست بأبي زيد ، ولكني أبو عبيد . فقلت ، نعم ، لمن الله الشيطان ، وأبعد الشيطان ، أنانيك طول العهد ، واتصال البعد . فكيف حال أبيك ؟ أشاب كمهدي . أم شاب بعدي ؟ فقال ، قد نبث الربع على دمتي (٣٣٤) ، وأرجو أن يصيرة الله إلى جنته . فقلت ، أنا لله وأنا إليه راجعون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ومددت يد البدار إلى الضدار (٣٣٥) . أريد تمزيقة ، فقبض السوادي على خصري بجمعه . وقال ، نشدتك الله لامرئته . فقلت ، هلتم إلى البيت نصت غداة . أو إلى السوق شتر سواء . والسوق أقرب . وطمعاه أطيب . فاستنزته حمة القرم . وعطفته عاطفة اللقم (٣٣٦) . وطمع ، ولم يعلم أنه وقع . ثم أتينا شواء ، ينططر شواؤه عرقاً . وتتسايل جوداياته مرقاً (٣٣٧) . فقلت ، أكرز لأبي زيد من هذا الشواء . ثم زن له من تلك الحلواء . واختر له من تلك الأطباق . وانضد عليها أوراق الرقاق . ورش عليه شيئاً من ماء الشاي . يأكله أبو زيد هنياً . فأنحنى الشواء باطوره . على زبدة تنوره . فيجعلها كالكلحل سحقاً . وكالطحين ذقاً . ثم جلس وجلس . ولا يشن ولا يشن . حتى استوفيا . وقلت لصاحب الحلوى . زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوى .

(٣٣٨) من اعراف الواقع القصر .

(٣٣٩) الله . المسكوك من الذهب والفضة .

(٣٤٠) السوادي ، الرجل من رباط العراق والقراء ، نسبة إلى السواد ، ويسمى العراقي سواداً لاكتساده لونه بالفضرة من نبات والهيبار .

(٣٤١) المراد بالدمية القبر .

(٣٤٢) البدار ، المبادرة والمصارعة . الضدار ، قوب يلهس ساء يلهي الجسم .

(٣٤٣) استخره ، استجوبه وحركته بقدة - انصه لظنه هذه . فقال لصفه حمة البرد أي هذه . والصفة في الأصل ، أبرة الطرب التي تلحج بها - القرم ، الهوة البائلة لأكل اللحم . اللقم ، السوعة في الأكل .

(٣٤٤) الجودايات ، صبح جوداية ، وهي خبز يخبز في النور وفوقه لحم .

وامضى في العروق . وليكن ليلى العمر . يومئذ الشرا ١٣١١ . رقيق القشر . كفيف الحشو . لؤلؤي الدهن . كوكبي اللون . يذوب كالصمغ . قبل المضغ . ليأكله أبو زيد هنيئاً . قال . فوزنة ثم فغد وفعدث . وجزد وجرث . حتى استوفينا . ثم قلت . يا أبا زيد ما أوجعنا الى ماء يشبع بالثلج ليضع هذه الضارة . (١٣١٢) ويغتأ (١٣١١) هذه اللقم الحارة . اجلس يا أبا زيد حتى تأتيك بقاء بأكبك بشربة ماء . ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني أنظر ما يصنع . فلما أبطأت عليه . قام السوادي الى حماره . فاعتلق الشواء بإزاره . وقال . أين نحن ما أكلت ؟ فقال أبو زيد . أكلته ضيفاً . فلكه لكمة . وثنى عليه بلطمة . ثم قال الشواء . هاك . ومنى دعوانك ؟ زن يا أبا القبة عشرين ١٣١١ فعمل السوادي يكي ويعل غفنة بلسانه ويقول . كم قلت لئالك القريد . (١٣١١) أنا أبو عبيد . وهو يقول . أنت أبو زيد . فأنشدت :

اعسى لوزقك كمل آله لا تستعبدن بكل حالة
وانهض بكل عظمية فالمرء يعجز لا محالة (١٣١١)

وتجدر الإشارة في آخر هذه الدراسة الموجزة لسيرة يدع الزمان ونشره الى أن الباحثين جميعاً أثنوا على المقامات واشادوا بمكانتها بين الفنون الشعرية التي وصلت اليها ماعدا محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقططا (ت ٧٠٩ هـ) من القدامى . والدكتور محمد مهدي البصير من المحدثين . قال ابن الطقططا : « المقامات لا يستفاد منها سوى التمرس على الإنشاء . والوقوف على مذاهب النظم والنثر . نعم وفيها حكمٌ وحيلٌ إلا أن ذلك مما يصغر الهمة . إذ هو مبني على السؤال والاستجداء والتحيل القبيح على تحصيل النثر الطفيف . فإن نقصت من جانب ضربت من جانب . وبعض الناس تنبهوا على هذا من المقامات الحريرية واليديمية (١٣١٨) أما الدكتور محمد مهدي البصير فيقول : « أما مقامات الهمداني فإنها جناية لا تنفع على الأدب العربي : ذلك انه خلق فيها أدب الشعافة خلقاً وأنشأ أنشأ . ولم يخل

(١٣١٨) ليس النصر . أي قد صنع بالليل . يومئذ الشعر . أي شعر من صنعه بالنهار ليكون قد نضج وصرت العبادة في جميع اجزائه .

(١٣١٥) الصارة . المطهي

(١٣١٦) يفتأ . يسكن . ولكين اللقم . كسر الصدة من حوارثها .

(١٣١٧) القبة . الرفاحة ومود الادب . ومضى ثلث عشرين . أحط وزن عشرين ورمياً .

(١٣١٨) القريد . قصير الرء .

(١٣١٩) مقامات يدع الزمان من ٧١ - ٧٤ .

(١٣٢٠) القفري في ٩١ كتاب السلطانية والدول الاسلامية من ١٥

الأدب العربي من الشحادة لسوء الحظ على ألسن الشعراء المباحين . ولكنها ظهرت في هذه المرة بأشجع صورها . وأفصح أشكالها . وأخس طرقها وأسابيلها سامع الله الهمداني . فإنه أساء إلى الأدب بمقاماته أكثر مما أحسن إليه بشعره ورسائله ١٣١٢ . وقد كفانا الدكتور محسن غياض بالرد على هذين القولين . فقال : - ونحن نستند أن ابن الطقططا وللرحوم البصير قد تطرفنا في مهاجة المقامات تطرفاً لا مبرر له . فهي دون شك صدى لظاهرة الكدبة في عصرها . ولا نرى فيها ما يصمر الهمة ويشجع على التسول . والأتان لا يكون متسولاً أنا قرأ أدب التسول . وإنما هو أمر تضطره إليه ظروف الحياة وفقدان العدالة الاجتماعية . ولو كان الأمر كذلك لأصبح كل من قرأ أدب المجنون مانحاً وكل من قرأ شعر الزهد زاعداً . وليس الأمر كذلك بيقيناً . كما أن البديع لم يخلق التسول والشحادة . ولم يدع اليهما . وإنما صور ظاهرة موجودة في عصره . واستند موضوع مقاماته من حياة طبقة بائسة من طبقات المجتمع آنذاك . وتلك في نظرنا ميزة يحمده عليها . فقد كان الأدباء قبيح يستعدون موضوعاتهم من حياة الطبقة الفنية . فكثرت قصصهم واحاديثهم عن الخلفاء والأمراء والوزراء والمشهورين من العشاق والمغنيات والظرفاء ثم جاء البديع فخالف ذلك واستند موضوعاته من حياة الفقراء من الناس الذين اضطرتهم فساد النظام السياسي والاجتماعي إلى الاستجداء والاحتياج في طلب الرزق . والبديع بهذا يقدم لنا وثيقة اذانة لفساد النظام السياسي عندما تقلبت العناصر الاجتماعية ومزقت الدولة الواحدة وعانت بها قشاة ١٣١٢ .

(١٣١٢) في الادب القباسي ص ٤٨

(١٣١٢) مقامات بديع الزمان الهمداني . المنشور في مجلة الطليعة الادبية . العدد ٦ سنة ١٩٧٧ .

القاضي الفاضل

٥٢٩ - ٥٩٦ هـ

سيرته ١

هو عبدالرحيم بن علي بن الحسن . يكنى أبا علي . ويعرف بالقاضي الفاضل . ينحدر من قبيلة عربية هي قبيلة لخم . ولد في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٢٩ للهجرة ١١٣١ بمدينة عجلان . وهي إحدى مدن فلسطين . وكان والده ويدعى القاضي الأشرف قاضياً فيها . وانتقل في طفولته إلى مدينة بيسان وهي مدينة بالأردن فنسب إليها .

أخذ علوم اللغة العربية في مدينة يافا . ولا شبَّ ظهر فيه الميل إلى الأدب . فرأى والده أن يصفقه بديوان المكاتبات لينتجج على كبار المشائين . فأرسله إلى القاهرة سنة ٥٤٢ للهجرة وهو في الخامسة عشرة من العمر . وقد روى ابن الأثير قصة قدومه إلى القاهرة فقال : « حدثني عبدالرحيم بن علي البيسانى . رحمه الله . بمدينة دمشق في سنة ٥٥٥ . وكان أو ذلك كانت الدولة الصلاحية . فقال : ... فأرسلني والدي .. وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتبات . وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلاً يقال له : ابن الحلال . فلما حضرت الديوان . ومثلت بين يديه . وعرفته من أنا . وما طلبتي . رغب بي وجاهل . ثم قال : مالذي أعددت لعم الكتابية من الآلات ؟ فقلت ليس عندي شيء سوى أنني أحفظ القرآن وكتاب الحساسة . فقال : في هذا بلاغ . ثم أمرني بسلامته . فلما ترددت إليه . وتدربت بين يديه . أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحساسة . فحللته من أوله إلى آخره . ثم أمرني بأن أحله مرة ثانية . فحللته » (١٣٧) .

ولم يقف في الدراسة عند حد المؤلف يوسف بن محمد المعروف بابن الحلال (ت ٥٦٦ هـ) بل تعلَّم على غيره من الكتاب المشهورين . منهم : أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن قابوس (ت ٥٥٠ هـ) . وهو من مشهور شعراء مصر آنذاك (١٣٨) .

(١٣٧) (١٣٧٢) وفيها الأعيان ٢ : ٢٥٨ .

(١٣٨) (١٣٧٢) الوافي بالوفاء ص ٥٦ .

(١٣٩) (١٣٧٢) الروضتين ١ : ١٠٤ . المكتبة المصرية ص ٣٥ .

وبعد وقوفه على طرق الكتابة ، والتدرب عليها ، واجادتها ، ذهب الى الاسكندرية وقصد ابن حديد قاضيا والناظر فيها . ولما عرف فضله وبوغه ، استكتبه . وقرر له مرتباً ينقاضه . وظل في الاسكندرية زهاء ثمانين سنوات برزت فيها مواهبه . وعندما سمع به الوزير العادل رزّيك بن الصالح طلائع بعث الى والي الاسكندرية ان يرسله اليه . وولاه رئاسة ديوان الجيش (١٣٣١) وتوثقت صلاته بهذا الوزير . ويحفظ ديوانه بشعر كثير في مدحه . منه قوله من قصيدة طويلة : (١٣٣١)

ففي قلبه للناس ودٌ ورحمةٌ وفي قلوبهم منه النهاية والحُبُ
فغالب اذا مارمت احصاء مجدها فحسبك قولي : لا يحيط به الحسبُ

وبقي القاضي الفاضل يعمل في الدولة كاتباً معتمداً . وحينما قامت الدولة الايوبية في مصر والشام لم يستغن صلاح الدين الايوبي عنه . بل قرّبه . وفوض اليه الوزارة وديوان الانشاء . وأصبح كاتبه البليغ ومراسله الامين الى الحلفاء والملوك والامراء والقواد . وصار أعزّ عنده من اهله وأولاده . (٣٣٩) يعظمه ويرجع الى قوله . ويبرزه مستثيراً اذا أراد السفر للاقاء الاعداد من الفرنج . وقد وصل احترامه وتقديره الى درجة القول فيه ، لانظنوا ملكك البلاد بيوهمك بل بقلم الفاضل (٣٤١) وقد سجل مؤرخوه له هذه المكانة السامية في الدولة الايوبية . قال المقرئزي : « كان لا يصدر أمراً إلا عن مشورته . ولا ينفذ شيئاً إلا عن رأيه . ولا يحكم في قضية إلا بتدبيره » (٣٤٢)

وظل القاضي الفاضل مخلصاً للدولة الايوبية . يشرف على الادارة المالية . ويعمل على تجهيز الجيش والاسطول . وفي أيام صلاح الدين الاخيرة صاحبه الى دمشق . وظل بالقرب منه حتى مرضه الاخير . وشاهد وفاته هذا القائد المجاهد في السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩ للهجرة . ورأى ان يدفن معه سبعة انقي كان يرافقه في جهاده وحروبه التضالية (٣٤٣) بكتيب رسالة الى امته الملك الظاهر غازي صاحب حلب يعزّيه فيها ويدعوه الى جمع الشمل ووحدة الكلمة : ، لقد كان لكم

(١٣٣٩) القاضي الفاضل . دراسة وشماخ ص ١٥ .

(١٣٣٧) ديوان القاضي الفاضل ١ : ١٥٩ .

(١٣٢٨) صبيح الأعشى ٩٧ : ١ .

(١٣٣٩) البداية والنهاية ١٢ : ٢٤ .

(١٣٤٠) مرآة الزمان ٨ : ٢٤٠ . ويظهر شهادات الذهب ٤ : ٢٩٤ .

(١٣٤١) خطط المقرئزي ٤ : ١٩٨ .

(١٣٤٢) الروضتين ١٩ : ٢١٤ .

في رسول الله أنوة حنة (٢٠٠) أن زلزلة الساعة شيء عظيم (٢٠١) كتب إلى مولانا السلطان الملك الظاهر. أحسن الله عزاءه وجبر مصابه، وجعل فيه الخلف لمالك المرحوم وأصحابه. وقد رزل المسلمون زلزلاً شديداً، وقد حفرت الدموع المعاجر. وبلغت القلوب الحناجر. وقد ودمت أبك ومخدومي وداعاً لا تلاقي معه. وقد قلت وجهه عني وعنتك. وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة. ضعيف القوة. راضياً عن الله. ولا حول ولا قوة إلا بالله. وبالباب من الجنود المجتدة. والأمنحة المغمصة. ما لا ينفع البلاد. ولا يرد القضاء. ونسمع العين ويخضع القلب. ولا تقول إلا ما يرضى الرب. وأنا عليك بأبوسف لحزوتون وأما الوصايا فما يحتاج إليها. والآراء فقد شملني المصاب عنها. وأما لائح الأسر فإنه إن وقع اتفاق فما عديم الآ شخصه الكريم. وإن كان غير ذلك فالمصائب المستقبلية أهونها موته. وهو أهول العظيم. والسلام (٢٠٢)

وبقي القاضي الفاضل على صلة بالأسرة الأيوبية. وفياً لأبنائها. لإعجابه بشجاعتهم وتبليهم وكرمهم. وقد مدحهم بقوله (٢٠٣)

قالوا رأينا الأسود الصبر عادتهم فقلت أبناء أيوب ولا عجب
المشاريبون كؤوس الموت مسترعة وللأسفة في حافئتها خبيب
والضرمون ثار الحرب ليس لها إلا الرماح واضلاع المدا حطب
أطفت على كل حال منهم وإذا كانوا غنائباً فلا يشي البدى الغضب
لا تشغل الوقت في تسيب مألوه فليس كل عطاياهم لها سبب
القوم هم وأصلو الأرحام دهرهم وبين أموالهم والمحتشمي سبب

وبعد زمن قصير من وزارته للملك الأفضل علي بن صلاح الدين صاحب دمشق. استعفى. وعاد إلى القاهرة. فخرج ملك مصر العزيز عثمان بن صلاح الدين إلى لحاله (٢٠٤) ويبدو أنه تعب من العمل السياسي غامر الراحة عاكفاً على الأدب والعلوم. وبقي محتفظاً بمكانته ومنزله عند بني أيوب. وأنشأ لنفسه مدرسة

(١٩٩٢) سورة الأحزاب، ٩١، ٩٢

(١٩٩٣) سورة الحج، ١٢٤

(١٩٩٤) صراط الزمان ١٨، ٤٢٩، وفيات الأعيان ٧، ٩٠، فناء القلوب في مناقب بني أيوب

ص ١٤٥، الفهرم الزاهرة ٢٠٩، لذة المختصر في أخبار البشر ١١١، ١١٢

(١٩٩٥) ديوان القاضي الفاضل ١٠٦، ١٠٧

(١٩٩٦) الصلوك ١١، ١٢

سميت باسمه . وضم إليها مكتبة كبيرة . فيها جملة عظيمة من الكتب (١٣١٤) . وجعل فيها قاعة للآقراء . وإلى جانبها كُتُاباً برسم الإيتام (١٣١١) .

وظل يجمع حوله تلاميذه ومريديه من الأدياء والعلماء إلى أن توفي بداره في القاهرة يوم الثلاثاء سادس ربيع الآخر سنة ٥٩٦ للهجرة (١٣٠١) .

آثاره :

١ - ديوان شعره ، وهو محقق ومطبوع بجزأين . تغلب عليه الصناعة اللفظية . فهو لا يكاد يشركها إذا تأتى له استخدامهما . ولهذه الناحية من خصائص شعره أعجب رجال الصناعة به . ومثلوا لكثير من الوانها بشعره . مسجلين له أعظم تقدير وإعجاب . أما أولئك الذين لا تعينهم هذه الصناعة فلا يرتفعون في تقدير شعره إلى هذا المستوى من التقدير (١٣٠١) .

٢ - رسائله . ترك القاضى بعده رسائل كثيرة . قيل . أنها في عشرة مجلدات (١٣٠١) . وقد انتقى منها محبى الدين عبدالله بن عدائظاهر (ت ٦٩٢ هـ) مجموعة سماها . الدر النظيم من ترسل عبدالرحيم (١٣٠٢) . وكذلك فعل مثل ذلك جمال الدين بن نباتة المصري (ت ٧١٨ هـ) وسقى مجموعته . الفاضل من كلام الفاضل (١٣٠١) .

٣ - التجددات : وهي مذكرات يروي فيها حوادث زمنه في أيام صلاح الدين الأيوبي وبعده مؤرخة . وقد نقل منها المقرئى كثيراً في كتابه (١٣٠١) .

(١٩٦٤) قال ابن الساجى : كان له خزائن تحتوي على ثلاثين ألف مجلد (الجامع المقصير ص ٦٨) وقال أبو فامة القدسي ، وأكثر أهل مصر يذكرون أن كتبه التي جمعها مقدار ستة آلاف مجلد (الروضتين ١٢ : ٢٤٤)

(١٩٦٩) غلط المقرئى ٥ : ١٧٧

(١٩٦٠) الروضتين ٢ : ٢٤١

(١٩٥١) كنظر مقدمة ديوانه المطبوع

(١٩٥٦) مرآة الزمان ٨ : ١٧٣

(١٩٥٢) توجد نسخة مخطوطة منها في مكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٢٤٣٧ . ومصورة بهار الكتب المصرية رقم ٢٩٩٥ أدب .

(١٩٥٤) مخطوطته في مكتبة الأزهر رقم ٤٦٩ أهاظة - ٧١٦ - أدب . ودار الكتب المصرية رقم ٢٨٨٩ أدب

(١٩٥٤) تجد نساختها في غلط المقرئى ١٦ : ٩٧ ، ١٢٩ : ١٦١ ، ١٦٦ : ١٧٣ ، و ٩ : ٩٢ ، ٢٥١ : ٢٩٤

٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢ : ٦ ، ٣٧ : ١٧٤ ، ٩٠ : ٢٩١ .

بلغ التصنيع . والتألق البياني . والصنع البديعي . مبلغاً عظيماً في القرن السادس للهجرة . وقد ظهر تأثير ذلك في كل العصور التالية . ومما لا ريب فيه انه كان للفاضل الفضل يد طولى في هذه الحركة حتى عُذ شيخ الصناعة الكتابية . وحتى صاروا يقولون الطريقة الفاضلية (١٠١١) قال ابن حجة العموي . « ولعمري انّ الانشاء الذي صدر في الايام الاموية والايام العباسية نُسب وأُلقي بإنشاء الفضل . وما اخترعه من النكت الادبية . والمعاني المخترعة . والأنواع البديعية . والذي يؤيد قولنا قول العماد الكاتب في الخريدة . انه في صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع (١٠١٠) وكان التويري معجباً بطريقته في الكتابة ايما اعجاب . اد قال فيه . « اليه انتهت صناعة الانشاء ووقفت . وبفضله أقرت ابتداء البيان واعترفت . ومن بحر علمه رويت ذوا الفضائل واعترفت . وأمام فضله ألفت الملاحة عصاه . وبين يديه استقرت بها نواها . فهو كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره . وناسخ ألوية الفضل في مصره وغير مصره . ورافع علم البيان لا محالة . والفاضل بغير اطالة (١٠١٠) وقد بالغ البكي حين رفعه الى درجة عالية جداً في قوله . « أجمع اهل الادب على ان الله تعالى لم يخلق في صناعة الترميل من بعده مثله . ولا من قبله بأكثر من مئتي عام . وربما زادوا . وهو ينهم كاشافعي وابي حنيفة بين الفقهاء . بل هم له أخضع . لأن اصحاب الامامين قد يتنازعون في الأرجحية فكأن يدعي الأرجحية امامه . واما هذا فلا تنازع بين اهل صناعته فيه . (١٠١١) وقد ذهب الزنبات عكس ماذهب اليه القدامى . فقال . « استحدث طريقة جديدة بناها على اصول طريقة ابن العميد . ومازاها بالاغراق في التورية والحناس . حتى أصبحت الكتابة في عهده طلاء خذاً من زخرف اللفظ . على هيكل باني من المعنى السقيم . ثم بعثت هذه الطريقة المقيمة العيون الكليّة . والقرائح الناضية . فافتداهما ببناء المصنعة من أبناء الكتاب وورطوا أنفسهم فيما لاغناه فيه ولا رجع منه (١٠١١) لقد كان الذوق العام في العصر العباسي الأخير وما تلاه يقوم - في الغالب - على الاحادة في استخدام ألوان البديع وقد بلغ فيها الفاضل

(١٠١٠) ينظر . تطور الاصاليف الشعرية في الادب العربي ص ٢٢٩ .

(١٠١١) شرات الاوراق ص ١٢٢ . وينظر الخريدة . ص ٢٥٠ .

(١٠١٢) نهاية الادب ص ١٠٨ .

(١٠١٣) طبقات المصنفين ص ٧٠٧ .

(١٠١٤) تاريخ الادب العربي ص ١٢٢ .

الفاضل القزوة . ولا غرو اذا تحدث الشعراء بهذه الاجادة . منهم سبط ابن
التعاويذي . يقول في وصف رسائله : (٣٧١)

يسر في الافاق اباؤها	كأنها الليل اذا يسري
نزحو على الاصداف ادراجها	لأنها اوعى الدُر
فأرئىها ينظر في روضة	موشية الاقطار بالزهر
كانه فضّ وقد فضّها	لطائم العطر على العطر
تحدث في أعطافه نشوة	كأنها جات على خمر

أسس القاضي الفاضل طريقته على طريقة ابن العميد . التي تلتزم السجع
والطباق . وتوسع في المعاني الخيالية . إلا أن سجعهم يمتاز بالطول . ويزيد على
ذلك انه يكثر من استعمال فنون البديع الاخرى المستعملة في الشعر . من
تورية (١٣٣١) وجناس . وتلميح . واستخدام . وتوجيه . ومراعاة نظير . واقتباس
آيات من القرآن . وكثيراً ما استعان بأيات من الكتاب في كثير من رسائله . (٣٧٢)
وصنعها الأمثال . ومأثور الأقوال . ومصطلحات العلوم . وحل آيات الحكمة . وبالح
في صنع النوان البيان . حتى ازدحمت رسائله بالكفاين البلاغة . (٣٧٣) ومما يدل على
طول باع الفاضل وغزارة مادته انه لم يكن يكرر في رسائله ماسقاً ان استعمله . فما
كرر دعاء ذكره في مكائبه . ولا ردّد لفظاً في مخاطبته . بل تأتي فضوله مبتكرة
مبتدعة (٣٧٤) وللقوف على طبيعة كتابته نأخذ جزءاً من رسالة كتبها عن السلطان
صلاح الدين الى الخليفة المستضيء بأمر الله ببغداد يبشره فيها بفتح بلد من بلاد
التوبة والنصرة عليها . « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي

(٣٧١) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ١٩٤ .

(٣٧٢) قاله ابن حجة ، ان الفاضل هو الذي عصر سلافة التنوير لأهل عصره . وقدم على
المتقدمين بها أروع منها في نظمهم ونثره . لانه رحمه الله تعالى كلف بعد طول
التحسب سحر حجابها . وألزل الناس بعد تمهيدها بمساحلتها ورحابها (خزنة الأدب
ص ٣٤١) .

(٣٧٣) ينظر ، مرآة الزمان ٨ ، ٤٧٢ . أدب الحروب الصليبية ص ٥٤١ .

(٣٧٤) ينظر ، المعجم الادبي في عصر الحروب الصليبية بمصر والقاه ص ٢٤٩ .

(٣٧٥) الروضتين ٢ ، ٢٤٩ .

الصالحون (١٣٣١) سلاماً قولاً من رب رحيم (١٣٣١) فردخ وريبعان وجنة نعيم (١٣٣١)
 وصلاة ينعمها تسليم . وكأش يمزجها تسنيم . وذكر من الله سبحانه في اللأ الاعلى .
 ورحمة الله وبركاته معلومة من النشأة الاولى على مولانا الامام المستضيء بالله .
 المستضاء بأنواره . المستضاف بداره . النامي الى الحق والى طريق مستقيم . الراعى
 للخلق كما يرعى النسيم النسيم . التام عدله . المطروق مودة فتائه . الصدوق في مورد
 ثنائه المحقوق من كل ولي بولائه . ابن السادة العز . والقادة الزهر . والقادة
 الحسن . والسادة للحق على الامس . سقاء الكوثر وزمزم والسحاب . وولاية الموسم
 والموقف والكتاب . والموصول الاسباب يوم اذا نفخ في الصور فلا اسباب . والصابرون
 على حساب انفسهم فهم الذين يؤتون اجرهم بغير حساب . (١٣٣١)

ومن رسائله الاخوانية قوله من رسالة الى صديق يتشوق اليه . « نسال الله ان
 يمن بقرينه ورحاب الآمال ضائع . وركاب الهوم طلائع . والرمز المناظر بالقرب
 صالح . هنالك تطلق أمتة الآمال الحواس . ويهتر مخضراً من السعود عود
 يايس .

وما أنا من أن يجمع الله شملنا بأحسن ما كنا عليه يايس
 وقد كان الواجب تقديم عليه . على تأخير كتبه . ولكنه يخاف ان يجني دنبا
 عظيماً . ويؤلم قلباً كريماً .

ولست براض من خليل بنائيل قلسيل . ولا راض به بتفليل
 وحاشا جلاله من الاحلال بعهود الوفاء . ومن انحلال عقود الصفاء . وما عهدت
 عرمة القوي في حلبة الشوق الأ من الضعفاء . وحاشية حلقه الأ أرق من مدام غرماء
 الجفاء .

من لم يث والين بصدق قلبه لم يدر كيف تغفل الاحشاة^(١٣٣١)

(١٣٣٦) سورة الانبياء . الآية ١٠٥ .

(١٣٣٧) سورة يس . الآية ٤٨ .

(١٣٣٨) سورة الواقعة . الآية ٨٩ .

(١٣٣٩) صحيح الاصفى ٦ . ٥٠٦ .

(١٣٤٠) القاضي الفاضل . دراسة وفوائد ص ١٢٨ .

عماد الدين الاصبهاني الكاتب

٥١١ - ٥٩٧ هـ

شهدت مصر والشام في القرن السادس للهجرة صراعاً دامياً مع عدو غاشم استأثر باجزاء عزيزة من ديار المسلمين ولا سيما القدس الشريف . وقد هب الله لمقاومة هذا العدو اللدود أبطالاً شاهقين عظام . ورجالاً مجاهدين كرام . من أبرزهم نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي . وكان هذان الثقتان العظيمتان عنوانين لذلك العصر في العلم والثقوى والسياسة العادلة وتديير الملك واتجاهه في سبيل الله والسعي في تحرير الوطن من المغيرين . ومن كان مثلهما في سمو الذات وجلال الصفات . كان خليقاً بأن يختار رجاله من طراز (العماد) في الكفايات . ومقياس غتول الرجال والدول اختيارها أعوانها . (١) .

لقد كان عماد الدين . الكاتب الأمين للدولتين النورية والصلاحية . وسينين دوره في ظل هاتين الدولتين . وطبيعة كتاباته في تسجيل الاحداث الكبيرة في رسائل وكتب تعد من اصدق الوثائق عن الحروب مع الفرنج .

سيرته :

هو ابو عبدالله محمد بن صفى الدين ابى الفرج محمد بن نفيس الدين ابى الرجا حاتم . المشهور بالعماد الاصبهاني (٢) . ولد باصبهان سنة ٥١٩ للهجرة . ونشأ بها . وتعلم مبادئ اللغة العربية وآدابها . وقدم بغداد مع ابيه . ثم دخل المدرسة « النظامية » . وانتظم في سلك تلامذتها . لينتدب من متاهل اساتذتها . وحينما تفتحت اكنام غرره . وتوسعت دائرة معارفه . بدأ في ارياد المحافل العلمية . والمجالس الادبية . ومواجهة ارباب السيف والقلم . واول محفل حضره . وجاذب الحديث فيه . كان في مدينة الموصل . حين رارها - وهو في ايهاب الشباب - ومدح وزيرها يانكروم والسقاء جمال الدين ابا جعفر محمد بن على الاصبهاني . وصرح

(١) كاتب الدولتين النورية والصلاحية ص ٢٦ بحث للاستاذ محمد بهية الأثرى . مجلة

التصحيح العلمي العراقي . الجزء الاول - المجلد الرابع لسنة ١٩٥٩)

(٢) مهم الامباء ١٧ : ٨٦ . التاج المقتصر ص ٩١ . وفيات الاحياء ٢ : ٥٧ . الوفاي

بالوفيات ١ : ١٢٢ . طبقات القاضية للسبكى ٢ : ٩٧ .

بذلك : قال : . وكنت أنا في ذلك العهد ببغداد متنفهاً ، واتفق حضوري بالموصل سنة اثنين وأربعين وخمس مئة . فحضرت عند جمال الدين بالجامع في جمعتين . وتكلمت عنده مع الفقهاء في مائتين ، ومما مدحته به قصيدته وذلك من أول نظمى - أولها .

أظنهم - وقد عزموا ارتحالاً ثلوا عنا كحلالاً لا جلالاً (١٣٧١)

ثم عاد إلى بغداد . ومنها إلى أصفهان . قال : . ودخلت أصفهان في سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة في ربي العلماء ، وحضرت المحافل في مناظرة الفضلاء . ومناظرة الكبراء . ولقيت بها مشايخ اترعت حوض النهر من الفهم من بحرهم . واشتسقيت روض الفضل من قطره (١٣٧١)

وبعد مكوثه مدة قصيرة سافر إلى الحجاز ، وادى منابك الحج ، وعاد إلى أصفهان فاحد يستكمل مسيرته العلمية وفي سنة ٥١٩ للهجرة غادرها إلى غير رجعة . واستقر في بغداد . وبدأ صعوده في سلم المجد والرفعة شاعراً وكاتباً له مكانته السامية ومنزلته العالية

تولى نيابة واسط والبصرة في وزارة عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة . ولكنه هوى من منصبه اثر وفاة الوزير المذكور . وصدرت اوامر الخليفة المستجد بالله باعتقاله . فبعث من سجنه إلى عماد الدين بن الوزير محمد بن محمد . وكان حينئذ أستاذ الدار - (١٣٨١) قصيدة طويلة (١٣٨١) يطلب فيها أن يشفع له عند الخليفة في فك وثاقه وإطلاق سراحه . وتحقق ما أراد . فاقام في بغداد مدة - كما يقول ابن خلكان - في عيسى منكدر . وجفن شهيداً (١٣٨١) . ولما ضاقت به الحال . وحسب أن يقع في مذلة السؤال . قرأ أن يشد الرحال صوب دمشق

وصل بغداد إلى دمشق في شعبان سنة ٥١٩ للهجرة . وسلطان الشام يومئذ الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي . فانزله قاصبه كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبدالله الشهرزوري بالدرسة النورية ، التي سميت فيما بعد

(١٣٧١) تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٩٩ . ونظر ديوان حماد الدين الاصمهاني ص ٢٢٢

(١٣٧٩) المزهدة . قسم المعجم . ص ٢٥٨

(١٣٧٤) اسفاد الدار . هو متولي الاخوة وقبيل المال (سراج الاعشى ص ٥٢٢) .

(١٣٧٩) نظر ديوان حماد الدين الاصمهاني ص ٢٦

(١٣٧٧) وليات الايمان ص ١٥٨

بالمدرسة ، العمادية ، سةاليه . وقربه من نور الدين ، وعرفه به . ومع
قصيدته المدحبة التي يقول في مطلعها (١٣٥١)

لو حفظت يوم النوى عهودها عامظت بوصلكم وعودها

ونال اكرام نور الدين . وعين في دولته منشأ الى جانب التدريس بالمدرسة التي
نزل فيها . ثم اصبح مشرفاً على ديوان الانشاء مضافاً الى كتابة الانشاء .

عاش العماد في سعة من العيش ورغده . ولما توفي نور الدين سنة ٦٢٩ للهجرة .
خبا نجمه . وبدأ حادده يصابقونه . قال . . . ولما توفي نور الدين . احتل امري .
واعتل سري . وفاض دمعى . وغاض بحري . وعلت حسادي . وبلغ مرادهم
اضدادي (١٣٨١) .

واثر العماد السلامة . فقرر مبارحة دمشق الى بغداد . فأخذ السير . وحينما بلغ
الموصل داهمه المرض . فاضطر ان يمكث فيها ثلاثة اشهر . قال . . . اقمنا بالموصل
ثلاثة اشهر ملازمين البيت . انتظر فرجاً . وأرتقب لقصد العرق منهجاً (١٣٨١) . وفي
اثناء ذلك جاءه البشير بسيطرة صلاح الدين على مقاليد الحكم . وكان قد تعرف
عليه حينما كان يصل في الدولة النورية . كما له سابق معرفة بآبيه نجم الدين
ايوب من تكرهت . ففكر راجعاً الى الشام . والامل بعوده في ان ينال مقاماً محموداً
عنده . ويغيظ حامديه الذين حاربوه ونقصوا حياته .

لقد تحقق حلمه . ونال مبتغاه . اذ استطاع ان يلتقي بالسلطان صلاح الدين في
مدينة حمص . وان ينشده قصيدته التي يقول في اولها (١٣٨١)

لجيران . جيرون . مالي مجير سوى عطفكم . فاعدلوا او فجوروا

واصبح في المولة الايوبية كاتباً للمسر . ومسؤولاً عن ديوان الاستيفاء . وصحب
صلاح الدين . وشهد اغلب الوقائع الحربية معه . وكتب كثيراً من الرسائل على
لسانه . وتغنى شعراً بمناقبه وبطلوانه .

(١٣٧٨) ديوان حماد الدين الاسدي ص ١٤٢

(١٣٧٩) سنا البرق الناصي ١٠٩ . ٦

(١٣٨٠) الغرر ٨٨ ، بداية شعراء النمام . ص ٢٢

(١٣٨١) الديوان ص ١٨٤

وبعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ للهجرة ضعفت مكانة العماد . وقلّت عيشة بين العماد . قال ابن خلكان : « لم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته . إلى أن توفي السلطان صلاح الدين . رحمه الله . فاخذلت أحواله . وتعمّلت أوصاله . ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً . فلازم بيته . وأقبل على الاشتغال بالتصنيف » (١٣٨١) .

واشتمل العماد بالكثابة في دولة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين . ولكن سرعان ما طلب الاستعفاء . وانصرف إلى التصنيف والتدريس والاقادة حتى وافته منيته بمدينةق يوم الاثنين مستهل شهر رمضان سنة ٥٩٧ للهجرة وهو في الثامنة والسبعين من العمر .

مصنفاته :

كان العماد طالب علم ومعرفة طوال حياته . يقرأ . ويدرس . ويؤلف . إلى جانب اشتغاله في مراكز الدولة المهمة . وكانت له قدرة كبيرة على الحفظ . قيل ، أنه كان يحفظ شعر البحثري . ودراوين العرب المشهورة (١٣٨١) . ومصنفاته كثيرة وسأذكر ما وصل إلينا منها . وهي -

١ - خريدة القصر وجريدة العصور (١٣٨١) .

٢ - الفتح القسي في الفتح القديسي (١٣٨٥) .

٣ - نصرة الأئمة وعصرة الفطرة (١٣٨٧) .

٤ - البرق الشامي (١٣٨٧) .

(١٢٨٩) وفیات الأعيان ٥ ، ١٥٢

(١٢٨٩) مرآة الزمان ٦ ، ٣٥

(١٢٨٤) وصل إلينا هذا الكتاب كاملاً ، وهو القام . طبع منه قسم غمراء مصر ، وغمراء

الهام ، وغمراء العراق ، وغمراء المغرب .

(١٢٨٤) طبع مرات في أوديا والبلاد العربية .

(١٢٨٩) منه نسخة في مكتبة يودليان بأكسفورد رقم ٦٦٩ وأخرى في المكتبة الوطنية ببهارسي

رقم ٦١٤٥ . نفسه الفتح بن علي التيماري سنة ٦٦٢ هـ ووصل إلينا . وله عدة طبعات

في أوديا والقاهرة وبيروت بضموان ٤ زبدة التيمرة ونخبة السرة ٥ أو بضموان

« تاريخ دولة آل سلجوق » .

(١٢٨٧) وهو في نسخة مجذبات ، وصل إلينا منه الجزءان الثالث والخامس . وهذا في مكتبة

يودليان بأكسفورد رقم ١١ ، ٤٢٥ (في مكتبة نسخة مصورة منها)

٥ - البيان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (١٢٨٨)

٦ - ديوان شعره (١٢٨٩)

٧ - رسائل متناثرة في الكتب التاريخية مثل: البرق الشامي . والفتح القسي .
والروضتين . ومفرج الكرب في أخبار بني أبوب ..

فنه الكتابي :

عاش العماد مع القراطيس والقلم . مفرماً بهما . وفيأ لهما . الى أن لدرسته
الحية . وترك ثرائاً ضخماً تجاوز خمسة وأربعين مجلداً (١٢٨٠) . وقد بدأ لنا من
قراءة آثاره الباقية أنه كان حياً الى الاطالة والاستقصاء . والشرح والتفصيل .
وتقلب المعنى على أوجهه المختلفة . واستدعت منه الاطالة الى ايراد أكبر عدد
من الأمثلة في الموضوع الواحد . وهي لاتتأني إلا لمن عرك اللغة . وميز
أعوارها . وخبر أسرارها . ودفعه الافراط في الاسترسال والتوسع الى العشو
والتكوار . واثان المترادفات . والشتات ذات الأصل الواحد . والأمثلة النادرة .
" فاقبل على قرائه . وشق عليهم في متابعة كلامه المطب الذي يوجب عليه أن
يقص في الكلام على حسب مائتصيه طبيعة الحوادث والأخبار ليكون أقرب
الى التاريخ منه الى الانشاء " (١٢٨٠)

إن كتاباته قائمة على الجمع . والمجانسة . والمساكلة . والتطبيق . والترصيع .
والموازنة . والتعقيد . وقلنا نجد في اللغة العربية كتاباً في التاريخ يعتمد على
الحسنات اللفظية والمعنوية مثل كتاب العماد . الفتح القسي في الفتح القدسي . أو
كتابه . البرق الشامي . أو مقدمات تراجمه للشعراء والكتاب في كتابه . خريدة
الفصل وجريدة العصر .

كان العماد معجباً أيضاً بإعجاب بالقاضي العاضل زعيم الصنعة في القرن السادس
للهجرة . اسمع مايقوله في رسالة بعث بها اليه يشكره فيها على اهدائه له سبع
مجلدات من أشعار أهل المغرب . " وأنا مويد رسالة جاسعة مائة . قد وقفتها حقها

(١٢٨٨) نسخة منه في مكتبة أحمد الفاطم ياسقالمبول رقم ٢٩٤٩

(١٢٨٩) أصل الديوان مفقود . والمطبوع من سمني . جمعت مائة من كتب كثيرة مخطوطة
ومطبوعة .

(١٢٩٠) مقدمة كتاب سنا الميرك القاسمي ١٥٠١

(١٢٩١) الأوب في ظل الدولة المملوكية ص ٩٤٥ .

من التجنيس . والتطيق . والترصع . والمقابلة . والموازنة . والتوشيح (١٣٠٠) . وانظر الى ولعه بالصنعة في الآيات الإثنية قالها حينما كان مع القاضي الفاضل في موكب السلطان صلاح الدين الأيوبي . وقد انتشر القبار بكثرة من سنامك خيول الفرسان (١٣٠١) .

أما السفيان فرائضة
والسجود منه مظللة
يأهز لي عبد الرحيم
مما انارت في السنانك
لكن انار به السنانك
حم فلت أخشى من نايك

إن الصنعة التي تكاد الذهن وتتعب الفكر قد سادت في أسلوب العماد . مثل قوله في الرسالة الإثنية التي كتبها الى القاضي الفاضل عندما حج سنة ٥٧١ للهجرة . طوبى للججر والخجون من ذي الحجر والحجا . منيل الجنا . ومنير الدجى . ولندي الكعبة من كعبة الندى . وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى والمقام الكريم من مقام الكريم . ومن حاطم فطار القفر لثطيم . ومنى يؤي هوم في الحرم . وحاتم ماتح زمزم . ومنى ركب البحر البحر . وسلك البر البر . لقد عاد قس الى عكاظه . وعاد قيس لعفاظه . وبأ عجا لكعبة يفصدها كعبة الفضل والافضال . ولقيلة يستقبلها قبلة القبول والاقبال واللام (١٣٠٢) . إن هذا الاغراق في الصنعة كان محبباً عند العماد . ولا عجب حين يقول متعباً على أبيات فيها جناس . ، وأنا استحلي هذا النوع من التجنيس . واستمذه . ويحب زلال الماء قلبي في الرقة والصفاء فيشرية ويشترية (١٣٠٣) . ولكي يكون القاري على بينة أكثر من إنشاء العماد ، أخذ جزءاً من الخطاب الذي كتبه عن صلاح الدين الى الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ينشئه بفتح القدس سنة ٥٨٣ للهجرة . (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (١٣٠٤) الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد . على نصرته لهذا الدين العتيق من قبل ومن بعد . وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما لتتمل على شهما كرام الصحائف . ولم يُعادل على مثلها في المواقف . في الايام الامامية الناصرية زادها الله غرراً وأوضاحاً . ووال البائس فيها بالفتوح غنواً ورواحاً . وممكن

(١٣٠٢) (المرجعة . قسم مصر . ١٠٩٩ .

(١٣٠٣) (١٣٠٤) (١٣٠٥) (١٣٠٦) (١٣٠٧) (١٣٠٨) (١٣٠٩) (١٣١٠) (١٣١١) (١٣١٢) (١٣١٣) (١٣١٤) (١٣١٥) (١٣١٦) (١٣١٧) (١٣١٨) (١٣١٩) (١٣٢٠) (١٣٢١) (١٣٢٢) (١٣٢٣) (١٣٢٤) (١٣٢٥) (١٣٢٦) (١٣٢٧) (١٣٢٨) (١٣٢٩) (١٣٣٠) (١٣٣١) (١٣٣٢) (١٣٣٣) (١٣٣٤) (١٣٣٥) (١٣٣٦) (١٣٣٧) (١٣٣٨) (١٣٣٩) (١٣٤٠) (١٣٤١) (١٣٤٢) (١٣٤٣) (١٣٤٤) (١٣٤٥) (١٣٤٦) (١٣٤٧) (١٣٤٨) (١٣٤٩) (١٣٥٠) (١٣٥١) (١٣٥٢) (١٣٥٣) (١٣٥٤) (١٣٥٥) (١٣٥٦) (١٣٥٧) (١٣٥٨) (١٣٥٩) (١٣٦٠) (١٣٦١) (١٣٦٢) (١٣٦٣) (١٣٦٤) (١٣٦٥) (١٣٦٦) (١٣٦٧) (١٣٦٨) (١٣٦٩) (١٣٧٠) (١٣٧١) (١٣٧٢) (١٣٧٣) (١٣٧٤) (١٣٧٥) (١٣٧٦) (١٣٧٧) (١٣٧٨) (١٣٧٩) (١٣٨٠) (١٣٨١) (١٣٨٢) (١٣٨٣) (١٣٨٤) (١٣٨٥) (١٣٨٦) (١٣٨٧) (١٣٨٨) (١٣٨٩) (١٣٩٠) (١٣٩١) (١٣٩٢) (١٣٩٣) (١٣٩٤) (١٣٩٥) (١٣٩٦) (١٣٩٧) (١٣٩٨) (١٣٩٩) (١٤٠٠) (١٤٠١) (١٤٠٢) (١٤٠٣) (١٤٠٤) (١٤٠٥) (١٤٠٦) (١٤٠٧) (١٤٠٨) (١٤٠٩) (١٤١٠) (١٤١١) (١٤١٢) (١٤١٣) (١٤١٤) (١٤١٥) (١٤١٦) (١٤١٧) (١٤١٨) (١٤١٩) (١٤٢٠) (١٤٢١) (١٤٢٢) (١٤٢٣) (١٤٢٤) (١٤٢٥) (١٤٢٦) (١٤٢٧) (١٤٢٨) (١٤٢٩) (١٤٣٠) (١٤٣١) (١٤٣٢) (١٤٣٣) (١٤٣٤) (١٤٣٥) (١٤٣٦) (١٤٣٧) (١٤٣٨) (١٤٣٩) (١٤٤٠) (١٤٤١) (١٤٤٢) (١٤٤٣) (١٤٤٤) (١٤٤٥) (١٤٤٦) (١٤٤٧) (١٤٤٨) (١٤٤٩) (١٤٥٠) (١٤٥١) (١٤٥٢) (١٤٥٣) (١٤٥٤) (١٤٥٥) (١٤٥٦) (١٤٥٧) (١٤٥٨) (١٤٥٩) (١٤٦٠) (١٤٦١) (١٤٦٢) (١٤٦٣) (١٤٦٤) (١٤٦٥) (١٤٦٦) (١٤٦٧) (١٤٦٨) (١٤٦٩) (١٤٧٠) (١٤٧١) (١٤٧٢) (١٤٧٣) (١٤٧٤) (١٤٧٥) (١٤٧٦) (١٤٧٧) (١٤٧٨) (١٤٧٩) (١٤٨٠) (١٤٨١) (١٤٨٢) (١٤٨٣) (١٤٨٤) (١٤٨٥) (١٤٨٦) (١٤٨٧) (١٤٨٨) (١٤٨٩) (١٤٩٠) (١٤٩١) (١٤٩٢) (١٤٩٣) (١٤٩٤) (١٤٩٥) (١٤٩٦) (١٤٩٧) (١٤٩٨) (١٤٩٩) (١٥٠٠) (١٥٠١) (١٥٠٢) (١٥٠٣) (١٥٠٤) (١٥٠٥) (١٥٠٦) (١٥٠٧) (١٥٠٨) (١٥٠٩) (١٥١٠) (١٥١١) (١٥١٢) (١٥١٣) (١٥١٤) (١٥١٥) (١٥١٦) (١٥١٧) (١٥١٨) (١٥١٩) (١٥٢٠) (١٥٢١) (١٥٢٢) (١٥٢٣) (١٥٢٤) (١٥٢٥) (١٥٢٦) (١٥٢٧) (١٥٢٨) (١٥٢٩) (١٥٣٠) (١٥٣١) (١٥٣٢) (١٥٣٣) (١٥٣٤) (١٥٣٥) (١٥٣٦) (١٥٣٧) (١٥٣٨) (١٥٣٩) (١٥٤٠) (١٥٤١) (١٥٤٢) (١٥٤٣) (١٥٤٤) (١٥٤٥) (١٥٤٦) (١٥٤٧) (١٥٤٨) (١٥٤٩) (١٥٥٠) (١٥٥١) (١٥٥٢) (١٥٥٣) (١٥٥٤) (١٥٥٥) (١٥٥٦) (١٥٥٧) (١٥٥٨) (١٥٥٩) (١٥٦٠) (١٥٦١) (١٥٦٢) (١٥٦٣) (١٥٦٤) (١٥٦٥) (١٥٦٦) (١٥٦٧) (١٥٦٨) (١٥٦٩) (١٥٧٠) (١٥٧١) (١٥٧٢) (١٥٧٣) (١٥٧٤) (١٥٧٥) (١٥٧٦) (١٥٧٧) (١٥٧٨) (١٥٧٩) (١٥٨٠) (١٥٨١) (١٥٨٢) (١٥٨٣) (١٥٨٤) (١٥٨٥) (١٥٨٦) (١٥٨٧) (١٥٨٨) (١٥٨٩) (١٥٩٠) (١٥٩١) (١٥٩٢) (١٥٩٣) (١٥٩٤) (١٥٩٥) (١٥٩٦) (١٥٩٧) (١٥٩٨) (١٥٩٩) (١٦٠٠) (١٦٠١) (١٦٠٢) (١٦٠٣) (١٦٠٤) (١٦٠٥) (١٦٠٦) (١٦٠٧) (١٦٠٨) (١٦٠٩) (١٦١٠) (١٦١١) (١٦١٢) (١٦١٣) (١٦١٤) (١٦١٥) (١٦١٦) (١٦١٧) (١٦١٨) (١٦١٩) (١٦٢٠) (١٦٢١) (١٦٢٢) (١٦٢٣) (١٦٢٤) (١٦٢٥) (١٦٢٦) (١٦٢٧) (١٦٢٨) (١٦٢٩) (١٦٣٠) (١٦٣١) (١٦٣٢) (١٦٣٣) (١٦٣٤) (١٦٣٥) (١٦٣٦) (١٦٣٧) (١٦٣٨) (١٦٣٩) (١٦٤٠) (١٦٤١) (١٦٤٢) (١٦٤٣) (١٦٤٤) (١٦٤٥) (١٦٤٦) (١٦٤٧) (١٦٤٨) (١٦٤٩) (١٦٥٠) (١٦٥١) (١٦٥٢) (١٦٥٣) (١٦٥٤) (١٦٥٥) (١٦٥٦) (١٦٥٧) (١٦٥٨) (١٦٥٩) (١٦٦٠) (١٦٦١) (١٦٦٢) (١٦٦٣) (١٦٦٤) (١٦٦٥) (١٦٦٦) (١٦٦٧) (١٦٦٨) (١٦٦٩) (١٦٧٠) (١٦٧١) (١٦٧٢) (١٦٧٣) (١٦٧٤) (١٦٧٥) (١٦٧٦) (١٦٧٧) (١٦٧٨) (١٦٧٩) (١٦٨٠) (١٦٨١) (١٦٨٢) (١٦٨٣) (١٦٨٤) (١٦٨٥) (١٦٨٦) (١٦٨٧) (١٦٨٨) (١٦٨٩) (١٦٩٠) (١٦٩١) (١٦٩٢) (١٦٩٣) (١٦٩٤) (١٦٩٥) (١٦٩٦) (١٦٩٧) (١٦٩٨) (١٦٩٩) (١٧٠٠) (١٧٠١) (١٧٠٢) (١٧٠٣) (١٧٠٤) (١٧٠٥) (١٧٠٦) (١٧٠٧) (١٧٠٨) (١٧٠٩) (١٧١٠) (١٧١١) (١٧١٢) (١٧١٣) (١٧١٤) (١٧١٥) (١٧١٦) (١٧١٧) (١٧١٨) (١٧١٩) (١٧٢٠) (١٧٢١) (١٧٢٢) (١٧٢٣) (١٧٢٤) (١٧٢٥) (١٧٢٦) (١٧٢٧) (١٧٢٨) (١٧٢٩) (١٧٣٠) (١٧٣١) (١٧٣٢) (١٧٣٣) (١٧٣٤) (١٧٣٥) (١٧٣٦) (١٧٣٧) (١٧٣٨) (١٧٣٩) (١٧٤٠) (١٧٤١) (١٧٤٢) (١٧٤٣) (١٧٤٤) (١٧٤٥) (١٧٤٦) (١٧٤٧) (١٧٤٨) (١٧٤٩) (١٧٥٠) (١٧٥١) (١٧٥٢) (١٧٥٣) (١٧٥٤) (١٧٥٥) (١٧٥٦) (١٧٥٧) (١٧٥٨) (١٧٥٩) (١٧٦٠) (١٧٦١) (١٧٦٢) (١٧٦٣) (١٧٦٤) (١٧٦٥) (١٧٦٦) (١٧٦٧) (١٧٦٨) (١٧٦٩) (١٧٧٠) (١٧٧١) (١٧٧٢) (١٧٧٣) (١٧٧٤) (١٧٧٥) (١٧٧٦) (١٧٧٧) (١٧٧٨) (١٧٧٩) (١٧٨٠) (١٧٨١) (١٧٨٢) (١٧٨٣) (١٧٨٤) (١٧٨٥) (١٧٨٦) (١٧٨٧) (١٧٨٨) (١٧٨٩) (١٧٩٠) (١٧٩١) (١٧٩٢) (١٧٩٣) (١٧٩٤) (١٧٩٥) (١٧٩٦) (١٧٩٧) (١٧٩٨) (١٧٩٩) (١٨٠٠) (١٨٠١) (١٨٠٢) (١٨٠٣) (١٨٠٤) (١٨٠٥) (١٨٠٦) (١٨٠٧) (١٨٠٨) (١٨٠٩) (١٨١٠) (١٨١١) (١٨١٢) (١٨١٣) (١٨١٤) (١٨١٥) (١٨١٦) (١٨١٧) (١٨١٨) (١٨١٩) (١٨٢٠) (١٨٢١) (١٨٢٢) (١٨٢٣) (١٨٢٤) (١٨٢٥) (١٨٢٦) (١٨٢٧) (١٨٢٨) (١٨٢٩) (١٨٣٠) (١٨٣١) (١٨٣٢) (١٨٣٣) (١٨٣٤) (١٨٣٥) (١٨٣٦) (١٨٣٧) (١٨٣٨) (١٨٣٩) (١٨٤٠) (١٨٤١) (١٨٤٢) (١٨٤٣) (١٨٤٤) (١٨٤٥) (١٨٤٦) (١٨٤٧) (١٨٤٨) (١٨٤٩) (١٨٥٠) (١٨٥١) (١٨٥٢) (١٨٥٣) (١٨٥٤) (١٨٥٥) (١٨٥٦) (١٨٥٧) (١٨٥٨) (١٨٥٩) (١٨٦٠) (١٨٦١) (١٨٦٢) (١٨٦٣) (١٨٦٤) (١٨٦٥) (١٨٦٦) (١٨٦٧) (١٨٦٨) (١٨٦٩) (١٨٧٠) (١٨٧١) (١٨٧٢) (١٨٧٣) (١٨٧٤) (١٨٧٥) (١٨٧٦) (١٨٧٧) (١٨٧٨) (١٨٧٩) (١٨٨٠) (١٨٨١) (١٨٨٢) (١٨٨٣) (١٨٨٤) (١٨٨٥) (١٨٨٦) (١٨٨٧) (١٨٨٨) (١٨٨٩) (١٨٩٠) (١٨٩١) (١٨٩٢) (١٨٩٣) (١٨٩٤) (١٨٩٥) (١٨٩٦) (١٨٩٧) (١٨٩٨) (١٨٩٩) (١٩٠٠) (١٩٠١) (١٩٠٢) (١٩٠٣) (١٩٠٤) (١٩٠٥) (١٩٠٦) (١٩٠٧) (١٩٠٨) (١٩٠٩) (١٩١٠) (١٩١١) (١٩١٢) (١٩١٣) (١٩١٤) (١٩١٥) (١٩١٦) (١٩١٧) (١٩١٨) (١٩١٩) (١٩٢٠) (١٩٢١) (١٩٢٢) (١٩٢٣) (١٩٢٤) (١٩٢٥) (١٩٢٦) (١٩٢٧) (١٩٢٨) (١٩٢٩) (١٩٣٠) (١٩٣١) (١٩٣٢) (١٩٣٣) (١٩٣٤) (١٩٣٥) (١٩٣٦) (١٩٣٧) (١٩٣٨) (١٩٣٩) (١٩٤٠) (١٩٤١) (١٩٤٢) (١٩٤٣) (١٩٤٤) (١٩٤٥) (١٩٤٦) (١٩٤٧) (١٩٤٨) (١٩٤٩) (١٩٥٠) (١٩٥١) (١٩٥٢) (١٩٥٣) (١٩٥٤) (١٩٥٥) (١٩٥٦) (١٩٥٧) (١٩٥٨) (١٩٥٩) (١٩٦٠) (١٩٦١) (١٩٦٢) (١٩٦٣) (١٩٦٤) (١٩٦٥) (١٩٦٦) (١٩٦٧) (١٩٦٨) (١٩٦٩) (١٩٧٠) (١٩٧١) (١٩٧٢) (١٩٧٣) (١٩٧٤) (١٩٧٥) (١٩٧٦) (١٩٧٧) (١٩٧٨) (١٩٧٩) (١٩٨٠) (١٩٨١) (١٩٨٢) (١٩٨٣) (١٩٨٤) (١٩٨٥) (١٩٨٦) (١٩٨٧) (١٩٨٨) (١٩٨٩) (١٩٩٠) (١٩٩١) (١٩٩٢) (١٩٩٣) (١٩٩٤) (١٩٩٥) (١٩٩٦) (١٩٩٧) (١٩٩٨) (١٩٩٩) (٢٠٠٠) (٢٠٠١) (٢٠٠٢) (٢٠٠٣) (٢٠٠٤) (٢٠٠٥) (٢٠٠٦) (٢٠٠٧) (٢٠٠٨) (٢٠٠٩) (٢٠١٠) (٢٠١١) (٢٠١٢) (٢٠١٣) (٢٠١٤) (٢٠١٥) (٢٠١٦) (٢٠١٧) (٢٠١٨) (٢٠١٩) (٢٠٢٠) (٢٠٢١) (٢٠٢٢) (٢٠٢٣) (٢٠٢٤) (٢٠٢٥) (٢٠٢٦) (٢٠٢٧) (٢٠٢٨) (٢٠٢٩) (٢٠٣٠) (٢٠٣١) (٢٠٣٢) (٢٠٣٣) (٢٠٣٤) (٢٠٣٥) (٢٠٣٦) (٢٠٣٧) (٢٠٣٨) (٢٠٣٩) (٢٠٤٠) (٢٠٤١) (٢٠٤٢) (٢٠٤٣) (٢٠٤٤) (٢٠٤٥) (٢٠٤٦) (٢٠٤٧) (٢٠٤٨) (٢٠٤٩) (٢٠٥٠) (٢٠٥١) (٢٠٥٢) (٢٠٥٣) (٢٠٥٤) (٢٠٥٥) (٢٠٥٦) (٢٠٥٧) (٢٠٥٨) (٢٠٥٩) (٢٠٦٠) (٢٠٦١) (٢٠٦٢) (٢٠٦٣) (٢٠٦٤) (٢٠٦٥) (٢٠٦٦) (٢٠٦٧) (٢٠٦٨) (٢٠٦٩) (٢٠٧٠) (٢٠٧١) (٢٠٧٢) (٢٠٧٣) (٢٠٧٤) (٢٠٧٥) (٢٠٧٦) (٢٠٧٧) (٢٠٧٨) (٢٠٧٩) (٢٠٨٠) (٢٠٨١) (٢٠٨٢) (٢٠٨٣) (٢٠٨٤) (٢٠٨٥) (٢٠٨٦) (٢٠٨٧) (٢٠٨٨) (٢٠٨٩) (٢٠٩٠) (٢٠٩١) (٢٠٩٢) (٢٠٩٣) (٢٠٩٤) (٢٠٩٥) (٢٠٩٦) (٢٠٩٧) (٢٠٩٨) (٢٠٩٩) (٢١٠٠) (٢١٠١) (٢١٠٢) (٢١٠٣) (٢١٠٤) (٢١٠٥) (٢١٠٦) (٢١٠٧) (٢١٠٨) (٢١٠٩) (٢١١٠) (٢١١١) (٢١١٢) (٢١١٣) (٢١١٤) (٢١١٥) (٢١١٦) (٢١١٧) (٢١١٨) (٢١١٩) (٢١٢٠) (٢١٢١) (٢١٢٢) (٢١٢٣) (٢١٢٤) (٢١٢٥) (٢١٢٦) (٢١٢٧) (٢١٢٨) (٢١٢٩) (٢١٣٠) (٢١٣١) (٢١٣٢) (٢١٣٣) (٢١٣٤) (٢١٣٥) (٢١٣٦) (٢١٣٧) (٢١٣٨) (٢١٣٩) (٢١٤٠) (٢١٤١) (٢١٤٢) (٢١٤٣) (٢١٤٤) (٢١٤٥) (٢١٤٦) (٢١٤٧) (٢١٤٨) (٢١٤٩) (٢١٥٠) (٢١٥١) (٢١٥٢) (٢١٥٣) (٢١٥٤) (٢١٥٥) (٢١٥٦) (٢١٥٧) (٢١٥٨) (٢١٥٩) (٢١٦٠) (٢١٦١) (٢١٦٢) (٢١٦٣) (٢١٦٤) (٢١٦٥) (٢١٦٦) (٢١٦٧) (٢١٦٨) (٢١٦٩) (٢١٧٠) (٢١٧١) (٢١٧٢) (٢١٧٣) (٢١٧٤) (٢١٧٥) (٢١٧٦) (٢١٧٧) (٢١٧٨) (٢١٧٩) (٢١٨٠) (٢١٨١) (٢١٨٢) (٢١٨٣) (٢١٨٤) (٢١٨٥) (٢١٨٦) (٢١٨٧) (٢١٨٨) (٢١٨٩) (٢١٩٠) (٢١٩١) (٢١٩٢) (٢١٩٣) (٢١٩٤) (٢١٩٥) (٢١٩٦) (٢١٩٧) (٢١٩٨) (٢١٩٩) (٢٢٠٠) (٢٢٠١) (٢٢٠٢) (٢٢٠٣) (٢٢٠٤) (٢٢٠٥) (٢٢٠٦) (٢٢٠٧) (٢٢٠٨) (٢٢٠٩) (٢٢١٠) (٢٢١١) (٢٢١٢) (٢٢١٣) (٢٢١٤) (٢٢١٥) (٢٢١٦) (٢٢١٧) (٢٢١٨) (٢٢١٩) (٢٢٢٠) (٢٢٢١) (٢٢٢٢) (٢٢٢٣) (٢٢٢٤) (٢٢٢٥) (٢٢٢٦) (٢٢٢٧) (٢٢٢٨) (٢٢٢٩) (٢٢٣٠) (٢٢٣١) (٢٢٣٢) (٢٢٣٣) (٢٢٣٤) (٢٢٣٥) (٢٢٣٦) (٢٢٣٧) (٢٢٣٨) (٢٢٣٩) (٢٢٤٠) (٢٢٤١) (٢٢٤٢) (٢٢٤٣) (٢٢٤٤) (٢٢٤٥) (٢٢٤٦) (٢٢٤٧) (٢٢٤٨) (٢٢٤٩) (٢٢٥٠) (٢٢٥١) (٢٢٥٢) (٢٢٥٣) (٢٢٥٤) (٢٢٥٥) (٢٢٥٦) (٢٢٥٧) (٢٢٥٨) (٢٢٥٩) (٢٢٦٠) (٢٢٦١) (٢٢٦٢) (٢٢٦٣) (٢٢٦٤) (٢٢٦٥) (٢٢٦٦) (٢٢٦٧) (٢٢٦٨) (٢٢٦٩) (٢٢٧٠) (٢٢٧١) (٢٢٧٢) (٢٢٧٣) (٢٢٧٤) (٢٢٧٥) (٢٢٧٦) (٢٢٧٧) (٢٢٧٨) (٢٢٧٩) (٢٢٨٠) (٢٢٨١) (٢٢٨٢) (٢٢٨٣) (٢٢٨٤) (٢٢٨٥) (٢٢٨٦) (٢٢٨٧) (٢٢٨٨) (٢٢٨٩) (٢٢٩٠) (٢٢٩١) (٢٢٩٢) (٢٢٩٣) (٢٢٩٤) (٢٢٩٥) (٢٢٩٦) (٢٢٩٧) (٢٢٩٨) (٢٢٩٩) (٢٣٠٠) (٢٣٠١) (٢٣٠٢) (٢٣٠٣) (٢٣٠٤) (٢٣٠٥) (٢٣٠٦) (٢٣٠٧) (٢٣٠٨) (٢٣٠٩) (٢٣١٠) (٢٣١١) (٢٣١٢) (٢٣١٣) (٢٣١٤) (٢٣١٥) (٢٣١٦) (٢٣١٧) (٢٣١٨) (٢٣١٩) (٢٣٢٠) (٢٣٢١) (٢٣٢٢) (٢٣٢٣) (٢٣٢٤) (٢٣٢٥) (٢٣٢٦) (٢٣٢٧) (٢٣٢٨) (٢٣٢٩) (٢٣٣٠) (٢٣٣١) (٢٣٣٢) (٢٣٣٣) (٢٣٣٤) (٢٣٣٥) (٢٣٣٦) (٢٣٣٧) (٢٣٣٨) (٢٣٣٩) (٢٣٤٠) (٢٣٤١) (٢٣٤٢) (٢٣٤٣) (٢٣٤٤) (٢٣٤٥) (٢٣٤٦) (٢٣٤٧) (٢٣٤٨) (٢٣٤٩) (٢٣٥٠) (٢٣٥١) (٢٣٥٢) (٢٣٥٣) (٢٣٥٤) (٢٣٥٥) (٢٣٥٦) (٢٣٥٧) (٢٣٥٨) (٢٣٥٩) (٢٣٦٠) (٢٣٦١) (٢٣٦٢) (٢٣٦٣) (٢٣٦٤) (٢٣٦٥) (٢٣٦٦) (٢٣٦٧) (٢٣٦٨) (٢٣٦٩) (٢٣٧٠) (٢٣٧١) (٢٣٧٢) (٢٣٧٣) (٢٣٧٤) (٢٣٧٥) (٢٣٧٦) (٢٣٧٧) (٢٣٧٨) (٢٣٧٩) (٢٣٨٠) (٢٣٨١) (٢٣٨٢) (٢٣٨٣) (٢٣٨٤) (٢٣٨٥) (٢٣٨٦) (٢٣٨٧) (٢٣٨٨) (٢٣٨٩) (٢٣٩٠) (٢٣٩١) (٢٣٩٢) (٢٣٩٣) (٢٣٩٤) (٢٣٩٥) (٢٣٩٦) (٢٣٩٧) (٢٣٩٨) (٢٣٩٩) (٢٤٠٠) (٢٤٠١) (٢٤٠٢) (٢٤٠٣) (٢٤٠٤) (٢٤٠٥) (٢٤٠٦) (٢٤٠٧) (٢٤٠٨) (٢٤٠٩) (٢٤١٠) (٢٤١١) (٢٤١٢) (٢٤١٣) (٢٤١٤) (٢٤١٥) (٢٤١٦) (٢٤١٧) (٢٤١٨) (٢٤١٩) (٢٤٢٠) (٢٤٢١) (٢٤٢٢) (٢٤٢٣) (٢٤٢٤) (٢٤٢٥) (٢٤٢٦) (٢٤٢٧) (٢٤٢٨) (٢٤٢٩) (٢٤٣٠) (٢٤٣١) (٢٤٣٢) (٢٤٣٣) (٢٤٣٤) (٢٤٣٥) (٢٤٣٦) (٢٤٣٧) (٢٤٣٨) (٢٤٣٩) (٢٤٤٠) (٢٤٤١) (٢٤٤٢) (٢٤٤٣) (٢٤٤٤) (٢٤٤٥) (٢٤٤٦) (٢٤٤٧) (٢٤٤٨) (٢٤٤٩) (٢٤٥٠) (٢٤٥١) (٢٤٥٢) (٢٤٥٣) (٢٤٥٤) (٢٤٥٥) (٢٤٥٦) (٢٤٥٧) (٢٤٥٨)

سَيُوقَهَا فِي كُلِّ مَارِقَةٍ. مِنْ كُلِّ كَافِرٍ وَمَارِقٍ. وَلَا أَخْلَاهَا مِنْ سِيرَةِ سَرِيَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ مَصْلَحَةِ مَخْلُوقٍ وَطَاعَةِ خَالِقٍ. وَأَطْلَقَ أَيْدِيَ أَوْلِيَائِهَا لِتَحْمِيٍّ بِالْحَقِيقَةِ جَمِينَ الْحَقَائِقِ. وَأَنْجَزَهَا الْحَقَّ وَقَدَفَ بِهِ عَلَى الْيَاطِلِ الزَاهِقِ. وَمَلَكَهَا هَوَادِي الْمَغَارِبِ وَمَرَامِي الْمَشَارِقِ. وَلَا زَالَتْ أَوَاظُهَا فِي الطَّلُمَاتِ مَصَابِحَ وَسَيُوقُهَا لِلْبِلَادِ مَقَاتِحَ. وَالْطَّرَافِ أَسْتَهَا لِدِمَاءِ الْأَعْدَاءِ نَوَازِحَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَ سُلْطَانَ الدِّيُونِ الْعَزِيزِ وَأَيَّدَهُ. وَلَطَمَرَ جُنْدَهُ الْغَالِبِ وَأَنْجَدَهُ. وَجَلَا بِهِ جَلَالِيْبِ الظُّلُمَاتِ. وَجَدَّدَ جُنْدَهُ وَجَعَلَ بَعْدَ غَسْرِ يَسْرٍ. وَقَدْ أَحْدَثَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا. وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي مَا كَانَ الْإِسْلَامُ يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صِيرًا. وَخُوطِبَ الدِّينُ بِقَوْلِهِ. (وَلَقَدْ فَتَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۖ ٣٧١)

ن

فَالْأَوَّلَى عَصْرُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالصَّحَابَةُ. وَالْآخِرَى هَذِهِ الَّتِي عَثَقَ فِيهَا مِنْ رَقِّ الْكَأَبَةِ. فَهُوَ قَدْ أَصْبَحَ خَرًّا فَالزَّمَانُ كَهَيْئَتِهِ اسْتَدَارَ. وَالْحَقُّ بِمَهْجَتِهِ قَدْ اسْتَنَارَ. وَالْكَفَرُ قَدْ رُدَّ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْتَعَارِ. وَغَسَلَ ثَوْبُ اللَّيْلِ بِمَا فَجَّرَ الْفَجْرُ مِنْ أَنْهَارِ النَّهَارِ. وَأَتَى اللَّهُ نِيَّانَ الْكُفْرِ مِنَ الْقَوَاعِدِ. وَشَفَى غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَمَقِ مَاءِ الْغُورِدَاتِ الْبُورَةِ. أَنْزَلَ مَلَائِكَةً لَمْ تَظْهَرْ لِلْعَيُونِ الْإِلَاحِظَةِ. وَلَمْ تَخَفْ عَنِ الْقُلُوبِ الْعَاقِظَةِ. غَزَتْ بِمَا الْإِسْلَامُ بِنَسْوَمِهَا. وَتَرَادَفَ نَصْرُهُ بِمُرْدَقِهَا. وَأَخَذَتْ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَتَرَى مَتَرَفِيهَا كَأَنَّ لَمْ تَلَوْ فِيهَا. فَكَمْ أَقْدَمَ بِهَا حِزْزُومَ. وَرَكُضَ فَاتَّبَمَ سَحَابَ عَجَاجِ مَرْكُومَ. وَضَرَبَ فَلَا ضَرْبَهُ كِتَابُ جِرَاحِ مَرْقُومَ ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الْإِسْلَامَ جَدِيدًا ثَوْبَةً. بَعْدَ أَنْ كَانَ جَدِيدًا حَيْلَةً (٣٧٢). مِيقَا نَصْرِهِ. مَخْضَرًا نَمْلَهُ. مَتَاعًا فَتْنَلَهُ. مَجْتَمَعًا شَمْلَهُ. وَالْغَادِمُ يَشْرَحُ مِنْ نَبَأِ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ. وَالنَّصْرِ الْكَرِيمِ. مَا يَشْرَحُ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ. وَيَمْنَحُ الْعَبُورَ لِكَاكِفَةِ الْمُسْلِمِينَ (٣٧٣).

(٣٧٦) سورة الانبياء، الآية ٩١.

(٣٧٧) سورة طه، الآية ٩٧.

(٣٧٨) حديثاً، مقطوعاً. قال الطاهر.

أَبَدَ حَيِّدَ لَسْتِي لَنْ يَبِيدَا وَأَمْسَى حَبْلُهَا خَبْلًا جَدِيدًا

(٣٧٩) صحيح الأعمش، ١/ ١٧٧ - ١٧٨.

هذه الرسالة تُظهر بوضوح طريقة العماد في الكتابة الفنية . وقد لاحظنا استعانتَه الكبيرة بالسجع والجناس وبالقُرآن الكريم . ولا يكاد يتخلص من هذه الطريقة في جميع كتاباته . سواء كانت كتباً أم رسائل .

الخاتمة

تحلينا في هذا الكتاب عن الأدب - شعراً ونثراً - ابتداءً من قيام دولة بني العباس سنة ٣٠٢ للهجرة الى زمن زوالها سنة ٦٥٦ للهجرة . ذلك الأدب الذي نما وتطور وارتقى وبلغ اقفاية اعظمى في عصر اختلطت فيه الثقافة العربية الاصلية بالثقافات الوافدة . واسترجمت فيه العادات والتقاليد والقيم الموروثة بما عند الشعوب الاخرى

لقد ارتقت الحياة العقلية والادبية في العصر العباسي . وسعدت جوانبها . وأثمرت شجرة غرسها نفاعاً جنياً طيباً كثيراً . أغنت المكتبة العربية بثرات قيم وثروة نفيسة من الكتب والمصنفات في مختلف جوانب المعرفة لانزال الى وقتنا الحاضر ثعد الصنائر الرئيسة للباحثين والدارسين . تلك الثروة العالمة التي حمل لواءها وقضاها على نمائها اعلام نابهون ومفكرون نابقون من نحاة ، ولغويين وعروضيين ومحدثين ومنسرين . ومقرئين . ومتكلمين ورجال أدب . وبلاغة وتاريخ وجغرافية . وفلسفة ومنطق . وطب . وفلك . ورياضة . وموسيقى ... وقد سلطنا الضوء في هذا الكتاب على هربق من هؤلاء الرواد في مجالي الشعر والنثر . وأظهرنا مكانتهم في مسيرة الحركة الفكرية المتوهجة . ومنزلتهم في الابداع والتوليد في ميادين الرقي الحضاري .

وتجدر الاشارة الى أن العلم والأدب - كما لاحظنا - بقيا في نألقهما في العصر العباسي الثاني حينما تحولت الديار الاسلامية خارج حكم الخلفاء العباسيين الى امارات تتنازعها ملوك وأمراء من عرب وأعاجم . ومنستطيع القول إن المنابر والمجالس الأدبية والعلمية كثرت وتوسعت في ظل هذه الامارات وأصبحت تزهر بالرواد من أرباب القلم . وحسب القاريء الأمغار الكثيرة التي تناولت تراجم النابجين من الشعراء والكتاب آنذاك . مثل يتيمة الدهر للثعالبي . وديرة القصر ونصرة أهل العصر لمباخرزي . وخريدة القصر وجريدة القصر لعقاد المدين الاصهاني الكاتب وعقود الجمان لابن الشعار الموصلي ...

إن العصر العباسي سيفى في المذاكرة بأنه من أزهى العصور التي مضت في المدينة والتقدم الفكري . والصفحات الماضية ماهي الا ومضات عن هذا العصر الطويل الذي لا يدرك القاريء ساحله في عباله ووقت قصير . ولعله يستكمل معرفته عنه بالعودة الى المصادر والمراجع التي ألفت عنه . والله الموفق . والهادي الى سواء السبيل .

المصادر والمراجع

- ١ - ابن الرومي . حياته من شعره ، عباس محمود العقاد . دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٨ .
- ٢ - ابن الرومي . حياته وشعره ، روفون جست . ترجمة الدكتور حسين نصار دار الثقافة - بيروت .
- ٣ - ابن الرومي في الصورة والوجود ، د . علي شلق . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٢ .
- ٤ - ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، د . سعد شلبي ، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٧٧ .
- ٥ - ابن وكيع التنسي . شاعر الزهر والخمر ، د . حسين نصار ، دار مصر للطباعة - القاهرة ١٩٥٣ .
- ٦ - أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله د . عسر فروخ . المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت ١٩٦٩ .
- ٧ - أبو حيان التوحيدي ، د . ابراهيم الكيلاني . مط دار المعارف - القاهرة د . ت
- ٨ - أبو حيان التوحيدي ، د . أحمد محمد الحوفي . مط الرسالة - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٩ - أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، د . زكريا ابراهيم . الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة د . ت
- ١٠ - أبو حيان التوحيدي ، سيرته وأثاره ، د . عبد الرزاق محيي الدين . المؤسسة المصرية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٩ .
- ١١ - أبو دلالة الرجل الشاعر والناقد الساخر ، علي عبد عيدان الخزاعي . مط الاداب - النجف ١٩٦٥ .
- ١٢ - أبو الطيب ماله وما عليه ، أبو منصور الثعالبي . تح ، محمد محيي الدين عبد الحميد . مط حجازي القاهرة د . ت .
- ١٣ - أبو الطيب المتنبي ، محمد كمال حلمي . مط الشباب ١٩٣١ .
- ١٤ - أبو المتأهية ، محمد أحمد برانق . ط القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٥ - ابو المتأهية حياته وشعره ، د . محمد محمود الدش . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٦ - أبو فراس الحمداني . حياته وشعره ، د . عبد الجليل حسن عبد المهدي . مكتبة الأتقي - عمان ١٩٧١ .

- ١٧ - أبو فراس الحمداني . الموقف والتشكيل والجمال . د . النعمان القاضي . دار
التوثيق النموذجية للطباعة القاهرة ١٩٩٢ .
- ١٨ - أبو نواس زعيم شعراء الخمرة . جورج غريب . دار الاندلس - بيروت ١٩٦١ .
- ١٩ - أبو نواس في تاريخه وشعره ومبالاته وعجته ومجونه . ابن منظور . قدم له
عمر أبو النصر . مكتب التأليف والترجمة والنشر - بيروت ١٩٦٩ .
- ٢٠ - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . د . نبيل خليل ابو حاتم .
دار الثقافة بيروت ١٩٨٥ .
- ٢١ - اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري . يوسف حسين بكار . مط دار
المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ٢٢ - أحياء علوم الدين . أبو حامد محمد بن محمد الغزالي . ط مكتبة ومطبعة
محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة .
- ٢٣ - أخبار أبي تمام . أبو بكر الصولي . ط لجنة التأليف والترجمة - القاهرة
١٩٢٧ .
- ٢٤ - أخبار المولدة العباسية . لمؤلف مجهول . نج . د . عبد العزيز السوري . د .
عبد الحبار المظلي دار المطبعة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧١ .
- ٢٥ - أخبار الراضي بالله والمنتفى لله (كتاب الأوراق) . أبو بكر الصولي . دار
الميرة - بيروت ١٩٧٩ .
- ٢٦ - أخبار الشعراء المحدثين (كتاب الأوراق) . أبو بكر الصولي . دار المسيرة
بيروت ١٩٧٩ .
- ٢٧ - الأخبار الطوال . أبو حنيفة الدينوري . نحر . عبد المنعم عامر القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٨ - الأخطل الكبير . حياته وشخصيته وقبته الفنية . د . فخر الدين قباوة دار
الأفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٦ .
- ٢٩ - أدباء حلبون . د . جواد علوش . دار منشورات عويدات - بيروت ١٩٧٨ .
- ٣٠ - الأدباء المشرك . أحمد طلس . إبراهيم الكيلاني . مط الشباب - دمشق ١٩٤٠ .
- ٣١ - أدب الحروب الصليبية . د . عبد اللطيف حمزة . دار الفكر العربي - القاهرة
١٩٤٩ .
- ٣٢ - الأدب الصومي في مصر في القرن السابع الهجري . د . علي صافي حسين . مط
دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ .
- ٣٣ - الأدب العربي في إقليم خوارزم . هند حسين طه . دار الحرية للطباعة -
بغداد ١٩٧٦ .

- ٣٤ - الأدب العربي في مصر من الفتح الى نهاية العصر الايوبي : محمود مصطفى دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٣٥ - الأدب في ظل بني بويه ، د . محمود غناوي الزهيرى مط الأمانة - القاهرة ١٩٤٩ .
- ٣٦ - الأدب في ظل المولى الزنكية ، عبد الوهاب محمد علي العدواني . رسالة ماجستير مكتوبة على آلة الرونيو بغداد ١٩٦٧ .
- ٣٧ - الأدب في العصر الايوبي : د . محمد زغلول سلام مط دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣٨ - أدب الكائن ، ابن قتيبة تحر محمد محيي الدين عبد الحميد . مط السعادة - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٣٩ - أساليب الصناعة في شعر الخمر والتافة بين الأعشى والجاهليين ، د . محمد محمد حسني مط دار المعارف الاسكندرية ١٩٦٠ .
- ٤٠ - أسطورة الزهد عند أبي العتاهية ، د . محمد عبد العزيز الكفراوي . دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٧٢ .
- ٤١ - الاشارات الالهية : أبو حيان التوحيدي . د . عبد الرحمن بدوي مط جامعة قواد الأول - القاهرة ١٩٥٠ .
- ٤٢ - أشجع السلمي . حياته وشعره ، د . خليل بنيران الحصور . دار المسيرة - بيروت ١٩٨١ .
- ٤٣ - أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم (كتاب الاوراق) : أبو بكر الصولي . دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩ .
- ٤٤ - أعلام الكلام . ابن شرف القيرواني . مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٣٦ .
- ٤٥ - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : محمد بن رافع الطياخ . المط العلمية - حلب ١٩٢٤ .
- ٤٦ - اعيان الشيعة . محسن الأمين . مط الترمي - دمشق ١٩٤٦ .
- ٤٧ - الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني . مط دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٧ .
- ٤٨ - الاعترا ب في حياة وشعر الشريف الرضي . عزيز السيد جاسم مط دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٧ .
- ٤٩ - أمالي المرنضى . تح - محمد أبو الفضل ابراهيم دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ .
- ٥٠ - الامتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي تح . أحمد أمين . وأحمد الزيني مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٩ .

- ٥١ - أمراء البيان ، محمد كرد علي . مطابع دار الكتب - بيروت ١٩٦٩ .
- ٥٢ - إتياء الرواة ، علي بن يوسف القنطري . تجر ، محمد أبو الفضل إبراهيم . مط
دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٥ .
- ٥٣ - الأندية الأدبية في العصر العباسي ، علي محمد هاشم . دار الأفاق الجديدة -
بيروت ١٩٧٨ .
- ٥٤ - الانصاف والشعري ، ابن العديم . ضمن كتاب تعريف التمداء بأبي العلاء .
المر القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٥٥ - لوج الشعري عن حيشة أبي العلاء المعري . يوسف البهيمي . د ، إبراهيم
الكلباني . مط الترقى - دمشق ١٩٤١ .
- ٥٦ - البحري بين نقاد عصره ، صالح حسن الزطلي . دار الأندلس - بيروت
١٩٨٢ .
- ٥٧ - البحري في سامراء ، بونى أحمد السامرائي . مط الإرشاد - بغداد ١٩٧٠ .
- ٥٨ - البخل ، الجاحظ ، مط فنى العرب - دمشق ١٩٦٣ .
- ٥٩ - بدائع الزهور في وقائع الدهور ، محمد بن أحمد بن إياس . المط الكبرى
الأصيرية - القاهرة ١٣١١ هـ .
- ٦٠ - بديع الزمان الهمداني ، عارون عبود . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٦١ - بديع الزمان الهمداني ، د . مصطفى الشكعة . دار الراشد العربي - بيروت
١٩٧١ .
- ٦٢ - بديعيات الزمان ، فكتور الكوك . المط الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠ .
- ٦٣ - البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي - دمشق ١٩٦٤ - ١٩٦٦ .
- ٦٤ - بغداد مدينة السلام ، ابن الفقيه الهمداني . دار الطليعة للطباعة والنشر .
باريس ١٩٧٧ .
- ٦٥ - بنية الوعاة ، جلال الدين السيوطي . تجر ، محمد أبو الفضل إبراهيم . مط
عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٤ .
- ٦٦ - البيان والتبيين ، الجاحظ ، تجر ، عبد السلام هرون . مط لجنة التأليف
والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٦٧ - تاريخ لادب اللغة العربية ، جرجي زيدان . دار الهلال - القاهرة د . ت .
- ٦٨ - تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والعراطين ، د احسان عباس مط دار
الثقافة - بيروت ١٩٧٦ .
- ٦٩ - تاريخ الأدب العربي ، د . شوقي ضيف العصر العباسي الأول ١٩٦٦ . العصر
العباسي الثاني ١٩٧٥ . عصر الدول والامارات ١٩٨٠ . مطابع دار المعارف
بمصر .

- ٧٠ - تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة د . رمضان عبد التواب . ج ٥ . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٥ .
- ٧١ - تاريخ اربل ، ابن الكسوفى ، تح . سامي الصغار . المركز العربي للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٠ .
- ٧٢ - تاريخ بغداد ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، مط السعادة - القاهرة ١٩٣١ .
- ٧٣ - تاريخ الخلفاء ، لال الدين السيوطي . تح . محمد محيي الدين عبد الحميد . مط منير - بغداد ١٩٨٣ .
- ٧٤ - تاريخ دول الاسلام ، الذهبي . ط حيدر اباد ١٣٣٣ هـ .
- ٧٥ - تاريخ دولة آل سلجوق ، الفتح بن علي البنداري . دار الافاق الجديدة - بيروت ١٩٨٠ .
- ٧٦ - تاريخ الرسل والملوك ، الطبري . تح . محمد أبو الفضل ابراهيم . مط دار المعارف - القاهرة .
- ٧٧ - تاريخ الشعر العربي ، د . محمد عبد العزيز الكفراوي . مط نهضة مصر - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٧٨ - تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، نجيب محمد البهي . مط السنة المحمدية - القاهرة ١٩٦١ .
- ٧٩ - تاريخ متصوفة بغداد ، جميل ابراهيم حبيب . مط أسعد - بغداد ١٩٨٨ .
- ٨٠ - تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة . مط كردستان العلمية - القاهرة ١٣٩٦ هـ .
- ٨١ - تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة . تح . سيد صقر . دار التراث ١٩٧٣ .
- ٨٢ - تنمة المختصر في اخبار البشر ، زين الدين عمر بن الوردي . مط دار المعرفة - بيروت ١٩٧٠ .
- ٨٣ - تنمة . بتيمة اندهر ، أبو منصور الثعالبي . نشر عباس إقبال - طهران ١٣٥٣ هـ .
- ٨٤ - تجارب الأمم ، أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه . مط شركة التمدن الصناعية - القاهرة ١٩١٤ .
- ٨٥ - تحفة الألباب وبغية الطلاب ، محمد بن أبي بكر عثمان المعروف بالسخاوي المصري . ط القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ٨٦ - ترجمان الأشواق ، محيي الدين بن عربي . مط دار صادر - بيروت ١٩٦٦ .

- ٨٧ - تطور الألبان الشرقية في الأدب العربي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٤ .
- ٨٨ - تطور الخمريات في الشعر العربي من انجاءلية الى أبي نواس ، د . جميل سعيد . مط الاعتماد - القاهرة ١٩٩٥ .
- ٨٩ - التطور والتجديد في الشعر الأموي : د . شوقي صيف . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٩٠ - تعريف القدماء بأبي العلاء . الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٩١ - تفسير سورة الاخلاص ، ابن تيمية ، المطب النيرية - القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ٩٢ - تهذيب التاريخ الكبير ، ابن عساكر ، تصحيح عبدالقادر بدران . مط روضة الشام ١٣٣٠ هـ .
- ٩٣ - التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول . د . مجاهد مصطفى بهجت منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد ١٩٨٢ .
- ٩٤ - ثمرات الأديان - ابن حجة الحموي . تح . محمد أبو الفضل ابراهيم . مط السنة المحمدية - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٩٥ - الجاحظ ، حياته وآثاره ، د . طه الحاجري . مط دار المطارف - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٩٦ - الجاحظ في حياته وأدبه وفكره ، جميل جبر - بيروت ١٩٥٩ .
- ٩٧ - الجامع الكبير : ضياء الدين ابن الأثير . تح . د . مصطفى جواد . د . جميل سعيد . مط المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٥٦ .
- ٩٨ - الجامع المختصر . ابن السامي . تح . د . مصطفى جواد . المطب الحريانية الكاثوليكية - بغداد ١٩٣٤ .
- ٩٩ - جحظة البرمكي الأديب الشاعر ، د . مزهر السوداني . مط النعمان - انجف ١٩٧٧ .
- ١٠٠ - جمع الجواهر : أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري . تح : علي محمد الجاجري . دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٠١ - جبهة رسائل العرب . أحمد زكي صغوت . مط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٠٢ - الجوالي والشعر في العصر العباسي الأول . د . سهام عبدالوهاب فريخ . شركة المربعان للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٨١ .
- ١٠٣ - حديث الأربعاء : د . طه حسين . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٠ .

- ١٠٤ - الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام ، د . محمود الربيعاني . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت د . ت .
- ١٠٥ - الحسن بن أسد الفارقي في حياته والصابية من شعره : جمع وتحقيق هلال ناجي . مطابع اليمامة - الرياض ١٣٧٨ .
- ١٠٦ - حسن المحاضرة ، جلال الدين السيوطي ، مطب عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٠٧ - الحسين بن الضحاك . حياته وشعره ، د . شوقي رياض أحمد . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة ١٩٧٢ .
- ١٠٨ - الحصار الإسلامي في القرن الرابع ، آدم سنز . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . مطب لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٠٩ - الحكاية الشعبية ، د . عبد الحميد يونس . دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد د . ت .
- ١١٠ - العلاج موضوعاً ، د . كامل مصطفى الشيبي . مطب المعارف - بغداد ١٩٧٩ .
- ١١١ - حلية الأولياء ، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله . مطب السعادة - مصر ١٣٥١ هـ .
- ١١٢ - الحسانة في شعر الشريف الرضي ، محمد جميل شلش . مطب وأفست الشرق - بغداد ١٩٧٤ .
- ١١٣ - الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، د . أحمد كمال زكي . مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ١١٤ - الحياة الأدبية في الشام ، د . عبد الجليل حسن عبد المهيدي . مكتبة الأنطوني - عمان ١٩٧٧ .
- ١١٥ - الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، د . أحمد أحمد بدوي . مطب نهضة مصر ١٩٥٤ .
- ١١٦ - حياة البحري وفنه : د . أحمد أحمد بدوي . مطب لجنة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٥ .
- ١١٧ - حياة العيوان الكبرى ، أبو البقاء محمد بن موسى اندميري . مطب حجازي - القاهرة .
- ١١٨ - حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، د . يوسف خليف . دار الكائنات العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٨ .
- ١١٩ - الحيوان ، الجاحظ . تح : عبد السلام هارون . مطب مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ١٩٢٨ .

- ١٢٠ - خلاص الخاص ، أبو منصور التماري . قدم له حسن الأمير . منشورات دار مكتبة الحياة د . ت .
- ١٢١ - خريدة القصر وجريدة العصر ، عماد الدين الأصبهاني . شعراء الشام . تعد . د . شكوي فيصل . المطب الهاشمية - دمشق ١٩٥٥ - ١٩٦٧ . شعراء مصر . تعد . أحمد أمين . وشوقي ضيف . وإحسان عباس . مطب لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥١ . شعراء العراق . تعد . محمد بهجة الأثري . ج ١ ، ٢ مطب المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ ، ١٩٦١ . ج ٣ ، ٤ مطب الحكومة - بغداد ١٩٧٣ - ١٩٧٦ .
- ١٢٢ - خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي المطب الخيرية - القاهرة ١٣٠١ هـ .
- ١٢٣ - خزانة الأدب وللب لباب لسان العرب ، عبدالقادر بن عمر البغدادى . مطب بولاق - مصر ١٢٩٩ هـ .
- ١٢٤ - الخطط القرظية : أحمد بن علي المعروف بالقرظي . مطب النيل - مصر ١٢٢١ هـ .
- ١٢٥ - الخلافة والدولة في العصر العباسي ، د . محمد حلمي محمد أحمد . مطب الرسالة - القاهرة ١٩٥٩ .
- ١٢٦ - دائرة المعارف الإسلامية : ترجمة محمد ثابت القندي . وأحمد الشنتناوي . وإبراهيم زكي خورشيد . وعبدالحيد بونس - القاهرة ١٩٣٧ - ١٩٦٧ .
- ١٢٧ - دار السلام في حياة أبي العلاء : د . عائشة عبدالرحمن . دار الجمهورية للطباعة - بغداد ١٩٦٤ .
- ١٢٨ - المدارس في تاريخ المدارس ، عبدالقادر بن محمد التميمي . تعد . جعفر الحسني . مطب الترقى - دمشق ١٩١٨ .
- ١٢٩ - دراسات في الأدب الاسلامي : محمد خلف الله . لجنة التأليف والترجمة - القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٣٠ - دراسات في الأدب العربي ، انعام الجندى . دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٧ .
- ١٣١ - دراسات في الأدب العربي . العصر العباسي ، محمد زغلول سلام . مطب التقدم - الاسكندرية د . ت .
- ١٣٢ - دراسات في اتنهش الشعري . العصر العباسي ، د . عبده بدوي . مطب قاصد خير - القاهرة ١٩٧٧ .

- ١٣٢ - الذرير الفوالى من أشعار الامام الفزالي ، جمع جميل ابراهيم حبيب ، مطب
عصام - بغداد ١٩٨٥ .
- ١٣٣ - دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى نهاية مملكة غرناطة ، محمد عبدالله
عنان ، مطب لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٢ .
- ١٣٤ - الديارات ، أبو الحسن الشاشي ، تحد ، كوركيس عواد ، مطب المعارف -
بغداد ١٩٦٦ .
- ١٣٥ - ديوان ابن أبي حصينة ، شرح أبي العلاء المعري ، تحد ، د . محمد سعد
طلحس ، المطب الهاشمية - دمشق ١٩٥٧ .
- ١٣٦ - ديوان ابن حيوس ، تحد ، خليل مردم ، مطب دار صادر - بيروت ١٩٨٤ .
- ١٣٨ - ديوان ابن الخياط ، تحد ، خليل مردم ، المطب الهاشمية - دمشق ١٩٥٨ .
- ١٣٩ - ديوان ابن الرومي ، تحد ، د . حسين نصار ، مطب دار الكتب - القاهرة ١٩٧٢ -
١٩٨١ .
- ١٤٠ - ديوان ابن سنان الخفاجي ، المطب الاندلسية بيروت ١٣٠٨ هـ .
- ١٤١ - ديوان ابن الظهير الاربلي ، تحد ، د . ناظم رشيد ، مطب جامعة الموصل ١٩٨٨ .
- ١٤٢ - ديوان ابن عتير ، تحد ، خليل مردم ، مطب دمشق ١٩٦٦ .
- ١٤٣ - ديوان ابن الفارض ، مطب دار صادر - بيروت ١٩٦٢ .
- ١٤٤ - ديوان ابن نباتة السعدي ، تحد ، عبدالأمير مهدي حبيب الطائي ، دار
الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٧ .
- ١٤٥ - ديوان أبي بكر الشبلي ، تحد ، د . كامل مصطفى الشبيبي ، مطب دار
النضام - بغداد ١٩٦٧ .
- ١٤٦ - ديوان أبي تمام ، تحد ، محمد عبده عزلم ، مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ .
- ١٤٧ - ديوان أبي الحسن التهامي ، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ١٩٦٤ .
- ١٤٨ - ديوان أبي المتاهية ، مطب دار صادر - بيروت د . ت .
- ١٤٩ - ديوان أبي فراس الحمداني ، مطب دار صادر - بيروت د . ت .
- ١٥٠ - ديوان أبي نواس ، تحد ، أحمد عبدالمجيد الفزالي ، مطب مصر - القاهرة ١٩٥٢ .
- ١٥١ - ديوان أبي الهندي ، تحد ، عبدالله الجبوري ، مطب النعمان ١٩٧٠ .
- ١٥٢ - ديوان ابراهيم بن هرمة ، تحد ، محمد جبار الفريد ، مطب الآداب - النجف
١٩٦٩ .
- ١٥٣ - ديوان الأبله البغدادي ، تحد ، سعاد جاسم محمد ، رسالة ماجستير ، كلية
الآداب - جامعة الموصل ١٩٨٥ .

- ١٥٤ - ديوان الأسبوري ، تحد ، د . عمر الأسعد . ج ٢ . مط زويد بن ثابت - دمشق ١٩٧٥ .
- ١٥٥ - ديوان الأرجاني . تحد . د . محمد قاسم مصطفى . مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٩ - ١٩٨١ .
- ١٥٦ - ديوان اسحاق الوصلي ، تحد . ماجد أحمد العزي . مط الايمان - بغداد ١٩٧٠ .
- ١٥٧ - ديوان الأعشى الكبير : تحد : محمد حسين . المطب النموذجية - القاهرة ١٩٥٨ .
- ١٥٨ - ديوان الباخريزي ، أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب . تحد ، محمد قاسم مصطفى رسالة ماجستير . كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٠ .
- ١٥٩ - ديوان البحتري . تحد . حسن كامل الصير في . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٦٠ - ديوان بديع الزمان الهمداني ، نشره محمد شكري المكي - مصر ١٩٠٣ .
- ١٦١ - ديوان بشار بن برد : تحد . الطاهر بن عاشور - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٤ .
- ١٦٢ - ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي . تحد ، محمد حسن الأعظمي . دار الثقافة - بيروت ١٩٧٠ .
- ١٦٣ - ديوان جميل بثينة : تحد ، فوزي عطوي . الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت ١٩٦١ .
- ١٦٤ - ديوان الحاجري ، حاتم الدين عيسى بن سنجر . تحد ، صاحب شون ياسين الزبيدي . رسالة ماجستير - جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٩٨٨ .
- ١٦٥ - ديوان العلاج . الحسين بن منصور ، تحد ، د . كامل مصطفى الشبيبي . مطب المعارف - بغداد ١٩٧١ .
- ١٦٦ - ديوان حيص يحص . شهاب الدين سعد بن محمد تحد . مكي السيد جلم وشاكر هادي شكر - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧١ .
- ١٦٧ - ديوان خالد الكاتب . تحد ، د . يونس أحمد السامرائي . مط الرسالة - بغداد ١٩٨١ .
- ١٦٨ - ديوان الخريمي . أبو يعقوب اسحاق بن حسان . تحد . د . علي جواد الطاهر . ومحمد جبار المعيد مطب دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧١ .
- ١٦٩ - ديوان دعل بن علي الخزاعي . تحد . د . محمد يوسف نجم . دار الثقافة - بيروت ١٩٦٢ .

- ١٧٠ - ديوان ديك الحن ، تح ، د ، أحمد مطلوب ، وعبدالله الجبوري ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦١ .
- ١٧١ - ديوان سبط ابن التعاويذي ، تح ، مرجليوث ، مطب المتكشف - مصر ١٩٠٣ .
- ١٧٢ - ديوان الشريف الرضي مطب دار صادر - بيروت ١٩٦١ .
- ١٧٣ - ديوان الصنوبري ، تح ، د ، احسان عباس دار الثقافة - بيروت ١٩٧٠ .
- ١٧٤ - ديوان الطغرائي ، تح ، د ، علي جواد الطاهر ، د ، يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ .
- ١٧٥ - ديوان طلائع بن رزيك ، تح ، محمد هادي الأميني ، مطب النعمان - النجف ١٩٦٤ .
- ١٧٦ - ديوان العباس بن الأختف ، مطب دار صادر - بيروت ١٩٦٥ .
- ١٧٧ - ديوان عرقلة الكلبي ، تح ، أحمد الجندي ، مطب دار الحياة - دمشق ١٩٧٠ .
- ١٧٨ - ديوان علي بن الجهم ، تح ، خليل مردم ، لجنة التراث العربي - بيروت د . ت .
- ١٧٩ - ديوان عماد الدين الأصبهاني ، تح ، د ، ناظم رشيد ، مطب جامعة الموصل ١٩٨٣ .
- ١٨٠ - ديوان قتيان الشاغوري ، تح ، أحمد الجندي ، المطب الهاشمية - دمشق ١٩٦٧ .
- ١٨١ - ديوان القاضي الفاضل ، تح ، د ، أحمد أحمد يدوي ، وابراهيم الأبياري ، مطب دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦١ .
- ١٨٢ - ديوان القطامي ، تح ، د ، ابراهيم السامرائي ود ، أحمد مطلوب ، ط بيروت ١٩٦٠ .
- ١٨٣ - ديوان كشاجم ، أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم ، تح ، خيرية محمد محفوظ - مطب الجمهورية - بغداد ١٩٧٠ .
- ١٨٤ - ديوان لقيط بن يعمر الايلدي ، تح ، خليل ابراهيم العطية ، مطب الجمهورية بغداد ١٩٧٠ .
- ١٨٥ - ديوان محمود الوراق ، تح ، راغب المبيدي ، ط دار البصري - بغداد ١٩٦٩ .
- ١٨٦ - ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، مطب القدس - القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ١٨٧ - ديوان الملك الأمجد ، مجد الدين الأيوبي ، تح ، د ، ناظم رشيد ، مطب وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد ١٩٨٣ .

- ١٨٨ - ديوان الثابغة الذبياني . صنع ابن المكين . تح : د . شكري فيصل . دار الفكر - بيروت ١٩٦٨ .
- ١٨٩ - ديوان التشابي . مجد الدين أسعد ابراهيم الاربلي . تح : عبدالله محمود طه رسالة ماجستير . جامعة الموصل - كلية الاداب ١٩٨٥ .
- ١٩٠ - ديوان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات . تح : د . جميل سعيد . مط نهضة مصر - القاهرة ١٩٤٩ .
- ١٩١ - ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام . د . عبدالوهاب عزام . مط الجريدة - بغداد ١٩٢٦ .
- ١٩٢ - ذيل طبقات الحنابلة . ابن رجب . مط السنة المحمدية - مصر ١٩٥٢ .
- ١٩٣ - رأي في المقامة . عبدالرحمن ياغي . مط قدموس الجديدة - بيروت ١٩٦٩ .
- ١٩٤ - الرثاء : د . شوقي ضيف . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٥٥ .
- ١٩٥ - رسائل البلغاء : محمد كرد علي . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٦ .
- ١٩٦ - رسائل الجاحظ . تح : عبدالسلام محمد هارون . مط السنة المحمدية - القاهرة ١٩٦٤ .
- ١٩٧ - رسائل أبي العلاء المعري . تح : عبدالكريم خليفة منشورات اللجنة الأردنية للترتيب والترجمة والنشر - عمان ١٩٧٦ .
- ١٩٨ - رسائل أبي الفضل بدیع الزمان الهمداني . مط هندية - مصر ١٨٩٨ .
- ١٩٩ - رسالة الصداقة والصديق . أبو حيان التوحيدي . تح : د . ابراهيم الكيلاني . دار الفكر - دمشق ١٩٦٤ .
- ٢٠٠ - رسالة الغفران . أبو العلاء المعري . تح : د . عائشة عبدالرحمن . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢٠١ - الرمر عند الصوفية . د . عاطف جودة نصر . دار الاندلس - بيروت ١٩٧٨ .
- ٢٠٢ - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية . أبو شامة المقدسي . مط وادي النيل - القاهرة ١٢٨٨ هـ .
- ٢٠٣ - زبدة العلب من تاريخ حلب . ابن العديم . تح : د . سامي الدهان . المط الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٨ .
- ٢٠٤ - زهر الاداب . أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحضري . تح : علي محمد البجاوي . مط عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٣ .

- ٢٠٥ - مبطل ابن التعلويدي ، نوري شاكر الآلوسي . مطب الأزهر - بغداد ١٩٧٥ .
- ٢٠٦ - مبطل ابن التعلويدي ، يوسف يعقوب عسكوني . مطب شفيق - بغداد ١٩٥٩ .
- ٢٠٧ - شرح الميمون في شرح رسالة ابن زيدون ، ابن نباتة المصري . تعد : محمد أبو الفضل إبراهيم . مطب المدني - القاهرة ١٩٦٤ .
- ٢٠٨ - سر الفصاحة ، ابن سنان الحفاجي . مطب محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٢٠٩ - السري الرفاء ، د . حبيب حسين الحسني . مطب دار السلام - بغداد ١٩٧٧ .
- ٢١٠ - السري الرفاء ، يوسف أمين قصير . مطب الشباب - بغداد ١٩٥٦ .
- ٢١١ - سقط الزند - أبو العلاء المعري - مطب دار صادر - بيروت ١٩٦٣ .
- ٢١٢ - السمو الروحي في الأدب الصوفي . أحمد عبدالمعظم الحلواني . مطب مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٤٩ .
- ٢١٣ - منا البرق الشامي ، الفتح بن علي البنداري . تعد : د . رمضان ششن . مطب دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧١ .
- ٢١٤ - السهروردي ، سامي الكيال . مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٦٦ .
- ٢١٥ - سيف الدولة الحمداني أو مملكة سيف ودولة الاقلام ، د . مصطفى الشكعة . عالم الكتب - بيروت ١٩٧٧ .
- ٢١٦ - شاعر بني حمدان ، د . أحمد أحمد بدوي . مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٢ .
- ٢١٧ - شقرات الذهب ، ابن العباد العنبرلي . نشر مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥١ هـ .
- ٢١٨ - شرح ديوان الحماسة ، المزيوقي . تعد : أحمد أمين . وعبد السلام هارون . مطب لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٢١٩ - شرح ديوان صريع الغواني . تعد : د . سامي الدهان . مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢٢٠ - شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري ، تعد : د . احسان عيسى . مطب حكومة الكويت ١٩٦٢ .
- ٢٢١ - شرح ديوان المتنبي - عبدالرحمن البرقوقي . المطب الرحمانية - مصر ١٩٢٠ .
- ٢٢٢ - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد . تعد : محمد أبو الفضل إبراهيم . مطب مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٠ .

- ٢٢٣ - الشريف الرضي . د . احسان عباس . مط دار صادر - بيروت ١٩٥٩ .
- ٢٢٤ - الشريف الرضي . وجهوده النحوية ، د . حازم سليمان الحلبي . دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٦ .
- ٢٢٥ - الشريف الرضي ، محمد عبدالغني حسن ، مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢٢٦ - الشريف الرضي ، دراسات في ذاكره الالفية ، تأليف محمودة اسائذه، دار آفاق عربية للصحافة والنشر - بغداد ١٩٨٥ .
- ٢٢٧ - شعراء عباسيون ، غوستاف فون غريلاوم ، ترجمة د . محمد يوسف نجم . دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٥٩ .
- ٢٢٨ - الشعراء من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، د . حسين عطوان . دار الجبل - بيروت ١٩٧٩ .
- ٢٢٩ - شعراء النصرانية بعد الاسلام ، يوسف شيخو اليسوعي . المط الكاثوليكية - بيروت ١٩٧٦ .
- ٢٣٠ - شعر العرب في ادب العرب ، د . زكي المحاسني . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦١ .
- ٢٣١ - شعر الحسين بن مطير الأسدي ، تحد ، د . محسن غياض . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧١ .
- ٢٣٢ - شعر ربيعة الرقي تحد ، د . يوسف حسين بككار، دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨١ .
- ٢٣٣ - شعر زهير بن أبي سلمى ، صناعة الأعلام الشتيمري . تحد ، د . فخرالدين قباوة . المط العربية - حلب ١٩٧٠ .
- ٢٣٤ - شعر الشافعي ، تحد ، د . مجاهد مصطفى بهجت . دار الكتب للطباعة والنشر - الموصل ١٩٨٦ .
- ٢٣٥ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة . مط دار الثقافة - بيروت ١٩٦٩ .
- ٢٣٦ - الشعر والشعراء في العصر العباسي ، د . مصطفى الشكعة . دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٥ .
- ٢٣٧ - الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي ، عدنان حسين الموادي . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٩ .
- ٢٣٨ - شعر الغنيمة في الأدب العربي ، د . سيد نوفل . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨ .
- ٢٣٩ - الشعر وطوايحه الشعبية على مر العصور ، د . شوقي ضيف ، مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ .

- ٢٤٠ - شعر عبدالصمد بن المعلل . تعد . زهير غازي زاهد . مطب النعمان - اثباف
١٩٧٢ .
- ٢٤١ - الشعر النمرائي في القرن السادس الهجري . د . مظهر السوداني . دار الرشيد
للنشر - بغداد ١٩٨٠ .
- ٢٤٢ - الشعر العربي بين الجمود والتطور . د . محمد عبدالعزيز الكفراوي . دار
نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٢٤٣ - الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي : د . علي جواد
الطاهر ج ١ مطب المعارف - بغداد ١٩٥٨ . ج ٢ . مطب العاني - بغداد
١٩٦١ .
- ٢٤٤ - الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد : عبدالكريم
توفيق العبود . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ .
- ٢٤٥ - شعر ابن العلاف . تعد صبيح رديف . مطب ايجاسمة - بغداد ١٩٧٩ .
- ٢٤٦ - شعر علي بن جبلة الملقب بالعمكوك . تعد . د . حسين عطوان . مطب دار
المعارف - القاهرة ١٩٧٣ .
- ٢٤٧ - شعر عمر بن الفارض في فن الشعر الصوفي . د . عاطف جودة نصر . دار
الأندلس - بيروت ١٩٨٢ .
- ٢٤٨ - شعر مروان بن أبي حفصة . تعد . د . حسين عطوان . مطب دار المعارف -
القاهرة ١٩٧٣ .
- ٢٤٩ - شعر ابن المعتز . تعد . د . يونس أحمد السامرائي . دار الحرية للطباعة -
بغداد ١٩٧٧ .
- ٢٥٠ - شعر ابن منير الطرايطي . تعد . د . سعود محمود عبدالجابر . دار القلم -
الكويت ١٩٨٢ .
- ٢٥١ - الشعر في رحاب سيف النبوة الحمداني . د . سعود محمود عبد الجابر .
مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨١ .
- ٢٥٢ - شفاء القلوب في مناقب يمي أيوب . أحمد بن ابراهيم الحنبلي . تعد . ناظم
رشيد . مطب دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٩ .
- ٢٥٣ - صبح الأعشى في صناعة الانشاء . أحمد بن علي القلقشندي . المطب الأميرية .
القاهرة ١٩١٣ - ١٩٢٠ .
- ٢٥٤ - الصبح المنبى عن حبشة الفتى . يوسف البديعي . مطب دار المعارف -
القاهرة ١٩٦٩ .

- ٢٥٥ - صلى الغزو الصليبي في شعر ابن الفيراني ، د . محمود ابراهيم . مطب دار القلم - بيروت ١٩٧١ .
- ٢٥٦ - الصراع الأدبي بين العرب والعجم ، د . محمد تيه حجاب . مطب دار القلم - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٢٥٧ - الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، د . عبد القادر الرباعي . جامعة اليرموك - الأردن ١٩٨٠ .
- ٢٥٨ - صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ميخائيل عواد . دار الطليعة للطباعة والنشر - بغداد ١٩٨٥ .
- ٢٥٩ - ضحى الاسلام ، أحمد أمين . مكتبة النهضة العربية - القاهرة .
- ٢٦٠ - طبقات الأمم ، صاعد بن أحمد الأندلسي ، المطب العيدوية - النجف ١٩٦٧ .
- ٢٦١ - طبقات الشافعية الكبرى ، عبد الوهاب بن علي السبكي . ثح ، محمود محمد الطنحاني ، مطب عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢٦٢ - طبقات الشعراء ، ابن المعتز . ثح ، عبد الستار أحمد فراج . مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦ .
- ٢٦٣ - طبقات الصوفية ، أبو عبد الرحمن السلمي . ثح ، نور الدين شريعة . ط دار التأليف - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٢٦٤ - طبقات المعتزلة ، أحمد بن يحيى بن المرتضى المطب الكاثوليكية - بيروت ١٩٦١ .
- ٢٦٥ - طبعة الدعوة الماسية ، د . فاروق عمر . دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٠ .
- ٢٦٦ - الطوائف ، الحين بن منصور الحلاج . ثح ، ماستيون . ط باريس ١٩١٣ .
- ٢٦٧ - طيف الغيالي ، الشريف المرتضى . ثح ، د . صلاح خالص . مطب دار المعرفة - بغداد ١٩٥٧ .
- ٢٦٨ - العباس بن الأحنف ، د . عائكة الخزرجي دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٧ .
- ٢٦٩ - عقيدة الشريف الرضي ، د . زكي مبارك . مطب حجازي - القاهرة ١٩٥٢ .
- ٢٧٠ - العصر العباسي الأول ، د . عبد العزيز الموري . مطب التفيض - بغداد ١٩٤٥ .
- ٢٧١ - عصر المأمون ، د . أحمد فريد رفاعي . مطب دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٨ .

- ٢٧٢ - العقد الجديد : ابن عيد ربه . تعد ، أحمد أمين . أحمد الزين . ابراهيم الاياري . مطب لجنه التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٢٧٣ - عقلاء المجانين : الحسن بن محمد النيسابوري . قدمه وعلق عليه محمد بحر العلوم . المكتبة الحيدرية - النجف ١٩٦٨ .
- ٢٧٤ - العقيدة واثرية . كولد زهر . ترجمة يوسف موسى وجماعته - مصر ١٩٥٩ .
- ٢٧٥ - العمدة في معاني الشعر وادابه : أبو علي الحسن بن علي بن رقيق الفيرواني . تعد ، محمد محيي الدين عبدالحصيد . مطب السعادة - مصر ١٩٥٥ .
- ٢٧٦ - عمر بن القارص من خلال شعره ، ميشال فريد غريب . دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٥ .
- ٢٧٧ - عيون الاخبار ، ابن قتيبة . مطب دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٦٢ هـ .
- ٢٧٨ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة . دار الفكر - بيروت ١٩٥٦ .
- ٢٧٩ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، عبدالحسين أحمد الأبنسي النجفي . دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ .
- ٢٨٠ - الفحري في الآداب السلطانية . ابن الطقطقا . مطب دار صادر - بيروت ١٩٧٣ .
- ٢٨١ - الفصول والغايات . أبو العلاء المعري . مطب حجازي - القاهرة ١٩٣٨ .
- ٢٨٢ - فصول في الشعر ونقده ، د . شوقي ضيف . مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ٢٨٣ - الفكر الثروي عند ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد الكاتب . د . عبد الأمير شمس الدين . دار اقرأ - بيروت ١٩٦٩ .
- ٢٨٤ - الفكر التديني عند أبي العلاء المعري ، عطا بكري . دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٨٠ .
- ٢٨٥ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي . د . شوقي ضيف . مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٢٨٦ - الفن ومذاهبه في النثر العربي . د . شوقي ضيف . مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٨٧ - فن المقامات بين الشرق والغرب ، د . يوسف عوج . دار القلم - بيروت ١٩٧٩ .
- ٢٨٨ - فنون الشعر في مجتمع الحمانيين ، د . مصطفى الشكعة . عالم الكتب - بيروت ١٩٨١ .

- ٢٨٩ - فهرست ، ابن النديم . المطب الرحمانية - القاهرة ١٣٤٨
- ٢٩٠ - فهرست مارواه عن شيوخه ، ابن خير الأشبيلي - بيروت ١٩٦٣ .
- ٢٩١ - قوات الكوفيات ، ابن شاذان النحوي ، نعد . د . احسان عباس . مطب دار صادر - بيروت ١٩٦٣ .
- ٢٩٢ - في الادب العباسي ، د . عز الدين اساعيل . دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٥ .
- ٢٩٣ - في الادب العباسي ، د . علي الزبيدي . دار المعرفة - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٩٤ - في الادب العباسي ، د . محمد مهدي البصير . مطب النعمان - النجف ١٩٧٠ .
- ٢٩٥ - في التصوف الاسلامي وتاريخه ، نكلسون . ترجمة أبي العلا غنيمي . مطب لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٩
- ٢٩٦ - في موكب الغالدين ، عبد السمع المصري . مطب دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٩٧ - القاضي الفاضل ، دراسة ونماذج . د . أحمد أحمد بدوي . مطب الرسالة - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٩٨ - قوت القلوب ، أبو طالب المكي - القاهرة ١٩٣٣ .
- ٢٩٩ - كاهنويات أبي الطيب ، د . النعمان القاضي . شركة كتب الشرق الأوسط - القاهرة ١٩٧٥ .
- ٣٠٠ - الكامل ، أبو العباس الجرد . نعد ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، والسيد شحاتة - مطب نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٠١ - الكامل في التاريخ ، ابن الأثير . مطب دار صادر - بيروت ١٩٦٥ .
- ٣٠٢ - كتاب بغداد ، أحمد بن طيفور . نعد . محمد زاهد الكوثري . مطب عزت الطاهر العيسى - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٣٠٣ - الكتابة الفنية في مشرق الدولة الاسلامية في القرن الثالث الهجري ، د . حسني ناعمة . مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٨ .
- ٣٠٤ - الكشف ، جابر الله الزمخشري . مطب مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣٠٥ - كشف مصادر دراسة أبي العلاء المعري ، مصطفى صالح . مطب العلم - دمشق ١٩٧٨ .
- ٣٠٦ - الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، صاحب بن عباد . نعد ، الشيخ محمد حسن آل ياسين . مطب المعارف - بغداد ١٩٦٥ .

- ٣٠٧ - الكشكول ، بهاء الدين العاملي . تح. الطاهر أحمد الزاوي . مط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة د . ت .
- ٣٠٨ - كليلة ودمنة ، بيدبا الفيلسوف الهندي . ترجمة عبد الله بن المقفع . المطب الفخرية .
- ٣٠٩ - الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ، محمد بن ناصر الدين المعروف بابن الزيات . طبع القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ٣١٠ - لزوم ما لا يلزم . أبو العلاء المعري - مط دار صادر . بيروت ١٩٦٦ .
- ٣١١ - لسان العرب ، ابن منظور . مط دار صادر . بيروت ١٩٦٨ .
- ٣١٢ - لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني - حيدر آباد ١٣٣١ هـ .
- ٣١٣ - للمتنبى ، د . زكي المحاسني . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ٣١٤ - المثل السائر ، ضياء الدين ابن الأثير . تح. د . أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة . دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٣١٥ - المحدثون من الشعراء ، علي بن يوسف القفطلي . تح. حسن معمري . مطب المتني - بيروت ١٩٧٠ .
- ٣١٦ - محيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده . مجموعة أساتذة . الهيئة العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣١٧ - مرآة الزمان ، سبط ابن الجوزي . مط مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٩٥٦ .
- ٣١٨ - المرأة في أدب العصر العباسي ، د . واجدة مجيد الاطرجي . دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨١ .
- ٣١٩ - مروج الذهب ومعدن الجواهر ، السمودي . دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٦ . وطبعة باريس بإعتناء دي مينار ١٨٦٦ - ١٨٧٧ .
- ٣٢٠ - المستطرف في كل فن مستظرف ، الأبيشي . مط حجازي - القاهرة ١٩٥٣ .
- ٣٢١ - مصر الشاعرة في العصر الفاطمي . محمد عبد الغني حسن . مطابع الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٨٣ .
- ٣٢٢ - مضمار الحقائق وسر الغلائق ، محمد بن عمر الأيوبي . تح. د . حسن حبشي . دار الهنا للطباعة - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣٢٣ - معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ، د . محمد تبيه حجاب . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ .
- ٣٢٤ - معاهد التنصيص ، عبد الرحيم بن أحمد العباسي . تح. محمد محيي الدين عبد الحميد - مطب السعادة - مصر ١٩٤٧ .
- ٣٢٥ - مع أبي العلاء في رحلة حياته ، د . عائشة عبد الرحمن . دار الكتاب

العربي - بيروت ١٩٧٩ .

٣٢٦ - مع أبي العلاء في سجنه : د . طه حسين . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦ .

٣٢٧ - معجم الأدباء : ياقوت الحموي . تحر : مرجليوث . المط الهندية - مصر ١٩٢٣ .

٣٢٨ - معجم البلدان : ياقوت الحموي . مط دار صادر - بيروت ١٩٥٥ .

٣٢٩ - معجم الشعراء : المرزباني . دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٦٠ .

٣٣٠ - المعري ذلك المجهول : عبد الله العلابي . الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٨١ .

٣٣١ - المعري وحواش من اللزوميات : محمد الجيب حمادي . الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٩ .

٣٣٢ - مع المتنبي . د . طه حسين . مط دار المعارف - القاهرة .

٣٣٣ - المعرب في حلى المغرب : قسم مصر : ابن سعيد الأندلسي . مط جامعة فؤاد الأول - القاهرة ١٩٥٣ .

٣٣٤ - المقابلات : أبو حيان التوحيدي . تحر : حسن السندوبي . المط الرحمانية - القاهرة ١٩١٩ .

٣٣٥ - مقامات بدیع الزمان الهمداني : دار التراث - بيروت ١٩٦٨ .

٣٣٦ - مقامات بدیع الزمان على أحاديث ابن دريد : الدكتورة إكرام فاعور . دار اقرأ - بيروت ١٩٨٣ .

٣٣٧ - مقامات الحريري : مط دار صادر - بيروت ١٩٦٥ .

٣٣٨ - مقامات من ابن فارس إلى بدیع الزمان الهمداني : د . هادي حسن حصودي . دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨٥ .

٣٣٩ - مقدمة ابن خلدون . مط الكشف - بيروت د . ت .

٣٤٠ - مقدمة الفريدة العربية في العصر العباسي الأول : د . حسين عطوان . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٩ .

٣٤١ - الملاح السليبية في حكايات أمينة وليلة : أحمد محمد الشعاذ . دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٩ .

٣٤٢ - النخل والحل : أشهرتاني . تحريج محمد فتح الله بدران - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٦ .

٣٤٣ - منتظم في تاريخ الملوك والأمم : أبو الفرج ابن الجوزي . ط حيدر آباد - الهند ١٣٥٧ .

٣٤٤ - من حديث الشعر والنثر : د . طه حسين . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٥ .

- ٣٤٥ - من غاب عنه المطرب ، أبو منصور الثعالبي . مطب المدني - القاهرة ١٩٨٤ .
- ٣٤٦ - من النقد والأدب (المجموعة الرابعة) ، د. أحمد أحمد بنوي . مطب الرباط - القاهرة د . ت .
- ٣٤٧ - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : الأملدي ، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد دار المسيرة - بيروت د ت
- ٣٤٨ - الموازنة بين الشعراء ، د. زكي مبارك مطب مصطفى اليابى الحلبي - القاهرة ١٩٣٦ .
- ٣٤٩ - موسيقى الشعر ، د. ابراهيم أنيس مطب الأمانة - القاهرة ١٩٧٨ .
- ٣٥٠ - الموشح ، مأخذ العلماء على الشعراء ، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني . تح. علي محمد الجاوي . مطب دار النهضة - مصر ١٩٦٨ .
- ٣٥١ - الموشى أو الظرف والظرفاء : أبو الطيب الوشاء . تح. كمال مصطفى . مطب الاعتماد - مصر ١٩٥٣ .
- ٣٥٢ - النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، د. عبد الحكيم بلح . مطب الاستقلال - القاهرة ١٩٧٥ .
- ٣٥٣ - النثر الفني في القرن الرابع : د. زكي مبارك . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة .
- ٣٥٤ - النجوم الزاهرة ، ابن تغري بردي . مطب دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٩ .
- ٣٥٥ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري . تح. د. ابراهيم السامرائي . مطب المعارف - بغداد ١٩٥٩ .
- ٣٥٦ - نزهة الأنام في محاسن الشام - أبو البقاء عبد الله بن محمد البديري المطب البغدية - مصر ١٣٤٤ هـ .
- ٣٥٧ - نشوار المحاضرة ، الحسن بن علي التتوحي . تح. عبود الشاذلي . مطب دار صادر - بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٣ .
- ٣٥٨ - نسية أبي نواس . د. محمد النويهي . مطب الدجوي - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٣٥٩ - النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعري ، د. يسري سلامة . مطب دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ٣٦٠ - النكت المصرية في أحبار الوزراء المصرية . عمارة انصتي . تح. هر تونغ درنبرغ . طبع مدينة شالون ١٨٩٧ .
- ٣٦١ - نكت الهيمان في نكت العيمان ، خليل بن أيبك الصعدي . المطب الجمالية - القاهرة ١٩١١ .

- ٣٦٢ - نهاية الأرب ، النويري . مط دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٥ .
- ٣٦٣ - هبة الأديام فيما يتعلق بأبي تمام ، يوسف البديعي . نشر محمود مصطفى - القاهرة ١٩٣٤ .
- ٣٦٤ - الهجاء والهجائون في الجاهلية ، د . محمد محمد حسين . نشر مكتبة الأدب بالجماميز ١٩٤٧ .
- ٣٦٥ - هياكل النور ، شهاب الدين السهروردي . المكتبة التجارية - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٦٦ - الواضع في مشكلات شعر المتنبي : أبو القاسم عبد الله الأصفهاني . نشر محمد الطاهر بن العشور . الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ .
- ٣٦٧ - الواسي بالوفيات ، خليل بن أبيك الصفيدي . نشر المستشرقين الألمان باستانبول ١٩٣١ .
- ٣٦٨ - الورقة ، محمد بن داود بن الجراح . نشر : د . عبد الوهاب عزام . وعبد الستار أحمد قراج . مط دار المعارف - القاهرة د . ت .
- ٣٦٩ - الوزراء والكتاب ، الجعشاري . مط عبد الحميد أحمد حنفي - مصر ١٩٣٨ .
- ٣٧٠ - الواسطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني . نشر محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجعاوي . دار القلم - بيروت د . ت
- ٣٧١ - الوشي المرقوم في حل النظم . ضياء الدين بن الأثير . نشر : د . جميل سعيد . مط الجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٨٩ .
- ٣٧٢ - وفيات الأعيان . ابن خلكان . نشر : د . إحسان عباس . مط دار صادر - بيروت ١٩٧٢ .
- ٣٧٣ - بتيمة الدهر ، أبو منصور الثعالبي . نشر : محمد معني الدين عبد الحميد . مط السعادة - القاهرة ١٩٥٦ .

المبحوث والمقالات

- ٣٧٤ - امن حمدان الموصل . د . ماظم رشيد . مجلة الجامعة - الموصل . العدد ٣ سنة ١٩٨١ .
- ٣٧٥ - أدب المقامات أو الفن الأقصوصي المسجع ، د . صدام خلوصي . مجلة المعلم الجديد . العدد الأول . المجلد الخامس والعشرون . كانون ثاني - شباط ١٩٦٢ .
- ٣٧٦ - أصفهان معقل الأدب العربي ، د . مصطفى جواد . مجلة الجمع العلمي العراقي . المجلد العاشر ١٩٦٣ .

- ٣٧٧ - أغزل شعراء الكرد في العربية الملك الأمجد ، د . مصطفى جواد . مجلة الكتاب . العددان ١ ، ٢ سنة ١٩٥٨ .
- ٣٧٨ - بغداد من خلال المقامات ، صبيح صادق . مجلة المورد . العدد ١ سنة ١٩٧٩ .
- ٣٧٩ - التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوية . د . ناظم رشيد . مجلة آداب الرافدين العدد ١٠ سنة ١٩٧٩ .
- ٣٨٠ - جهاد صلاح الدين الأيوبي ، التاريخ والشعر : د . ناظم رشيد . مجلة المورد . العدد ٤ سنة ١٩٨٧ .
- ٣٨١ - حسام الدين العاجري . حياته وشعره ، د . ناظم رشيد . مجلة آداب المستنصرية - العدد ١٠ سنة ١٩٨٤ .
- ٣٨٢ - شعر الحرب في عصر بني أيوب . د . ناظم رشيد . مجلة آداب الرافدين . العدد ٦٥ سنة ١٩٨٢ .
- ٣٨٣ - القدس في شعر القرن السادس للهجرة ، د . ناظم رشيد . مجلة المورد . العدد ١ سنة ١٩٨٢ .
- ٣٨٤ - كاتب الدولتين النورية والفلاحية ، محمد بهجة الأثري . مجلة المجمع العلمي العراقي . الجزء الأول . المجلد الرابع . سنة ١٩٥٩ .
- ٣٨٥ - كنوز في رموز ، د . محمد مصطفى حلمي . ضمن الكتاب التذكري 'محيى الدين بن عربي في الذكرى الثوية الثامنة ليلاده' ، الهيئة المصرية العامة للكتاب والنشر - القاهرة ١٩٦٦ .
- ٣٨٦ - التنبيه والمعري : ابراهيم ناسي . مجلة الهلال ١٩٣٨ .
- ٣٨٧ - محمد بن كناية الأسدي . حياته وشعره ونصوص باقية من كتابه الأنواء . محمد قاسم مصطفى . مجلة آداب الرافدين ، العدد ٦ سنة ١٩٧٥ .
- ٣٨٨ - المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية : د . ناظم رشيد . مجلة آداب الرافدين العدد ١٣ سنة ١٩٨١ .
- ٣٨٩ - مقامات يديع الزمان الهمداني ، د . محسن غياض . مجلة الطليعة الأدبية . العدد ٦ سنة ١٩٧٧ .
- ٣٩٠ - القامة ، بلاشير . مجلة المشرق . العدد ٤٧ سنة ١٩٥٣ .
- ٣٩١ - مقتطفات من كتاب النمر والثعلب . سهل بن هارون . نحر ، عبد القادر الميمري . حوليات الجامعة التونسية . العدد الأول سنة ١٩٦٥ .
- ٣٩٢ - ملاحج من رؤاء الحيوان في الشعر العباسي ، طه محسن . مجلة آداب الرافدين العدد ٧ سنة ١٩٧٦ .

المحتوى

٦-٥	 المقدمة
٧-٦	 قيام الدولة العباسية
١٢-١١	 نظم الإدارة
١٥-١٤	 بناء بغداد
١٨-١٥	 ثقافة العصر
٢٠-١٨	 عوامل ارتفاع الشعر
	 العصر العباسي الأول
	 الموضوعات
٢٤-٢١	 المديح
٣٤-٢٩	 الهجاء
	
٣٦-٣١	 الرثاء
٤٧-٤١	 الغزل
٥١-٤٧	 الوصف
٥٤-٥٢	 الزهد والتصرف
٥٨-٥٥	 المجون
٦٢-٥٨	 الشعبية والزندقة
٦٦-٦٢	 الخمريات
٦٩-٦٦	 الشعر الفكاهي
٧٢-٦٩	 الشعر التعليمي
٧٨-٦٣	 التجديد في المعاني والآفكار
٨٢-٧٨	 الألفاظ والأدب
٨٧-٨٣	 الأوزان وأنشואني
	 الشعراء
١٠١-٩٨	 أبو العتاهية
١٠٤-١٠١	 ممد بن القويد
١١٠-١٠٦	 أبو تمام انطائي
١١٣-١٠٢	 أبو عباد الجحري
١١٩-١١٦	 أبو الرومي

١١٩-١٢١	عبدالله بن المعتز
	النثر
١٥٢-١٥٣	المقدمة . عوامل تطور النثر
	المعنى الشعرية
١٥٤-١٥٣	المراسل
١٥٧-١٥٤	الخطابة
١٥٨-١٥٧	القصص
١٦٠-١٥٩	التوقعات
١٦١-١٦٠	نثر المؤلفات أو المستفاد
١٦٣-١٦٢	النثر المترجم
	الكتاب
١٧١-١٦٤	عمرو بن بحر الجاحظ
١٧٥-١٧٢	سهل بن عارون
١٧٩-١٧٦	عمرو بن معدة
١٨٣-١٨٠	محمد بن عبد الملك الزيات
١٨٦-١٨١	ابن قتيبة
	العصر العباسي الثاني
١٩٠-١٨٧	توطئة
١٩٩-١٩٠	الادب في ظل البيئات الجديدة
	القسم الاول : الشعر
٢٠١-٢٠٠	الوضوعات
٢١٥-٢١٠	الشعر القومي
٢١٩-٢١٥	وصف الطبيعة
٢٢٢-٢١٩	الشعر الصوفي
	الشعراء
٢٢٨-٢٢٦	سأبو الطيب المتنبي
٢٥٥-٢٤٩	أبو مرسى الحمداني
٢٦٣-٢٥٦	أبو بكر السنوبري
٢٧١-٢٦٩	السري الرفاء



مجله علمی دانش و آموزش